

مَجَالِسُ الْمُسْتَشَارِ
فِي الْأَنْبَاءِ وَالْأَرْبَعَةِ

مَنْعُ عَشْمَان



مَعَ الْمَسِيحِ

فِي الْأَنَاجِيلِ الْأَرْبَعَةِ

مع الأسير في الأناجيل الأربعة

فهمي عثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

هذه طبعة جديدة من كتاب يعتز صاحبه به ، ويعتز بالاستقبال الكريم الذى استقبله به القراء .

وأشهد أننى حين دفعت بأصول هذا الكتاب - فى طبعته الأولى - الى الناشر ، صارحته بأننى لا أتوقع لهذا الكتاب كبير رواج ، فالقراء (المسيحيون) قد لا يحبون أن يقرءوا عن المسيح كتابا كبيرا لكاتب مهما كان معجبا بالمسيح فهو يخالفهم فى عقيدتهم فيه ، والقراء (المسلمون) قد لا يعنون بقراءة كتاب كبير يعتمد عن الأناجيل المتداولة فى الحديث عن المسيح !!

وكان رد القراء على المؤلف بليغا .

كان دفاعا رائعا عن القارئ العربى الذى كثيرا ما تبخس قيمته .
ايما بخس !!

وكان دفعة قوية للكاتب العربى كى يلج على طلب الحقيقة ، ويلج على ابداء ما يرى أنه الحقيقة .. وليكن بعد ذلك ما يكون !!

ولقى الكتاب رواجاً « ماديا » عجيبا .. ثم لقي تقديرا « أدبيا » .
يعتز به كاتبه ايما اعتزاز !!

وعقد هذا الكتاب صداقة غالية بين مؤلفه وبين كثير من كتاب المسيحية على اختلاف مذاهبهم ومواطنهم .

فصحيفة (وطنى) قد أفسحت للحديث عنه مجالا كبيرا ، وأثنت على هذه المحاولة التى يرجو صاحبها أن تكون مخلصه بقدر ما يستطيع الانسان أن يتحرى الاخلاص .

والأب عدلى خزام مدير مدرسة القلب الأقدس Collège du Sacré Coeur بالزيتون قد تفضل بالكتابة الى صاحب الكتاب ، وتعددت المراسلات لتعقد صلات فكرية أنا بها سعيد .

وتفضل القس الأمريكى كنيث نولين Kenneth E. Nolen من مستشفى الارسالية الأمريكية بأسيوط بزيارتي مرات ، ثم قرأت عرضه للكتاب فى مجلة The Muslim World التى تصدر باللغة الانجليزية عن مؤسسة هارتفورد Hartford Seminary Foundation فى عددها الصادر فى يوليو ١٩٦٣ .

وكان لهذا الكتاب الفضل فى صلات ود مع الأستاذ الألماني الدكتور أولداج وكان يمر بالقاهرة فى أثناء عودته من (مؤتمر الأديان) الذى أقيم فى دلهى . وقد عمل مشكورا على توجيه الدعوة الى من قبل حكومة الجمهورية الألمانية الاتحادية لزيارتها وقضاء أسبوعين فى ضيافتها .



وقد استهل العرض الذى نشرته مجلة The Muslim World بالحديث عن الكتابات المعاصرة التى تناول بها المسلمون المسيح ، فأشار الى (عبقرية المسيح) للعقاد و (قرية ظالمة) لمحمد كامل حسين و (معا على الطريق) لخالد محمد خالد . ثم ذكر أن كتاب (مع المسيح) يشهد بصلاية فى الحرص على انتهاج المنهج العلمى فى البحث ، وبوفرة فى الحواشى الدقيقة . وهو يرى للكتاب مكانة خاصة من أجل سعيه المخلص المتجاوب للاقتراب من (شخصية المسيح) و (رسالة المسيحية) من وجهة نظر الاسلام . وكاتب المقال يرى أن هذه النزعة ضرورية للمسلمين والمسيحيين على السواء اذا ما عزمنا على اجتياز الفجوة التى خلقها سوء الفهم والعزلة على مر القرون . ولم يفت القس كنيث نولين أن يقرر أن فى الكتاب مسائل يجدها الباحث المسيحى مخيبة للآمال ، ولكنه يرى أنه ما من مسألة من هذه المسائل يصح أن يسمح لها بأن تحجب اخلاص المؤلف فى مسعاه وروحه الودية فى سبر أعماق أغوار العقيدة المسيحية من جانب مسلم مؤمن غيور . وهو يأمل أن يقدم للعالم العربى المسيحى كتابا من نفس المستوى ، ينزع الى التعرف على (الاسلام) فى نزاهة

وتفهم حتى تقترب من لقاء حقيقى بين العقيدتين فى أعماق الجذور . ثم يأخذ القس نولين على الكتاب تحليل نصوص الانجيل دون اشارة الى (التفاسير) المسيحية الماثورة ، وان كان قد أثبت رأى بالنسبة لهذه الملاحظة وهو اننى حريص على الاقتراب من المسيح مباشرة بقدر الامكان ، وعلى عدم التقيد بالفكر التقليدى الموروث ، فاذا استطعت أن أفهم كلمات المسيح لم أجد مدعاة للرجوع الى الشروح والتفاسير وان كنت لا أنكر قيمتها . وقد تساءل القس نولين معاقبا : أفلا يكون هذا ضروريا لكلا الجانبين على السواء لأى لقاء فى مجال بحث الكتب المقدسة ؟

كذلك يأخذ كاتب المقال على المؤلف نزوعه الى (اعتماد) كتابات لا يمثل أصحابها (الايمان المسيحى) ، وان كان يعذر العالم الاسلامى فى ذلك نظرا لهذا الحشد المتدافع من الدراسات الذى ظهر عن المسيحية فى الغرب بصورة تدعو الى الارتباك . والمسلم لم يالف كاتبا ينقد دينه أو يخرج عليه ، ومن هنا فهو معذور فى تقبل هذه الدراسات التى قد ينحرف كتابها المسيحيون عن الخط المسيحى المقرر !

وأحب أن أؤكد للقس نولين هنا ، اذ أحسب اننا لم نخرج فى حديثنا خلال مقابلاتنا المتكررة على هذه النقطة . . أحب أن أؤكد له هنا أننى أظن اننى لم أعتمد على كتابات خارجة على التفكير المسيحى خروجا تاما ، لكن متابعة (التيارات الداخلية) فى نطاق الفكر المسيحى ضرورية اذ تعين على تقديم صورة متكاملة للواقع الفكرى من جهة ، ثم هى تشهد بأنه ان كان ثمة (مسلم) يفهم نصا من الانجيل على وجه من الوجوه ، فان النص لا بد يسمح بهذا التأويل دون اعتساف ما دام قد شاركه فيه مسيحى - مهما كان موقفه الجزئى من بعض المسائل التفصيلية فى المسيحية ، ذلك انه أقرب بغير جدال الى المسيحية من حيث (البعد النفسى) وأسلم من دواعى الشبهة والتهمة والانحراف ! كما أحب أن أبشر القس نولين بأن المسلمين الآن لم يعودوا يضيقون باتجاه (المراجعة) بالنسبة لتراث الفكر الاسلامى !

* * *

ولقد بلغ من قوة الصلات الفكرية النى عقدها هذا الكتاب مع قرائه أن كتب لى الأب عدلى خزام فى احدى رسائله ، يشكو فى ألم من كتاب الأستاذ منصور حسين عبد العزيز : « الحقيقة أو دعوة الحق بين المسيحية فى الاسلام » .

ولقد قرأت هذا الكتاب ، ورأيت أن صاحبه قد اختار طريقه ، وقد

أشار الى ذلك فى مقدمة كتابه ، ولكنه على أية حال يعرف طريقه جيدا .
وقد اختلف مع كاتب « الحقيقة » فى أشياء ، ولكنى لا يمكن الا أن أقرر
أنه اختط منهجه فى البحث على أساس علمى رشيد ، وأن كتابه محاولة
جادة مخصصة لتقديم دراسة جديدة فى المسيحية ، استفدت أنا شخصيا
منها . وبودى أن يآلف اتباع أى دين أن يقرأوا من مخالفينهم مالا يرضى
عقيدتهم ، والا للزم الكاتب أن يكون منطقيا مع نفسه ويتحول الى الدين
الذى يكتب عنه ما دام يرضى عن كل شئ فيه ! وحسبنا أن يكون الكاتب
مخلصا فى طلب الحقيقة واتباع المنهج العلمى ، ومن ثم يكون مالا يرضى
من كتابته (بحثا منهجيا) ولو تخلله الخطأ ، ولا يكون مجرد تجن
وعدوان !!

ولقد كتبت الى الأب خزام برأى ، وأنا لا أعرف الشاكى أو المشكو
منه الا عن طريق الفكر ، وأحسب أن هذا أعون على الحياد وأقوم بالقسط .

* * *

ولقد سألتى البعض : ماذا تقصد من وراء هذا الكتاب ؟

وأعتقد أننى قد أجبت فى صدق على هذا السؤال فى مقدمة الطبعة
الأولى . . ولا بأس أن أؤكد اننى لا أريد الا أن أتعرف فى أمانة وسلامة
على (المسيح) و (المسيحية) فى الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين اليوم
وأن أقدم محاولتى للناس فى هذه الحدود !!

لا أزعم قط اننى أقصد بطريق مباشر أو غير مباشر أن أبشر بين
المسيحيين بالاسلام ، أو أن أبشر بين المسلمين بالمسيحية . . وأنى لى ذلك
ودراستى للمسيحية ما زالت فى خطواتها الأولى !

وأخشى أن نكون لطول ما عشنا فى (مناخ) نفسى وفكرى غير
صحى ، قد درجنا على الالتواء ، وألفنا التساؤل فى ذكاء . . أو دهاء !!

* * *

وهذه الطبعة الجديدة أردت أن أؤدى بها حق الشكر للقراء الذين
أحسنوا استقبال الطبعة السابقة ، فسعيت الى مزيد من الاتقان . ولقد
استفدت مما وقع بين يدي من كتابات عن المسيحية وبخاصة عن البيئ
الجغرافية والتاريخية التى شهدت مبعث المسيح . ولعل القارئ يلمس
هذه المحاولة للاتقان فى صفحات الكتاب . ولم أغفل سياق الأحداث ،
فتناولت الوثيقة التى عرضت على المجمع المسكونى للفاتيكان بشأن موقف
المسيحية من غير المسيحيين عامة ومن اليهود الذين تحمل أسلافهم

وزر الجريمة النكراء ، جريمة (قتل) المسيح أو (الشروع فى قتله)
على الأقل !!

وحين يكون حظ الكتاب فى طبعته الجديدة حظه فى طبعته السابقة
.. فما أسعد كاتبه بهذا التجاوب .. وانه لا يفتأ يرجو مخلصاً أن يكون
العمل الذى يتقدم به « مقبولا عند الله ثمرا بين الناس » . ٢
ديسمبر ١٩٦٦

« فتحى عثمان »

مقدمة الطبعة الأولى

وعيت وأنا تلميذ بالمدرسة الابتدائية مناقشة فكرية ، اذ أخرج القس « ابراهيم لوقا » كتابا أسماه (المسيحية في الاسلام) تعرض فيه لاثبات بعض وجهات النظر العقائدية عند المسيحيين - بنصوص من القرآن الكريم ، وأثار هذا الكتاب وقتها ما أثار ، وتصدى له كاتب مسلم هو الأستاذ محيي الدين سعيد البغدادى فدبج مقالات مطولة متتابعة استغرقت من صفحات مجلة (الاسلام) حيزا كبيرا وأمدًا طويلا .

تفتح تفكيرى اذن على هذا اللون من الاتصال - أو الاحتكاك - بين المسيحية والاسلام ، لون الجدل العقائدى فى عقد الخلاف التاريخية الحساسة بين الدينين العظيمين ، وكنت أمارس أحيانا بعض الصور المتواضعة لهذا اللون من الجدل مع زميل مسيحى أثناء التعليم الثانوى . . حتى اذا اتجهت الى الجامعة ازدادت شغفا بمتابعة الدراسة فى التاريخ الفكرى والحضارى للديانات على مستوى علمى ، وكنت أجد فى محاضرات الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية عن تاريخ الرهبنة والديرية والبابوية والجامعات الأوروبية والحروب الصليبية متعة رائعة ، كما تلذذت أيضا وأنا أدرس على الأستاذ الدكتور محمد فؤاد شكرى تاريخ الاصلاح الدينى المذهبين البروتستانتى والكاثوليكي Reformation, Counter Reformation فى أوربا . وعكفت بعد تخرجى من كلية الآداب على الدراسات الاسلامية عموما والتاريخ الاسلامى خاصة ، ولكنى لم أنصرف عن الدراسات المقارنة فى الديانات والمذاهب .

حتى كان هذا الكتاب .



طالعت القرآن فوجدت (لأهل الكتاب) فيه نصيبا مذكورا ،

ودرست التاريخ الاسلامى فوجدت (لأهل الذمة) فى المجتمع والدولة رصيذا مذكورا . . وتأملت الفكر الاسلامى فوجدته يلتقى فى بعض صورهِ مع الفكر المسيحى - لا منذ درس المسلمون الفلسفة واتجهوا للتصوف واتصلوا بالسريان والنساطرة فحسب ، بل منذ الينابيع الأولى . . نجد هذا اللقاء فى قصص الأنبياء، ومن ذلك قصص ابراهيم واسحق ويعقوب، ويوسف وموسى ، وداود وسليمان ، وأخيرا زكريا ويحيى ومريم ثم المسيح بن مريم .

تقرأ فى انجيل لوقا عن زكريا وزوجه :

« ولم يكن لهما ولد اذ كانت اليصابات عاقرا ، وكانا كلاهما متقدمين فى أيامهما . فبينما هو يكهّن فى نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت ، أصابته القرعة أن يدخل الى هيكل الرب ويبخر . وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور ، فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور ، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف ، فقال له الملاك : لا تخف يا زكريا لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ، ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته لأنه يكون عظيما أمام الرب . . فقال زكريا للملاك ، كيك أعلم هذا ، لأنى أنا شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها ؟ فأجاب الملاك وقال له : أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا ، وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم الى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامى الذى سيتم فى وقته . وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من ابطائه فى الهيكل ، فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل ، فكان يومئذ اليهم وبقي صامتا» (١) .

« هنالك دعا زكريا ربه ، قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى ، مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين . قال : رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر ؟ قال : كذلك الله يفعل ما يشاء . قال : رب اجعل لى آية ، قال : آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا ، واذكر ربك كثيرا ، وسبح بالعشى والابكار » (٢) .

« . . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . اذ نادى ربه نداء خفيا . قال

(١) لو ١ : ٧ - ٢٢ .

(٢) آل عمران ٣٨ : ٤١ .

رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا . وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا . يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا . قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا . قال كذلك قال ربك : هو على هين ، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا . قال : رب اجعل لى آية ، قال : آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا . فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا (١) .

الأتري الصورتين : المسيحية والاسلامية تتفقان ، حتى فى كثير من التفاصيل ؟؟

كذلك نرى الجمع بين مولد يحيى (يوحنا) بن زكريا ، ومولد عيسى بن مريم فى مقام واحد من القول فى انجيل لوقا وفى سورتى آل عمران ومريم ، ولا عجب فقد كان أولهما مقدمة بين يدى الآخر .

« وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله الى مدينة من الجليل اسمها ناصرة الى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم . فدخل اليها الملاك وقال : سلام لك أيتها المنعم عليها ، الرب معك ، مباركة أنت فى النساء ! فلما رآته اضطربت من كلامه ، وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية ؟ فقال لها الملاك : لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسميه يسوع ، هذا يكون عظيما ، وابن العلى يدعى ، ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية . فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ؟ فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظلك ، فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله . وهو ذا اليصابات نسيبتك هى أيضا حبلى بابن فى شيخوختها وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا ، لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله » (٢) .

وفى القرآن ما كادت سورة آل عمران تختتم حديث مولد يحيى « واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار » ، حتى استهلكت حديث مولد عيسى بن مريم :

(١) مريم ٢ : ١١
(٢) لو ١ : ٢٦ - ٣٧

« واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين • يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين • ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم اذ يلقون افلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون • اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين • ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين • قالت : رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟ قال كذلك الله يخلق ما يشاء • اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » (١) •

وما كادت سورة مريم تختتم حديث مولد يحيى « والسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » حتى استهلكت كذلك حديث مولد عيسى بن مريم : « واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا • فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا • قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا • قال : انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا • قالت : أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا • قال كذلك قال ربك : هو على هين ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا » (٢) •

والتشابه واضح فى السياق لا يحتاج الى اشارة أو بيان ، اذا استبعدنا المشكلة الخلافية المعروفة : تسمية المسيح ابن الله •

ثم نلمس فى ثنايا الكتابين تقاريا فى التعبير عن بعض الصور الكونية والنفسية •• « ان يوما واحدا عند الرب كألف سنة » (٣) وفى القرآن « ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون (٤) •

وفى أعمال الرسل « ستسمعون سمعا ولا تفهمون ، وستنظرون نظرا ولا تبصرون ، ولأن قلب هذا الشعب قد غلظ بأذانهم سمعوا ثقيلًا وأعينهم أغمضوها ، لئلا يبصروا بأعينهم ويسمعوا بأذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفئهم » (٥) وفى القرآن تصويرات عدة لهذا المعنى :

(١) آل عمران ٤٢ : ٤٧

(٢) مريم ١٦ : ٢١ •

(٣) بطرس ٣ : ٨ - ٩

(٤) الحج ٤٧ ، السجدة : ٥ •

(٥) أعمال ٢٨ : ٢٦ - ٢٧

« لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون »
« ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم » « صم بكم عمى ، فهم لا يرجعون » (١) .

واذا كان القرآن - ينبوع الفكر الاسلامى - قد أذن لمجرى تفكير المسلمين أن يكون على هذه الصورة من الاتساع ، فهو لم يخرج فى هذا عن قاعدته الثابتة الراسخة « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٢) .

وجاءت السنة النبوية تعزز هذا التفكير الجامع ، ففى الحديث الشريف : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » يقول ابن كثير بعد إيراد الحديث « رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو - وكان قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الأذن فى ذلك . ولكن هذه الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد ، فانها على ثلاثة أقسام : أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح ، والثانى ما علمنا كذبه مما عندنا ما يخالفه ، والثالث ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم . . ويختلف علماء أهل الكتاب فى هذا كثيرا ، ويأتى من المفسرين خلاف ذلك . . وأحسن ما يكون فى حكاية الخلاف أن تستوعب الأقوال فى ذلك المقام ، وأن ينبه على الصحيح منها ويبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وثمرته » (٣) .

(١) الاعراف ١٧٩ ، البقرة ٧ ، ١٨ .

(٢) البقرة ١٣٦ ، ٢٨٥ ، الشورى : ١٣ .

(٣) تفسير ابن كثير : المقدمة ص ٤ .

غير أن الناس لا تمحس الأمور هذا التحييص ، ومن هنا غطت الخلافات المتعصبة على البحث المستنير . . . وفضل الدعاة والمرشدون أن يلجئوا الى تحقيق التوافق بين أهل الديانات عن طريق تربية المجتمع عمليا على آداب السلوك الرفيع ، بعد أن عزت الدراسات الفكرية الهادئة الجادة ، التي لا أقول تحل عقدة الاذهان والنفوس ، ولكنها على الاقل تكشف كلا من الاسلام والمسيحية وصلة الاسلام بالمسيحية تحت أضواء العلم الصحيح ، وحينئذ تتجاوب العقول فتحقق التوافق تلقائيا على مستوى أعمق وأدوم في علاقات الناس .

فكرت في هذا كله ووجدت الاسلام معروضا على المسلمين والمسيحيين في كتابات عربية عصرية مبسطة (*) ، ولم أجد للمسيحية مثل هذا العرض في أدبنا الحديث والمعاصر الا قليلا . . . وقد يكون من دواعي هذا أن الاستعمار الغربى قد أراد أن يجر المسيحية في ركابه أثناء الحروب الصليبية والاستعمارية ، فوقف المسلمون موقف الدفاع ، ووقف المسيحيون موقف الحذر .

كتب رحمه الله بن خليل الرحمن الهندى في مقدمة كتابه المشهور (اظهر الحق) : « ان الدولة الانجليزية تسلمت على مملكة الهند تسلطا قويا . . . ومن ابتداء سلطنتهم الى ١٣ سنة ما ظهرت الدعوة من علمائهم الى مذهبهم ، وبعدها أخذوا في الدعوة . وكانوا يتدرجون فيها حتى ألفوا الرسائل والكتب في رد أهل الاسلام ، وقسموها في الأمصار بين العوام ، وشرعوا في الوعظ في الأسواق ومجامع الناس والشوارع العامة ، وكان عوام أهل الاسلام الى مدة متنفرين عن استماع وعظهم ومطالعة رسائلهم فلم يلتفت أحد من علماء الهند الى رد تلك الرسائل . لكن تطرق الوهن بعد مدة في تنفر بعض العوام ، وحصل خوف مزلة أقدام بعض الجهال فعند ذلك توجه بعض علماء أهل الاسلام الى ردهم .

وانى وان كنت منزويا في زاوية الخجول ، وما كنت معدودا في زمرة العلماء الفحول ، لكنى لما اطلعت على تقاريراتهم وتحريراتهم ووصات

(*) اخذت بعض المطبوعات العربية التي تعرض للمسيحية في اسلوب مبسط طريقها الى الظهور أخيرا ، ومنها مطبوعات لجنة التأليف والنشر للمجمع المسيحى للشرق الادنى A.C.L.C. (بيروت - القاهرة) مثل مجموعة الكتاب المسيحى S.P.C.K. ومطبوعات دار السلام بالمعادي بالقاهرة - الخ .

الى رسائل كثيرة من مؤلفاتهم ، استحسننت أن اجتهد أيضا بقدر الوسع والامكان : فألفت أولا الكتب والرسائل ليظهر الحال على أولى الالباب ، واستدعيت ثانيا من القسيس الذي كان بارعا وأعلى كعبا من العلماء المسيحيين الذين كانوا في الهند مشغولين بالطعن والجرج على الملة الاسلامية تحريرا وتقريراً - أعنى مؤلف ميزان الحق - ان يقع بينى وبينه المناظرة فى المجلس العام ليتضح حق الاتضاح أن عدم توجه العلماء الاسلامية ليس لعجزهم عن رد رسائل القسيسين كما هو مزعوم بعض المسيحيين . فتقررت المناظرة فى المسائل الخمس التى هى أمهات المسائل المتنازعة بين المسيحيين والمسلمين أعنى التحريف ، والنسخ ، والتثليث ، وحقية القرآن ، ونبوة محمد .

« فانعقد المجلس العام فى رجب سنة ١٢٧٠ هـ فى أكبر أباد ، وكان بعض الأبناء معيناً لى فى المجلس وكان بعض القسس معيناً للقسيس الموصوف ، فظهرت الغلبة لنا بفضل الله فى مسئلتى النسخ والتحريف اللتين كانتا من أدق المسائل وأقدمها فى زعم القسيس - كما تدل عليه عباراته فى كتاب حل الاشكال - فاذا رأى ذلك سد باب المناظرة فى المسائل الثلاث الباقية » .

ولست بالذى ينكر أهمية العقيدة واختلافاتها فى بناء أى دين ، ولا بالذى ينكر أهمية الفروق بين المسيحية والاسلام ، لكنى أقول ان المسيحية ليست فقط هى التثليث والصليب !! ان الاناجيل المتداولة زاخرة بالقصص والامثال والوصايا التى هى معين لأدب أخلاقى انسانى ينهل منه كل متدين وكل صاحب خلق وعقل ، لكن هذا كله يضيع فى زحام الخلافات العقائدية المحدودة !!

فالكثير من المؤلفات تجعل مدار بحثها المجادلات العقائدية وحدها . من ذلك ما كتبه الامام الجليل أبو محمد على بن حزم فى موسوعته العقائدية (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) : « معتمد النصرانى كله الذى لا معتمد لهم غيره من قولهم بالتثليث ، وان المسيح اله وابن الله ، واتحاد اللاهوتيه بالناسوتيه والتحامه به - انما هو كله على أناجيلهم وعلى ألفاظ تعلقوا بها مما فى كتب اليهود كالزبور وكتاب أشعيا وكتاب إرميا ، وكلمات يسيرة من التوراة ، وكتاب سليمان وكتاب زخريا ، وقد نازعتهم اليهود فى تأويلها فحصلت دعوى مقابلة لدعوى . . وقد أوضحنا بحول الله تعالى وقوته فساد أعيان تلك الكتب وأوضحنا أيضا فساد نقلها وانقطاع الطريق منهم الى من نسب اليه تلك الكتب . . ثم نورد

تكذيبهم في دعواهم أن التوراة عند اليهود وعندهم سواء ، ونورد ما يخالفون فيه نص التوراة التي عند اليهود (ولا يصح لأحد الاحتجاج بتصحيح ما يكذبه) ، ثم نذكر مناقضات الأناجيل « (١) ... وعلى هذا المنوال يسير الكتاب ، متعقبا روايات بعض الأتساب والوقائع مثبتا اختلافها .

أفليس في تعاليم المسيحية الشيء الكثير الذي تتفق عليه جميع الأديان ، والذي يستفيد منه الفكر الديني على وجه العموم ؟؟

وان الاسلام يقدر أثر المسيحية - في واقعها القائم ، ولها وضعها باعتبارها الرسالة التي تقدمته مباشرة ، وباعتبار الدينين قد أقاما حضارتين عالميتين تنافستا بكل سبيل . وقد وصف الاسلام أتباع المسيح خصوصا بأنهم أقرب مودة للذين آمنوا وأنهم لا يستكبرون . وميز أهل الكتاب عموما في التشريع « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب » (٢) ...

بهذه العشرة الكريمة من مؤاكلة ومشاركة ، ومعاملة ومصاهرة حدد الاسلام مركز الكتابيين ، على ما في كتبهم مما ليس يرضاه ، وذلك على خلاف المشركين « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ، ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم » (٣) .

والعلاقة الزوجية التي أقرها الاسلام بين المسلم والكتابية ، هي العلاقة التي عبر عنها القرآن بقوله « ميثاقا غليظا » (٤) ، وصورها المسيح « أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ، ويكون الاثنان جسدا واحدا » (٥) .

ثم ان خلافاً العقيدة بين الاسلام والمسيحية ليست في ضوء الدراسة الرصينة لهذا الضيق ، فلئن كانت الأناجيل المتداولة قد أطلقت على المسيح (ابن الله) ، فهو قد سمي نفسه (ابن الانسان) في

(١) ابن حزم : الفصل - طبعة صبح - ص ٦ وما بعدها .

(٢) المائدة : ٥ .

(٣) البقرة : ٢٢١ .

(٤) النساء : ٢١ .

(٥) مت ١٩ : ٤ - ٥ ، بعبارات أخرى مر ١٠ : ٦ - ٨ .

أكثر من موضع من هذه الأناجيل (١) . حقا تحدثت النصوص المسيحية المتداولة باللفظ الصريح عن (الأب السموى) « فهكذا أبى السموى يفعل بكم ، ان لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته » (مت ١٨ : ٣٥) وعن المسيح الابن « وصوت من السموات قائلا : هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » (مت ٣ : ١٧ ، مر ١ : ١١ ، لو ٣ : ٢٢) ، غير أن التعبير بأبوة الله قد ورد مرات لغير المسيح « ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذى سمعته من الله ، هذا لم يعمله ابراهيم ، أنتم تعملون أعمال أبيكم . فقالوا له : اننا لم نولد من زنا ، لنا أب واحد وهو الله ، فقال لهم يسوع : لو كان الله اباكم لكنتم تحبوننى لأننى خرجت من قبل الله وأتيت ، لأنى لم آت من نفسى بل ذاك أرسلنى » (يو ٨ : ٤٠ - ٤٢) . وفى أعمال الرسل « لكى يطلبوا الله لعلمهم يتلمسونه فيجدوه ، مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيدا لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد ، كما قال بعض شعرائكم أيضا لأننا أيضا ذريته ، فاذا نحن ذرية الله لا ينبغى أن ننظر أن اللاهوت شبيه بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة واختراع انسان » (أعمال ١٧ : ٢٧ - ٢٩) وفى الرسالة الى أهل رومية « لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله ، اذ لم تأخذوا روح العبودية أيضا للخوف ، بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب . الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله ، فان كنا أولادا فاننا ورثة أيضا - ورثة الله ووارثون مع المسيح » (رومية ٨ : ١٤ - ١٧) وهناك أيضا « ان كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين » (عبرانيين ١٢ : ٧) « أنظروا أية محبة أعطانا الأب حتى ندعى أبناء الله » (رسالة يوحنا الرسول الأولى ٣ : ١) « أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضا لأن المحبة هى من الله ، وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله » (نفس الرسالة : ٤ : ٧) .

وثمة اشارات فى ثنايا الأناجيل المتداولة عن نبوة المسيح « بل ينبغى أن أسير اليوم وغدا ومايليه ، لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجا عن اورشليم . يا اورشليم يا اورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين » (لو ١٣ : ٣٣ - ٣٤) « واذا اثنان منهم كانا منطلقين فى ذلك اليوم الى قرية بعيدة عن اورشليم ستين غلوة اسمها عمواس ، كانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع هذه الحوادث . وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب

(١) على سبيل المثال مت ٨ : ٢٠ ، ١١ : ١٩ ، ١٢ : ٤٠ ، ٢٠ : ٢٨ ، ٢٥ ، ٣١ ، مر ٢ : ٢٨ ، ٩ : ٩ ، ١٤ : ٤١ ، لو ٩ : ٥٦ ، ١٧ : ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ١٨ : ٨ ، يو ٣ : ١٣ ، ٥ : ٢٧ ، ١٢ : ٣١ .

اليهما يسوع نفسه وكان يمشى معهما ، ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته . فقال لهما ماهذا الكلام الذى تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين ؟ فأجاب أحدهما الذى اسمه كليوباس وقال له : هل أنت متغرب وحدك فى أورشليم ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها هذه الأيام ؟ فقال لهما : وما هى ؟ فقالا : المختصة بيسوع الناصرى الذى كان انسانا نبيا مقتدرا فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب ، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه ، ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدى اسرائيل ، ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك ؟ . . فقال لهما : أيها الغبيان والبطيثا القلوب فى الايمان بجميع ما تكلم به الأنبياء ، أما كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل الى مجده ؟ ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء - يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب ، ثم اقتربوا الى القرية التى كانا منطلقين اليها وهو تظاهر كأنه منطلق الى مكان أبعد . فالزماء قائلين : امكث معنا لأنه نحو المساء وقد مال النهار ، فدخل ليمكث معهما ، فلما اتكأ معهما أخذ خبزا . وبارك وكسر وناولهما . فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما » (لو ٢٤ : ١٣-٣١) « الله لم يره أحد قط » (يو ١ : ١٨) ويقول بولس « فليكن فيكم هذا الفكر الذى كان فى المسيح يسوع الذى اذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد صائرا فى شبه الناس واذ وجد فى الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت . . »

وبجانب هذا كله هناك اشارة فى انجيل يوحنا تستحق التأمل « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد . روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم . لا أترككم يتامى ، انى آتى اليكم . وبعد قليل لا يرانى العالم أيضا وأما أنتم فترونى » (يو ١٤ : ١٥ - ١٩) « وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يو ١٤ : ٢٦) « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهدنى » (يو ١٥ : ٢٦) .

لكنى لا أريد أن أفتح باب الجدل العقائدى الذى قلت انه حجب عن الأعين نور المسيحية ، وانما أريد أن أقنع المسلمين بأن العهد الجديد المتداول لايتعرض فقط فى لما ينكرون ، وحتى ما ينكرونه فيه مجال كبير للبحث والنظر . ليرفضوا عن بينة كما اقتنعوا عن بينة ، ولا يعيش الواحد

منهم ويموت غير عالم شيئا من هذه الديانة الكبرى ، مع أن كتابهم ينمى على التقليد والمقلدين » وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، ، ومع أن أصولهم الاعتقادية تعلن :

اذ كل من قلد فى التوحيد ايمانه لم يخل من ترديد

ولا يعنى التجاوب العقلى على أساس الدراسة العلمية المقارنة للأديان أن يصطنع التوافق التافه الباهت الممحوت ، وأن تعتسف الوحدة الفكرية على أساس الافتراء على اللغة والمنطق والتاريخ . هذا عبث لا يزيد الناس الا بعدا وتجافيا .

كتب الأستاذ محمد رشيد رضا يقول : « ان تلك الأقوال المعروفة عند النصارى دفعت بعض الراغبين فى التأليف بينهم وبين المسلمين الى الجمع بين ماجاء فى القرآن العزيز وما يؤخذ من الأناجيل بنسوع من التأويل : وهو أن قول القرآن (وما قتلوه يقينا) يشعر بأنه قد حصل ما هو مظنة القتل ، لأنه صورة من صورته ووسيلة من وسائله ، وذلك التعليق على الحشبة الذى كان بدون كسر عظم ولا اصابة عضو رئيسى ، ولم يطل زمنه فكأنه ليس صلبا ، وعندهم أن هذا هو معنى قوله (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) - وهذا التأويل بعيد . وممن ولح بالجمع بين النصرانية البولسية التى تؤخذ من الكتب التى يسمونها العهد الجديد وبين الاسلام قسيس من طائفة الروم الأرثوذكس اسمه (خريستوفورس جباره) كان برتبة ارشمندريت وكاد يكون مطرانا ، فخلع ثوب الكهنوت وطفق يدعو الى التآليف والجمع بين الاسلام والنصرانية ، ويقول بعدم التنافى بينهما ، ويؤلف الكتب فى ذلك : يشبث فيها التوحيد وصدق القرآن ونبوة محمد ، مع صحة الأناجيل وتطبيقها على القرآن . ولكن لم يستطيع أن يؤلف حزبا ، واننى أعتقد أنه كان مخلصا فى عمله ، وكان الأستاذ الامام يحسن الظن به أيضا ، ويرى أن دعوته لاتخلو من فائدة وتمهيد للتأليف بين الناس ، وظهور دين الحق فى جميع البلاد . . ولكن المحال هو الجمع بين دين القرآن وبين الديانة البولسية المبنية على أن الثلاثة واحد حقيقة وعلى عقيدة الصلب والفداء . . . الخ ، (١) .

الحق أن هذه محاولات غير مجدية ، والمجدى أن ينظر الى الأمور

(١) رشيد رضا : عقيدة الصلب والفداء - الطبعة الثانية ص ٧٥ : ٧٧ .

النظرة الواقعية الصحيحة فالاسلام اسلام ، والمسيحية مسيحية ، وهما يتفقان ويختلفان ، ومن الخير أن يسلم بالمختلف كما يتفق على المؤتلف ، دون أن يختل ميزان الحق والعقل . ونحن نقرأ للأستاذ الامام محمد عبده توجيهها في البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) قال فيه « . . . الذي عرف هو قول النصارى في ابتداء شئونهم باسم الآب والابن والروح القدس ، وهو في زعمهم ثلاثة مختلفة الآحاد مع أنها واحد ، فأراد الله أن يجعل للمسلمين فاتحة أعمال تحتوى على ثلاثة معان : الأول ذات والآخران صفتان - فلفظ الجلالة هو الذات وهو يقابل الآب عندهم ، والرحمن وصف الفعل المتجدد الصادر من فيض الكرم وهو يقابل الابن لزعمهم أنه منبثق من الذات ، والرحيم يدل على الصفة الثابتة للذات الأقدس وهي التي يرجع اليها الفعل المتجدد وباعتبارها يصدر ويتجدد وهو يقابل روح القدس فانه عندهم الصلة بين الآب والابن - وان حاولوا ستر ذلك بصروب من العبارات . فأراد الكتاب أن يعلمنا كيف نضع التوحيد مكان التثليث ، ونستبدل بالفاظ التشبيه خيرا منها من ألفاظ التنزيه ، ولا يفوتنا المعنى الذي يحتج بقصده من الآب والابن والروح القدس وهو معنى الرحمة وافاضة النعمة ، وهذا هو وجه تكرير هذه الفاتحة الكريمة في كل سورة والندب الى الافتتاح بها في كل عمل ذي بال ، . وقد عقب على هذا القول معقب فقال : « أقول : لو قبل أهل الدين من النصارى هذا التفسير ، لانحلت أعظم عقدة تباعد بين عقيدتي المسيحية والاسلام ، !!

وأنا أعتقد أن الأمر ليس بهذه البساطة ، وأن من الخير أن يعترف أصلا بوجود الخلاف ، وألا تكون الطريقة الى الوفاق هي الدهان السطحي الظاهري للألفاظ والعبارات ببريق لماع ، بل الولوج الصحيح من الباب ، وحصر الخلاف في نطاقه المحدود ، ثم تلمس الاستفادة من الدائرة الواسعة للاتفاق الحقيقي بدلا من المداهنات التي لاتغنى .

ومن حصر نطاق الخلاف أن يفرق بين ما ثبت في نصوص الأناجيل المتداولة ، وبين الشروح والتأويلات الفلسفية ، والتقاليد الكنسية وما الى ذلك .

هذا هو حق المسيحية على الاسلام كما يوجبه الاسلام ، وللمسيحية حق على مصر تمليه ظروف المكان ، ففي احدى الروايات الانجيلية : « وبعد ما انصرفوا اذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلا : قم وخذ الصبي وأمه واهرب الى مصر ، وكن هناك حتى أقول لك ، لأن هيرودس

مزعم أن يطلب الصبى ليهلكه ، فقام وأخذ الصبى وأمه ليلا وانصرف الى مصر ، وكان هناك الى وفاة هيرودس ، لكى يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل : من مصر دعوت ابنى . . فلما مات هيرودس اذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوסף فى مصر قائلا : قم وخذ الصبى وأمه واذهب الى أرض اسرائيل لأنه قد مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى » (١) .

وقد كتب هـ . آيدرس بل Bell أستاذ علم البردى Papyrology بأكسفورد « وعند هذا التاريخ - أواخر القرن الثالث - ينبغى أن ندخل فى حسابنا عاملا جديدا ، وهو المسيحية - التى لاتزال معلوماتنا عن بدء انتشارها فى مصر طفيفة جدا . ولئن كنا نميل الى استبعاد القصة القائلة بأن القديس مرقس هو الذى أسس كنيسة الاسكندرية ، الا أننا نظن أن الدين الجديد لم يكن ليتأخر فى الوصول الى أكبر ميناء فى شرقى البحر المتوسط ، وأنه لم يكن هناك محيص بعد ذلك عن انتشاره فى سائر أنحاء مصر . . على أننا نستخلص من أوراق البردى الأدبية أن المسيحية كانت قد تغلغلت فى مصر الوسطى ومصر العليا ، ولدينا الآن مالا يقل عن سبع قصاصات من البرديات الانجيلية التى يمكن أن ننسبها باطمئنان الى القرن الثانى ، بل ان جميع الباحثين الثقات ينسبون احدى هذه القصاصات التى تتضمن بعض فقرات من انجيل القديس يوحنا الى مستهل القرن الثانى . ولا بد أنه كان يوجد فى مقابل كل بردية مسيحية حفظتها لنا محض الصدفة مئات من البرديات التى عفا عليها الزمن ، وأن كل مسيحي كان لديه مثل هذه البردية يقابله عشرات لم يكن لديهم شئ » (٢) .

لهذا كله ، أحببت أن أكتب عن المسيحية . . .

وكان أمامى رواد مصريون فى هذا الباب ، من الأساتذة الثقات ، وقرأت للأستاذ الباحث محمد أبو زهرة فى مقدمة كتابه القيم (محاضرات فى النصرانية) : « عسير على المرء أن يكتب فى رأى يخالف رأيه ، ويقدر مع هذه المخالفة أن يصور الرأى كما يجول بخاطره صاحبه وينبعث فى نفسه ، فيبين دوافعه وغاياته . وان كان ذلك واضحا فى رأى مخالف يرتأى ، فكيف تكون الحال اذا كانت المخالفة فى عقيدة تعتنق وتتغلغل

(١) مت ٢ : ١٣ - ١٥ ، ١٩ - ٢٠

(٢) هـ . آيدرس بل H. A. Bell مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى - ترجمة الدكتورين عواد حسين وعبد اللطيف أحمد على ص ١٦٨ - وقد ظهرت أخيرا دراسة بالانجليزية للرحلة المقدسة فى مصر .

فى أعماق النفس وتستكن فى أطوائها ؟! ولكن البحث العلمى يتقاضى الباحث الحر المنصف أن يدرس المسيحية - ان أراد أن يعلمها كما يعتقد أهلها - مجردا من نزعاته السابقة على الدراسة ، غير جاعل لعقيده سلطانا على حكمه ، حتى لاتسيده فى دراسته وتتحكم فى اتجاهاته لأن ذلك قد يدفعه لأن يتزيد ٠٠ واذا كان الانصاف قد طالبنا بألا نزيد على ما عندهم ، أو نحرفه عن مراده ومرماه ، فالانصاف يطالبنا بألا نهمل العقل ، والا خرج بحثنا عن معناه العلمى التاريخى » (١) .

ما أصعبها اذن من مهمة ٠٠٠

وأرجع لمؤرخ الحضارة الأستاذ ول ديورانت فتزداد المهمة صعوبة وخطرا : « هل وجد المسيح حقا ، أو ان قصة حياة مؤسس المسيحية ، وثمره أحزان البشرية وخيالها وآمالها أسطورة من الأساطير ؟ لقد كان بولينجبروك Bolyngbroke والمتفون - حوله وهم جماعة ارتاع لأفكارهم فولتير Voltaire نفسه - يقولون فى مجالسهم الخاصة : ان المسيح قد لا يكون له وجود على الاطلاق ! وجهر فولنى Volney بهذا الشك نفسه فى كتابه (خرائب الامبراطورية - ١٧٩١ م) . ولما التقى نابليون سنة ١٨٠٨ م بفييلاند Wieland العالم الألمانى ، لم يسأله القائد الفاتح سؤالا تافها فى السياسة أو الحرب بل سأل : هل يؤمن بتاريخية المسيح؟ ولقد كان من أعظم ميادين نشاط العقل الانسانى فى العصر الحديث وأبعدها أثرا ، ميدان (النقد الأعلى) للكتاب المقدس ، والتجهم الشديد على صحته وصدق روايته ، تقابله جهود قوية لاثبات صحة الأسس التاريخية للدين المسيحى ، وربما أدت هذه البحوث على مر الأيام الى ثورة فى التفكير لا تقل شأنًا عن الثورة التى أحدثتها المسيحية نفسها ، (٢) .

كيف السبيل اذن لدراسة المسيحية مع هذه الصعوبات والأخطار ؟ أقصر الطرق هو دراسة الأناجيل المتداولة ، ان لم يكن هذا هو الطريق الوحيد . ودراسة الأناجيل المتداولة تختلف وجهات النظر ازاءها فقد ألفت الأستاذ عبد الوهاب النجار من قبل كتابه (قصص الأنبياء) . وتحدث عن منهجه فى مقدمة الطبعة الأولى « أقسم قصص النبى من الأنبياء الى عدة مواقف ٠٠ يغلب أن أذكر ذلك الموقف ان كان له ذكر فى كتب العهد القديم (التوراة) أو العهد الجديد (الانجيل) ، وهو أحيانا يوافق

(١) محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص ٥ - ٦ .

(٢) ديورانت : قصة الحضارة ج ٣ من ٣م (قيصر والمسيح) ترجمة مجمد بدران ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

القرآن وأحيانا يخالفه . ولا يعزب عن فكر القارئ الكريم أن القرآن جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيما عليه ، فما جاء به هو الحق الذي لا مرأى فيه وكل ما يخالفه لا معول عليه . . ولكنى بذلك أنبه الطالب - طلبة تخصص الوعظ والارشاد - الذي سيكون عرضة للاتصال بأهل الكتابين بحكم مهمته وبصدد أن ترد عليه النصوص منهما فى الموضوعات المختلفة ، ليكون على استعداد للإجابة عما يسأل عنه وتكون عنده فكرة عنها وليأخذ منها ما يساعده على أدلته وبراهينه و . . الخ ، . ومع هذا التحفظ الذى أورده المؤلف فقد حقق الأزهر فيما أورده المؤلف فى كتابه، فشكلت لجنة من الأساتذة المشايخ محمد أحمد بديوى ومحمد العزبى رزق وعيسى منون ، أتبعتهما لجنة برئاسة الأستاذ الشيخ إبراهيم الجبالي وعضوية الأساتذة المشايخ عيسى منون ومحمد العزبى رزق ومحمود أبى دقيقة بأمر شيخ الأزهر ، وأسفر الأمر عن تقرير مطول رد عليه المؤلف فى الطبعة الثانية للكتاب ، ومما جاء فى هذا التقرير : « نحن والحق يقال فى حيرة شديدة من تصرف الأستاذ مؤلف هذا الكتاب ، ولم نهتد الى جواب عن تصرفه هذا تطيب اليه النفس . ذلك أنه اعتبر (انجيل متى) كتابا ثابتا صحيحا معتمدا يجوز صرف القرآن الكريم عن ظاهره وتأويله على مقتضى ما ورد فى هذا الانجيل ، مع الاعراض عن المأثور فى تفسير القرآن وعما أجمع عليه أئمة التفسير . . يقول فضيلته ويكرر القول ان مسألة المائدة السماوية التى جاء بها القرآن الكريم هى مسألة الأرغفة الخمسة والسمكتين المحكية فى الاصحاح الرابع عشر من انجيل متى ! » . وقد رد المؤلف على هذه المسألة تفصيلا فى الطبعة الثانية ، وأوضح قواعد منهجه فى المقدمة « كتب العهد القديم والجديد ما كان منها موافقا للقرآن فهو حق ، وما كان منها مخالفا للقرآن فهو باطل ، وما كان القرآن ساكتا عنه فلا نقطع بصدقه ولا بكذبه ويجوز نقله واستثناس به . أقوال المفسرين ليست حجة قاطعة فيما نصت عليه ، بل هى أوجه ، كما يجوز حمل عبارة القرآن عليها يجوز مخالفتها وحمل عبارته على غيرها ولا مؤاخذه على من خالفها . القرآن الكريم لا تنقض عجائبه ولا تنفذ غرائب ، فلكل امرئ أن يتدبره بعقله ويفهمه على الوجه الذى يستقر فى اعتقاده ، بشرط أن يكون ذلك جاريا على مقتضى العربية غير مخل بفصاحته ولا مخل بشئ من مقاصد الدين . متى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض » (١) .

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء - الطبعة الثالثة (المكتبة التجارية) المقدمة ، هامش ٤١٣ .

وعلى النقيض من مذهب اللجنة التى انتقدت كتاب الأستاذ النجار، كان رأى الأستاذ العقاد « وليس من الصواب أن يقال ان الأناجيل جميعا عمدة لا يعول عليها فى تاريخ السيد المسيح ، لأنها كتبت عن سماع بعيد ولم تكتب من سماع قريب فى الزمن والمكان ، ولأنها فى أصلها مرجع واحد متعدد النقلة والنساخت ، ولأنها روت من أخبار الحوادث ما لم يذكره أحد من المؤرخين كانشقاق القبور وبعث موتاهم وطوافهم بين الناس - وما شابه ذلك من الخوارق والأحوال ... وانما الصواب أنها العمدة الوحيدة فى كتابة ذلك التاريخ ، اذ هى قد تضمنت أقوالا فى مناسباتها لا يسهل القول باختلافها . ومواطن الاختلاف بينها معقولة مع استقصاء أسبابها والمقارنة بينها وبين آثارها ، ورفضها على الجملة أصعب من قبولها عند الوجوع الى أسباب هذا وأسباب ذاك . فانجيل متى : مثلا ملحوظ فيه أنه يخاطب (اليهود) ويحاول أن يزيل نفرتهم من الدعوة الجديدة ، ويؤدى عباراته أداء يلائم كنيسة بيت المقدس فى منتصف القرن الأول للميلاد . وانجيل مرقس : على خلاف ذلك ملحوظ فيه أنه يخاطب (الأمم) ولا يتحفظ فى سرد الأخبار الإلهية التى كانت تحول بين بنى إسرائيل المحافظين والإيمان بالهية المسيح . وانجيل لوقا : يكتبه طبيب ويقدمه الى سرى كبير فيورد فيه الأخبار والوصايا من (الوجهة الانسانية) ويحضر فى ذهنه ثقافة السرى الذى أهدى اليه نسخته وثقافة أمثاله من العلية . وانجيل يوحنا : غلبت عليه فكرة (الفلسفة) وبدأه بالكلام عن الكلمة Logos ، ووصف فيه التجسد الإلهى على النحو الذى يألفه اليونان ومن حضروا محافلهم ودرجوا معهم على عادات واحدة . وسواء رجعت هذه الأناجيل الى مصدر واحد أو أكثر من مصادر ، فمن الواجب أن يدخل فى الحسبان أنها هى العمدة التى اعتمد عليها قوم هم أقرب الناس الى عصر المسيح ، وليس لدينا نحن بعد قرابة ألفى سنة عمدة أحق منها بالاعتماد ، (١) .

والكتاب الذى بين يدى القارئ سيستند الى الأناجيل المتداولة فى

(١) العقاد : عبقرية المسيح (كتاب اليوم) ص ١٩٤ - ١٩٥ ، ويذكر أوجان جولى أن ثمة قرائن جغرافية وتاريخية تعزز ما ورد فى الأناجيل ، فقد كشف التنقيب عن أبواب (بيت حسدا) الخمسة ، وتنسجم موعظة الجبل مع منظر شاطئ بحيرة ، ونبوءات نهاية العالم لا تلائم الا أورشليم ، ومفاوضات بيلاطس وهيرودس وقيافا أثناء محاكمة المسيح انما تتبين فى ضوء المعروف عن تداخل السلطات السياسية والدينية حوالى سنة ٣٠ م ، اذ تغير الوضع بعد اضطرابات سنة ٤٤م ، وانقلب تماما عقب ثورة سنة ٦٦ م . (ما هو الايمان ؟ الترجمة العربية - مطبوعات دار السلام ص ٣٩) .

الحديث عن المسيحية •• فأنا أريد أن أتحدث عن المسيحية من وجهة نظر أهلها ، وأريد أن أثبت للمسلمين والمسيحيين أن مجال الخلاف أضيق من أن يحجب كلا من الدينين العظيمين عن معتنقى الدين الآخر ، وأن بجانب المجادلات العقائدية الذائعة المحدودة ، آفاقا رحبة في الأناجيل المتداولة تفيض بالدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر •

وكثيرا ما تجذبني نصوص الأناجيل المتداولة الى مواقف مشابهة في الاسلام ، وهذا التوارد والتقارب والتمازج أكبر شاهد على وحدة دين الله على ألسنة جميع المرسلين والكتب •

والدين المسيحي - كالدين الاسلامي - يواجه اليوم أخطارا بالنسبة للعقلية المعاصرة ، فلا حرج أن تتعاون الثقافتان فيما يتفقان عليه انتصارا لقضية الدين جملة وهي تتعرض للامتحان • وأنا ما زلت متفائلا من كفاءة العقل البشرى لمهمته التي تتضخم أعباؤها يوما بعد يوم ، واثقا من أنه - في الحساب النهائي والمدى البعيد - لن يتهاوى أو يطيش ، مؤمنا كذلك بأن (الدين) لن يفقد صلاحيته لأى بيئة أو جيل •

وهأنذا أؤدى واجبى ، وأطلع قومي على ما عند أهل المسيحية اليوم من تراث ، وأطلع أهل المسيحية على ما عند واحد من المسلمين : ما فى قلبه من مشاعر وما فى عقله من خواطر ، وهو واحد يحسب أنه وهو يقول ما يقول لن يتخلى عن اخلاصه لدينه ، بقدر مالا يفرط - قدر طاقته المتواضعة - فى الحيدة والانصاف ، وهو يتحرى جهده - ألا يتورط فى المجاملة أو التحامل على السواء •

ويرجو أن يكون العمل الذى يتقدم به اليوم مقبولا عند الله ، ثمرا بين الناس •

ديسمبر ١٩٦١

فتحى عثمان

خُطوط ... من الصورة

لِبَتْرَسُون سَمِيْث

* ينتسب المسيح الى (الناصرة) ، وجاء مولده في بيت لحم « لأنه صدر أمر من أغسطس قيصر بأن يكتب كل المسكونة فصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التي تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته ليكتب مع مريم امراته المخطوبة وهي حبل »

* نشأ المسيح كصبي عادى مطيع وأخذ « يتقدم في الحكمة والنعمة عند الله والناس »

* يحتفل ببلوغ الصبي اليهودي (الثانية عشرة) من عمره اذ يصير (ابن الناموس) ويتحمل تكاليف الدين ويباح له أن يذهب الى الاعياد والمجافل ولما بلغ اثنتى عشرة سنة صعد مع أبويه الى اورشليم كعادة اليهود في عيد الفصح وقد بهت الاحبار من فهمه وأجوبته « وكانت أمه تحفظ جميع هذه الامور في قلبها »

* في سن الثامنة عشرة توفي (يوسف النجار) •
ليعول والدته فاشتغل بالنجارة

* بلغ المسيح (الثلاثين) وكان (يوحنا المعمدان) قد أخذ ينذر القوم « توبوا فانه قد اقترب ملكوت السموات •• حينئذ جاء يسوع من الجليل الى الاردن

ليعتمد منه » وبين المسيح والمعمدان أشهر قلائل في تاريخ الميلاد .

* بعد المعمودية تعرض المسيح لاختبار نفسي ، فواجه (تجربة) مع ابليس بعد أن صعد في البرية ، واستغرقت أربعين يوما كما يذكر (لوقا) التقى المسيح بتلاميذه بعدها ، وروى (يوحنا) ذكرياته مع المسيح خلال ثلاث سنوات اتصل به فيها عن قرب وبينها ذكريات (الاسبوع) الذي أعقب التجربة ، في حين نجد متى ومرقس ولوقا ينتقلون راسا من الإشارة لواقعة التجربة الى فترة الخدمة في الجليل . وفي أواخر هذا الاسبوع صعد المسيح مع أهله الى اورشليم في عيد الفصح وانتقد بشدة أن يجعل الهيكل متجرا وأن يصير بيت الصلاة مغارة لصوف ، وتحدث أحبار اسرائيل .

* عاد المسيح الى الريف وتجول فيه مع تلاميذه (ثمانية أشهر) ينشر دعوته وهدايته . . . لقد مرت (السنة الاولى) من حياته في هدوء وقد غمض الكثير من أحداثها في حين حملت السنة (الثانية) في طياتها عصفا وقصفا وكانت (الثالثة) محنة . وفي خلال العام الأول كان مقتل يوحنا المعمدان على يد هيرودس » ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف الى الجليل وابتدأ ينادى ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » . وهنا تأتي مرحلة الدعوة المباشرة أو (الخدمة العلنية) التي عنيت بها الاناجيل ، واعتبرت ما قبلها تمهيدا لها

* في حياة المسيح ٤ مدن بارزة : (بيت لحم) حيث ولد ، (الناصرة) على مدرج دائري طبيعي في الجبال التي اليها ينتسب ، و (اورشليم) حيث لقي النهاية . . ثم (كفر ناحوم) على ضفاف بحيرة الجليل التي قضى فيها أكثر من سنة . وكان جنوب فلسطين يفيض شمالها وقد نقلت الاناجيل من كلمات القوم ما يعكس مشاعرهم » انه لم يقم نبي

من الجليل « » أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء
صالح !! « »

* بدأت الآيات تظهر على أيدي المسيح في شفاء
المرضى (بكفر ناحوم) وبخاصة من الحمى التي
توطنت الاقليم المتأخم (لبحيرة الجليل) ، ومع ذلك
قال المسيح مستنكرا : « ما لم تروا عجائب وآيات
لن تؤمنوا » !! وفوق مياه (بحيرة الجليل) كد
التلاميذ لكسب عيشهم ، وهناك جلس المسيح في
السفينة يعلم الجموع ، وجرت معجزة صيد السمك
الكثير ومشى المسيح فوق الماء ووجه المسيح أتباعه
ليكونوا « صيادى الناس » !

* أخذ المسيح يتنقل في (قرى الجليل) مستخدما
السفينة التي وضعها بطرس تحت تصرفه في
التنقل بين شواطئ البحيرة ، وانتهى الى (الناصرة)
« حيث كان قد تربى » ولما يمض عليه عام منذ
هجرته تلك الربوع والتقاءه بالمعلمين في البرية .
وانتهى المسيح من جولته في بلده الى أنه « ليس
نبي مقبولا في وطنه » !

ورجع الى (كفر ناحوم) التي أصبحت «مدينته»
لكثرة ما أقام بها وهناك واصل شفاء المرضى «وكان
فريسيون ومعلمون للناموس جالسين وهم قد أتوا
من كل قرية من الجليل واليهودية وأورشليم » وكان
يحدث العشارين والخطاة ويجالسهم ، ولا يفعل
شيئا للقضاء على أعدائه أو استرداد ملك اسرائيل،
بينما كانت معجزاته تتوالى قارعة صادعة ، ومن
هنا وهناك أخذ الحقد والتعصب يتسللان الى
القلوب .. حتى في (كفر ناحوم) !

* استعلن العداء بعد تسعة أشهر أمضاها المسيح في
ربوع (الجليل) ولم يعد مقامه في (كفر ناحوم)
هادئا رخيا ، وتأجج الموقف بعد زيارة أخرى منه
(لأورشليم) « فكان يسوع يتردد بعد هذا في

الجليل لأنه لم يرد أن يتردد في اليهودية لأن اليهود كانوا يريدون أن يقتلوه »

* وأمضى المسيح مع حوارييه (أسبوعا في عزلة (بجبل حرمون) ، أمضاه في تربيتهم واعدادهم « وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم الى جبل عال وتغيرت هيئته قدامهم . وفيما هو يتكلم اذا سحابة «يرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلا : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت ، له اسمعوا وسقطوا على وجوههم ولم يلدروا شيئا حتى جاء يسوع ولسمهم « . » ثم انقضت الايام الاخيرة (بكفر ناحوم) في تعليم وتوجيه ولم يكن فيها الا القليل من المعجزات والتعاليم العلنية العامة . كانت صحبة طيبة للمسيح مع الاثنى عشر « وحين تمت الايام لارتفاعه ثبت وجهه لينطلق الى اورشليم »

* ذكريات (الرحلة) الى اورشليم اختص بها لوقا اذ رواها في ٣٠٠ آية في منتصف انجيله بينما مر بها متى ومرقس مرورا عاجلا وينتقلان الى (اسبوع الآلام) ، وعنى يوحنا بالحوادث داخل أسوار اورشليم . ويقضى المسيح ستة أشهر حافلة بعناء التجوال المتتابع لا يكاد يستقر يأخذ حذره ويتوقى تدابير أعدائه « للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار وأما ابن الانسان فليس له من يسند رأسه » !

وقدم المسيح (اورشليم) وقد مضيت نصف أيام (المظال أو الحصاد) في ١٨ تشرين - أكتوبر سنة ٢٨ م . ولما أحلق به خطر اليهود على أثر صيحاته ومعجزاته خلال الايام الثلاثة التي قضاها هناك استطاع الفرار الى البرية مع جماعته الصغيرة وبعد (شهرين) من التجوال جاء المسيح (اورشليم) مرة أخرى في ديسمبر سنة ٢٨ م . وصادف ذلك

ذكرى جهاد يهوذا المكابي منذ مائتى عام • وهنا
يتعرض المسيح للرجم « لأجل تجديف لأنك وانت
انسان تجعل نفسك الها »

ومرة أخرى يخرج الى (البرية) ويمضى الى
(عبر الاردن) حيث كان يوحنا المعمدان يعمد أولا
وهناك تتوالى معجزات المسيح ووصاياه وتأتى حادثة
(اقامة لعازر) من الاموات تستثير البقية الباقية
من رباطة جاش اليهود !

واجتمع (مجلس السنهدريم) على عجل قبل
أن يؤمن الشعب بالمسيح بعد هذه المعجزات ويتوجه
ملكا ويتعرض اليهود بذلك لسخط الرومان !!
وجاء القرار الحاسم : « خير أن يموت انسان واحد
عن الشعب » وهرع المسيح الى (افرايم) فى البرية
يقضى مع تلاميذه أسابيعه الاخيرة •

* ويقترب (الفصح) ويحج المسيح (حجة الاخيرة
الى اورشليم) « وكنا فى الطريق صاعدين الى
اورشليم ويتقدمنا يسوع وكنا نتحير وابتدا يقول
لنا عما سيحدث له ••• » ولا يتغلى المسيح فى
طريقه عن معجزاته وتعاليمه • ثم يدخل (اورشليم)
فى شعبية مهيبة ليتحدث فى صراحة ووضوح ،
ويضع النقط والخطوط على الحروف !!

* وبيت اليهود (المؤامرة) •• حاولوا أن (يصطادوه
بكلمة) ضد روما أو ضد الناموس •• ثم خامر
معهم (يهوذا) •• وبعد أن تناول المسيح (عشاء
الوداعى الاخير) مع حواريه خرج يتمشى ليلا فى
(بستان جشيمانى) ، ثم صلى ••

واقبل الجند الرومان يلقون القبض على (المسيح)
بارشاد (يهوذا) •• وقد شفق يهوذا نفسه بعد
أن أنجز مهمته !!

* أدان مجلس (السنهدريم) المسيح بعد محاكمة
صورية وأحاله الى الوالى الرومانى (بيلاطس) الذى

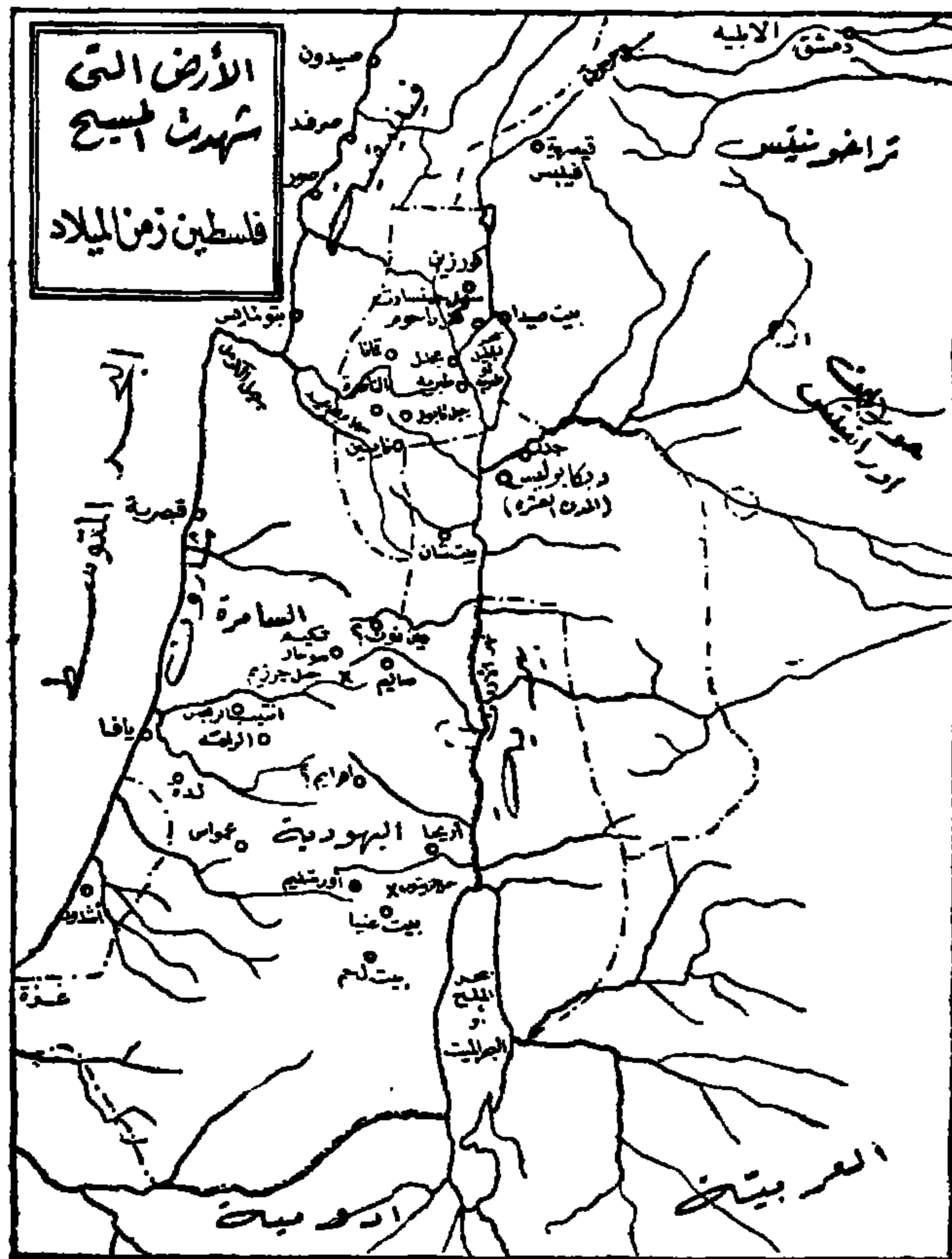
حاول أن يتخلص من القضية الشائكة بحالتها
(لهرودس) بدعوى الاختصاص الاقليمي ، ولكن
هيرودس صاحب التجربة الاليمة مع يوحنا المعمدان
اعادها اليه بالتالى وحاول بيلاطس اقناع اليهود
كى يطلق سراح المسيح ففشل .. وهكذا صدر
على المسيح حكم الموت •

مستمدة من « الأناجيل الأربعة »

وكتاب بيترسون سمث : السيرة الشعبية للمسيح

إطار ... من البيضة والنارنج

« و أنت يا بيت لحم -
أرض يهوذا - لست الصغرى
بين رؤساء يهوذا ، لأن منك
يخرج مدبر ، يرعى شعبي
اسرائيل » (مت ٢ : ٦)



معلم: د. مزن زكي فلسطين كما عرفها المسيح

أرض

حوض البحر المتوسط له قدم راسخة فى التاريخ ..

فمن شماله وجنوبه أطلت مدنية الاغريق ومدنية الفراعنة ، وفى شرقيه تحدثت الآثار عن الفينيقيين ، وأهل ميثانى ، والحيشيين ، والبابليين ، والأشوريين ، وسمعنا عن الكلدانيين ، والعبرانيين . ومن شماله وجنوبه تصارعت روما وقرطاجنة .. وهكذا تدافعت موجات البشر مع موجات البحر العتيد !!

وبلاد الشام من أقدم العصور معبر بين قارات العالم القديم : آسيا وافريقيا وأوربا وفلسطين (١) هضبة تعلوها سلسلة من الجبال ترتفع عن مستوى ساحل البحر المتوسط فى الغرب ، وعن مستوى صحراء الشام فى الشرق ، يخترقها الاردن من الشمال الى الجنوب ، ويتخلل أرضها كثير من السهول والوديان . وأظهر أقسامها :

(١) سهول المنطقة المحصورة ، بين هضبة اليهودية Judaea وساحل البحر المتوسط ، وهو الطريق التاريخى الذى سلكه غزاة فلسطين منذ القدم . والسهل الساحلى الذى يمتد فى محاذاة الساحل الشرقى للبحر المتوسط من خليج الاسكندرونة الى سينا ضيق فى الشمال والوسط ، ثم يأخذ فى الاتساع جنوبا حتى يبلغ ٢٠ ميلا عند غزة . وسلسلة الجبال الممتدة على موازاة الساحل تنحدر نحو الجنوب وتنتهى دون فاصل الى هضبة الجليل .

(ب) الهضبة الغربية : وهى مجموعة سلسلة تلأل يطلق عليها تلأل اليهودية ، وتتميز بانحدار خفيف من الجهة الغربية وشديد من جهته الشرقية ، ويخرج كثير من التلال العمودية عليها وتتجه شرقا وغربا .

(١) للتعريف الجغرافى فى اجمال يراجع : دكتورة نجلاء عز الدين : العالم العربى ص

٢٢ : ٢٥ ، دكتور عبد الرحمن زكى : الشرق الأوسط ص ١٥٩ - ١٦٠

• ويفصل مرج ابن عامر الجليل عن هضبة اليهودية التي تندمج في النقب •
وتنحدر الهضبة في شرقي الأردن شرقا وجنوبا حتى تندمج في بادية الشام •

(ح) **ولدى نهر الأردن والبحر الميت** ، وهذا الوادي خندق جيولوجي عظيم (أخدود) يمتد من آسيا الصغرى (تركيا) الى خليج العقبة ، ووسطه يضم وادي البقاع بين سلسلتى جبال لبنان ولبنان الشرقي ، ويستمر الخندق جنوبا حتى يبلغ أقصى انخفاضه في حوض الأردن وهو أعماق منخفض برى في العالم • وبين بحيرة طبرية والبحر الميت يوجد (الفور) ، وهي كلها تحت مستوى سطح البحر وتبلغ أعماق نقطة فيها ١٣٠٠ قدم تحت مستوى سطح البحر عند ساحل البحر الميت •

ومن هنا يأتي ذكر المياه والسفن والصيد في ثنايا الأناجيل « واذا كان يسوع ماشيا عند بحر الجليل ، أبصر أخوين : سمعان الذي يقال له بطرس • واندراوس أخاه - يلقيان شبكة في البحر ، فانهما كانا صيادين » (مت ٤ : ١٨ ، مر ١ : ١٦) •

« ولما رأى يسوع جموعا كثيرة حوله ، أمره بالذهاب الى العبر (في يوحنا : عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية - ٦ : ١) • ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه ، واذا اضطراب عظيم قد حدث في البحر حتى غطت الأمواج السفينة ••• ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم ••• ولما جاء الى العبر الى كورة الجرجسين استقبله مجنونان ••• وكان بعيدا منهم قطع خنازير كثيرة ترعى ، فالشياطين طلبوا اليه قائلين : ان كنت تخرجنا فائذن لنا أن نذهب الى قطع الخنازير ، فقال لهم : امضوا ••• واذا قطع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف الى البحر ومات في المياه ، أما الرعاة فهربوا ومضوا الى المدينة ، وأخبروا عن كل شيء وعن أمر المجنونين ، فاذا كل المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع ، ولما أبصروه طلبوا أن ينصرف عن تخومهم ، فدخل السفينة واجتاز وجاء الى مدينته » (مت ٨ : ١٨ - ٣٤ ، ٩ : ١ ، مر ٤ ، ٥ ، ٨ ، يو ٦) •

« فانصرف يسوع مع تلاميذه الى البحر ، وتبعه جمع كثير من الجليل ومن اليهودية ومن اورشليم ومن أدوميه • ومن عبر الأردن والذين حول صور وصيدا ، جمع كثير اذ سمعواكم صنع اتوا اليه ، فقال لتلاميذه أن تلازمه سفينة صغيرة لسبب الجمع كي لا يزعجوه » (مر ٣ : ٧ - ٩) •

ونهر الأردن منخفض عن سطح البحر ، له ٣ منابع من سفح جبل حرمون والرابع يصب فيه من الغرب ويمر النهر ببركة ضحلة تعرف (بمياه حيروم) ويستمر في سيره حتى يصب في بحر الجليل ومنه يخرج في طريق متعرج الى (البحر الميت) ، وتكون سرعة المياه عظيمة لانحدارها من منابع المرتفعة الى البحر الميت المنخفض وتختلط المياه بالطين كلما تقدم سيرها . وبين الجليل والبحر الميت يمر الأردن بمنطقة غنية بالخضرة من الحور والصفصاف والغاب . وقد اكتشفت أماكن كانت ما هولة بالسكان منذ أكثر من ٢٠٠٠ عام في الضفة الشرقية للأردن . ويبلغ طول بحر الجليل ١٣ ميلا وعرضه ٨ أميال وتكون مياهه زرقاء في وضوح النهار وتحمر عند الغروب . وإلى جوارها (جبل حرمون) الذي يرتفع الى ١٠٠٠٠ قدم فوق سطح لبحر ، في حين ينخفض مستوى بحر الجليل الى ٧٠٠ قدم تحت مستوى سطح البحر ، ومن هنا يتعرض لزوابع مفاجئة . وفي عصر المسيح كانت تحيط به ٩. **من أجمل المدن** تحوى الهياكل والمجامع اليهودية بجانب الحمامات والمسارح وساحات السباق والقصور وتوفر فيها الخضراوات كما كان السمك فيها يصاد ويملح .

ومن هذه المدن **طبرية** التي بناها هيرودس الكبير واسماها نسبة (الطبريوس قيصر) وجعلها أقوى قلعة في الجليل . ولما كانت المدينة في اتساعها قد امتدت الى بقايا جبانة قديمة للموتى فان اليهود المتورعين كانوا يعتبرون من يدخل تلك المنطقة نجسا يلزمه التطهر . ومن هنا كان سكان طبرية من (يهود الشتات والأمم) وقد أصبحت بعد سقوط أورشليم مركز المجامع والثقافة اليهودية وهناك أكمل التلمود . والبلدة غنية بالينابيع الحارة . وليس في الأناجيل المتداولة ما يشير الى دخول المسيح طبرية . وإلى شمالي غربي المدينة يرى الرائي قمتين ارتفاعهما ٢٠٠٠ قدم يعرفان « بقرون هاتين » وهما فوهتا بركان خاق ويعتقد أن (موعظة الجبل) كانت في هذا الموضع . كذلك انتصر هناك صلاح الدين على الصليبيين « ولقيت المسيحية الاسمية الكاذبة - كما قال أحد المؤرخين - نهايتها في نفس المكان الذي نادى فيه السيد بالتسامح وقدم انجيل الاخاء والمحبة » ... (١)

(١) قارن ذلك بما يذكره بترسون سميث « لقد باءت الحروب الصليبية بالفشل وظلت الأرض المقدسة في قبضة الأتراك ولكن حادثا خطرا حدث بعد ذلك فانه بعد الحملات الصليبية السبع وبعد فشل امتد الى ألف سنة بعثت انجلترا بحملتها الصليبية الثانية وفازت انجلترا هذه المرة !! اننا نعيش في عصر حافل بالعجائب حقا ، ونحن =

وعلى ثلاثة أميال الى الشمال تقع **المجمل** بلدة (مريم المجدلية) وكانت مشهورة بالصباغة في عصر المسيح والى جنوبها وادى جنيسارت حيث تجود زراعة الكروم والتين والزيتون والنخيل وفي هذا الوادى تحدث المسيح بأمثاله عن الزارع والحاصد وحقول الحنطة وزنايق الحقل والأمطار التى تهبط على الأبرار والظالمين ...

والى الجنوب الغربى من البحيرة تقع **كفر ناحوم** حيث تحدث المسيح فى مجمعها مرارا وقام بمعجزات كثيرة وهو الآن خرائب (نل حوم) . وكشفت الحفريات عن مجمع لليهود كانت واجهته تتجه الى اورشليم ولا بد أن يكون مجمعا غير الذى كان يعظ فيه المسيح ذلك أن تيطس سنة ٧٠ م وهادريان Tirus, Hadrian سنة ١٣٠ م قد قاما بهدم جميع المجمع . وعلى احدى أعمدة المجمع المكتشف نجد منقوشا اسم (زبدى بن يوحنا) ، فهل تراه من سلالة يوحنا البشير ؟ والعجيب أن نجد بين نقوش الجدران علامة (النسر الرومانى) !! وقد عاش المسيح حقبة طويلة فى (كفر ناحوم) ويشتغل أهلها بالتجارة والصيد ومنهم بعض المتهودين من (يهود الشتات) وهى أكبر من (الناصرة) التى عاش فيها المسيح فى طفولته وعاصرها فى شبابه . فكفر ناحوم على بحر الجليل انيقة ومبانيها فاخرة من بينها المجمع الذى ماتزال خرائبه باقية وكانت مركزا تجاريا هاما تعداده بين ١٥ و ٢٠ ألفا وسكانها خليط من اليهود الأصلاء ويهود الشتات بينما كانت الناصرة مدينة صغيرة سكانها محدودون متعارفون . والى الجنوب الغربى من كفر ناحوم فى مكان يسمى (عين طبقة) توجد بقايا كنيسة من القرن ٤م تدعى كنيسة السمك والأرغفة . وقد أنذر المسيح بالويلات (كورزين وبيت صيدا وكفر ناحوم) (لو ١٠ : ١٣ - ١٥) وتوجد الآن خرائب مدينة تسمى (كرزة) على بعد ميلين من كفر ناحوم اكتشف فيها بقايا مجمع ، اما (بيت صيدا) أو بيت الصيد فتقع على شرقى الأردن وقد اعاد بناءها فيليب واسماها (جوليا) نسبة الى ابنة الامبراطور .

= فى نهاية الحرب العظمى (الاولى) وسط هتاف النصر وقرقة عروش الامبراطوريات المتناثرة لم نر هذا الحدث الجلل فى الارض المقدسة التفاتا ، وقد كسبت الحملة الصليبية الأخيرة لواء النصر وتحررت الارض المقدسة من قيود الأسر وعادت الى فلسطين مرة أخرى فرصتها فى الحياة ! ومن يدري ماتبطنه الأيام فى المستقبل : أتعيد فلسطين قصة عهدها القديم ؟ أنزخر ثانية فنصير جنة الرب « - حياة يسوع - ترجمة حبيب سعيد ص ١١٢ .

والى الشمال تقع مدينة صور الساحلية وفد أقيمت على جزيرة صخرية تبعد عن الساحل بنصف ميل وكانت مركزا تجاريا هاما ، وحين أراد سليمان أن يبنى الهيكل ارسل الى حيرام ملك صور ليرسل اليه من يقومون بقطع الأخشاب وتجهيزها (الملوك الاول ٥ : ٦) وفى (حزقيال) نجد وصفا دقيقا لرخاء صور وتجاريتها الدولية فى الفضة والحديد والقصدير والرصاص والعاج والأبنوس والكتان والمرجان والعطور والأحجار الكريمة والذهب . وقد حفظتها حصانتها من الغزو قرونا ونجح الاسكندر فى فتحها بعد حصار عنيف . وقد أعاد هيرودس الكبير بناء صور وبنى فيها هيكلا وفى الأرن الثانى كانت مركز أسقفية ودمرت كنيستها الأولى أثناء الاضطهاد ثم أقيمت بها كاتدرائية فاخرة فى عهد قسطنطين ، واتخذها الصليبيون قاعدة لأعمالهم البحرية .

وفى عصر المسيح كانت (**العشر مدن**) أو الديكا بوليس من أجل مناطق فلسطين وكانت مدنا يونانية عدا واحدة تقع شرق الأردن . وتعد (جيرازة) من أروعها وتقع جنوبى شرقى بحر الجليل وكان فيها هياكل ومسارح وطرق ذات أعمدة وحمامات وقد اكتشفت بها آثار حلبة مصارعة وبحيرة صناعية وتحت الأرض كان هناك نظام دقيق من المجارى لتعريف المياه . وفى (الطريق بين أريحا وأورشليم) يقع فندق (السامرى الصالح) وهو الوحيد فى ذلك المكان المقفر وقد بنى فى عهد الرومان أو قبله بقليل .

أما بيت عينا فتقع على الجانب الشرقى لجبل الزيتون حيث تقع الآن قرية (العازرية) وهناك كهف يقال انه قبر (لعازر) ينزل اليه بعشرين درجة . ومن على سفح التل يرى الرأى وادى الأردن وجبال مؤاب ويستشرف أورشليم .

وتقع مدينة **الناصره** على قمة جبل عال فى الجليل وبجوارها ينبوع يعرف الآن (ببئر مريم) والى الغرب يقع (جبل الكرمل) وتتلاطم أمواج البحر عند قاعدته والى الشمال الشرقى (جبل حرمون) الذى تتوجه الشلوج معظم السنة والى الشرق (جبل طابور) وسفح الجبل الذى تقوم عليه المدينة منحدر خصيب تغطيه فى الربيع الزهور البرية . وكانت الناصرة فى عهد المسيح تقع على الطريق الرئيسى الموصل الى (سفوريس) عاصمة الجليل وهى التى زينها هيرودس بعمائره . وعاصر المسيح فى طفولته ثورة (يهوذا الجليلى) على روما وقد احتل سفوريس ولكنه هزم عند طبرية وأحرقت سفوريس وصلب ألفان من جنوده وسبى الباقون فى روما . وقد أعاد هيرودس انتيباس بناء سفوريس .

والى الجنوب من اورشليم تقع بيت لحم على مسافة ستة أميال وفيها (كنيسة المهد) التى اقامها الامبراطور قسطنطين وقامت بتدشينها امه هيلانه وقد بنيت فوق المغارة التى يعتقد أن المسيح قد ولد فيها . وأعيدت عمارة الكنيسة على صورة افخم فى عهد جستنيان (٥٢٧ : ٥٦٥ م) . ويروى أن الفرس لم يتعرضوا لها خلال فتحهم للشام عام ٦١٤م حين رأوا على مدخلها صورة المجوس الثلاثة بملابسهم الفارسية يقدمون الهدايا للوليد المبارك .

ولسنا نعرف بالضبط كيف كانت صورة اورشليم فى عهد المسيح، وكان يشقها الوادى التيروبى وهو الآن منخفض ضئيل يمر به القادم من الشمال بين جدارين بنيا لحماية المدينة وأضاف اليهما هيرودس انتيباس ثالثا لم يكمل حتى عام ٧٠ م . ويرجح أن (كنيسة القيامة) بنيت خارج الجدار الثانى وخلف الثالث . وقد بنى هيرودس الكبير جدار المدينة وأقام فى جانبها ٣ أبراج حصينة كما ذكر المؤرخ يوسيفوس فى وصفها وزينها بمسرح وساحة سباق ومدرج دائرى (أمفيتياتر) وهكذا كانت اورشليم مدينة رومانية الطابع لا يميزها عن سواها من المدن الرومانية غير (الهيكل) و (مجمع الكهنوت) اليهودى . وكان الهيكل مكان (قبة الصخرة) وقد احاطه هيرودس بجدران ثلاثة ضخمة بقى منها حائط المبكى ، كما كانت للهيكل ساحة داخلية تحوطها اروقة ذات أعمدة وأخرى خارجية ، ويقول يوسيفوس انها من صنع سليمان ولعلها (رواق سليمان) الذى اجتمع فيه التلاميذ بعد معجزة اقامة المقعد (٣ أعمال ١ : ١١) والى الجنوب تحيط بالهيكل الأروقة الملكية وترتكز على ١٦٢ عمودا ضخما . ويفصل الساحة الداخلية عن الخارجية سياج حجرى عليها لافتات تنذر الوثنى بالموت اذا اجتراً على الدخول . ومن الساحة الخارجية طرد المسيح الباعة والتجار ، وكان العابدون يدخلون للهيكل من ٩ بوابات ضخمة .

وقد امضى المسيح (أيامه الأخيرة فى اورشليم) حول (هيكل هيرودس) ويشير لوقا (٢١ : ٥) الى الاحجار العظيمة التى بنى بها الهيكل ، وهذا يدل على وجود محاجر كبيرة قريبة . وفى منتصف القرن ١٩م كشف كهف يؤدى لمحاجر سليمان الملكية وبها طريق يؤدى الى الجبل وبئر وتحيط بها الصخور ولربما احتوت هذه المحاجر كنوزا من الهيكل خباها اليهود عند (سبى نبوخذ نصر) وحصاره لاورشليم ٥٨٧ ق.م ولعل (تابوت العهد) قد خبئ هناك .

وقد دمرت اورشليم تماما عام ٧٠م على أيدي قوات تيطس الرومانى

وهرب المسيحيون الى بيلا عبر الأردن . وبمرور السنين أخذ الناس في البناء شيئاً فشيئاً كما عاد المسيحيون الى سكناها . وفى عام ١٢٢م أمر هادربان أن يعاد بناء المدينة على الطراز الرومانى فثار اليهود فى جميع قرى اليهودية وأخذت ثورتهم بالقوة . وأقام هادريان على (تل الجلجثة) - حيث كانت واقعة الصلب - معبداً وثنياً واحاطه بجدار ارتفاعه عشرون قدماً وملاً الفراغ بالحجارة والملاط وزرع الأشجار حول المعبد وأقام فوق القبر تمثالاً (لجوبيتر) وعلى قمة التل تمثالاً لفينوس وهدم قسطنطين المعبد الوثنى سنة ٣٣٦م وأرسل الى الأنبا مكاريوس اسقف اورشليم يطلب بناء (كنيسة القبر المقدس) والبعض يرجح أن ذلك كان على يد الملكة الأم هيلانة . وقد أعيد بناء الكنيسة ، وتكررت عمارتها على صورة أضخم وأفخم بأيدي الصليبيين . ونظراً لتعدد الطوائف فقد احتفظ كل منها بمكان من الكنيسة فى حرص، وهكذا شارك فيها الأرثوذكس والأرمن والروم الأرثوذكس والسريان والاحباش والكاثوليك . ويذكر الدكتور (جون الدر) ان الضغائن الطائفية تجعل كنيسة القبر المقدس مكاناً لا يحس فيه المرء بجلال المسيحية ولا حتى بأنه مكان عبادة « ولعل الاسقف جوركان متسامحاً للغاية حينما شبه الطوائف فى الكنيسة بأطفال وشبه تقاليدهم بأنها دُمى يلعبون بها » ! وهناك بقعة أخرى قرب كنيسة القبر المقدس يعتقد أنها القبر الحقيقى قرب مكان يدعى جلجثة غوردن .

أما مدينة دمشق فتقع على نهريْن عظيمين ينبع أحدهما من (جبل حرمون) الى الجنوب الغربى الآخر من سلسلة الجبال المقابلة لهذا الموضع من الغرب وهى جبال لبنان . وكل من النهرين يروى دلتاً خصبة . ويقترن اسم دمشق بايام (ابراهيم الخليل) عليه السلام فى العهد القديم كما يتصل فى أيام العهد الجديد اذ دخلها (شاوول) - بولس بعد الرؤيا التى انتهت باعتناقه المسيحية . وفى أيام ملوك اسرائيل كانت دمشق معادية ، وقد غلب عليها الاشوريون والاعريق والرومان وفى عهد المسيح كانت جزءاً من ملك الحارث الرابع الذى امتد ملكه الى بترى Petra واستمر خمسين عاماً (٩ق م : ٤٠م) وقد تزوج هيروودس انتيباس ابنته ثم طلقها ليتزوج هيردويا زوجة أخيه ف وقعت حروب بين الملكين ويرد اسم الحارث فى (سفر الاعمال) ويتحدث عنه بولس كملك دمشق ، ولعلها خرجت عن الولاء للرومان فترة من الزمن .

وتتصل قيصرية كذلك بتاريخ المسيحية المبكر وفيها رأى كرنيليوس قائد المائة فى الكتيبة الايطالية رؤياه واستدعى بطرس من يافا لتأويلها .

وفيهما قدم بولس دفاعه أمام فيلكس وفستوس ومعهما هيردوس أغريباس وبرنيكى ومع ذلك سـجـن عامين ثم قصد روما لرفع دعواه الى قيصر مصطحبا لوقا فى رحلته هذه وقد أقام هيردوس الكبير قيصرية بين حيفا ويافا وجلب الأحجار وارساها فى قاع البحر لصد التيارات واللجج اذ لم يكن للمدينة مرفأ طبيعى . وقرب الشاطئ أقام هيردوس تمثالى (روما) و (أغسطس قيصر) تلمحهما السفن من بعيد . وبعد موت هيردوس صارت قيصرية مقرا لحكام الرومان يغادرونها الى اورشليم أيام الأعياد لضبط الأمن فيها وبعد انتشار المسيحية أصبحت قيصرية ذات شأن كبير وصارت مقرا للأسقف ومن اساقفتها المؤرخ الكنسى الشهير يوسابيوس .

وفى انطاكية دعى (المسيحيون) بهذا الوصف أول ما دعوا وبعد سقوط اورشليم أصبحت انطاكية مركز الاشعاع المسيحى فى العالم القديم وتقع على نهر الاورنط وتبعد ٢٠ ميلا عن البحر وهى بين سلسلتين جبليتين مما جعل لها موقعا هاما بين الشام وآسيا الصغرى وأعانى الفرات وبين البر والبحر وكانت مركزا أماميا على مشارف جبال طوروس وقريبة من البحر المتوسط وقد بناها سلوقوس الازل سنة ٣٠١ ق.م (من قواد الاغريق الذين اقتسموا امبراطوريته بعد وفاته) . وفى عهد بولس كانت انطاكية تضم أربع مدن مسورة ويحيط بالجميع سور واحد وقد أصبحت بعد الفتح الرومانى عاصمة لوريام وقد عمل فى تجميلها القياصرة المتعاقبون ومهد هيرودس الكبير طريقا طويلا بها رصفه بالرخام وأقام على جانبيه الاعمدة . وكانت انطاكية تعتبر فى ذلك الحين المدينة الثالثة فى الامبراطورية بعد روما والاسكندرية وان كانت سمعتها الاخلاقية سيئة . ومن (رسالة غلاطية) نعرف أن بطرس استقر فى انطاكية فترة . وكان لأسقف انطاكية المركز الثالث بعد اسقفى الاسكندرية وروما فى مجمع نيقية المشهور ويخبرنا (يوحنا فم الذهب) انه فى نهاية القرن ٤م كان نصف سكان المدينة البالغ عددهم ٢٥٠ ألفا من المسيحيين وفى الفترة بين عامى ٢٥٢ ، ٣٨٠م عقدت بها ١٠ مجامع كنيسة فكانت انطاكية « أم المسيحية بين الامم » . وقد عثر على كأس فضية تحمل فى داخلها كأسا أخرى أصغر منها ويظن انها الكأس التى تنازل فيها المسيح وتلاميذه من نتاج الكرمة فى ليلة (خميس العهد) . وعلى جدار الكأس من الخارج نقشست صور للمسيح مع تلاميذه منها رسم للمسيح وتحت أقدامه (النسر الرومانى) ! وارتأى أحد علماء الآثار ان هذه الكأس لا يمكن أن يتعدى تاريخ صنعها عام ٧٠م . كذلك اكتشفت كنيسةتان فى سلوقية بيرية ميناء

انطاكية التى أبحر منها بولس وبرنابا وقد بنيت أكبرهما عام ٤٨٠ م .
وعلى بعد أربعين ميلا توجد بقايا (كنيسة القديس سمعان العمودى) الذى
ولد شمالى سوريا عام ٣٩٠ م واعتزل الناس فى خلوة على رأس عمود من
الحجر ارتفاعه ستون قدما . هذا وهناك أيضا انطاكية بمفيلية التى بناها
سلوقوس الاول وفيها ناقش بولس اليهود فى مجامعهم .

ويذكر الكتاب المقدس رحلتين للرسل الأوائل الى قبرص : الأولى
قام بها بولس مع مرقص وبرنابا والثانية قام بها برنابا ومرقص معا ونزلا
فى سلاميس وكانت بها فى ذلك الوقت مجامع كبيرة لليهود ونجد الآن
هناك ديرا باسم برنابا . وبعد أربعمئة سنة من هذه الرحلة حاولت
كنيسة قبرص الانفصال عن مجمع انطاكية استنادا الى أنها تأسست بأيدى
أحد الرسل . وقد واصل الرسل رحلتهم الى يافوس مقر الحاكم الرومانى ،
وفى تلك الايام كانت الامبراطورية ما بين (أقاليم يحكمها السناتو)
ويرسل عليها من قبله ولاية ، و (أقاليم يحكمها الامبراطور مباشرة) ويولى
عليها من قبله الولاية . ويحدد لوقا حكاما من قبل قيصر مثل بيلاطس
وفيلكس وفستوس كما يذكر عن سرجيوس انه كان من قبل السناتو .

وبالقرب من قونية يوجد مرتفعان باسم (بولس وتكلا) والآخر من
أهل قونية الذين اعتنقوا المسيحية وهناك سفر غير معترف به يسمى
(سفر أعمال بولس وتكلا) كان معروفا للمسيحيين الأولين . وكانت
قونية مدينة يونانية حرة مستعمرة . وكانت خاتمة المطاف فى جولة بولس
مدينة دربة، وتقع هذه مع انطاكية بمفيلية وقونية ولسترة فى دائرة غلاطية
ولذلك يرجح أن رسالة بولس الى غلاطية كانت الى مسيحيى هذه المدن
الأربعة التى خضعت للرومان عام ٦٤ ق.م ، ومنها رجع الرسل الى انطاكية
فى سوريا . وفى رحلة بولس اتجه الى ترواس فى غربى آسيا الصغرى
ثم بدأت رحلاته التبشيرية فى أوربا وهناك انضم الى بولس وسسيلا
تيموثاوس فى لسترة ولوقا فى ترواس .

وكانت فيليبى أول مدينة أوربية بشر فيها الرسل وسميت على
اسم فيليب المقدونى الذى أسسها عام ٤٠٠ ق.م ثم أصبحت مستعمرة
رومانية عام ٤٢ ق.م . ونزلت جماعة بولس فى نيابوليس على بعد ٩ أميال
من طريق اجنائيا الذى كان يشق قلب فيلبى مارا باليونان ويصل الى
روما . وكانت فيلبى مركزا حربيا ممتازا فى عهد بولس ، ومنها تقدم الى
تسالونيكى على بعد ٧ أميال على طريق اجنائيا وقد بناها الاسكندر عام

٣١٥ ق م وبعدها رحل بولس الى أثينا التي كانت تزينها التماثيل في كل مكان وكان (الاجورا) Agora أو السوق هو مركزها التجاري والسياسي والثقافي أيضا اما (الاريوس باغوس) Arios Pagos فكان صالة للاجتماعات على تل غربي الاكروبوليس وفيها يجتمع شيوخ المدينة وكبارها لبحث المسائل العامة وفي عهد بولس كان قد انتقل مكان الاجتماع الى مكان مجاور للاجورا . ويبدو أن بولس كان ملما بالفلسفة الرواقية غير ان الفترة التي قضاها في أثينا كانت قصيرة ولم تنته الى نتائج مشجعة .

وقد رحل بولس بعد ذلك الى كورنثوس عاصمة اليونان التجارية اذ كانت ملتقى تجارة الشرق والغرب وتقع الى الجانب الغربي من البرزخ الارضي الذي يصل الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة بالجزء الشمالي منها والذي فكر نيرون في شق قناة تصل بين مياه الجانبين الغربي والشرقي عنده باستخدام آلاف من يهود سبي اورشليم ولكنه عدل عن ذلك . وقد غزا الرومان كورنثوس عام ١٤٦ ق م وأعاد بناءها يوليوس قيصر عام ٤٦ ق م وأصبح بها دار القنصلية منذ عهد أغسطس وقت كانت بحكم تراثها وموقعها البحري والتجاري مرتعا للفساد وفيها التقى بولس بعدد من اليهود الذين طردهم كلوديوس من روما . وكانت حفلات (الالعاب الاولمبية) تقام في كورنثوس كل عامين وهناك كتب بولس (رسالته الاولى الى أهل تسالونيكي) وهي أقدم كتابات (العهد الجديد) ، وان كان قد شاع أن (انجيل مرقس) هو أقدم أسفار العهد الجديد وقيل انه يظهر المسيح في صورة (ابن الانسان) وما زالت صورته تتطور حتى صار (ابن الله) في انجيل يوحنا وبين الانجيليين مائة عام . وفي (رسالة كورنثوس الاولى) نجد صورة لشغرات المجتمع المسيحي الاول من تفرق وعدم نزاهة وسكر وعثرات .

وقد زار بولس افسسوس حيث أقام ثلاث سنوات وكانت تقف في عصر بولس مع انطاكية والاسكندرية بين مدن الشرق العظمى وكانت ميناء على البحر ولكنها الآن تبعد عنه ٣ أميال ويذكر أن يوحنا أمضى سني حياته الأخيرة في افسسوس وهناك أقام جستنيان كنيسة باسمه . ومن أهم أثارها بقايا (كنيسة العذراء) التي اجتمع فيها (مجمع افسسوس) عام ٤٣١ م والسراديب التي اتخذها الأقدمون مقابر لموتاهم وحولها تدور (قصة أهل الكهف) الذين ذكر انهم التجأوا اليها عام ٢٥٠ م فرارا من بطش الامبراطور اداقيان فسدت عليهم السراديب فناموا واستيقظوا في حكم ثيودوسيوس الثاني عام ٤٥٠ م .

وأخيرا زار بولس روما التي أقيمت على ٧ تلال واستهلكت في السفوح والوديان ثم تدرجت الى المرتفعات وكانت تحيط بالمدينة الأسوار من جوانب ثلاثة وعند الرابع يجرى نهر التيبر حيث كانت المعابر عليه موضع رقابة حريصة وتصل المياه للمدينة من ينابيع ومجار في الجبال عن طريق نظام للقنوات والخزانات . وكانت روما تضم المسارح والملاعب والحمامات وتنظم الحدائق والبيادين وتزينها الأعمدة والأقواس على أن المدينة العظيمة كانت تضم أيضا أحياء فقيرة مكدسة . وفي وسط المدينة مبنى (الفورم) Forum وهو المركز الدينى والتجارى والتشريعى . وقد وصل بولس المدينة من (الطريق السلطاني) الذى يصل بينها وبين (كابوا) وللامبراطورية الرومانية شهرة ذائعة بشبكاتها من الطرق الجيدة التى توصل كلها الى روما ! ويشير تعداد المدينة عام ١٤ م الى انه كان يبلغ ١٠٠٠٠٠ ر ٤٠٠٠ نسمة . ويعتقد أن السجن الذى أودع فيه بولس كان ما يعرف باسم (سجن مامريثيوس) فى موقع كنيسة سان جوسيبيو وهو طابقان السفلى منهما زنزانة لا يمكن الوصول اليها الا بفتحة ضيقة فى أرضية الطابق العلوى .

وقد زار بولس كذلك أسبانيا ، ولم يحدد موضع قبره بالضبط وان كانت هناك كنيسة مسماه باسمه خارج أسوار المدينة يؤكد البعض أنها تضم رفاتة ، فى حين يعتقد أن (كنيسة بطرس) قد أقيمت مكان استشهادة وفى فنائها عثر على بقايا كنيستين وعثر فى السفلى على عظام انسان عجوز قوى ولكن لا يقطع بأنها لبطرس .

وفى مستهل (سفر الرؤيا) نجد رسائل بيد يوحنا الى الكنائس السبع بآسيا الصغرى ، وأولها : افسوس وهى مشهورة بقديسيها وشهادتها ومجمعها الكنسى الذى عقد للبحث فى عقيدة (نسطور) أسقف القسطنطينية بشأن اللاهوت والناسوت وقد اعترض على تسمية العذراء أم الاله فهو يراها أم المسيح فحسب ، أما سميرنا (ازمير) فتقع على بعد خمسين ميلا شمالى افسوس وبها كنيسة بنيت فيها من قديم ويبدو أنها نشأت فى مستعمرة يهودية . وكانت برغامس مقر الحكومة المدنية والسلطة فففيها أقيم أول هيكل بآسيا لعبادة الامبراطور الرومانى وكانت بها مدرسة طب شهيرة . وعلى بعد ٤٠ ميلا من برغامس قامت ثياترا وكانت مركزا لنقابات المهن التجارية المختلفة ومن بينها هيئة قوية لصناعة التماثيل وبيعها . أما ساردس فكانت العاصمة السابقة لمملكة ليديا وتقع على مسافة ٣٥ ميلا جنوبى غربى ثياترا . وأخيرا كانت فيلادلفيا على بعد ٢٨ ميلا الى الجنوب الغربى من ساردس وقد سميت قيصرية الجديدة

بعد أن توالى عليها الزلازل . وبالقرب من لاودكية كانت هناك ينابيع
دافئة (١) .

هذه ملامح الارض التي جاست خلالها أقدام (المسيح) . . .
ونظرا لاختلاف تضاريس المنطقة فقد اختلف مناخها ، فالأمطار بين
سبتمبر ومايو تغزر عند الساحل والجبال الغربية وتتناقص نحو الداخل ،
وفي الوديان يعتدل المطر في جهات ويقل في أخرى . والطقس في
الساحل تسرى عليه قاعدة مناخ البحر المتوسط العتيقة التي تتناقلها
شفاه تلاميذ المدارس منذ أجيال : فالصيف حار خال من المطر ، والشتاء
معتدل ممطر ، وفي الجبال الشتاء بارد والصيف لطيف ، أما في الداخل
فالمناخ قارى ، شتاؤه بارد وصيفه حار ، مع ارتفاع المدى بين درجات
حرارة الليل والنهار .

ونتيجة لحرارة الاقليم المتاخم لبحيرة الجليل كانت الحمى لا تشأ تجثم
على أنفاس الناس هناك ، ومن هنا تتابعت الشكاية للمسيح من اصابات
الحمى ليمارس معجزاته في شفاء المرضى .

وبالنظر الى الرياح الغربية (العكسية) التي تدفع السحاب الممطر
أمامها يفهم قول المسيح : « اذا رأيتم السحاب تطلع من المغارب تقولون
انه يأتى مطر - فيكون هذا ، واذا رأيتم ريح الجنوب تقولون هو حر -
فيكون . . . وأما هذا الزمان فلا يميزونه » (لو ١٢ : ٥٤ - ٥٦) .

ونتيجة لتباين الطبيعة وتنوع المناخ تعدد النبات ، ففي منخفض
الأردن نبات غير نبات أعالي الجبال ، وفي الساحل تكثر زراعة الحمضيات
والموز .

ومنحدرات الجبال والتلال مدرجة تدريجا متقنا ومزروعة بالحضر والفاكهة .
وتزرع السهول الداخلية الحبوب ومنها ما حول لبساتين . لذا يضرب
المسيح كثيرا من أمثاله حول الزراعة والحصاد ، والكروم والحبوب ويتكرر
ذكر رعاة الخراف والحنازير ! وتنتشر زراعة الزيتون على سفوح الجبال
وفي المنطقة الساحلية والسهول الداخلية كلها من جبال نابلس حتى
منخفضات أعالي نهر العاصر ، وكانت سفوح الجبال قديما مكتسية
بالغابات حتى البحر وقد ذهبت كلها الا بقايا صغيرة من صنوبر وأرز ،

(١) دكتور جون الدر : الاحجار تتكلم - ترجمة دكتور عزت زكى ص ١٥٤ : ٢٢١ ،
دكتور عزت زكى : فلسطين كما عرفها المسيح ص ٧٧ : ٩ .

أما الموارد المعدنية فضئيلة في المنطقة ، عدا المواد الكيماوية في البحر الميت .

غير أن ساحل البحر كان يدفع لركوب البحر والتجارة . وقد فر (يونان) أحد أنبياء العهد القديم من يافا الى (ترشيش) وهي إحدى موانئ اسبانيا . ولا بد أن جزر البحر المتوسط كانت معروفة أيضا لسكان تلك البلاد ، وسفارات بولس تؤكد علاقات بولس بمنطقة البحر المتوسط . وكذلك كانت فلسطين ملتقى طرق تجارية برية : طريق صور وصيدا في فينيقية الى دمشق ومنها الى ديار النهرين - والطريق الذي يمر بشرقي البلاد وشمالها من دمشق الى الجزيرة العربية ثم الطريق الثالث بين مصر وفينيقية ، والرابع الذي يمر بالتخوم الجنوبية لفلسطين ويتصل بمصر والبحر الأحمر وخليج فارس . وطبيعى أن هذه الطرق كانت تيسر التواصل التجاري والاجتماعي والحضارى ومن ثم اختلط شعب فلسطين بأمم راقية كالمصريين والفينيقيين والبابليين والاشوريين . واليهودى حريص حقا على التماسك والانعزال لكن هذا لم يمنع صورا من التمازج والاختلاط . وقد امتزجت (اسباط العبرانيين الاثنى عشر) كذلك فيما بينها بعد (سبى بابل) فضلا عن امتزاجها بسكان البلاد التى سبيت اليها ممن اعتنقوا اليهودية ، حتى انه بعد الرجوع من السبى لم يتميز من الاسباط الا (سبطا يهوذا وبنيامين) وقد سكنا اليهودية والجليل (سبط لاوى) وسبط الكهنوت ، وقد امتزجت الاسباط الثلاثة فى عهد المسيح . وصار استخدام العبرانية مقصورا على الطقوس الدينية وكتابة التوراة . وفى عهد المسيح كان هناك من يترجم النص العبرانى الى لغة السامعين كما هو الحال عند تلاوة القداس فى الكنائس الارثوذكسية ، أما اللغة السائدة وقتذاك فقد كانت (الآرامية) وقد كتب قسم من كتابات (الأنبياء الصغار) بها كما انها استمرت (لغة الشعب) الى عهد المسيح وما بعده ، على أن (اليونانية) كان لها مكانها فى فلسطين ، اذ كانت لغة التجارة والادارة كذلك سيطر الطابع اليونانى على الحياة فى الازياء والاثاث وغير ذلك ، (١) .

ولطالما شهدت بلاد الشام صراعا داميا . . فقد كانت بحكم استراتيجيتها نقطة احتكاك القوى المتجاورة المتغالبة ، واصطدمت فيها مصر بميثانى وخيتا ، وبابل وآشور ، وتنازعت عندها مطامع امبراطورية

(١) دكتور عزت زكى : فلسطين كما عرفها المسيح ص ٩ : ١٢

الشرق الفارسية وامبراطورية الاسكندر الاغريقية . وعندما تقسم قوله الاسكندر دولته تنافسوا وتحاربوا في أرضها ، وورثت روما امبراطورية الاغريق وورثت عنها كفاحها مع الفرس .

وهكذا شاء الله أن يخرج رسول السلام في أرض الزيتون وقد تخضبت بدماء الصراع الدولي والاهلى أيضا . . «فمنذ غزوة الاسكندر لبلاد الشرق ، وقصة الصراع بين الشرق والغرب تمثل فصولا طويلة في تاريخ القسم الشرقي من حوض البحر المتوسط ، حتى أن كر العصور ومر الازمان لم يخفف من حدة النضال الذى عرك أوصال الطرفين . . وواجهت الصحراء الشامية روما وأباطرتها ، وهذه الصحراء لم تكن كما يتصور المرء امتدادا شاسعا من رمال لا يمكن اجتيازها وفلاة موحشة مقفرة ، اذ على النقيض من ذلك لعبت هذه الصحراء دورا هاما في حلقة الاتصال التجارى بين الشرق والغرب ، فقد اشتملت على بعض مسالك تجارية اخترقت بقاعها ذات الحصى والتي انتشر فيها بين هنا وهناك بعض الحشائش والنباتات . وقد أدرك القدامى طبيعة هذه الصحراء وقسموها أقساما تساعد على الافادة من مسالكها : فأطلق بطلميوس على قسم منها اسم بلاد العرب الصخرية Arabia Petraea نسبة الى مدينة البتراء التى ازدهرت لممر القوافل التجارية بها (Petra كلمة يونيا معناها الصخر) ، على حين سمي الجزء الاوسط والجنوبى الشرقى من الصحراء باسم بلاد العرب الصحراوية Arabia deserta ، أما الجزء الباقي من الصحراء الذى نال قسطا كبيرا من التأثير الرومانى فسماه سوريا « (١)

على أن لجورج ماتيسون تصورا آخر لظروف فلسطين الجغرافية . انه يقول : « لم أر في حياتي صورة بهذه العظمة - يقصد صورة المسيح - في اطار بهذه الحقارة . . شريط ضيق من الارض المختنقة لا يتعدى طوله ١٤٠ ميلا فى عرض ١٤٠ ميلا . . لعل الطبيعة قصدت أن تحبس فلسطين فى هذا السجن وتغلق عليها الباب ، وهكذا أقامت على كل جانب من جوانبها جدارا يقطع اتصالها الحر بالغير ، ففي شمالها ترتفع سلسلة جبال لبنان وفي جنوبها تنبسط صحراء سيناء ، من الشرق يمتد بمحاذاتها وادى الاردن ومن الغرب تتراقص على شواطئها مياه البحر المتوسط ، !! (٢) »

(١) الدكتور ابراهيم العدوى : الامويون والبيزنطيون ص ٢ - ٣ .

(٢) جورج ماتيسون : دراسات فى سور من حياة المسيح ترجمة دكتور عزت زكى ح ١ ص ١٠ .

والحق أن تصور عزلة فلسطين على هذا النحو شيء مبالغ فيه ويخالف الحقائق الجغرافية والتاريخية عن هذه المنطقة ، ولا يخدم الغرض المقصود. في ابراز معجزة ظهور المسيح ورسالته في مثل هذه الارض ، وقد سار المسلمون في تأريخ ظروف شبه الجزيرة العربية قبيل البعثة النبوية مثل هذه المسار وتحت تأثير مثل هذه النظرة أيضا وأعتقد أن انصاف رسالات الله وانصاف الحقيقة العلمية معا يقتضيان ألا تنزل هذه الرسائل في أرض تعجز فيها عن الحركة ويقتلها الجمود والحمود ، خاصة اذا لم يكن الامر أمر نبوة موقوتة ينتهي أثرها في وقت قصير ، وانما أمر رسالة يقصد منها الاستمرار والانتشار .

وهذه الديار - ديار الأنبياء ..

« جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية ، قائلا : توبوا لأنه اقترب ملكوت السموات ، فان هذا هو الذي قيل عنه باشعيا النبي القائل : صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب ، اصنعوا سبيله مستقيمة .. حينئذ خرج اليه اورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالاردن » « كل واد يمتلئ ، وكل جبل وأكمة ينخفض ، وتصير المعوجات مستقيمة ، والشعاب طرقا سهلة ، ويبصر كل بشر خلاص الله » (١) .

« ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف الى الجليل ، و ترك الناصرة وأتى فسكن في كفر ناحوم التي عند البحر في تخوم ربولون ونفتاليم ، لكي ينم ما قيل باشعيا النبي القائل : أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الاردن جليل الامم » (٢) .

تابع المسيح طريق الهداة الدعاة في أرض فلسطين المباركة «فتبعته جموع كثيرة من الجليل والعشر والمدن وأورشليم واليهودية ومن عبر الأردن » (٣) .

(١) مت ٣ : ١ - ٥ مر ١ : ٣ - ٥ ، لو ٣ : ٤ - ٦ ، يو ١ : ٢٣

(٢) مت ٤ : ١٢ - ١٥ ، مر ١ : ١٦ أيضا مر ٤ : ٥ ، لو ٨ : ٦ ، يو ٦

(٣) مت ٤ : ٢٥

قوم

« اليهود شعب عجيب : كانوا فى السابق قبيلة صغيرة أو عدة قبائل تسكن فلسطين ، ورد تاريخها فى العهد القديم فى التوراة، وكانوا وما زالوا يظنون أنهم شعب الله المختار ، ويظهر أن هذا الظن قد جنى عليهم كثيرا فغزاهم الغزاة وأخضعوهم وأسروهم .

« ويضم الأدب الانجليزى أجمل القصائد وروعها التى تصف عذابهم كما ورد فى التوراة ، ولا بد أنها فى أصلها العبرى أجمل منها فى ترجمتها، وأورد مثلا على ذلك هذه الأبيات من أحد المزامير :

هناك على أنهار بابل جلسنا ... وبكىنا عندما تذكرناك يا صهيون ...

وعلى أشجار الصفصاف علقنا أعوادنا ... بعد أن طلب منا الذين سبونا أن نغنى لهم أغنية من أغاني صهيون ...

كيف نغنى أغنية الرب فى أرض غريبة ؟

شلت يمينى ان نسيتهك يا اورشليم ..

ليلتصق لسانى بحلقى ان لم أذكرك يا اورشليم ... ان لم أفضلك على أعظم أفراحي ..

« وأخيرا تفرق هؤلاء اليهود فى مختلف أنحاء العالم ، فلم يكن لهم بيت أو وطن ، وأينما حلوا كانوا يعاملون معاملة الغرباء غير المرغوب فيهم ، فاضطروا أن يسكنوا فى أماكن خاصة فى المدن منفصلة عن باقى الأحياء حتى لا يدنسوا بقية الناس ..

« ومع ذلك فقد استطاع هذا الشعب أن يعيش .

« وهؤلاء الناس الذين يعيشون بلا بيت ولا وطن يحلمون دائما بالقدس التى تتراءى لهم أحسن وأعظم مما هى فى الحقيقة . يسمون

القدس (صهيون) أو الأرض الموعودة ، ومنها كلمة (الصهيونية) التي
تعني نداء الماضي للعودة الى القدس ، (١) .

بهذه الكلمات المحكمة أو جزء (نهرو) تاريخا طويلا لشعب قديم .
لقد كانت (كنعان) على الطرق التجارية الكبرى التي مرت بها
القوافل حاملة السلع والمتاجر بين مصر وبابل . . . ومن هنا حذق
الكنعانيون التجارة وكان (الفينيقيون) فرعاً منهم مهروافى ركوب البحر .
وكذلك كانت (أور) - في جنوبى بابل - مسقط رأس ابراهيم .
و (حران) مهجره أيضا على طريق القوافل وقد اتجه أهم الطرق من
أشور في الشرق الى قرقميش وحلب في الغرب وجبال طوروس في
الشمال . وكانت أور مركز عبادة القمر ، وكذلك كانت وثنية أكثر
المدائن التي كان يتصل بها ابراهيم والعبرانيون رواجاً وحضارة . ونقل
الكنعانيون عن البابليين كثيرا من كتاباتهم وأفكارهم .

ومن سكان بين النهرين أيضا (السومريون) ، وقد تأثروا في
تاريخهم وحضارتهم كذلك بالموقع التجارى للمنطقة .

كانت التجارة اذن سبيلا هاما للنشاط الاقتصادى فى تلك الديار .
وكانت المنطقة فى موقعها الجغرافى ملتقى شبكة من الطرق ، وأدى هذا
الى امتزاج السكان من عموريين وآراميين وهورانيين وأوريين وبابليين
كما امتزجت الألسنة أيضا . وحين نزع العبرانيون القدماء من أور الى
حران ومنها الى كنعان حملوا معهم عقائد وتقاليدهم من حضارات البلدان
التي عاشوا فى كنفها أو اختلطوا بها وظلوا متأثرين بها ردحا طويلا .

ثم نزع العبرانيون الى مصر وتكاثروا بها واستوطنوها فى عصر
(يعقوب والأسباط) وحين نزل (الفلسطينيين) الوافدون على الساحل
الجنوبى من أرض كنعان واقتربوا من مصر ، اصطدموا بالمصريين
والعبرانيين . ودارت الدائرة على هؤلاء الوافدين ، « وقتل داود جالوت
وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم
لبعض لفست الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين - البقرة: ٢٥١ ، »

واستقر العبرانيون فى (أرض كنعان) بعد (الخروج) التاريخى
من أرض مصر . . وأخذوا يتميزون عن حولهم ، ويحسون بهذا التميز ،
وبخاصة بعد أن ذاقوا حلاوة الغلبة « وكانت آراؤهم الدينية بسيطة ، »

(١) نهرو : لمحات من تاريخ العالم (الترجمة العربية - طبعة بيروت) ص ٢٥١ - ٣١٦

فآمنوا أن الاله الذى يعبدونه الههم دون سائر الشعوب وهو يحميهم مهما فعلوا وانسابت الى مجتمعهم الحضاة ، وكان من آثار تطاحن آراء البداوة وآراء الحضارة فى مجتمعهم أن ظهر من بينهم مفكرون سبقوا زمانهم هم (الأنبياء) وتطورت هذه الآراء على مدى السنين وفى كتابات أسفار (العهد القديم) ترى الأنبياء المتأخرين يفضلون المتقدمين فى ادراك معانى (الحق) و (البر) و (الصلاح) وكان لكل مدينة أخيرا (ملك) ، وقلما اتحدت هذه المدن ، وهكذا كان يسهل دائما على الاعداء قهرها والى سنة ١٠٠٠ ق . م عاش العبرانيون فى (أسباط) - أى عشائر - متفرقة « (١) . .

» . . ولقد هيا الرومان لليهود فرصة الانفراد بالسيطرة على تجارة البحر المتوسط حين قضوا على الفينيقيين والبطالمة ، كما حاولوا عبثا القضاء على السبثيين - فى اليمن - بفزؤهم سنة ٢٤ ق . م . على أن الرومان لم يلبثوا أن فطنوا الى استفحال نفوذ اليهود ، فوجهوا عنايتهم نحو التخلص منهم . وفى بداية القرن الأول الميلادى قضوا على مراكزهم التجارية ، وفى سنة ٧٠ م خربوا معابدهم فى القدس ، وأرغموهم على الجلاء والتفرق فى شعاب الأرض . ولم يقتصر اليهود - بعد أن طردهم الرومان - على الهجرة والاستيطان فى شتى البلاد بل انهم حاولوا أيضا أن يؤسسوا دولا على حساب غيرهم من الشعوب : وفى القرن الاول الميلادى أقاموا تحت حماية الفرس دولة يهودية بين أرمينية وفارس ، وفى العصر الاسلامى أسسوا دولة يهودية فى الحبشة ودولة أخرى فى شمال البحر الأسود ، ومن هذه المحاولات تأسيس دولة لهم فى سبأ فى أرض اليمن فى بداية القرن ٦ م ، ولقد جاء تأسيسهم لهذه الدولة بعد مرحلة طويلة من المنافسات الدينية والعنصرية والاقتصادية . وقد باءت بالفشل جميع المحاولات لتأسيس دولة يهودية على مدى التاريخ .

حرص اليهود فى هجرتهم بعد سنة ٧٠ م على أن يتجهوا نحو الطرق العالمية فأخذوا يستقرون على طولها فى مراكز يستطيعون فيها أن يتدخلوا فى الاشراف على التبادل التجارى عليها .

ولقد كان من أهم مقاصدهم طرق القوافل العربية ، وأقاموا أولا عند طرفها الشمالى فى بطره (فى الأردن) وكانت لها أهميتها من حيث

(١) كاترين هنرى : التاريخ فى الكتاب ترجمة حبيب سعبد وبخاصة ص ١٤ : ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٩ ، ٣٣ : ٤٤ وللتفصيل راجع دكتور جون الدر : الاحجار تتكلم ترجمة الدكتور عزت زكى .

التبادل التجارى العالمى . ثم أخذوا يرحلون جنوبا تحت الضغط الرومانى فانبثوا فى الواحات الواقعة على طول طريق القوافل الرئيسى ، فأقاموا فى العلا وفى يثرب ، ونزح بعضهم نحو دولة سبأ فى جنوب بلاد العرب . . . غير أن الخطر الذى هدد النفوذ اليهودى جاء عن طريق المسيحية التى أخذ أتباعها يهاجرون من فلسطين فرارا من عسف الرومان ، وكان طريق القوافل العربية منفذا طبيعيا لهم ، وعن طريقه دخل بلاد العرب عدد من المسيحيين الذين تقدموا من الشام الى الحجاز ومنها الى اليمن ، (١) .

نزح اليهود الى فلسطين فاستقروا فيها ، وتضخمت أحلامهم حولها « ظهر اله المجد لأبينا ابراهيم وهو فيما بين النهرين قبلما سكن فى حاران ، وقال له اخرج من أرضك ومن عشيرتك ، وهلم الى الأرض التى أريك . فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين وسكن فى حاران ، ومن هنا نقله بعد ما مات أبوه الى هذه الأرض التى أنتم الآن ساكنون فيها ، ولم يعطه فيها ميراثا ولا وطأة قدم ، ولكن وعد أن يعطيها ملكا له ولنسله من بعده ، ولم يكن له ولد . وتكلم الله هكذا : أن يكون نسله متغربا فى أرض غريبة ، فيستعبدوه ويسينثوا اليه أربعمئة سنة ، والأمة التى يستعبدون لها سأدينها أنا ، يقول الله : وبعد ذلك يخرجون ويعبدوننى فى هذا المكان » (٢) .

وقد تعرضت الشام لهجرات آرامية أتت من الشرق واستقرت حول دمشق وفى شمال فلسطين وشرقى الاردن ، كما وصلتها موجات من ناحية البحر المتوسط ، ويذكر الدكتور جون الدر أن أنظار العرب متجه الى فلسطين « كوطن قومى عرفته قبائل أجدادهم القدامى من قبل أن يوجد العبرانيون (٣) » . أما بالنسبة للوضع الجنسى لليهود : « فان التباين فى المميزات الجثمانية للجماعات اليهودية المختلفة تباين شديد ، لا فى الصفات الظاهرية كلون البشرة والعين مثلا ، بل يتجاوز هذا الى شكل الشعر وصفات الأنف وأبعاد الرأس وما الى ذلك وعلى ذلك يقسم بعض الكتاب (اليهود) الى مجموعتين رئيسيتين : الاولى اشكنازم Achkenasim ويمثلهم غالبية اليهود فى أوربا ويتميزون بالوجه المستدير والأنف المحذب القصير والعيون الرمادية الصغيرة ، والثانية سفردم Sephardism

(١) دكتور حسن الباشا : المشكلة اليهودية من عهد سبأ الى صدر الاسلام (المجلة : العدد ٩ السنة الاولى) .

(٢) اعمال ٧ : ٢ - ٧ .

(٣) دكتور جون الدر : الأحجار تتكلم ترجمة دكتور عزت زكى ص ١٣ .

ويمثلهم يهود اقليم البحر المتوسط ويشبهون سلالات الاقليم : وجوه
بيضاوية وأنوف ضيقة بارزة وشعر أسود وعيون تأخذ فتحتها شكل
اللوزة . ومع ذلك فكل هذا لون من التبسيط. للصورة الجنسية المعقدة
لليهود الحاليين . أما اليهود قبل فترة الانتشار التي بدأت عندما وضع
البابليون أيديهم على اورشليم حوالي سنة ٥٨٦ ق م . فقد تكونوا نتيجة
لموجات متعددة وصلت الى فلسطين في فترات مختلفة وبطرق مختلفة
وتحت زعامات مختلفة ، وان كان بنو اسرائيل الذين يكونون العنصر
الاساسي في اليهود الحاليين فيما يظهر قبائل بدوية أو نصف بدوية
تتكلم اللغة السامية جاءت من الصحراء وسكنت أولا على حافتها في جنوب
العراق ، ثم تحركت الى فلسطين وكانت تسكن فلسطين حوالي منتصف
القرن ٢ ق م جماعات متعددة : فالى جانب الاسرائيليين ، كان يسكن
العموريون الى الشمال ، والكنعانيون في أرض كنعان ، وكذلك كان
يعيش الفلسطينيون الذين انتشروا في شرقي البحر المتوسط حوالي
١٢٠٠ ق م آتين فيما يغلب من اقليم بحر ايجيه ، هذا الى جانب بعض
القبائل والعناصر الحيثية .

ومن العلماء من لا يرى في اليهود أحد أنواع الجنس البشري التي
دامت طويلا ، اذ أنهم تغيروا في الأماكن المختلفة ، فشكل تركيب الرأس
يحاول دائما أن يلائم نفسه مع الظروف المحلية في البيئة التي يقطنونها ،
وقد أكد Baos بكل شدة أن شكل رأس المهاجرين اليهود في الولايات
المتحدة يتغير لي مطابق المقاييس الأمريكية حتى في أول جيل من المهاجرين!!
ويقسم البعض اليهود نوعين : واحد قريب من النوع العربي والثاني
قريب من النوع المعروف بالآشوري Assyria . وهذا تسليم بأن هذه
الأنواع قد تغيرت الى حد ما عن طريق الشعوب التي تعيش بينها (١) .

وكان اليهود يجعلون من أنفسهم عالما وحده ، ويحسبون أنفسهم هم
العالم وحده !!

« (الهيكل) هو مركز الوجود كله ومادام الهيكل قائما فكل شيء
يدور حوله فهو رمز لمسكن الله مع الناس - ليس مع كل الناس بل مع
شعبه فقط ! وكما يتركز مجد الشكناه في الهيكل هكذا يتركز في اتباع
الهيكل مواعيد يهوه العظيم للآباء ونبوات الأنبياء وأحاديث الناموس

(١) دكتور عباس عمار . شعوب الاقطار العربية الاقطار العربية الآسيوية ،

Buyton : Peoyiesop Asia (Tha wear Easr)

وأمجاد القديم ! لقد كانت فلسطين هي (الأرض) أما ماعداها فقد كان خارج الأرض وتخوم الأمم وكانت هذه الأرض تحمل عبير القداسة ! وكان أقل عبراني يثتزر بالاسمال ويعيش على الفتات يشمخ بأنفه الى السماء قائلا : لنا ابراهيم أب . . . لقد كان (أبناء اسرائيل) في قلب (أرض اسرائيل) التي سرى فيها الفساد في الداخل والخارج ، وفي الوقت الذي كانت روما تدوس على أعناقهم بأقدامها كانوا يصيحون في تبجح : نحن ذرية ابراهيم ولم نستعبد لأحد قط ! فالوجود كله - هكذا كانوا يعتقدون - قد خلق من أجل اسرائيل وأبناء اسرائيل ! بل ان اسرائيل كانت في فكر الله الأزلي قبل أى شيء آخر ، وما كل الخليفة الى اعداد لمجىء اسرائيل ! ومركز كرة الأرض والكواكب هو الهيكل والجبل الذي أقيم عليه . (التوراة) وجدت قبل خلق العالم بألفى عام والآباء ولدوا يحفظون الناموس قبل أن يكون الناموس ، وقد قدم الرب الناموس للأمم فرفضوه ورفضهم وانتهى الأمر ولا مكان للتوبة بعد ! لكن اسرائيل مهما فعلوا فسيققص الله منهم في الحياة الدنيا لكي لا يدانوا مع الأمم ! وغاية الاسرائيلي القح أن (يدرس) الناموس لا أن يعمل به ، لأن الله نفسه انما يدرس الناموس !

على أن وضع فلسطين الجغرافي جعلها تتفاعل مع غيرها بحكم الجوار والتجارة والغزوات التي تعرضت لها . وكان (للروح الهيلينية) مكانها وآثارها وقد بنى هيرودس مدنا اغريقية رومانية في قلب فلسطين . وكانت مدن فلسطين اذن فيها مدن (يهودية) أصيلة ، ومدن (أممية) لها حكامها ومجالها . وكانت المدن اليهودية الأصيلة في دائرة (اليهودية) Judaea تحيط بها الجليل والسامرة وبيرية وتكون كتلة مركزها اورشليم وهي تتفاوت في المركز الديني وان اشتركت في دفع العشور للهيكل . (فالجليل) جليل الامم شعب الناموس ، و (السامرة) من سقط المتاع ! وكانت هناك مناطق تتداخل بين النوعين فبالقرب من بيرية كانت هناك منطقة نصفها يكون جزءا من الديكابوليس أو المدن العشر والجزء الآخر بمحاذاة الساحل يدخل في قلب فينيقية : وهذه المناطق نصف اليهودية أو الأممية في قلب فلسطين كان يسكنها خليط من الأمم من يونانيين أو يهود دخلاء أو متهودين ويسمونهم (يهود الشتات) وهؤلاء كانوا يتكلمون اليونانية العامية ويكتبون بها كما كانت عاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم تختلط بالغريب عن التعاليم الموسوية .

وقد قسم اليهود أرض فلسطين الى درجات متفاوتة ما بين الارض

العادية الى أرض قدس الاقداس فى الهيكل . وكانت (أرض الامم) تعتبر نجسة ، وحين يعود التاجر اليهودى الى فلسطين يقف عند الحدود ويخلع نعله لينفض عنه الغبار العالق بهما من أرض الأمم !! فلا عجب أن كرههم الرومان وشنعوا عليهم ، وقد تحدث عنهم شيشرون Cicero « كشعب بربرى تسيطر عليه الخرافات » ، ووصفهم بلينى Biny « بالأمة التى تحتقر الآلهة » ، وكان رجال الدولة من الرومان يرون فيهم جرثومة للفتنة والتمرد :

وهناك مثل يهودى يقول : « اذهب شمالا ان أردت الغنى ، واتجه الى الجنوب ان كنت تبحث عن الحكمة » . . . لقد كانت (الجليل) أرض جنات وكروم وزيتون مكتظة بخليط من السكان ، ومن ثم كان يهود الجليل أقل تزمنا وأرحب صدرا من يهود (اليهودية) الذين كانوا أكثر تدقيقه بشأن الدين والناموس ، وكانت بلادهم جبلية قاحلة ولكنها تؤدى الى اورشليم حيث الهيكل رمز عناية الله بشعبه المختار ! ولقد كان (الصدوقيون) يبنون ايمانهم على الناموس ، بينما كان (الفريسيون) يعتقدون أن الآباء أو تفسيراتهم وتعليقاتهم على الناموس هى من الناموس ، الا أن هؤلاء وهؤلاء قد اتفقوا على ازدراء الجليليين! انهم أقل من الوثنيين . . . كان صوت اورشليم يصيح بالجليل « أما هذا الشعب الذى لا يعرف الناموس فهو ملعون » ! وكانت الجليل دائما مثار الهزء والسخرية « ألعك أنت أيضا من الجليل ؟ أنظر انه لم يقم نبي من الجليل » ! ومع أن يهود الجليل واليهودية كانوا يتكلمون (الآرامية) الا أن يهود الجليل كانت لهم لهجتهم المتميزة ، حتى قالت الخادمة لبطرس فى اورشليم وهو يجد فى الاختفاء « أنت جليلى ولغتك تظهرك » ! ومن هنا قاومت (اليهودية) المسيح بشدة حتى « لم يعد يمشى فى دوائر اليهودية » ! ! (١) على أن أهل الجليل كانوا سكان الهضاب الآحرار الذين جبلوا على العزة والكرامة ولم ترضخ رقابهم للذل بينما خنع أهل (يهوذا) للهوان وقد امتدحهم (التلمود) بحرصهم على الكرامة أكثر من المال وامتدحهم يوسيفوس (٢) .

وحين انتقل المسيح من دائرة (الجليل) الى دائرة (اورشليم) رأينا فى مواعظه هناك الروح الجامعة الشاملة . . . لقد كان المسيح فى (الجليل) يضع حدودا ضيقة حيث تزايدت المرونة والتوسع ، فحذر من طريق الامم ومسالك السامريين . وفى (اورشليم) حيث ساد التحفظ

(١) دكتور عزت زكى : فلسطين كما عرفها المسيح ص ٢٩ : ٤٤ .

(٢) بترسون سمث : حياة المسيح ترجمة حبيب سعيد ص ١٠٩ - ١١٠ .

والتزمت اتجه المسيح الى توسيع الحدود ورفع القيود ونشر السماحة .
واتسمت جهوده في اورشليم بالعلانية والوضوح دائما . . ومن هنا جاء
اصطدامه مع اليهود . . لقد أعلن أن (مسيا اليهود) هو (مسيا كل
الأمم) وأن (اورشليم) ليست أعظم مدن الأرض ! ! (١) .

» . . . لم يكن هناك شيء في تاريخ هؤلاء القوم يوحى بالاستقرار
والثبات كانوا في البدائية (قبيلة) تنتجع المرعى ، فأصبحوا عدة
(قبائل) يحكمها رئيس واحد ، ثم صاروا (شعبا) تحت امرة مشرع ثم
(سلالة) تحت امرة قواد الحرب ، ثم (مملكة) خاضعة لحكم ملك ،
ثم (مقاطعة) معرضة لغزوات الأعداء ثم (جمهورية) يرأسها كهنتها . .
وليس هناك شيء يستوجب الفخر في تطورها الاقتصادية والاجتماعي ،
افصل عنها (الدين) فلا يبقى لها شيء . . . انها لا تحب الصور ولا
التمثيل ولا تمتلك أية نظريات فلسفية أو مدارس للحكمة ، وشعراؤها
كلهم كتاب مزامير لا يتغنون بأى جمال سوى جمال الله . . انها لا تملك
الفكر العميق الذى تتميز به أرض الهند ، وليست لها موهبة الثبات
والاستقرار كالصين ، ولا يميزها الشعور بالجمال كبلاد الاغريق ، ولم
تنل حظا عاليا من الثقافة مثل أرض مصر ، ولم يكن لها الجيوش مثلما
كانت لروما . . . انها تمثل مجموعة من النواهي عن فعل الشر أكثر مما
تمثل أوامر لفعل الخير . . ولكن هذه الأرض الضيقة العقيمة تعهدت بأن
تقدم (ملكا) للعالم ، وكان رجاء يهوذا في اقامة دعائم امبراطورية راسخة
يزداد قوة في أوقات انحلال الأمة اليهودية وضعفها - وانك لن تستمع
الى موسيقاها الظافرة الا حينما تتحطم أوتار قيثارها . . . على أن هذه
الأمة أعطت العالم ملكا ولكنها رفضت أن تنوجه بيديها . . انهم (الأمم)
الذين أتوا لنوره » ! (٢)

الى هذا الشعب كانت رسالة المسيح . . .

» يخرج مدير يرعى شعب اسرائيل » « فأجاب وقال : لم أرسل الا
الى خراف بيت اسرائيل الضالة » (٣) . . .

(١) جورج ماثيسون : دراسات في صور من حياة المسيح ترجمة دكتور عزت زكى ج ٢
ص ٦٣ - ٣ ، ٧٠ .

(٢) جورج ماثيسون : دراسات في صور من حياة المسيح - ترجمة دكتور عزت زكى ج ١
ص ١١ : ١٤ .

(٣) مت ٢ : ١٥ ، ٦ : ٢٤

وقد التقى المسيح فى طريقه بطوائف شتى يهودية وغير يهودية « ثم خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحي صور وصيدا ، واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة : ارحمنى ياسيد يا ابن داود ، ابنتى مجنونة جدا » ، وبتعبير انجيل مرقس « وكانت المرأة أممية ، وفى جنسها فينيقية سورية (١) » . وكان هناك أيضا السامريون « ترك اليهودية ومضى أيضا الى الجليل وكان لابد أن يجتاز السامرة ، فجاءت امرأة من السامرة لتستقى ماء ، فقال لها يسوع أعطيني لأشرب . . فقالت له المرأة السامرية : كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية ، لأن اليهود لا يعاملون السامريين (٢) » . ويذهب المسيح الى نواحي (صور) و (صيدا) ، أراضى (الفينيقيين) ، تاركا (فلسطين) ومتجها (للأمم) حيث المجتمعات الوثنية . وقد أراد أن يبقى رحلته سرا مكتوما (مر ٧ : ٢٤) ولعلها أن تكون خلوة موقوتة ولكن شهرته سبقتة الى هناك ، « وهكذا وجد نفسه فى خطر التجربة بارساء الحجر الأساسى للملكوته فى (فينيقية) بدلا من (فلسطين) ولكن ثارت نفسه على هذا التفكير . وعلى كل حال فقد سارت الدعوة المسيحية خطوة فى طريق (العالمية) » (٣) .

وننتجه الآن الى اليهود (من الداخل) . فى عصر المسيح كان الشعور العام ينتظر ظهور (المسيا) من (نسل داود) كقائد شعبى كبير يستخدم المعجزات والخوارق للانتصار على الأعداء . وكان البعض ينتظر من (المسيا) صراعا دمويا ، والبعض قد تأثر برسالة المعمدان وتعاليمه فهو يرى اليهودية فى حاجة الى تغيير جذرى فى دوائر الفكر اللاهوتى اليهودى يستثير صلات جديدة بين الانسان والاله ومن ثم يقوم على أكتاف (المسيا) ملكوت روحى سام يحطم الجمود اليهودى ! وجاءت كتابات (الرؤى الرمزية) تعكس هذه المشاعر والآمال . . لقد كتبت لتشجع قوما فى شدة الضيق والمتاعب فهى تصور لأحلامهم قضاء قريبا سريعا على الشر وسعادة ومجدا للمؤمنين . وقد يكون ذلك فى رحاب سماء جديدة أو بين ربوع أرض جديدة ، ولكن المهم أن دوام الحال من المحال !!

(١) مت ١٥ : ٢١ - ٢٢ مر ٧ : ٢٤ .

(٢) يو ٤ : ٣ - ٩ .

(٣) جورج مائيسون : دراسات فى صور من حياة المسيح ترجمة دكتور عزت زكى ج ٢

ص ٢١ : ٤ ، ٣٢ .

واستهلت تلك الكتابات الرمزية عام ٢٠٠ ق م وتوالت الى ما قبل نهاية القرن الاول للميلاد وما فتئت هذه الكتابات قبل مجيء المسيح تلح على انتظار المخلص (المسيا) فى أية صورة من الصور ! ولما رفض اليهود المسيح تناولت كتاباتهم فكرة عامة غامضة عن ظهور (قوة الله وجلاله) فى صورة من الصور ٠٠٠ انها محاولة للتعويض عن الواقع السيئ ، بالأمل فى مستقبل أفضل ! !

وحين انتهت النبوات بدأت تعوض كتابات الرؤى الرمزية ، ومنها : سفر اخنوخ ، أسفار الآباء الاثنى عشر ، اختطاف موسى ، صعود أشعياء ٠٠٠ ونجد اشارات كثيرة اليها فى رسائل بولس ، وفى رسالة يهوذا نجد اقتباسا مباشرا من سفر اخنوخ وهذا يدل على تأثير تلك الكتابات على العقلية اليهودية فى عصر المسيح ، وان لم تدرج ضمن الكتابات المعترف بها .

وهذه مثلا (قصة الدينونة) فى الاصحاح ٦٢ من (سفر اخنوخ) الذى يرجع الى عام ١٥٠ ق م :

« ويجلس رب الأرواح على عرش مجده ٠٠٠ وتقف أمامه كل الملوك وكل الجبابرة وكل المتعالمين فى الأرض ، وينظرون ويعرفون الجالس على عرش مجده والذى يدين بر الانسان وينظر فريق منهم الى الآخر ويرتعبون وينكسون الوجوه ٠٠٠ حينما يرون ابن الانسان الجالس على عرش مجده فيسلمهم الى الملائكة للعقاب ولتنفيذ حكم الدينونة عليهم ٠٠ ويخلص الأبرار والمختارين فى ذلك اليوم ولن يروا وجوه الأشرار والخطاة فيما بعد وسوف يحل معهم رب الأرواح وسيأكلون مع ابن الانسان ويضطجعون ويقومون آمنين الى دهر الدهور ٠٠ »

وفى (انجيل متى) اصحاح ٢٥ تقرأ :

« ومتى جاء ابن الانسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه ، فحينئذ يجلس على كرسى مجده وسيجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم عن بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار ثم يقول للملاك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي ربي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ، ثم يقول أيضا للذين عن اليسار اذهبوا عني ياملاعين الى النار الأبدية . فيمضى هؤلاء الى عذاب أبدي والابرار الى حياة أبدية » .

ومن المحاولات التى بذلت لصرف نظر الشعب اليهودى عن المسيح

ذلك التفسير الذى ذهب فيه أحبار لليهود الى أن (المسيا) لا يد وأن يكون ملكا من ملوك العهد القديم قام من الموت ، زعم البعض عنه أنه الملك (يهوشا فاط) وزعم آخرون أنه الملك (داود) أو (النبى ايليا) ويقول عنه الحبر (يوحنا بن زكاى) المعاصر لرسول المسيح انه الملك (حزقيا) أخذما مما جاء فى (سفر اشعيا) . وذهب البعض الى أن اسرائيل ينبغى ألا ترتقب ظهور (المسيا) لأنها قد سعدت به فى عهد (حزقيا) ! ومن هنا روى عن المسيح فى غير الاناجيل الاربعة ما نقله القديس أوغسطينوس عن (الماركيونيين) فى رده عليهم « أنتم ترفضون الحى الواحد الذى أمام عيونكم وتشغلون أنفسكم بالموتى » ! والماركيونيون طائفة ظهرت فى القرن الثانى الميلادى بروما واستمرت الى القرن السابع ، وكتابهم يضم انجيلا ورسائل بولس العشر ، وهم لا يؤمنون بالتجسد ولا القيامة ، وكانوا يمتنعون عن الخمر حتى فى طقس التناول وقالوا ان اله المسيحيين غير اله اليهود .

وكانت العقيدة الرسمية لليهود تتركز فى (الشيما) وهى « الوصايا العشر » ، اذ يرد فى أول الوصايا (شيما اسرائيل) أى اسمع يا اسرائيل . وكان على كل يهودى ذكر أن يكرر الشيما مرتين كل يوم وكانت تكرر مع صلوات أخرى فى مستهل الصلوات فى المجمع .

وكانت حياة اليهود ترحمها (الطقوس) ، (ومجامعهم) تفصل فى مشكلات الدين والدنيا ، ولقد وصف اليهود فى عصر المسيح بأنهم « كانوا كنيسة أكثر منهم أمة » ! « لا آداب الا ما نطقت به الأنبياء ، ولا فن ولا شعر ولا موسيقى ولا تاريخ الا ما كان متصلا بالدين » !! على أن « يهود الشتات » كان لهم لون ثقافى مغاير ، والطابع الهيلينى اليونانى فيهم واضح ، ومن هنا اعتبرهم المحافظون منحرفين !!

واتجه (الفريسيون) الى حفظ اليهودية من طغيان الوثنية الهيلينية اليونانية ، وكانت الفريسية اليهودية صاحبة العقيدة الرسمية السائدة فى عصر المسيح وهى تتخذ الناموس أساسا والتقاليد أو التعليقات المجموعة تفسيراً للناموس . وقد تراكت (المشنا) وغيرها من كتب (التلمود) على مر الأجيال حتى القرن الثانى . و (الناموس) فى ذهن اليهودى (تحالف) بين طرفين : (يهوه) و (شعب اسرائيل) ! (الشعب) يطيع الوصايا ، و (يهوه) من جانبه مع الشعب مادام الشعب فى طاعته يحارب حروبهم ويدافع عنهم ويخلصهم من أعدائهم

ويكتب لهم النجاح والتوفيق في كل أمورهم • وعلى مر الزمن يتجمد (الناموس) في الفكر والسلوك فيستحيل الى حروف وطقوس !!

خذ مثلاً هذه المناقشة : هل يجوز أن تنظر سيدة في المرأة يوم السبت ؟ والجواب هو النهي الجازم والتحريم القاطع « لئلا ترى شعرة بيضاء فتجرب بنزعها فيقع الفعل في يوم السبت » • !!

وإذا باضت دجاجة يوم السبت فماذا نفعل بالبيضة ؟ تسامح فريق فأجازوا أكلها ، وتشدد آخرون فقرروا التحريم !

هذه صورة من أبحاث (التلمود) ••• وكلما تعظم التدقيق تعظم التحايل ، فإذا كان التقليد يفرض ألا يسافر الانسان أكثر من مسافة معينة هي (حد السبت) ، فان اليهودي لم تعوزه الحيلة ليختار (سبته) حيث يشاء فيقول : سبتى يبدأ من هذا الجبل أو هذه الربوة أو الشجرة !

يقول اليهودي المتنصر اميل شرر :

« لم يترك أقل شيء للارادة الحرة ••• كل شيء وضع تحت قيود الحرف • لقد أصبح الاسرائيلي الغيور على حفظ الناموس يتساءل في كل خطوة يخطوها ماهو المكتوب : في عمله ، في صلاته ، على مائدته ، في البيت ، في الخارج !! من الفجر الى المساء ، في الشباب وفي الشيخوخة أصبحت تلاحقه حرفة الناموس !! لقد باتت الحياة عذابة لا يطاق لليهودي المتزمت الذي يخشى في كل لحظة أن يتردى في خطر التعدي على الناموس » !

أضاف الفريسيون التقليد والمأثور الى الناموس ••• وهذه قد تعرضت لآلاف المسائل من وقائع الحياة ••• وفي أوقات السبى وخراب الهيكل كانت الروابط الشعائرية التقليدية تتفكك ببطلان المراسيم والذبائح والطقوس وكانت القلوب تهفو الى النبوات والمواعيد ، ولكن ماكاد القوم يعودون من السبى ويأخذ الهيكل مقامه حتى بدأت الطقوس والتقاليد تحتل مكانها من جديد • « وعند عهد (عزرا) و (نحميا) اتخذ (الناموس) مكان الأنبياء الذين تنبأوا قبل السبى ، حتى أصبح احياء النبوات وعهد النبوة أمراً مستحيلاً » !

على أن كتب الأنبياء ظلت تقرأ في المجمع ، وانتشرت كتابات الرؤى الرمزية - كما سلفت الإشارة ••• ولكن كان الاثر الاكبر ل (يوحنا المعمدان) !!

وفى بداية تاريخ اليهود كان (الكتبة) ينسخون الناموس ويدرسونه ، ومكانهم بحكم طبيعة عملهم بعيد عن أعين الناس ، لكنهم مالبثوا أن تحولوا بمرور الزمن الى (طائفة) ٠٠٠ الى هيئة ثابتة تتوارث المهنة ! وأصبح لهم مقامهم الكبير ، فهم أساتذة الديانة الرسميون ، والأنجيل تسميهم (بالكتبة) حيناً و (الناموسيين) حيناً آخر . وكان المعلم فى عهد المسيح يدعى الحبر Rabi والكاتب ينادى بـ (ربونى) أى يامعلمى ، وان لم يصبح هذا لقباً رسمياً لهم الا بعد المسيح بسنين . وهكذا كان الكتبة هم الهيئة الرسمية التى تعلم الدين وتشرح التقاليد وتجلس فى كرسى القضاء فى المجامع الاقليمية الدينية . وكان اليهودى يرجع الى هؤلاء فى عظيم الامور ويسيرها . ونزع أتباع (هليل) الى الترخص ومن ذلك أنهم سمحوا بطلاق الزوجة لأدنى سبب حتى ولو كان تقديم طبق سىء الطهو للزوج ! ونزعت مدرسة (شماي) منزع التشدد فقصرت الطلاق مثلاً على علة الخيانة الزوجية . وتعددت المناقشات وتفنن القوم فيها ، ودار الجدل الطويل على تفسير الكلمات والحروف !

وكان (للربيين) الكبار (مدارس) يستقبلون فيها تلاميذهم ، يجلس المعلم أو (الربى) على مقعد مرتفع ويتحلق حوله تلاميذه وكانت حلقات التدريس تعقد أحياناً فى أروقة الهيكل الخارجية وذلك أيام الاعياد ، كما كان الربيون يتنقلون فى القرى حيث يلقون أكرم ضيافة . وقد يقدم أحد (العلمانيين) عظة أو نصيحة ، لكن (الكاهن) وحده هو الذى يفسر الناموس والتقاليد ! وكان هناك (ربيون) يعيشون فى اليهودية وفى الجليل وفى المدن والقرى يعلمون ويفتون ويقضون ، وكان الفريسيون يضمنون ربيين وعلمايين . واذا كانت العقيدة الفريسية هى العقيدة الرسمية ، فان الفريسيين أنفسهم لم يكونوا (هيئة رسمية) معينة من قبل السلطات الدينية ، بل كانوا منفصلين عنها . وقدر (يوسيفوس) عددهم بستة آلاف . وكان الروجة والأولاد يتبعون الرجل فى ولائه الطائفى .

واذا كنا نصادف فى عهد المسيح كثيرين من الفريسيين فى شتى أنحاء فلسطين وبخاصة فى الجليل فانه يندر أن نلتقى بواحد من (الصدوقيين) خارج اورشليم وضواحيها . وهؤلاء يخالفون الفريسيون حتى فى نظامهم وشروط قبول الأعضاء ، فالعضوية عندهم مقصورة على رؤساء الكهنة وأسرهم ، وكانت مكانة الصدوقيين تقوم على ثرائهم ومكانتهم ، وكانوا أكثر (عالمية) من الفريسيين ! لقد مالوا الى تطعيم الفكر اليهودى بالثقافة اليونانية ، وكانوا يرون أن حسبهم الاستمسك

(بناموس الله) وحده ، اذ أن كل (تقليد) هو من صنع البشر ! وهم لا يؤمنون (بقيامة الاموات) أو الحياة الآخرة ! ولعلمهم لم يتجاوزا بضع مئات . وقد حرصوا على تنظيم (الهيكل) فعن طريق الهيكل وأمواله امتلأت جيوبهم . واذا كان بعض (الكتبة) من (الفريسيين) وقد وصل في عهد المسيح الى عضوية مجلس (السنةدريم) الاعلى ، فان أعضاء المجلس بعد المسيح كان جميعهم من (الصدوقيين) !

وكان (السنةدريم) يتمتع بكل السلطات الدينية والمدنية ، التشريعية والقضائية . وكان (الناموس) المرجع فى تحديد كل المراكز القانونية ، فالسرقة لا تعتبر جريمة فى حق المجتمع فحسب بل فى حق الناموس أيضا ، وكان السنةدريم يملك أن يصدر الاحكام وينفذها عدا حكم الموت الذى كان يلزم له تصديق الحاكم الرومانى لأجل التنفيذ . ويضم المجلس ٧١ عضوا يعينون بمراسم احتفال كبرى . واذا ماعرض للمجامع الاقليمية حالات هامة فانها كانت ترفع للسنةدريم ليصدر فيها حكمه النهائى ، ومنه كانت تصدر التوجيهات والتعليمات للمجامع الصغرى . كما كان أعضاء المجامع الاقليمية يعينون بقرار من السنةدريم . وهناك روايات كثيرة عن عدالة هذا المجلس التى امتهنت فقط حين كان المتهم هو المسيح ! وكان اليهود يتجهون من جميع الأنحاء الى الهيكل فى الأعياد الثلاثة الكبرى : (عيد الفصح) و (عيد الخمسين) و (عيد المظال) . وشعائر الهيكل تعتمد على الذبائح ، وفى الساحة الخارجية للهيكل كان تجار المواشى والأغنام يبيعون للقادمين الذين يحملوا معهم ذبائحهم وكان الصيارفة يبدلون النقود . وشارك الكهنة الصدوقيون التجار فى تجارتهم ، وكانت الذبائح تقدم فى الصباح وفى المساء على أنغام الصنوج والبوق وترانيم المزامير وعطر البخور . وأقيمت مجامع اقليمية تقتصر الشعائر فيها على قراءة الفصول من الناموس أو الأنبياء وبعض الصلوات وبعض المواعظ القصيرة تعليقا على الفصول المقروءة (١) .

هكذا كان اليهود فى (داخل عالمهم) . . .

وقد أبدع العقاد فى ابراز ملامح الصورة . . . فى اجمال وجمال :
« كان العالم اليهودى فى العصر الذى ولد فيه السيد المسيح يشتمل على طوائف مختلفة ، لكل منها مذهبه فى انتظار المسيح المخلص الموعود .

(١) دكتور عزت زكى : فلسطين كما عرفها المسيح ص ٦٤ / ١٣٤ ، يواكيم ارميا : اقوال المسيح غير المدونة فى بشائر الانجيل ص ٨٧ : ٩١ ، بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ٨٢ : ٤ ، ٣١٠ .

فالصدوقيون هم فى دعواهم أتباع (صدوق) وأسرته، الذين تتواتر الروايات بأنهم كانوا يتولون الكهانة فى عهد داود وسليمان • وكانت طائفتهم مهتمة بمراكز أصحابها ، لانهم على الجملة أنصار المحافظة والاستقرار وأصحاب الوجاهة والثراء ، وقد كانوا متشددين فى انكار البدع والتفسيرات متشبثين بالقديم يؤيدون سلطان الهيكل والكهان ويقبلون أقدم الكتب التى احتوتها التوراة ويرفضون ما عداها ولا سيما المآثورات المنقولة بالسماع • وتدعوهم المحافظة على النظام القائم الى مسلك يناقض عقيدتهم فيما هو ظاهر من لوازمها ، فقد كانوا أقرب اليهود الى الأخذ بالحضارة اليونانية وعادات المعيشة فى البيئات الرومانية ، لكنهم يحافظون على نظام المجتمع لانهم أصحاب اليد الطولى عليه ويميل لهم انهم يؤمنون بأن الكتب اليهودية الاولى لا تذكر البعث ولا اليوم الآخر ، وخلاصة الآداب الصدوقية انهم حرفيون فى مسائل الدين ، متوسعون فى مسائل المعيشة ، وانهم يعاشرون الاجانب ولا يعتزلونهم كسائر أبناء قومهم ، لان أعمالهم ومراكزهم متصلة بذوى السلطان •

وتقابل الصدوقيين طائفة الفريسيين - أقوى بكثرة العدد وشيوع المبادئ وحسن السمعة بين سواد الشعب وعلية القوم الذين لا يخالطون الاجانب ، وان لم يكن بين أفرادها كثيرون فى مرتبة الرؤساء والوجهاء • واسم الفريسيين مأخوذ من كلمة عبرانية تقارب كلمة (الفرز) العربية فى لفظها ومعناها ، فهم المفروزون أو المتميزون ••• لهذا كانت تلازمهم فى بعض الاحيان صفات الادعاء والتعالى، على انهم كانوا يقابلون بهذه الكبرياء كبرياء الوجاهة والثروة التى كانوا يستنكرونها على خصومهم الصدوقيين، وكانوا يثورون على السلطان (الرسمى) حيث كان : فى الهيكل أو فى المراجع الاجنبية ، فكانوا ينكرون على الكهان استبدادهم باتشعائر والمراسم ، وينكرون فى الوقت نفسه عادات الاجانب والمتشبهين بهم محاكاة للحكام والمتسلطين • الا ان الغالب عليهم انهم أقرب الى التصرف والقياس ، أو أقرب الى تحكيم العقل فى مسائل النصوص والتقاليد ••• يفضلون - على عكس الصدوقيين - الدية والمسامحة على القصاص، وكانوا أقرب الى الروحانية والآداب النظرية أو آداب التأمل والتفكير ، فسبقوا مراحل الى انتظار المسيح المخلص فى عالم الروح غير مقيد بشروط الصولة والصولجان • فهم (الديمقراطيون) اذا وصف الصدوقيون على الاجمال بانهم طبقة (الارستقراطيين) • وقد جاء عصر الميلاد وهم ينقسمون الى فريقين : فريق منهما يتبع الحكيم (هلل) الذى قدم الى فلسطين من بابل - وهو الفريق السمع الودود فى معاملة الاجانب ، والفريق الآخر

يتبع الحكيم (شمای) - وهو أقرب الى التخرج والتضييق ورد الراغبين
فى دخول الدين من غير اليهود .

والطائفة الثالثة التى تقل عن هاتين الطائفتين فى العدد كثيرا
وتساويها أو تزيد عليها فى القوة والاثر هى طائفة الآسين أو الآسيين ،
والراجع ان الاسم مأخوذ من كلمة (آسى) بمعنى الطبيب أو النطاسى من
الآرامية وهى تفيد هذا المعنى فى العربية التى تعد الآرامية أقرب اللغات
السامية اليها ، ومن المعقول أن يتسمى أصحاب هذا المذهب بالآسين لانهم
كانوا يتعاطون طب الروح ويدعون ابراء المرضى بالصلوات والأوراد كما
يدعون العلم بخصائص العقاقير . ومصدر قوتهم صراحة العقيدة وتنظيم
الخطة ، وقد تكون دلالتهم أعظم من قوتهم لانهم طائفة من صميم الامة
الاسرائيلية قد استقلت بشعائرها وعباداتها وآرائها وأسرارها وأوشكت
أن تستقل عن (الهيكل) كله لولا القرايين ، ولكنها مع هذا تنكر
ذبح الحيوان ولا تقرب القرايين من غير النبات . . . وقد نشأت الطائفة على
الأغلب بالاسكندرية فى القرن ٢ ق . م ، واقتبست من المدارس
الاسكندرية كثيرا من أنظمة العبادات السرية وبعض المذاهب الفلسفية . .
كان حراما عند أبناء هذه النحلة أن يملك أحدهم ثوبين أو زوجين من
النعال أو يدخر الامتعة والاقوات ، وكانت الرهبانية غالبية عليهم الا من
أذن له بالزواج فيعفى من قيود النسك والبنولة . . والمادة عندهم مصدر
الشرك كله والسرور بها سرور بالدنس ، وكان يغلب عليهم من أجل هذا
وجوم الصمت والندم ، وكل ما يباح لهم من السرور فهو سرور الروح
بالعبادة والرياضة والقنوت ، وكانوا يتآخون ويصطحبون اثنين اثنين فى
رحلاتهم . . وهم مؤمنون بالقيامة والبعث ورسالة المسيح المخلص ،
معتقدون أن الخلاص بعث روحانى يهدى الشعب الى حياة الاستقامة
والصلاح ، ورائدهم فى طلب الرضا من الله هو النبی عاموس الذى كان
يعلم الشعب أن التقرب الى الله بالعدل والرحمة خير من التقرب اليه
بالذبائح والهدايا . . ولا يبعد أن يكون الغلاة أو الجليليون أتباع يهوذا
الجليل فرقة متطرفة من فرق الآسين .

والطائفة السامرية خليط من اليهود والأشوريين كانوا يقيمون فى
مملكة اسرائيل القديمة ، يقال انهم قبائل آشورية أرسلها ملوك بابل الى
فلسطين ليسكنوها فى أماكن القبائل اليهودية التى نفيت الى ما بين
النهرين وسميت من أجل ذلك بسبايا بابل ، ويقال انهم اختلطوا باليهود
الذين بقوا فى بلادهم ولم تحملهم الدولة البابلية الى بلادها مع القبائل

المسببة ، فوق من هذا الاختلاط فى السكن والنسب اختلاط فى العادات والعبادات ، وعاد اليهود الذين رجعوا من السبى بعد سقوط بابل فأنكروا من السامريين شعائرتهم المخالفة لتقاليدهم واتهموهم بعبادة الاوثان ، ورفضوا مشاركتهم فى بناء الهيكل الجديد . فعمد السامريون الى بناء هيكل خاص لهم فى جرزيم ، وجعلوا يتعمدون أن يدنسوا هيكل بيت المقدس ويحصروا القبلة فى هيكلهم - وقد بقى منافسا لهيكل بيت المقدس زهاء ٢٠٠ سنة حتى هدمه رئيس كهان بيت المقدس (حنا هير كانوس) قبل الميلاد بأكثر من ١٠٠ سنة ، ولكنهم أعادوا بناءه وظل قائما حتى هدمه الرومان بعد ثورة السامريين فى القرن ٥ للميلاد . . . ولا تزال بقايا السامريين تحتفظ بتقاليدها وتعتمد على نسخة التوراة المكتوبة بلغتها . ومن المحقق ان هؤلاء السامريين كان لهم شأن فى تطور الفكرة المسيحية أو فكرة الخلاص المنتظر ، ويرجع شأنهم هذا الى النزاع القديم بين مملكة يهوذا فى الجنوب ، ومملكة اسرائيل التى ورثها السامريون وهم ينسبون الى يعقوب ويدعون انهم دون غيرهم الجديرون باسم (الاسرائيليين) ، فاذا اعتقد أصحاب مملكة يهوذا فى الجنوب ان عاصمتهم - بيت المقدس - هى مقر الملك المنتظر من سلالة داود ، فان السامريين أبناء الشمال يفتحون السبيل الى الايمان بالخلاص الروحانى والهداية الشعبية ، ويزعزعون الثقة بأخبار الهيكل الجنوبى وفيمن عسى أن يبايعوه بالملك اذ حان الموعد المقدور .

ولم تخل البلاد جميعا - مع هذا - من ناس هنا وهناك يثبثوا من جميع الطوائف والنحل واعتزلوا الدنيا وعاشوا فى الصوامع بمعزل عن العمران ، وارتفع شأنهم فى أعين الشعب لسوء ظنه بالدعاة المغامسين للدنيا فى بيئات الساسة والكهان ، ومن هؤلاء (بانوس) الذى تتلمذ عليه يوسفوس المؤرخ الكبير ٣ سنوات .

أما موقف الهيكل من هذه الطوائف والفرق فهو الموقف الرسمى المعهود ، أو موقف المسئولين الذين يحاولون أن يتجنبوا التحيز لهذا أو لذلك ، ويجتهدون غاية اجتهادهم أن يكسبوا ثقة الشعب ولا يفضبوا سلطان الدولة ، وقلما يتييس النجاح فى هذه المهمة ، ولا سيما فى أوقات القلق والتطلع والتبرم بكل موجود . وولد السيد المسيح ووظائف الهيكل على أشهر الروايات مصفاة فى المجمع المقدس الذى يطلق عليه اسم (السنهدرين) ، وعدة أعضائه ٧١ : منهم ٢٣ يتألف منهم المجلس المخصوص وتغلب عليه الصفة الرسمية التقليدية ، ويتصل أعضاؤه برجال

الدولة فى الشئون العامة وما يرجع منها الى تنفيذ الاحكام والمحافظة على الشريعة المحلية أو الشريعة الموسوية .

ونشير الى طائفة النذيرين أو المنذورين لحياة القداسة وخدمة الله والتبشير باليوم الموعود : يوم الخلاص من الظلم والجور والتطهر من الذنوب ، ولم يكن هؤلاء طائفة تجمعهم الوحدة ، لكنهم كانوا آحادا متفرقين ينذر كل منهم نفسه أو ينذره أهله على حدة . وقد تكاثر النذيرون قبيل مولد السيد المسيح لأنه وافق نهاية الالف الرابعة منذ بدء الخليقة على حساب التقويم العبرى ، وهم كانوا ينتظرونه على رأس كل ألف سنة . ومن المؤرخين من يحسب السيد المسيح من النذيرين ، ويلتبس عليه الامر بين النذيرى والناصرى وهما فى اللفظ العبرى متقاربان، (١) .

ونستطيع أن نتبين خصائص الجو الفكرى الذى عاشت فيه اليهودية اذا ما قارناها بالفكر السائد . فالى أى مدى تأثرت بغيرها ؟ وإلى أى مدى تأثرت المسيحية بها ؟؟

اذا ما رجعنا مثلا الى قوانين حمورابى فى الالف الثانية قبل الميلاد نجدها تحتوى على ٢٧٧ بندا فى ٣٦٠٠ سطر ويتناول القسم الاول منها الممتلكات الخاصة والمهنة والتجارة ، بينما يحيط القسم الثانى بالاسرة وروابط الافراد وعلاقات العمل والعمال . ويرى الدكتور جون الد أن المشابهة بين قانون حمورابى وناموس موسى ظاهرة لدى مقارنة بعض البنود ، مثل : تحرير العبيد بعد الخدمة (خروج ٢١ : ٢ / حمو ١٧) وعقوبة ضرب الابن لأبيه (خروج ٢١ : ١٥ / حمو ١٩) وسرقة الاشخاص (خروج ٢١ : ١٦ حمو / ١٤) وقصاص الجروح (خروج ٢١ : ٢٤/حمو ١٩٦ ، ٧) والتعويض عن قلع العين (خروج ٢١:٢٦/حمو ٩٩) وما يترتب على نطح الثور رجلا وقتله (خروج ٢١ : ٢٨/٩/حمو ٢٥٠ - ١) والتعويض عن سرقة ثور اوشاه (خروج ٢٢ : ٢٤/حمو ٨) وقتل السارق الذى يثقب (خروج ٢٢ : ٢ / حمو ٢١) . على اننا حين ننظر بنظرة القوانين السائدة اليوم نجد بنودا فى قانون حمورابى قاسية للغاية . فهناك مثلا ٣٢ جريمة حددت لها عقوبات عنيفة ، ومن ذلك عقوبة (الاحراق) لكآهنه

(١) العقاد عبقرية المسيح ١٥ : ٣٧ ملخصا ، حتى تاريخ سوريا - ترجمة حداد ورافق.

المعبد ان فتحت محلا لبيع النبيذ ، ولمن يضبط متلبسا وهو يشعل النار
فى ممتلكات غيره وللزوجة التى تتسبب فى موت زوجها • وهناك عقوبة
(الاغراق) لمن يغش فى الخمر أو يرتكب الزنا وللزوجة التى تهجر بيتها
أثناء غياب زوجها • و (تشويه الجسد) أيضا كان عقوبة مشروعة فى جرائم
أخرى فالعبد الذى يؤذى ابن سيده تقطع أذنه والجراح الذى يخطئ فى
عملية جراحية ويتسبب بذلك فى موت المريض تقطع يده والنمام يقطع
لسانه • وهناك فروق كثيرة بين (قانون حمورابى) و (ناموس موسى)
فقانون حمورابى قانون مدنى ولا يمس الأمور الدينية الا من بعيد فى حين
كان ناموس موسى شريعة دينية تقوم على تعاليم الهية • (١)

وتذكر كاترين هنرى أن شرائع العبرانيين كانت تماثل شرائع
البلدان المحيطة بهم ، غير ان شرائع (بابل) - متمثلة فى جميع وتقنين
حمورابى • قد عالجت الحياة التجارية خلافا للشرائع العبرانية وقد عرف
العبرانيون هذه الشرائع وخضعوا لها يوما •

كذلك نجد بعد ذلك شريعة (الآشوريين) وشريعة (الحيثيين) ،
ونلمس أن المزاج القانونى فى ذلك التاريخ كان متقاربا فى بلدان الشرق
الأدنى • وقد تضمنت أسفار (العهد القديم) أحكاما وشرائع وفتاوى
ترجع لتواريخ مختلفة وقد تعرضت للتعديل والاضافة والحذف وفقا
لحاجات الناس وتغيرت العقوبات : فبينما كانت عقوبة الموت فى الاحكام
المبكرة مفروضة فى حالات كثيرة اكتفت الاحكام المتأخرة فيها بالغرامة أو
التعويض • وفى أول الامر لم يفرق فى العقوبة بين جريمة القتل أو
السرقه فى حين جاءت التفرقة فى العقوبة على جريمة واحدة بالنظر الى
اختلاف شخص المجنى عليه وذلك فى ايداء الحر وايداء العبد • ونظرا
لأن حياة العبرانيين قد قلت فيها المعاملات التجارية فقد اقتصرت الاحكام
على تلبية احتياجات المستغلين بالزراعة وتربية الماشية كما تناولت مطالب
الاسرة والقبيلة • (ولسفر الشريعة) أهمية فى التشريع اليهودى وقد
عثر عليه رئيس الكهنة (حلقيا) أثناء ترميم أبنية الهيكل فى اورشليم
بمقتضى الامر الصادر من (برخيا) ملك يهوذا حوالى سنة ٦٤٠ ق.م
(سفر الملوك الثانى ص ٢٢) وحين قرىء السفر على مسامع الملك كان له
أثره البالغ عليه فأمر بتلاوته وقطع الملك وشعبه (العهد) على حفظه وقد
استهدف السفر تدعيم عقيدة التوحيد والتطهر من الاصنام والسحر

(١) دكتور جون الدر : الاحجار تتكلم ترجمة د. عزت زكى ص ٦٠ : ٦٢ •

وتركيز العبادة العامة في اورشليم وكانت العبادة المحلية قد اختلطت برواسب وثنية .

و (لسفر التثنية) كذلك أهميته في التشريع اليهودي ويقال ان سفر الشريعة جزء منه وهو يستهدف تحقيق بعض المثل العليا التي تسمو على ما أوردته الاسفار الخمسة الاولى (ابتداء من التكوين حتى التثنية) - خلافا للاسفار التاريخية (يشوع والقضاة وصموئيل والملوك وأخبار الايام) وقد تعرض للتنقيح والاضافة . وفي (سفر اللاويين) نجد ضمن الكتابات الكهنوتية مجموعة من الشرائع تدعى (شريعة القداسة) تحت أبناء شعب الله القدوس أن يكونوا قديسين (ص ١٧ : ٢٦) والاحكام في هذه المجموعة تتفاوت في القدم ويظن انها كتبت خلال سبى اليهود حوالى سنة ٥٧٠ ق.م . ولم تكن نظرة كتاب (المجموعة الكهنوتية) قاصرة على ظاهر الاحكام بل حاولت النفاذ الى ماوراءها من مبادئ وحكم (فالقول) هو ارادة الله للناس و (الباعث للبر) ليس الصالح الذاتى أو النجاة من العقاب بل محبة القداسة والبر . وتعتبر كتابات الكهنة مصدرا لأحدث المجموعات القانونية في العهد القديم التى تعنى بالطقوس والذبائح وشعائر العبادة عموما (اذ أعقبت المصادر التى استعمل فيها لفظ يهوه Jeovah وتلك التى استعمل فيها لفظ الوهيم Ehohim للدلالة على الله أو الرب) وتمثل هذه الكتابات الكاهن اليهودى وقد زالت عنه صفة القضاء وأصبح فى مرتبة مقدسة . ونحن نجد هذه المجموعة التشريعية الكهنوتية فى أسفار مختلفة (مثلا أحكام عيد الفصح فى سفر الخروج ص ١٢ : ٤٥ - ٩ ، أحكام الذبائح فى سفر اللاويين) «وقد ادخل الكهنة روحا جديدة فى التشريع اذ اقترنت العقيدة والعبادة بحوادث التاريخ ووقائع حياة الشعب رجالا ونساء ليثبتوا ان الله يعنى بالناس ويتداخل فى حياتهم . وفكرة أن الله سيد التاريخ البشرى ويده عاملة فى تطور الانسانية قد ورثتها الكنيسة المسيحية عن اليهودية » (١)

وثمة جماعة أخرى لها آراؤها وتقاليدها ، أشار اليها العقاد فى اجماله الجميل - وكشفت مخطوطات البحر الميت عن مكانها ومكانتها . ونحن نعرف (الأسينيين) من خلال كتابات يوسيفوس الذى يثنى عليهم كثيرا . كان كل شئ بينهم مشسركا ، وكانوا يمتنعون عن الزواج ويخدمون أنفسهم ويتميزون بالكرم وحسن الخلق ويعيشون معيشتهم الجماعية الزاهدة فى محلات (مراكز تجمع) وأديرة ويذكر يوسيفوس

(١) كاترين هنرى : لمحات من التاريخ فى الكتاب تلخيص وترجمة حبيب سعيد ص ٥٠ : ٩

الكثير عن تعبدتهم وتشددهم كما يذكر الفروض والممنوعات في جماعاتهم .
و (القسم على حفظ السر) الذي يرتبطون به وقد ازدهرت هذه الطائفة من
بداية العهد المكابى (١٧٥/١٣٢ق م) حتى سقوط اورشليم سنة ٧٠ م .
واذا ما كانت هناك مشابهاة عدة بين معتقدات الاسينيين والمسيحيين فان
هناك أوجه خلاف . فالجميع يجتمعون على الاعتقاد فى (العهد الجديد) أو
الموعد ، وعلى ان أعظم الوصايا هى محبة الله ومحبة القريب كما يجمعون
على الاعتقاد بان هناك مجموعة من ١٢ شخصا سيدينون المسكونة فى
اليوم الآخر ، وان كل واحد من الطائفة هو ابن للنور . كذلك كان
للجميع عشاء مقدس يرددون فيه الصلوات ومعمودية يلتزمون بها كما
كانوا جميعا يعتقدون ان أيامهم هى الايام الاخيرة التى تشهد اضطراع
الخير مع الشر ولهذا يجب اتباع الحق والبر اذ قد اقترب ملكوت
السموات . وهناك تشابه كبير فى الاسلوب بين (انجيل يوحنا) وبين
(حروب أبناء النور مع أبناء الظلمة) للأسينيين .

لكن نجد خلاف الفريقين فى (ناموسى موسى) (١) فالاسينيون كانوا
يلتزمون به عقيدة وسلوكا بينما اعتقد المسيحيون أن (عهد الناموس قد
كمل فى عهد النعمة) وان الخلاص لم يعد بعد باتباع وصايا موسى وانما
بالايمان بالمسيح . كذلك امتنع المسيحيون عن أى قسم . وكانوا يرون
أن ايليا الذى يأتى ليمهد الطريق بين يدي (المسيا) قد تحقق فى شخص
المعمدان ، بينما كان الاسينيون ينتظرون ايليا ، كما كانوا ينتظرون ظهور
مسيحين : مسيح هارون ومسيح اسرائيل . وهكذا يمكن القول ان
(الاسينية) كانت امتدادا أو تطهيرا أو احياء لليهودية فى أصولها
ومصادرها لا ديانة جديدة .

ونحن نجد الاسينيين يدققون فى أدق الفروض الخاصة بحفظ
السبت بينما اعتقد المسيحيون ان الايمان بالمسيح قد حرر من عبودية
التقاليد الجافة ، ونجد الاسينيين يحرصون على الاغتسال قبل تناول
الطعام بينما سار تلاميذ المسيح على ان الطهارة فى القلب ، ونجد
الاسينيين يمارسون الزهد ويمتنعون عن الزواج بينما نادى المسيحيون
بقدسية الزواج كوصية الهية . ومعمودية الاسينيين فريضة طهارة
يمارسونها مرتين فى كل يوم ولكن معمودية المسيحيين فريضة تثبيت
وقبول واعلان واعتراف بالايمان بالمسيح . والعشاء الدينى عند تلاميذ
المسيح تذكار لآلام المسيح وموته وهذا غير متصور بالطبع بالنسبة

(١) سيتناول فصل قادم عنوانه « بل جئت لأكمل » موقف المسيحية من الناموس .

للأسيينيين • كما كان الاسيينيون ينادون بكراهية الاعداء ومحاربتهم فى حين ان المسيح دعا الى مباركتهم والصلاة من أجلهم • هذا وقد كانت طائفة الاسيينيين سرية مغلقة لا يقبل ضمنها الا من يلتزم بفروض صارمة فى حين كانت كنيسة المسيح مفتوحة للجميع • وكان الاسيينيون ينبذون النساء ويحتقرونهن فى حين نلن فى المسيحية التكريم والرعاية •

أما (معلم البر) الذى أشار اليه الاسيينيون فى كتاباتهم فليس هو المسيح بالطبع ، لقد نادى هذا بمذهب ناموسى دقيق صارم ، وهو وان كان قد احتمل العنت الا انه لم يواجه الصلب والقبر والقيامة ولم يناد أحد بعودته ثانية فى نهاية الدهر • ولربما كان الاسيينيون يشيرون بتعبير (معلم البر) الى المعلمين والانبياء فى كل عصر وجيل (١) •

فى هذا الجو الاجتماعى والنفسى والفكرى قدر لرسالة المسيح أن تتنفس ••• فى ذلك اليوم جاء اليه صدوقيون يقولون ليس قيامة فسألوه ، أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معا وسأله واحد منهم وهو ناموسى ليجربه ••• « ف جاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون ، فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله ••• (٢) » فأمر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه ••• ولما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون والآخر فريسيون صرخ فى المجمع : أيها الرجال الاخوة أنا فريسي بن فريسي ، على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم • ولما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة ، لأن الصدوقيين يقولون أنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح ، وأما الفريسيون فيقولون بكل ذلك (٣) •

وقد تأمرت الطوائف اليهودية جميعها ضد المسيح وتعاليمه ••• « ان الفريسيين لا يترددون فى مخالفة الهيرودوسيين ألد أعدائهم ، على الرغم مما بين الحزبين من تشاحن وبغضاء وعداء قديم مستفحل ، مرده ما يتمتع به الهيرودوسيون من نفوذ وثروات طائلة نتيجة مما لآتهم لقوات الاحتلال الرومانية وولائهم لهيرودوس • أما كيف لبي الهيرودوسيون دعوة الفريسيين فلأنهم أوجسوا خيفة أن يكون هذا المعلم سببا فى انقلاب

(١) دكتور جون الدر : الأحجار تتكلم - ترجمة دكتور عزت زكى ص ١٣٩ •

(٢) مت ٢٢ : ٢٣ ، ٢٤ - ٥ ، مر ١٢ : ١٨ ، ٢٨ •

(٣) أعمال ٢٣ : ٢ - ٩ •

اجتماعي وأحداث تطيح بالاستعمار وحليف الاستعمار هيروودوس الملك . .
ولا غرو أن يجرب حزب الصدوقيين أيضا حظه بعد فشل باقي الأحزاب ،
وهو الحزب القائل بعدم قيامة الاموات وأن لا حياة الا الحياة الحاضرة .
ومن ثم كان ينكر الصدوقيون الديونة وخلود النفس ووجود الملائكة ،
ويرفضون باصرار لا تعاليم التقليد فحسب بل تعاليم الكتاب المقدس
أيضا ، باستثناء ما جاء في أسفار موسى الخمسة وهي الاسفار المعروفة
بالشريعة أو التوراة . هذا من جهة العقيدة ، أما من جهة الآداب فكانوا على
مذهب أبيقور - وهو المذهب الذي يبيح التمتع بالطيبات مهما كان نوعها
الى أقصى الحدود ، بشرط ألا ينجم عن ذلك مضرة للجسد أو خطر على
الحياة نفسها . وكان حزب الصدوقيين حزب الأقلية ، الا انهم كانوا
أصحاب سلطة ونفوذ بسبب ممالأتهم للرومان ، فمنهم كان الاعيان
ورؤساء الكهنة أعضاء السندريم . . . وكان اليهود يستخدمون العصائب
والأهداب للدلالة على تمسكهم بحبل الله وأهداب الشريعة ، أما العصائب
فهي قطع من الرق كانوا يكتبون عليها الاربعة الاجزاء التالية من الشريعة:
خروج ١٣ : ١ - ١٠ ، خروج ١٣ : ١١ - ١٦ ، تثنية الاشتراع ٦ : ٤ - ٩
تثنية الاشتراع ١١ : ١٣ - ٢١ ، وذلك استنادا الى ما ورد في هذه الآيات
نفسها ، وفي تثنية الاشتراع ٦ : ٨) واعقدها علامة على يدك ولتكن
عصائب بين عينيك (علما بأن المقصود من ذلك هو المعنى المجازي لا
الوضعي ، اذ المراد هو العمل بالوصايا وإطالة النظر فيها بتأملها الى لا
حملها ماديا . على أن قطع الرق المذكورة كانت تطوى وتحفظ داخل علب
خاصة وتربط العلب بسيور على الجبهة والذراع اليسرى ، وذلك في أيام
وساعات معينة - ولاسيما وقت الصلاة أما الأهداب فهي عبارة عن أربع
شرابات من الخيوط ، تعلق في ذيل الثوب في أربع زواياه ، كانت تأمر
بها الشريعة ، تذكرة بجميع وصايا الرب ، وقد ورد ذكر ذلك في سفر
العدد ١٥ : ٣٧ - ٤١ . وكان الكتبة والفريسيون ، كما هو واضح من
قول الرب يعرضون عصائبهم ويعظمون أهدابهم ويطولونها ، حبا في
الفخفة والمجد الباطل ، وبذا تشاغلوا عن جوهر الدين بأسباب الفخر
والكرامة . ولذا لا غرو اذا أحبوا الكرامة وأن يدعوهم الناس : رابي ،
أي يا معلم » (١) .

وبين هؤلاء جميعا أشرق الهدى : « نور اعلان للأمم ، ومجدا لشعبك
يا اسرائيل » .

(١) لويس برسوم : حياة يسوع المسيح ج ٢ ص ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٧ - ٨

دولة

يرى قارىء الأناجيل فى ديار المسيح ملكيات صغيرة فى ظلال الحكم الرومانى المسيطر ٠٠ « فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجمع اورشليم معه (١) » ، « وفى تلك الأيام صدر أمر من أغسطس قيصر بأن يكتب كل المسكونة ، وهذا الا ككتاب الأول جرى اذ كان كيرينيوس والى سوريا فذهب الجميع لىكتب كل واحد الى مدينته ، فصعد يوسف أيضا من الجليل مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داود وعشيرته - لىكتب مع مريم امرأته المخطوبة ٠٠ (٢) » « وفى السنة الخامسة من سلطنة طيباريوس قيصر اذ كان بيلاطس البنطى واليا على اليهودية ، وهيرودس رئيس ربع على الجليل ، وفيلبس أخوه رئيس ربع على ايطوريه وكورة تراخونيتس ، وليسانىوس رئيس ربع على الأبلية - فى أيام رئيس الكهنة حنان وقيفا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية » (٣) .

وهكذا نجد أمامنا تنظيمات رومانية فى الادارة الاقليمية ، وقد أشار بولس بوضوح الى ترتيب المدن والأقاليم فى التنظيم الادارى للدولة الرومانية حين سئل من الأمير عند اضطراب اورشليم عليه : « أفلمست أنت المصرى الذى صنع قبل هذه الأيام فتنة ٠٠٠ الخ » فأجاب « أنا رجل يهودى طرسوسى من أهل مدينة غيردنية من كيليكية » (٤) . كذلك نجد أيضا اصطلاحات عسكرية رومانية « ولما دخل يسوع كفر ناحوم جاء اليه قائد مائة يطلب اليه ويقول : يا سيدى غلامى مطروح فى البيت ٠٠٠٠ الخ (٥) » . وقائد المائة Centurio من رتب الجيش الرومانى . ونجد للعشار - جابى العشور أو الضرائب - ذلك الوضع البغيض « وبعد هذا

-
- (١) مت ٢ : ٣ .
 (٢) لو ٢ : ١ - ٥ .
 (٣) لو ٣ : ١ - ٢ .
 (٤) اعمال ٢١ : ٣٩ .
 (٥) مت ٨ : ٥ - ٦ .

خرج فنظر عشارا اسمه لاوى ضيافة كبيرة فى بيته والذين كانوا متكئين معهم كانوا جميعا كثيرا من عشارين وآخرين . فتذمر كتبتهم والفريسيون على تلاميذه قائلين : لماذا تأكلون وتشربون مع عشارين وخطاة (١) ، .

ويبدو أن الا ككتاب الذى أمر به القيصر أغسطس كما ذكر فى انجيل لوقا هو الاحصاء الذى أشار اليه المؤرخ يوسيفوس وأرخه بما يقابل السنتين السادسة والسابعة للميلاد ، ويذكر الأستاذ العقاد أنه لا يمكن أن يكون قبل ذلك لأن تاريخ ولاية كيرينوس المشار اليه فى النص - معروف وهو السنة السادسة ، وعند ذلك « حسب الشعب الاسرائيلي أن الاحصاء مقدمة لفرض السيادة القيصرية عليهم فردا فردا وتقييدهم عبيدا للقيصر ومطالبتهم بعبادته وافتتاح الصلوات باسمه أما المشكلة الأخرى التى أثارها تقرير الاحصاء فهى مشكلة الضريبة وعسف الجباة فى تحصيلها ، فقد كان اليهودى يؤدى ضربيتين احدهما للهيكل والأخرى للدولة ، فلما صدر الأمر بالاحصاء العام توهم الدهماء أن الدولة لا تكتفى بما تحصله جملة وتنوى أن تزيد عليه ضرائب تستوفيها من الآحاد فردا فردا مع الشطط فى تحصيل ضرائب الالتزام ، فاستجابوا داعى الثورة من الغلاة وغضبوا لعقائدهم كما غضبوا لأرزاقهم ، حين أمروا بالعودة الى بلادهم ليسجلوا أسماءهم حيث ولدوا أو حيث يقيمون . ومن هنا كان من المتواتر أن السيد المسيح ولد فى أعقاب ثورة جائحة اشتعلت فى أقاليم فلسطين اليهودية على وجه الخصوص ، وأهدرت فيها دماء الألوف من الغلاة وأتباعهم لأنهم هبوا فى وجه الدولة الرومانية محتجين على صدور الأمر بالاحصاء العام ، (٢) .

وقد جهد خصوم المسيح أن يستثيروا شكوك الدولة الرومانية ضده . ثم أرسلوا اليه قوما من الفريسيين والهيروديسيين لكى يصطادوه بكلمة ، فلما جاءوا قالوا له يا معلم : نعلم أنك صادق ولا تبالي بأحد لأنك لا تنظر الى وجوه الناس ، بل بالحق تعلم طريق الله ، أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ نعطي أم لا نعطي ؟ فعلم رياءهم ، وقال لهم . لماذا تجربوننى ؟ ايتونى بدينار لأنظره فأتوا به ، فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ فقالوا له : لقيصر . فأجاب يسوع وقال لهم : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فتعجبوا منه ، (٣) .

(١) لو ٥ : ٢٧ - ٣٠ ، أيضا مت ٩ : ٩ - ١١ ، مر ٢ : ١٣ - ١٦ .

(٢) العقاد : عبقرية المسيح ص ٤٣ : ٥٠ .

(٣) مر ١٢ : ١٣ - ١٧ ، أيضا مت ٢٢ : ١٥ - ٢٢ ، لو ٢٠ : ٢٠ - ٢٦ .

ثم نرى أخيرا ان والى الرومان وجنوده يتولون اجراءات المحاكمة وتوقيع العقوبة : « فوقف يسوع أمام الوالى قائلا : أنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع : أنت تقول . وبينما كان رؤساء السكينة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشيء . فقال له بيلاطس : أما تسمع كم يشهدون عليك ؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة ، حتى تعجب الوالى جدا . وكان الوالى معتادا فى العيد أن يطلق للجمع أسيرا واحدا من أرادوه ، وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس . . . فأجاب الوالى وقال لهم : من من الاثنين تريدون أن أطلق لكم ؟؟ فقالوا : باراباس ، قال لهم بيلاطس : فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح ؟؟ قال له الجميع : ليصلب . . . فأخذ عسكر الوالى يسوع الى دار الولاية ، وجمعوا عليه كل الكتيبة ، فعروه وألبسوه رداء قرمزيا ، وضفروا اكليلا من شوك ووضعوه على رأسه ، وقصبة فى يمينه . . »

« وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية : هذا هو ملك اليهود » (١) .

ويظهر ان حادثة الصلب قد اعتبرت وقتها من المسائل المحلية الداخلية ، فلم يهتم بها أحد من حكام الرومان خارج اورشليم ، ولذلك صدر أمر بيلاطس فيها بدون استئذان روما ، وترك الرأى فيها لليهود . وقد كان الصلب من طرق العقاب الرومانية ، كما كان الجلد يسبقه عادة (٢) .

ونقرأ فى أعمال الرسل أسماء أمم وأقاليم متعددة تضمها الامبراطورية الرومانية « فنهض قسوم من المجمع الذى يقال له مجمع الليبرتنيين والقيروانيين والاسكندرنيين ، ومن الذين من كيليكيا وآسيا يحاورون استفانوس » (٦ : ٩) وفى رسالة بطرس الرسول الاولى « بطرس رسول يسوع المسيح الى المتغربين من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيتثية المختارين » (١ : ١) . وتحدث رؤيا يوحنا اللاهوتى عن الكنائس السبع « التى فى آسيا الى افسس والى سميرنا والى برغامس والى ثياتيرا والى ساردس والى فيلادلفيا والى لاودكيا » (١ : ١١) . ونرى فى العهد الجديد رسائل الى رومية وكورنثوس وغلاطية وافسس وفيليبى وكولوس وتسالونيكى .

(١) مت ٢٧ ، لو ٢٣ ، مر ١٥ ، يو ١٩

(٢) ديورانت : قصة الحضارة ترجمة بدران ج ٣ م ٣ (قيصر والمسيح) ص ٢٢٧

وقد كان متى عشارا (جانيا) للدولة الرومانية . وكان بولس الذي صار من بعد رسول المسيح - يمارس سلطته في اضطهاد المسيحيين قبل تحوله للمسيحية ، وهو يروى قصته بنفسه في موقف خطابي مثير ، اذ تألب عليه اليهود الذين من آسيا في الهيكل « فأهاجوا كل الجمع وألقوا عليه الأيادي ، صارخين : يا أيها الرجال الاسرائيليون أعينوا ، هذا هو الرجل الذي يعلم الجميع في كل مكان ضد الشعب والناموس وهذا الموضع ، حتى أدخل يونانيين أيضا الى الهيكل ودنس الموضع المقدس . . حينئذ اقترب الأمير وأمسكه وأمر أن يقيد . . فقال بولس : أنا رجل يهودي طرسوسي من أهل مدينة غير دنية من كيليكية ، وألتمس منك أن تأذن لي أن أكلم الشعب ، فلما أذن وقف بولس على الدرج وأشار بيده الى الشعب ، فصار سكوت عظيم ، فنادى باللغة العبرانية قائلا : أيها الرجال الاخوة والآباء اسمعوا احتجاجي الآن لديكم - فلما سمعوا أنه ينادى باللغة العبرانية أعطوا سكوتا أخرى ، فقال : أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ، ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدبا عند رجلي غملائيل على تحقيق الناموس الأبوي ، وكنت غيورا لله كما أنتم جميعكم اليوم ، واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدا ومسلما الى السجون رجلا ونساء - كما يشهد لي أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة الذين أخذت أيضا منهم رسائل للاخوة الى دمشق ، ذهبت لآتي بالذين هناك الى اورشليم مقيدين لكي يعاقبوا . فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب الى دمشق ، انه نحو نصف النهار بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم ، فسقطت على الأرض وسمعت صوتا قائلا لي : أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده - والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني . فقلت : ماذا أفعل يارب ؟ فقال لي الرب : قم واذهب الى دمشق ، وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل . واذ كنت لا أبصر - من أجل بهاء ذلك النور ، اقتادني بيدي الذين كانوا معي فجئت الى دمشق . . (١) »

وقد انتفع بولس من رعويته الرومانية الى آخر مدى خلال جولاته التبشيرية . حدث هذا عندما نزل مع رفيق له يدعى تيموثاوس الى كولونية من مقاطعة مقدونية للدعوة والتبشير « واذا أتوا بهما الى الولاة قالوا : هذان الرجلان يببلان مدينتنا ، وهما يهوديان ويناديان بعوائد

(١) أعمال ٢١ ، ٢٢ وقد كررت القصة في مواضع مختلفة من أعمال الرسل مثل ص ٩ ، ٢٦ .

لا يجوز لنا أن نقبلها ولا نعمل بها إذ نحن رومانيون . فقام الجمع معا عليهما ، ومزق الولاة ثيابهما وأمروا أن يضربا بالعصى . . . ولما صار النهار أرسل الولاة الجلادين قائلين : أطلق ذينك الرجلين فقال لهم بولس : **ضربونا جهرا غير مقضى علينا ، ونحن رجالان رومانيان ، وألقونا في السجن - أفلآن يطردوننا سرا !! كلا بل ليأتوا هم أنفسهم ويخرجونا .** فأخبر الجلادون الولاة بهذا الكلام ، فاختشوا لما سمعوا أنهما رومانيان ، فجاءوا **وتضرعوا اليهما وأخرجوهما وسألوهما أن يخرججا من المدينة (١)** .

وفى اورشليم ثار اليهود على بولس وعلى رفيقه اليوناني - وهناك خطب خطبته عن اعتناقه للمسيحية بعد أن كان سوط عذاب عليها - وقبض عليه « فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف : **أيجوز لكم أن تجلدوا انسانا رومانيا غير مقضى عليه ؟** فاز سمع قائد المائة ذهب الى الامير وأخبره قائلا : أنظر ماذا أنت مزعم أن تفعل ، لان هذا الرجل روماني . فجاء الامير وقال : قل لي ، انت روماني ؟ فقال : نعم . فأجاب الامير : أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية . فقال بولس : أما أنا فقد ولدت فيها . وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه ، واختشى الامير لما علم انه روماني ولانه قيده (٢) » !

كذلك تعرض بولس في قيصرية للمحاكمة أمام فستوس ، وأراد اليهود أن يستدرجوه الى اورشليم ليقتلوه في الطريق ، وطلبوا من الوالي أن يحقق لهم ذلك « ولكن فستوس اذ كان يريد أن يودع اليهود مئة أجا ببولس قائلا : أتشاء أن تصعد الى اورشليم لتحاكم هناك لدى من جهة هذه الامور . فقال بولس : **أنا واقف لدى كرسى ولاية قيصر حيث ينبغي أن أحاكم ، أنا لم أظلم اليهود بشيء كما تعلم أنت جيدا ، لاني ان كنت آثما أو صنعت شيئا يستحق الموت فلست أستعفى من الموت ، ولكن ان لم يكن شيء مما يشتكى على به هؤلاء فليس أحد يستطيع أن يسلمنى لهم .** الى قيصر أنا رافع دعواى . حينئذ تكلم فستوس مع أرباب المشورة فأجاب : الى قيصر رفعت دعواك ، الى قيصر تذهب . وبعدها مضت أيام أقبل أغريباس الملك وبرنيكى الى قيصريه ليسلما على فستوس ، ولما كانا يصرفان هناك أياما كثيرة عرض فستوس على الملك أمر بولس قائلا : فلما وقف المشتكون حوله لم يأتوا بعله واحدة ، لكن كان لهم عليه مسائل من

(١) أعمال ١٦ .

(٢) أعمال ٢٢ : ٢٥ - ٢٩ .

جهة ديانتهم ، وعن واحد اسمه يسوع قد مات وكان بولس يقول انه حى ،
واذ كنت مرتابا فى المسألة عن هذا قلت لعله يشاء أن يذهب الى اورشليم
ويحاكم هناك من جهة هذه الامور ، ولكن لما رفع بولس دعواه لكى يحفظ
لفحص أغسطس أمرت بحفظه الى أن أرسله لقيصر . فقال أغريباس
لفستوس : كنت أريد أنا أيضا أن أسمع الرجل ، قال : غدا تسمعه . .
فقال أغريباس لبولس : مأذون لك أن تتكلم لأجل نفسك ، حينئذ بسط
بولس يده وجعل يحتج . . وقال أغريباس لفستوس : كان يمكن أن
يطلق هذا الانسان لو لم يكن رفع دعواه الى قيصر . . فلما استقر الرأى
أن نساfer قى البحر الى ايطاليا ، سلموا بولس وأسرى آخرين الى قائد
مائة من كتيبة أغسطس . . ولما أتينا الى رومية سلم قائد المائة الاسرى
الى رئيس المعسكر ، وأما بولس فأذن له أن يقيم وحده مع العسكرى الذى
كان يحرسه . وبعد ثلاثة أيام استدعى بولس الذين كانوا وجوه اليهود ،
فلما اجتمعوا قال لهم : أيها الرجال الاخوة - مع أنى لم أفعل شيئا ضد
الشعب أو عوائد الأباء ، أسلمت مقيدا من اورشليم الى أيدي الرومانيين
الذين لما فحصوا كانوا يريدون أن يطلقونى لأنه لم تكن فى علة واحدة
للموت ، ولكن لما قاوم اليهود اضطرت أن أرفع دعواى الى قيصر ، ليس
كأن لى شيئا لأشتكى به على أمتى ، فلهذا السبب طلبتكم لأراكم وأكلمكم
لأنى من أجل رجاء اسرائيل موثق بهذه السلسلة . فقالوا له : نحن لم
نقبل كتابات فيك من اليهودية ، ولا أحد من الاخوة جاء فأخبرنا أو
تكلم عنك بشئ ردىء ، ولكننا نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى ،
لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يقاوم فى كل مكان . فعينوا
له يوما فجاء اليه كثيرون الى المنزل ؛ فطفق يشرح لهم . . . ولما قال هذا
مضى اليهود ولهم مباحثة كثيرة فيما بينهم . وأقام بولس سنتين كاملتين
فى بيت استأجره لنفسه ؛ وكان يقبل جميع الذين يدخلون اليه كارزا
بملكوت الله . . . (١) » .

ونحن لا يسعنا الا أن نحى هذا العدل الرومانى فى اجراءات الاتهام
والتحقيق ؛ على الأقل فى المراحل الأولى للمسيحية ؛ وان كانت درجة
المواطن الرومانى التى تكفل لصاحبها هذه الحقوق والضمانات لم تكن
تشمل كل سكان الامبراطورية طبعاً ؛ وانما كانت تمنح بشروط خاصة .
وان نصوص العهد الجديد ذاته لتعزز ماقرره أستاذ علم البردى ه .
آيدرس بل H.A.Bell حيث يقول « وانه لمن الخطأ أن نعتقد أن الاضطهاد

كان حملة متصلة ، أو أن الحكومة الرومانية اضطهدت المسيحيين بسبب عقائدهم الدينية بالذات . فقد كانت روما متسامحة كل التسامح في المسائل الدينية ، ولم تحاول أن تستأصل شأفة أى عبادة جديدة الا بحجة منافاتها للمبادئ الأخلاقية أو تعارضها مع السياسة العامة . كان المسيحيون في نظر السلطات مواطنين أشرارا وعنصرا خطرا في المجتمع ، لأنهم كانوا يترفعون عن ممارسة شعائر الديانة الرسمية ولا يقدسون صور الأباطرة ولا يشتركون في عبادة (روما المؤلهة) أو (الروح الحارس) للإمبراطور ، وكان في تضامنهم وخلوتهم وقت التعبد مايوحى بأنهم جماعة سرية ، وقد اتهموا بممارسة أبشع العادات كالزواج المحرم والشعائر المخلة بالآداب واهراق الدماء البشرية - طبقا للطقوس - هذه هى التهم التى كالتها الوثنيون للمسيحيين ، وهى نفس التهم التى كالتها المسيحيون لليهود فى القرون التالية . غير أنه كان هناك دائما بين الوثنيين من كانوا مستعدين للتستر على أصدقائهم المسيحيين ، كما كان حكام الولايات يحجمون أشد الاحجام فى معظم الأحيان عن تطبيق قانون العقوبات عليهم . ولم يكن الاضطهاد عاما الا عند حدوث كارثة قومية أو هياج شعبى ، وكما يقول ترتوليان Tertullianus فى احدى فقراته المشهورة : « فاذا فاض التبر على الأسوار ، أو غاض النيل فلم يبلغ الحقول ، أو أمسكت السماء عن المطر ، واذا زلزلت الارض أو حدثت مجاعة أو انتشر وباء .. تتعالى الصيحات على الفور هاتفة : فليلق بالمسيحيين الى الأسد » !! وفى تلك الاوقات كان هناك بين الناس من يعوزهم الجلد على احتمال البلاء ، ولو أن كثيرين منهم صمدوا للمحنة . ومن المستحيل أن نقرأ القصص الأولى - الحقيقية فيما يبدو - عن الاستشهاد مثل آلام القديسة بربتوا Perpetua أو أعمال شهداء سكيلى Scilli دون أن تهتز مشاعرنا اهتزازا للبطولة الرائعة التى أبدتها كل من الرجال والنساء فى غير مباهاة ، وخاصة عندما نتذكر أن مضمون هذه القصص يتلخص فى العبارة البسيطة : أنا مسيحي ، أنا مسيحية Christianus sum, Christiana sum

ولدينا من منتصف القرن الثالث طائفة من البرديات التى توضح بجلاء اضطهاد المسيحيين على أيام الامبراطور ديكوس Dicus ، وهى عبارة عن شهادات بتقديم القرابين للإلهة الوثنية libeli وكان الذين لا يقدمون هذه الشهادات يعتبرون مسيحيين !! على أن بعض ضعاف

النفوس سمحت لهم ضمايرهم أن يقدموا للسلطات شهادات مزورة !! « (١)

ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المقام كيف أن السلطات الرومانية - ممثلة في بيلاطس البنطى الحاكم المحلى - كانت زاهدة في توقيع أية عقوبة على المسيح نفسه بشهادة الأناجيل !! وأن اليهود ورؤساءهم كانوا هم أسباب ما كان ... حتى أن بيلاطس أراد أن يطلقه لهم في العيد ، فأبوا له الا القتل على الصليب !!

ويبدو بجلاء أن الامبراطورية الرومانية كانت تعتبر المسيحية في أولها مسألة دينية محلية بين اليهود وغيرهم ، ويظهر هذا تماما في قول فستوس « لكن كان لهم عليه مسائل من جهة ديانتهم ، وعن واحد اسمه يسوع قد مات وكان بولس يقول انه حي !! » .

ولم يكن يدري فستوس - كما لم يكن يدري بيلاطس من قبل - أنهما بصدد حدث تاريخى ضخم ، سيكون أبقى على الزمن من روما المجيدة !!

فتح الرومان سوريا وفلسطين على يد قائدهم الكبير (بومبي) Pompeii الذى قضى على ثورة العبيد بقيادة سبارتاكوس المشهور Spartacus « ومن دلائل القوة أن تستطيع الدولة قمع فتنة كتلك الفتنة الجبارة التى لم يعرف لها مثيل فى ثورات العبيد الأقدمين ، ولكنها ولاريب دلائل القوة التى تقابلها دلائل الضعف من جانب آخر ، فلو لم يكن فى بنية الدولة صدع مخيف لما استطاع عبد أن يجمع سبعين ألف عبد ويقهر بهم جيوش رومة زهاء ثلاث سنوات ، ولولا خلل فى كيان المجتمع لما اشتمل على أضعاف هذا العدد من الأرقاء المسخرين الذين ينظرون الى مجد رومة نظرة الحقد ، ويجازفون بالحياة ليهبطوا به الى الحضيض !! » (٢)

وعندما توفى قيصر ، وتحارب أنطونيوس وأوكتافىوس ، وبدا كأن الامبراطورية الرومانية على وشك الانقسام ، انتصر أوكتافىوس فارتبطت عرى الامبراطورية خلال هذه القرون التى امتلأت بالأحداث الخطيرة « ويبدو

(١) بل : مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى - ترجمة الدكتورين عواد حسين وعبد اللطيف أحمد على - ص ١٧٠ : ١٧٣ .
(٢) العقاد : عبقرية المسيح ص ٣٩ .

**كان العناية الالهية هي التي أوصلت باقامة هذه الامبراطورية العالمية ، لكي
تعين على قيام دين عالمي » - كما يقول المؤرخ فيشر H.Fisher**

وقد كان أسبق الى تقرير هذا (أوريجنوس) الذي عاش في
الاسكندرية سنة ١٨٥ م اذ يقول :

« كان أمر المسيح لتلاميذه بأن يذهبوا ويتلمذوا جميع الأمم . ومن
المؤكد أن المسيح ولد في زمن أغسطس الذي عاش من ٣١ ق . م الى
١٤ م واستطاع هذا الامبراطور أثناء حكمه أن يدمج أقواما متنوعة من
شعوب العالم ضمن امبراطورية واحدة لأنه لو كان هناك ممالك متعددة
لحاربوا بعضهم بعضا لأجل موطنهم ، وهذا مما يعمل على تأخير انتشار
العقيدة المسيحية في العالم تأخيرا كبيرا » . وهكذا فانا نجد بلدان
البحر المتوسط منذ زمن (بولس) حتى مولد (أوريجنوس) تعيش في
ظل السلام الروماني والطرق الرومانية المعبدة (١) .

لقد « هيا الرومان عالما متواصلا قبل الميلاد ويكفي أن نلقى
نظرة الى سفرات بولس الطليقة في أنحاء الامبراطورية لنرى فضل السلام
الروماني والطرق الرومانية والوحدة الرومانية على انتشار الدين الجديد
وذيوعه وعند اقتراب مجيء المسيح كانت اللغة اليونانية قد أصبحت
اللغة الرئيسية في الامبراطورية ، فتعلمتها الشعوب المحيطة بالبحر
المتوسط بجانب لغاتها الأصلية وصارت اللغة الرسمية في كل العالم المتمدن
فتهيأت الأداة لنقل التعليم الجديد وترويجه . وفي سفرات بولس نسمعه
يتحدث الى الأقوام كلها بلغة مفهومة : سواء بالنسبة للرومان أو
الكورنثيين أو القبائل الوثنية في هضاب غلاطية لقد مهد الروماني
الطريق وهيا اليوناني اللغة ولكن ترى ماذا فعل اليهودي ؟ انه بعزلته
مدى الاجيال الطويلة من تلال فلسطين قد احتفظ للعالم بأقوال الله
وتعاليم الديانة الروحية ونبوات العصر الذهبي الذي سيجيء فيه
(الموعود) ! وشتت السبي اليهود في كل أصقاع العالم واستقر بعضهم
في أوطانهم الجديدة والبعض الآخر جاب البلدان الاخرى سعيا وراء التجارة
والكسب ولم يعد بعد السبي الى فلسطين وهكذا انتشر اليهود بين كل
الشعوب وأصابوا قوة وثراء ونفاذا ونفوذا في التجارة . وتستطيع أن
تكون فكرة عن ذلك حين تراهم بعد خمسين سنة من الميلاد يفدون أفواجا
الى اورشليم لحضور عيد يوم الخمسين (فرقيون وماديون وعيلاميون

(١) جون فوستر : من اورشليم - ترجمة ابراهيم مطر ص ٤ - ٥ .

والساكنون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبننتس وآسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبيا التي نحو القيروان والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء كريتيون وعرب) . وحمل اليهود معهم الى كل مكان دينهم وكتبهم المقدسة ، لأن موسى منذ أجيال قديمة له في كل مدينة من يكرز به اذ يقرأ في المجامع كل سبت ، وفي كل مكان اعتصموا برجائهم القومي في (المسيا) الموعود المنتظر مجيئة وفي التلمود (تنبأ الأنبياء فقط عن المسيا ولأجله فقط خلق العالم) وهم ان كانوا لم يترقبوا نورا يضيء على الأمم بل توقعوا مجدا لشعب اسرائيل وحسب الا أنهم بغرسهم هذه العقائد في الأوساط الوثنية كان لهم فضل لا ينكر في اعداد الطريق للملك السماوي . ومع أن اليهود كانوا شعبا مكروها الا أن أحرار الوثنيين المفكرين أحسوا بجاذبية دينهم فانضموا اليه ، وكان هناك عدد من المنتمين اليه قيل عنهم في سفر الأعمال أنهم (رجال أتقياء) مثل قائد المائة الذي أشار اليه (العهد الجديد) . وأعان على ذلك أن الكتاب المقدس العبري كان قد ترجم قبل المسيح بمئتي سنة الى اليونانية . ومهما كان من أمر اليهود مع المسيح فقد كان (المجمع) هو التربة التي نمت فيها بذرة الكنيسة ، وقد نشأ المسيح بين (عشاء السبت) و (المجمع الاسبوعي) و (الحفلات السنوية) وعيد الأسابيع ويوم الكفارة وعيد الفصح ومارس الحج الى اورشليم وهكذا كان الدين ينسج الحياة اليومية في مجتمع المسيح (١) .

وكان أوكتافيوس (أغسطس ٢٧ ق . م . ١٤ م) قد عمد الى مكافحة الشرور التي خلفتها حروب قرنين ، وكان شعار امبراطورية أغسطس هو السلم والرحمة والأمن والعدالة وخلع على الادارة طابع الجد والعمل ، بتنظيمها على نمط بيروقراطي واجراء احصائيات منظمة وادخال نظام دقيق للمحاسبة أغلب الظن أنه نقل من مصر . وقد أملت الحكمة على أغسطس أن يحتفظ بمظاهر الحرية التي كانت عزيزة على شعب فخور محافظ كالشعب الروماني . ومع ذلك فقد خلعت على شخصه حماية قدسية ، ووضعت في قبضته الجيوش والولايات ولقد كانت التغيرات التي استحدثها أغسطس في نظم الحكم واسعة المدى ، ولكنها جاءت دون طفرة ، « وفي يد أغسطس أصبحت السلطة مصدر خير دائم للجميع ، واتسمت بطابع رحيم بل أبوي ، وانتهت أعمال الاغتصاب الكريهة التي كان يرتكبها الرأسماليون الأوليجاركيون ، وشن أغسطس حربا شعواء

(١) دكتور بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ٩ : ١١ ، ٣٦ .

على عدم التدين واهمال التناسل ، وحاول أن يعيد ذلك الخلق الرومانى المتين » - كما يقول فيشر . ولم يكن لدى الشعب الرومانى يوم خرج من محنة الحرب الأهلية - أى ميل لمناهضة حاكم نافذ البصيرة يسهل الاتصال به ، أو نظام حكيم يتيح لكل طبقة فرصة أداء عمل شريف فى خدمة الحكومة ، « ولم يكن فى وسع أغسطس المتواضع الذى اعتبره الشعب - بحق - منقذ الوطن أن يتفادى منحه مظاهر التأليه التى خلعت من قبل على خال والدته الفذ . وعلى كل حال فإن عبادة الامبراطور - التى أدمجت فى رفق وهوادة فى عبادة الأسر والمذاهب المحلية فى روما وكان أهل الولايات يبالغون فى اقامة شعائرها - سرعان ما أصبحت تعتبر أحد العوامل التى تساعد على الوحدة بين أجزاء تلك الامبراطورية التى خلقتها العناية الالهية » . وشاء القدر أن يولد فرجيل Virgel شاعر ايطاليا الملهم (٧٠ ق ٠ م) ، وليفيوس Livius مؤرخ الجمهورية الرومانية القصصى (٥٩ ق ٠ م) فيبلغا بالعظمة الرومانية شأوا بعيدا ، وكانت الامبراطورية فى الشكل الذى أعطاه اياها أغسطس تشمل أسبانيا وبلاد الغال وايطاليا والبلقان والشاطيء الشمالى لافريقية وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى ، « وهكذا غدا البحر المتوسط بحيرة رومانية ، وأصبح كل شعب من الشعوب التى ساهمت بنصيب فى قيام الحضارة الغربية خاضعا لروما » .

غير أن الريح لم تكن تجرى طيبة رحية هكذا دواما ، ففي الشمال والشمال الغربى جثم أكبر مصدرين لضغط البرابرة ، حقا امتد الدانوب والرين يذودان عن حياض الامبراطورية الرومانية ، لكن انتشرت وراء هذه الحدود النهرية الطويلة جحافل القبائل الجرمانية ، تنخس الدولة Tiberius (١٤ : ٣٧ م) ابن زوج أغسطس وخليفته جنديا بارعا واداريا ممتازا اقتفى آثار سلفه ، فان خلفاء الثلاثة من بعده كانوا : بين مجنون هو كاليجولا Caligula (٣٧ : ٤١ م) ودعى هو كلاوديوس Claudius (٤١ : ٥٤ م) ، ووحش ذائع الصيت هو نيرون Nerun (٥٤ : ٦٨ م) ثم أعقب هؤلاء الثلاثة أربعة أباطرة متنافسين ، وحل عام من الفوضى . . . لكن الدفاع الرومانى لم يتحطم الا فى النصف الأخير من القرن الثانى (١) .

، وللاستاذ العقاد رأى آخر فى عصر أغسطس : « فقد كان عصرا

(١) فيشر H. Fisher : تاريخ أوروبا فى العصور القديمة - ترجمة الدكتورين ابراهيم نصحي وعواد حسين - ص ١٢١ . ١٢٧ .

مجيدا بقوة السيف دون قوة أخرى من القوى الانسانية وانتهت بروما الحاجة الى تلك القوة ، فباعتها حريتها وكرامتها ، وضيعت الجمهورية فى سبيل القيصرية المطلقة ، بل فعت القيصر الى مقام الربوبية المعبودة وكان القانون والنظام فخر رمة بين الدول ، فضاع القانون مع السلطان المطلق ، وضاع النظام مع التفاوت البعيد بين الحاكمين والمحكومين : ثروة وترف وطغيان من ناحية ، وفقر وضنك وهوان من ناحية ولم يستقر الأمر للدولة الرومانية فى فلسطين دفعة واحدة على أثر افتتاحها ، لأن التنازع بين الرومان والفرس لم يترك للبلاد قرارا فى مدى عشرين سنة » (١) .

أما الدكتور أسد رستم فيقول : « كانت الدولة الرومانية قد بسطت سلطتها على جميع أنحاء حوض البحر المتوسط ، وربطت أجزاء امبراطوريتها بشبكة واسعة من الطرقات ، وفرضت شرائعها ولغتها فبلغ بذلك عالم البحر المتوسط درجة من التوحيد لم يبلغها من قبل ، وبهذا التوحيد سهلت روما انتشار الدين الجديد ، ولكن كبار الرومانيين لمسوا فى تعاليم هذا الدين نفسه خطرا يهدد سلامة الدولة وتفصيل هذا أن اليونانيين والرومانيين لم يفرقوا بين الوطنية والدين ، فالمواطن عندهم كان مواطنا بقدر اشتراكه فى التعبد لاله المدينة ، وباتساع أفق المدينة السياسى اتسع كذلك أفق دينها ، فلما تم لروما بسط سلطانها فى حوض البحر المتوسط اعتبر رجالها الهتهم روما آلهة الامبراطورية بأسرها وبهر أغسطس رعايا روما فى الشرق بقوته وتدبيره وعظمته ، فرأوا فى شخصه مخلصا اليها يمنع الحروب ويوطد السلم - وهو ماتنص عليه جملة نقوش فى نواح متعددة من آسيا الصغرى ترقى الى القرن الأول ق . م وذهب اليونان فى آسيا الصغرى فى سنة ٢٩ ق . م الى أبعد من هذا فأنشأوا هيكلًا خاصا لعبادة روما وأغسطس ، ورأى أغسطس فى هذا خيرا له ولروما فشجع عليه رعاياه ونقله الى الغرب واتخذ لنفسه لقب الحبر الأعظم Pontifex Maximus وما كادت تنتظم أمور هذا الدين الامبراطورى الجامع حتى أخذ رسل المسيح وتلاميذه يبشرون ولو حصر الرسل والتلاميذ عملهم فى الأوساط اليهودية لما تنبه الرومان وتيقظوا ، ولكنهم بشروا الخليقة كلها ، وحملوا رسالة السيد الى أمهات المدن - بل الى روما نفسها ، فكان لابد من الاضطهاد »

ويجدر بالقارىء أن يذكر فيما يتعلق بالاضطهاد أربع حقائق :

(١) العقاد : عبقرية المسيح ص ٣٩ - ٤٥

أولا : ان المؤرخين يشيرون عامة الى عشرة اضطهادات بين عامى ٦٤ م ، ٣١٣ م - عام البراءة .

وثانيا : أن الاضطهاد أجرى بموجب تشريع خاص صدر عن نيرون سنة ٦٤ م وقضى بألا يكون أحد مسيحيا .

وثالثا : أن الاضطهاد لم يكن دائما عابا شاملا .

ورابعا : أنه لا يمكن تحديد عدد الضحايا ، ويجوز القول أنهم كانوا كثيرين ، (١) .

وكان عالم البحر المتوسط يزداد اهتماما بعقيدة الحياة الآخرة
فوثنية الرومان لا تتبنى أهدافا خلقية ولا تنتظم اشرافا كهنوتيا ، ولا تتناقض مع الأعياد والمباهج بل هى جزء منها ، « ثم ان هذا المذهب البهيج المتسامح قد عجز منذ أمد طويل عن كسب ولاء أصحاب العقول المستنيرة ، وذلك لأنه كان لا يستجيب الى الاحتياجات النفسية العميقة ولا الى المطالب العقلية والواقع أنه قبل أن تصبح المسيحية دينا أوربيا كانت الفئة المستنيرة فى الامبراطورية الرومانية تألف عقيدة التوحيد والحياة الموهوبة . وأصبح للفيلسوف فى القرن الثانى للميلاد مكان ملحوظ بين الناس باعتباره ناصحا روحيا وشافيا للآلام النفسية ، وهكذا كان يضطلع بقسط كبير من المهام التى كان يقوم بها - فيما بعد - الآباء فى الكنيسة المسيحية » اذن جاءت الرسالة المسيحية فى وقتها ، فازدهرت رغم الاضطهاد ، وما وافى عصر الامبراطور أورليان Aarelian (٢٧٠ : ٢٧٥ م) حتى كانت قد انتشرت فى الشرق وتغلغت فى روما نفسها حتى نافست ديانة الدولة الرسمية (الشمس) ، « ولعله يحق لنا أن نعزو - ولو جزئيا - الى ذلك الاهتمام البالغ بالدين ، تلك الظاهرة الغربية التى بدت فى حياة الامبراطور وسياستها خلال القرنين الرابع والخامس . . . لم يبق من شعلة الوطنية الرومانية القديمة الا ضياء خافت ، وأخذ عامل جديد يفوز بولاء أعداد متزايدة من الرجال والنساء الممتازين بنشاطهم وأهميتهم فى الغال وايطاليا والعالم الاغريقى . كانت الدولة توفر للناس أودهم المادى ، لكنها لم تعد تغذى أرواحهم . وعندما تكدست الصعاب الخارجية ازدادت تكاليف الحكومة واضطربت أدواتها واشتد ارهاقها للمحكومين ، وقد ازداد ضغط الدولة على الأفراد بقدر ما نقص ولاؤهم السياسى ، وشاعت بين جميع الطبقات روح التملص

(١) الدكتور أسد رستم : الروم ج ١ ص ٣٢ - ٣٣

والتبرم بأداء ضرائب الدم والمال والحاجات التي تطلبها الدولة • فقد انتشرت هذه الروح بين المزارعين والتجار وأعضاء المجالس ، فقابلتها الحكومة بأساليب عنيفة حولت هؤلاء جميعا الى فئة وراثية من الأرقاء في دولة من العبيد » (١) •

هذه صورة امبراطورية الرومان في عمومها ، فما تكون صورة حكمها في فلسطين ؟ ؟ ؟

» لقد شملت الامبراطورية الرومانية على عهد أغسطس سبعين مليوناً من السكان على الأقل ٠٠٠ حوالى ثلاثة أرباعهم كانوا في الأقاليم التي ارتفع عددها في ختام حكم أغسطس الى ٢٤ أو ٢٥ اقليماً ٠٠٠ وفي اليهودية Judaea منح أغسطس ثقته التامة للملك هيرودوس الذى جمع بين كفاءة الادارة والنشاط الفائق فى تنمية التقدم المادى لمملكته والاخلاص لروما الذى لا يقبل الجدل ، وان لم يكن لديه مثل هذا التوفيق فى ارضاء رعاياه • وأذن أغسطس لأبناء هيرودوس الثلاثة أن يقتسموا مملكة أبيهم بعد وفاته سنة ٤ ق.م ، لكنه عاد فى سنة ٦ م فعزل الأكبر أرخيلائوس Archelaus وجعل حصته اليهودية وسماريا Judaea, Samaria فى ولاية خاصة ، فى حين ظلت الجليل فى يد الابن الثانى هيرودس أنتيبا Herodus Antipas • • • وقد كانت المشكلة الادارية العاجلة بالنسبة لأغسطس فى الأقاليم ، أن يتدارك التدهور المزعج فى ثروتها الذى كان يتفاقم بخطى متسارعة منذ وفاة قيصر ٠٠٠ ومن أجل مواجهة الأعباء المتزايدة للادارة كان الامبراطور مضطراً لفرض ضرائب جديدة» (٢) •

هذه صورة موجزة ينقلها اليها الأستاذ كارى عن نظام الحكم الاقليمى فى أرجاء الامبراطورية ، كما يجمل لنا بها أمر هيرودوس وأبنائه ، ولهم فى الأناجيل شأن مع الدعوة المسيحية • • •

وكانت فلسطين تتكون من ٣ أقسام ادارية : (الجليل) و (اليهودية) و (السامرة) فى الوسط •

وكانت البلدة التى تتجه اليها أنظار اليهودية من يهود أصليين.

(١) فيشر H.Fisher : تاريخ أوروبا فى العصور القديمة - ترجمة الدكتورين ابراهيم نصحي وعواد حسين - ص ١٣٤ : ١٣٧

(٢) Cary : Hist. of Rome, p. 507,509,512

ويهود دخلاء أو يهود الشتات هي (اورشليم) عاصمة اليهودية وتقع شمالى البحر الميت بحوالى ٢٥ ميلا وتقوم على هضبة مرتفعة تحيط بها الأودية من ٣ جوانب . ويقسم المدينة أخدود الى جانبين : غربى يشرف عليه جبل صهيون وشرقى أكثر ارتفاعا كان فيه الجبل الذى أقيم عليه الهيكل (جبل المريا) . وكانت اورشليم فى زمن المسيح محاطة بسورين الأول، يحيط بصهيون والهيكل أقامه داود والثانى يحيط بالقسم الأدنى من المدينة بناء الملك حزقيا وثمة سور يحيط بالبزيثا أو المدينة الجديدة وقد بناء اغريباس الأول بعد صعود المسيح بعشرة أعوام . وفى شمالى غربى المدينة كانت هناك قلعة تضم قصر هيرودس الكبير الى الشرق من اورشليم وهناك جبل الزيتون وفى سفحه (بستان جثمانى) وبالقرب من الطريق الموصلة من اورشليم الى أريحا قرية بيت عنيا على ميل الى الجنوب أما أريحا فتبعد ١٥ ميلا الى الشمال الشرقى . وكانت قلعة انطونيا تجاور الهيكل ، أسماها هيرودس كذلك نسبة لأنطونيوس ويرجع أن محاكمة المسيح أمام بيلاطس تمت فى هذه القلعة . أما محاكمة المسيح أمام مجلس السنهدريم فيرجع أنها تمت فى إحدى القاعات الجانبية الملحقة بالهيكل .

وكانت (الجليل) تمثل اليهودية المختلطة (بالأممية) .

وكانت (السامرة) غنية بمروجها ورياضها وأهلها أكثر مرونة فى التعامل مع غيرهم وقد تداخلت فى دينهم عقائد وطقوس غريبة دعت سائر اليهود الى التحفظ معهم . وكان السامريون لا يؤمنون الا (بكتب موسى الخمسة) وقد أقاموا لأنفسهم هيكلا على (جبل جرزيم) قرب شتائيم استمر قائما أكثر من مائتى عام بعد صعود المسيح ثم أصابه الخراب . ومن أولئك تآلق نجم يهوذا المكابى أو (المطرقة) فأصبح القائد العام ولكى يضمن هيرودس الكبير الاستقرار فى البادية الواقعة شرقى الأردن أتى بالكثيرين من اليهود وأسكنهم هناك .

وقبل مجيء المسيح بحوالى قرنين ثار الكاهن اليهودى متناثيا وأولاده الخمسة ضد أنتيوخس ابيفانس الرابع (سليل السليوقيين) للثورة عام ١٦٥ : ١٦١ ق م بينما تولى أخوه سمعان حكم المقاطعة الصغيرة المستقلة ورئاسة كهنوتها وهكذا تأسست نواة مملكة لليهود . وبعد سمعان تعاقب ابنه يوحنا هيركانوس (١٣٥ : ١٠٥ ق م) ثم حفيده أرسطو بولس الأول (١٠٥ - ٤ ق م) وأخوه الاسكندر جانايوس (١٠٤ : ٧٨ ق م) وفى عهده باغ اليهود أوجههم وقاربت مملكتهم ماكانت

عليه أيام داود . وبعد موت الاسكندر هذا تنازع الحكم ابناء هيركانوس الثاني وأرسطو بولس الثاني بينما كان القائد الروماني بومبي يحارب في سوريا . وقد كتب له الفوز عام ٣٤ ق . م فتقدم اليه كلا الجانبين المتنازعين يستنصرانه وانتهى الأمر بأن نصب الرومان هيركانوس الثاني حاكما ورئيسا للكهنة . ودارت عجلة السياسة الرومانية على بومبي وانتصر يوليوس قيصر فارتى هيركانوس الثاني وصديقه الأدومي انتيباترس بين يدي حزبه فكافأهما برفع بعض الضرائب والسخرة العسكرية عن فلسطين . ووصل انتيباترس الى منصب حاكم اليهودية بأمر من قيصر وعين ولديه فازيل وهيرودس حاكمين على اورشليم والجليل على التوالي . أما فازيل فقد انتحر حين هاجم أنتيجونس بن أرسطو بولس الثاني اورشليم متحالفا مع (البارثيين) عام ٣٧ ق . م ، أما هيرودس فقد نال حظوة كبرى لدى أنطونيوس وأوكتافيوس . وقد منح لقب حاكم اليهودية وملكها بقرار السناتو الروماني عام ٤٠ ق . م وفي عام ٣٧ ق . م حاصر اورشليم واستولى عليها وقبض على أنتيجونس وأعدمه . واستمر حكم هيرودس الكبير ٤٠ عاما كان فيها صديقا للرومان وغير محبوب لليهود وقد أخضع الأدوميين في جنوبي فلسطين وأرغمهم على اعتناق اليهودية وان كانت ثقافة هيرودس نفسه وثنية يونانية كما تدل على ذلك عمائره التي تضمنت ماخصص لعبادة الامبراطور الى تجديد بناء الهيكل ! (١)

وقد كانت الأعوام الأولى لحكم هيرودس غير مستقرة فقد وهب انطونيوس حين تولى الحكم مدينة اريحا والمدن الساحلية لكليوباترة ولكن مالبث أوكتافيوس أن أعاد الى هيرودس ما انتزع منه .

وكان هيرودس مغرما بالعمارة وقد أعاد بناء السامرة وأسمائها سبسطة وأقام هياكل في عدة بلدان . وفي مقدمة أعماله المعمارية إعادة بناء الهيكل حتى بدا كما وصفه مؤرخ معاصر « كجبل من جليد متوج بالذهب » ، وقد خرب في حصار اورشليم عام ٧٠ م .

وكان هيرودس قاسيا دمويا حتى بالنسبة لأبنائه وزوجاته وفي أيامه حدثت (مذبحة الأطفال) في قرية بيت لحم وقد قسمت المملكة اثموت هيرودس بين أبنائه : اليهودية والسامرة وأدومية لأرخيلاوس ، والجليل وبيريه لانتيباس ، ووادي الأردن لفيليبس وفي عهد هيرودس انتيباس قتل المعمدان وصلب المسيح . . (٢)

(١) دكتور عزت زكي : فلسطين كما عرفها المسيح ص ١٣ : ٢٣ .

(٢) دكتور جون الدر : الأحجار تتكلم - ترجمة دكتور عزت زكي ص ١٥٣ - ٤

وكان التعداد (الاكتتاب) يجرى فى الامبراطورية كل ١٤ عاما ومن البرديات القديمة مايتحدث عن اكتتاب عام ١٤٦ ، ١٦٠ ، ١٧٤ م . وتحديث بردية عن اكتتاب ضريبى أيام تيبريوس عام ٢٠ م وأخرى عن اكتتاب فى عهد نيرون عام ٦٢ م وثالثة تتحدث عن اكتتاب فى السنة الحادية والأربعين من حكم أغسطس الذى بدأ عام ٢٧ ق م - أى أن الاكتتاب قد تم حوالى عام ١٤ م . ويذكر أن أغسطس بكر منذ بداية حكمه الى اجراءات متعددة لتنظيم الدولة . وقد اكتشفت لوحة فى خرائب أنطاكية جنوبى غلاطية يرجع تاريخها الى عامى ١٠ ، ٧ ق م وعليها أسماء من بينها كيرينيوس الذى كان قائدا وعين واليا . وكان يطلب الى كل فرد أن يعود الى بلده عند الشروع فى الاكتتاب . وتذكر بردية مصرية أنه « نقرا لقرب ميعاد الاكتتاب القادم فمن المفروض على كل واحد يسكن بعيدا عن بلده أن يستعد للرجوع اليها حتى يدرج اسمه فى التعداد ضمن أفراد عائلته وتثبت صحة امتلاكه للأرض » . وكانت الآيات الأولى من انجيل لوقا بشأن الاكتتاب قد أثارت مجادلات حتى كتب أحد المتأخرين ساخرا « ان لوقا قد حرك كل أفراد الشعوب فى الامبراطورية العظيمة كما يحرك اللاعب قطع الشطرنج حتى يجعل المسيح يولد فى بيت لحم » !! (١)

وقد أعاد فيليبس الذى حكم المناطق شمالى بحر الجليل بناء مدينة بانياس قرب منابع الاردن وأسمها قيصرية وعرفت فيما بعد بقيصرية فيليبس تميزا لها عن قيصرية الساحل كذلك أقام مدينة جوليا اكراما لابنة الامبراطور وقد استمر حكم فيليبس ٣٠ عاما . أما هيروودس انتيباس فقد أصبح واليا على الجليل وبيريه واستمر حكمه ٤٣ عاما وقد بنى طبرية عاصمة لولايته على الساحل الجنوبى لبحر الجليل وجاءت تسميتها نسبة لتيبريوس قيصر . وطلق انتيباس زوجته العربية ابنه الحارث ملك النبطيين ليتزوج هيروديا زوجة أخيه غير الشقيق . وهكذا ألب على نفسه الحارث كما ألب عليه يوحنا المعمدان ! ولم يغن عنه قطع رأس المعمدان بل انتهى مصير انتيباس الى المنفى فى بلاد الغال وانتقل لقبه وحكمه الى أخيه **هيروودس أغريباس الأول** . وحكم أرخيلائوس ثالث أبناء هيروودس اليهودية والسامرة وأدومية ولم يسمح له الرومان له الا بلقب وال وكان حكمه قصيرا عمت خلاله الاضطرابات وشكاه اليهود لقيصر فعزل سنة ٦ م ونفى الى بلاد الغال ووضعت ولايته تحت الحكم الرومانى المباشر ، فنصب

(١) دكتور جون الدر : الأحجار تتكلم ترجمة دكتور عزت زكى ص ١٥٦ - ٧

الرومان واليا من طبقة الفرسان وخولوا له طلب المعونة من ولاية سوريا عند الحاجة . وكان مقر الوالى قيصرية ويذهب الى اورشليم عند الضرورة وخاصة فى الأعياد وكان من أشهر ولاة الرومان **بيلاطس البنطى** (٢٦ : ٣٦ م) وقد عين بمساعدة سيجانوس كبير وزراء تيبوريوس قيصر الذى كان يبغض اليهود . ودخل بيلاطس اورشليم يحف به الجند يحملون الشعائر الوثنية كما اتجه الى استخدام أموال الهيكل لدقنات مائتة من (برك سليمان) الى اورشليم ، وعمد الى اخماد أية معارضة بالقوة . وقد اصطدم بكهنة للسامريين كانوا ينقبون آثار من عهد موسى فى (جبل جرزيم) وقتل منهم الكثيرين ، فشكا السامريون الى قيصر فعزله ووجهت اليه تهم الفساد والرشوة واستغلال النفوذ والاغتيال والقتل بدون محاكمة ! وفى عام ٤١ م أضاف الامبراطور كلوديوس اليهودية والسامرة الى ممتلكات أغريباس الأول وهكذا امتدت الى حدود مملكة هيرودس الكبير . لكن ابنه اغريباس الثانى من بعده أصبح واليا بالاشتراك مع الولاة الرومان على فيليبس مضافا اليها اجزاء من بيرية والجليل .

ولقد تدخل الرمان حتى فى تنصيب الكهنة ، ومن هنا تتابع من عهد هيرودس الكبير الى خراب اورشليم ٢٨ رئيسا للكهنة وكان حنان هو الذى تولى رئاسة الكهنوت عام ٦ م واستمر الى عام ١٥ م ، ثم عين زوج ابنة تيافا ومع ذلك ظل نفوذ حنان طيلة عهد تيافا ثم طيلة عهود أبنائه من بعده .

وأدت مظالم الولاة الرومان الى الثارة العملة الشائلة سنة ٧٠ م وهى التى انتهت بخراب الهيكل وأورشليم كذلك كانت هناك مظالم الجباية التى عرفت بالامبراطوريات وعرفت بالامبراطورية الرومان ، وبجانب (ضرائب الدولة) كانت هناك (ضرائب الهيكل) ، ولم يكن يعنى روما فى شىء أن يجبى اليهود لهيكلهم ضرائب ثقيلة أو يسيرة ، وانما الذى يعنىها ماداموا يعيشون فى نطاق الامبراطورية ويتمتعون بحمايتها وخدماتها هو اقتضاء ضرائب الولاة دون ترخص . وكانت هذه الضرائب المزدوجة عبئا ثقيلا فى أرض خيراتنا الطبيعية محدودة ، وتوزيعها بالطبع غير متكافئ فى تلك العصور . وقد تعرض حكم هيرودس للتمرد وعرفت السلطات الحاكمة خطر هؤلاء القوم ككثيرين ومتحمسين فكانت تعد عليهم الأنفاس (١) .

(١) دكتور عزت زكى : فلسطين كما عرفها المسيح ص ٢٣ : ٢٨ ، ٥٢ : ٦٤

والأنجيل تقدم لنا (هيرودس) ٠٠٠ اذ تروى سيرة المسيح وسيرة
يوحنا المعمدان .

« ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك ، اذا
مجوس من المشرق قد جاءوا الى اورشليم قائلين : أين هو المولود ملك
اليهود ؟ ٠٠ وبعدما انصرفوا اذا ملاك الرب قد ظهر ليوסף فى حلم
قائلا : قم وخذ الصبى وأمه واهرب الى مصر وكن هناك حتى أقول لك ،
لأن هيرودس مزعم أن يطلب الصبى ليهلكه ٠٠ فأرسل وقتل جميع
الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون
بحسب الزمان الذى تحققه من المجوس ، حينئذ تم ما قيل بأرميا النبى
الفائل : صوت سمع فى الرامة - فرح وبكاء وعويل كثير ، راحيل تبكى
على أولادها ولا تريد أن تتعزى ، لأنهم ليسوا بموجودين ٠٠٠ فلما مات
هيرودس اذا ملاك الرب قد ظهر فى حلم ليوסף فى مصر قائلا : قم وخذ
الصبى وأمه واذهب الى أرض اسرائيل . ولكن لما سمع أن أرخيلاوس
يملك على اليهودية عوضا عن هيرودس أبيه خاف أن يذهب الى هناك ،
واذ أوحى اليه فى حلم انصرف الى نواحي الجليل ، وأتى وسكن فى مدينة
يقال لها ناصرة ، لكى يتم ما قيل بالأنبياء انه سيدعى ناصريا (١) . »

وقصة المأساة الدامية ليوحنا المعمدان تروىها الأنجيل على هذا
النحو :

« فى السنة الخامسة عشرة من سلطة طيباريوس قيصر : اذ كان
بيلاطس البنطى واليا على اليهودية ، وهيرودس رئيس ربع على الجليل ،
وفليبس أخوه رئيس ربع على ايطوريه وكورة تراخونيتس ، وليسانيوس
رئيس ربع على الأبلية - فى أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا ، كانت كلمة
الله على يوحنا بن زكريا فى البرية ٠٠٠ أما هيرودس رئيس الربع ، فاذ
توبخ منه لسبب هيروديا امرأة فيلبس أخيه ، ولسبب جميع الشرور التى
كان هيرودس يفعلها زاد هذا أيضا على الجميع أنه حبس يوحنا فى
السجن » (٢) « لأن هيرودس نفسه كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه
فى السجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه اذ كان قد تزوج بها ،
لأن يوحنا كان يقول لهيرودس لا يحل أن تكون لك امرأة أخيك ، فحنقت
هيروديا عليه وأرادت أن تقتله ولم تقدر ، لأن هيرودس كان يهاب يوحنا

(١) مت : ٢ .

(٢) لو : ١ : ٥ ، ٣ : ١ ، ١٩ - ٢٠

عالما أنه رجل بار وقديس وكان يحفظه ، واذا سمعه فعل كثيرا وسمعه بسرور . واذا كان يوم موافق لما صنع هيرودس في مولده عشاء لعظمائه وقواد الألوف ووجوه الجليل ، دخلت ابنة هيروديا ورقصت فسرت هيرودس والمتكئين معه . فقال الملك للصبية : مهما أردت اطلبى منى فأعطيك ، وأقسم لها أن مهما طلبت منى لأعطيك حتى نصف مملكتى ، فخرجت وقالت لأمها : ماذا أطلب ؟ فقالت رأس يوحنا المعمدان ! فدخلت للوقت بسرعة الى الملك ، وطلبت قائلة : أريد أن تعطينى حالا رأس يوحنا المعمدان على طبق ، فحزن الملك جدا ، ولأجل الأقسام والمتكئين لم يرد أن يردها . فللوقت أرسل الملك سيافا وأمر أن يؤتى برأسه على طبق ، وأعطاه للصبية ، والصبية أعطته لأمها » (١) .

هذا هو هيرودس الذى قدر له أن يخضب يديه من دماء هذا البشير النذير يوحنا . . . ثم قدر له أن يشهد بعثة المسيح أيضا : « فسمع هيرودس الملك لأن اسمه صار مشهورا ، وقال : ان يوحنا المعمدان قام من الأموات ، ولذلك تعمل به القوات . قال آخرون : انه ايليا ، وقال آخرون : انه نبي أو كأحد الأنبياء ، ولكن سمع هيرودس قال : هذا هو يوحنا الذى قطعت أنا رأسه ، انه قام من الأموات !! » (٢) .

« كان هيرودس يعيش فى قصره الجديد بين أشباح الماضى ، يرتجف فرقا على عرشه ، فهو يعلم أنه ارتقى العرش اغتصابا . . .

كان حفيد خادم فى هيكل أشقلون ، واغتصب الملك بمعاونة قياصرة الرومان المغامرين ، وجاءه اليهود وأخبروه أنهم لا يقبلونه ملكا عليهم ، فما كانوا يملكون عليهم الا رجلا من بنى اسرائيل ، فأزهق أرواحهم - حتى لا ترتفع اعتراضاتهم الوقحة !!

كان الخوف من أن يهوى عرشه يقلقه ويثير ضراوته ، فاذا طاف به طائف من شك برزت وحشيته . . . أمر بقتل المرأة الوحيدة التى خفق قلبه بحبها ، وسفك دماء الفريسيين لأنهم تنبأوا بزوال ملكه ، وقتل بعض أولاده ليقضى على وساوسه فقد حامت حولهم شكوكه وظن أنهم يتآمرون على ملكه . . . طالما ذبح كهنة ونبلاء ، وطالما انتزع الاعترافات ممن يظنهم أعداء . . . »

(١) مر ٦ : ١٧ - ٢٩ ، مت ١٤ : ٣ - ١١

(٢) مر ٦ : ١٤ - ١٦ ، مت ١٤ : ١ - ٢ .

هكذا يصور الأستاذ السحار هيودس ، أما الأستاذ العقاد فيقول عنه انه :

« زعيم مشهور بالحصافة والحزم على رأس قبائل الأدوميين ، عرف بفراسته وبعد نظره أن الكفة الراجحة في النزاع على فلسطين لدولة الرومان ، فانضوى اليها واستبسل في معونتها ، فكافأته على خدمته بتنصيبه ملكا على اليهودية والسامرة والجليل – حيث ولد السيد المسيح ، وكافأهم هو بالتمادي في محاكاة المدنية الرومانية ، وأوحت اليه حصافته أن يدهن السلطة الدينية ويدهن السلطة الدنيوية في وقت واحد . . ومع هذا الجهد المضنى مات هيودس وهو مغضوب عليه أشد الغضب بين أبناء دينه ، وحدث قبيل وفاته أن طائفة من الغلاة ثارت على مبانيه وأنصابه لتمسح منها معالم الوثنية ، فعقد لهم محكمة علنية وأمر بأجناده فحملوه الى المحكمة حيث قضى عليهم بالحرق وهم أحياء !! وقبض على الزعماء المحبوبين فحبسهم وأوصى أخته أن تقتلهم اذا مات قبل اعلان وفاته ، لتذهب حسرة الشعب عليهم بفرح الشماتة فيه . . » .

وتمت البلية بتقسيم البلاد بين أبناء هيودوس الثلاثة ، وتنافس الاخوان أرخيلائوس وهيودوس انتيباس ، وقد وقعت الجليل في حصة الأخير – وفيها ولد السيد المسيح « وكان هيودس أنتيباس كأبيه وغيره من أفراد أسرته ذا وجهين ، فهو يهودى فى وطنه وهلنستى خارجه » – على حد تعبير الدكتور حتى Hitti . وبعد خلع أرخيلائوس سنة ٦ م جعلت أرض اليهودية تحت الحكم المباشر لوال روماني . . . « وأقر القيصر الأبناء الثلاثة فى ولاياتهم ، وخرجت البلاد ممزقة بين أبناء هيودس وحكومات النبطيين والمدن العشر ، وقصدت روما بهذا التمزق أن تخيف ولاية بولاية ، وتلجئهم الى التنافس بينهم فى مرضاتها ، وتتخذهم جميعا درعا تدفع به غارات الصحراء وهياج المتعصبين » .

وقد واجه يوحنا المعمدان فى شجاعة وقوة طغيان هيودوس . . . فكان خير مقدمة بين يدي المسيح : « لقد أثارها حملة شعواء على ثورة الفساد فى زمنه . . وهو بلاط الملك هيودس ، فانها الثورة التى استبيح فيها الفجور بالمحارم والبناء بهم على غير شريعة ، وقتل الاخوة والأبناء ، وتدنيس العبادة والقداسة بالبذخ والجسارة على المنكرات ، فكانت جسارة النبی على التطهير كفنا لجسارة الطاغية الأثيم على الدنس والخيانة . . . وخرج الرسول من الميدان شهيدا يجر وراءه جثة ميت بقيد الحياة، فان

جسد هيرود قد أكله الدود قبل دفنه ، وان عهده قد وصف نفسه أصدق صفاته حين بذل رأس النبی هدية لراقصة مبدولة الجسد !!

ولا جرم أن يكون عصر يحيى المقتسل (يوحنا المعمدان) عصر رسالة عاجلة ، أو عصر ارتياد وتمهيد • هجمة من هنا وهجمة من هناك ، ثم تبدأ المعركة حتى تستوفى الميدان كله ولا تنحسم بين صباح ومساء (١) » •

تلك هي دولة الرومان ، وهذا حكمها في الأرض المقدسة من ديار الشام ••• لا يفوتنا في خاتمة القول أن نؤكد تدلل اليهود على حكمهم ، وحرص الرومان على استرضائهم ، عندما كانت ظروف الدولة تملي عليهم ذلك • ومن هنا ألح اليهود على الرومان ، يستعدونهم ضد المسيح والمسيحية ، تشهد بهذا محاكمة المسيح ، ثم محاكمة بولس من بعده

ويعلق الأب فيليب الثالث على ما ورد في انجيل متى « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم : ايلي ايلي لم شبتقتني ، أي الهی الهی لماذا تركتني ٢٧ : ٤٦ » فيقول « المسيح كانسان يقول ويردد القول : الهی الهی ، ليعبر عما في أعماق نفسه من عواطف ، ويتكلم عن الترك على سبيل التشبيه ، لانه حين يتعرض انسان لشر الخطيئة أو عقابها يقال له متروك ، والحال أن المسيح بحكم الاتحاد الاقنومي وبحكم النعمة لا يمكن أن يتركه أبوه ، انما يقال له متروك بسبب الآلام والابو جاع • وسؤاله : لماذا تركتني ؟ لا ينم عن الضجر واليأس ولكن عن رأفته وعطفه على اليهود الذين غمرهم الظلام وعن اعجابه بحب أبيه نحو الخطاة والمساكين (١) »

هذا وقد كانت العقيدة في (المسيا) Messias اللاتينية ، Meshina السريانية Mesha العبرية Croyances Messianiques تشير الى (المسح) والمراد المسح بالزيت المقدس وهو رمز لتتويج الملوك عند بني اسرائيل ، ومعنى الكلمة المحرر أو المخلص الذي بشر به الانبياء بني اسرائيل ، وهو يسوع في اعتقاد المسيحيين • وقد أطلقت التوراة هذه الكلمة قبل ظهور

(١) السحار : المسيح عيسى بن مريم ص ٢٩ ، ٢٨ - ٩ ، ٦٥ ، حتى : تاريخ سوريا ج ١ ترجمة حداد ورافق ص ٣١٢ - ٣١٣ ، عبقرية المسيح ص ٤٢ - ٤٣ ، ٤٧

المسيح اطلاقين : أحدهما عام يعنى الملوك والانبياء وكل مبعوث يحمل رسالة من عند الله ، والثانى خاص على من يرسله الله لتكفير خطايا البشر وانقاذ بنى اسرائيل وتخلص العالم . وكان شعب الله المختار يدين بهذه العقيدة ولا يزال ينتظر ظهور المخلص الموعود طوال ذلك الأمد الكبير - عشرين قرنا من الزمان ! ويزعم بنو اسرائيل ان الله بشرهم بـ (المسيا) ووعدهم اياه غداة ان هبط آدم من الجنة بعد أن وسوس اليه الشيطان ليأكل من الشجرة المحظورة ، ويقول أنبياء بنى اسرائيل ان (المخلص) سيخرج من نسل ابراهيم بن اسحق بن يعقوب من سبط يهوذا (التكوين : ١٢ ، ٢٢ ، ٢٦ ، ٢٧) وانه سيكتب له النصر على رغم شنآن قومه له وعدائهم اياه ، وانه سيشرع لهم من الدين ما لم يأت به شريعة موسى ، وانه يولد من عذراء بيت لحم . ويذكر ان مثل هذه (الاعتقادات المؤملة) Wishful thinking ظهرت فى أسطورة تيفون وحورس عند المصريين القدماء ، وفى احدى أساطير ميثرا Mithra عند الفرس ، ثم فى كتب الصينيين القديمة وفى عقائد الهنود وبخاصة مايتعلق بتناسخ براهما ، ولا تزال آثار من أمثال هذه الاعتقادات المؤملة فى اسكندناوة والمكسيك ، وقد وجدت عند المسمين فكرة (المهدي المنتظر) الذى يأتى « ليملا الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا » ! ويقول فولتير « ان الهنود والصينيين يتنظرون خروج المخلص الموعود من المغرب ، بينما ينتظر الغربيون خروجه من المشرق (١) »

ويذكر جريجوريوس النزينزى :

« سمي يسوع مسيحا أو ممسوحا بسبب اتحاده باللاهوت ، فاللاهوت هو مسحة الناسوت ، تقديس الناسوت بمجرد الاتحاد باللاهوت ، وليس بطريقة فاعلة كما هو الحال عند سائر القديسين (٢) » فقد ظهر من محاكمة المسيح أن اليهود كانت لهم امتيازات قانونية وقضائية فى المسائل الدينية ، وأن الرومان كانوا يطلقون لهم سجيناً فى عيدهم ٠٠٠ وأما محاكمة بولس فنحن نقرأ عنها : « ولكن لما كملت

(١) Encyclopedie La Rousse فان فلوتن : السيادة العربية

والشيعة والاسرائيليات فى عهد بن أمية - ترجمة د. حسن ابراهيم ومحمد زكى ابراهيم ص ١٠٨ - ٩ هامش .

(٢) فرنسيس فرييه : التجسد - ترجمة لويس ابادير ص ١١٩ .

سنتان قبل فيلكس بوركيس فستوس خليفة له ، واذ كان فيلكس يريد أن يودع اليهود مئة - ترك بولس مقيدا ٠٠ فعرض له رئيس الكهنة ووجوه اليهود ضد بولس ، والتمسوا منه طالبين عليه مئة أن يستحضره الى اورشليم ، وهم صانعون كميناً ليقتلوه في الطريق ٠٠ ولكن فستوس اذ كان يريد أن يودع اليهود مئة - أجاب بولس قائلاً : أتشاء أن تصعد الى اورشليم لتحاكم هناك لدى من جهة هذه الامور ؟ « (١) » .

ويح يهود ، ذكرتنى بقريش ، التى قال عنها رسول الاسلام حين اعترضت طريقه وهو يسعى الى الطواف بالكعبة فى عمرة الحديبية « ياويح قريش ، قد أكلتهم الحرب ! ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فان هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا ، وان أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين !! »

« كذلك ما أتى الذين من قلبهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون . أتواصوا به ؟ بل هم قوم طاغون . فتول عنهم ، فما أنت بملوم . وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

« ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكمة والنبوة ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على العالمين . وآتيناهم بينات من الأمر ، فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم - بغيا بينهم ، ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » (٢) .

(١) أعمال ٢٤ : ٢٧ ، ٢٥ : ٢ - ٣ ، ١٠

(٢) الذاريات : ٥٢ - ٥٥ ، الجاثية ١٦ - ١٧ .

معالم وأمت

المسيح رسول عند المسلمين وعند المسيحيين ، أرسله الله ليبلغ رسالة بعينها . . . مهما كان الخلاف في صدد قضية اللاهوت والناسوت .
« ومن قبلنى فليس يقبلنى أنا ، بل الذى أرسلنى » (١) . « تعليمى ليس لى ، بل للذى أرسلنى . ان شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم هل هو من الله ، أم أتكلم أنا من نفسى . من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه ، وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم » (٢) . « أنا معكم زمنا يسيرا بعد ، ثم أمضى الى الذى أرسلنى » (٣) .
« وان كنت أنا أدين فدينونتنى حق لأنى لست وحدى بل أنا والآب الذى أرسلنى » (٤) « فأنا علمت انك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لاجل هذا الجمع الواقف قلت ، ليؤمنوا انك أرسلتنى » (٥) . « فنادى يسوع وقال : الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى ، بل بالذى أرسلنى ، والذى يرانى يرى الذى أرسلنى » (٦) .

والمسيحيون يفسرون مثل هذه النصوص تفسيراً يتلائم مع عقيدتهم فى تأليه المسيح ، فيقول الأب لويس برسوم الفرنسيسكانى « . . . يطلب يسوع هنا أن يؤمن الجميع به كاله : له والآب الأزكى طبيعة إلهية واحدة مشتركة ، بحيث أن كل من آمن به فقد آمن فى الوقت نفسه بالآب الذى أرسله ، وهما معا واحد بالذات ، الأمر الذى يتضح لنا بأعلى بيان فى الجزء الأخير من الآية المذكورة حيث يقول . (ومن رآنى فقد رأى الذى أرسلنى) - معلنا بذلك أنه صورة الآب الذى أرسله وصورة جوهرية ، حتى أن كل من رآه فقد رأى الآب . اذن فهو اله من اله ، ونور من نور » .
بل ان المسيح يقول : « وهذه هى الحياة الأبدية : أن تعرفوك أنت الإله

(١) مر ١٦ : ٣٧

(٢) يو ٧ : ١٦ - ١٨

(٣) يو ٧ : ٣٣

(٤) يو ٨ : ١٦

(٥) يو ١١ : ٤٢

(٦) يو ١٢ : ٤٤ - ٥٠

الحقيقى الوحيد ، والذي أرسلته يسوع المسيح » ومع ذلك يستطرد الأب لويس فيقول : « قال القديس أغسطينوس ، ومن بعده القديس توما الأكوينى ردا على استنتاج الأريوسيين الباطل : ألا وهو أن الآب وحده دون الابن والروح القدس هو الاله الحقيقى بحصر المعنى - بأن حرف العطف فى الآية يجمع المسيح والآب على صعيد واحد هو صعيد اللاهوت ولاشك ، بحيث أن المعنى لا يستقيم الا اذا فهمناه على هذا النحو : وهو أن الآب والمسيح مرسله - والمسيح من حيث لاهوته - هما مع الروح القدس الاله الحقيقى الوحيد » (١) .

ولقد أثارت شخصية هذا الرسول الكريم (٢) - كما قدمنا - كثيرا من الجدل عند المحدثين ، فالأستاذ ريماروس Herman Reimarus أستاذ اللغات الشرقية ترك مخطوطا ضخما بعد وفاته سنة ١٧٦٨ م - نشر أجزاء منه لسنج Gotthold Lessing ، ومما جاء فيه : ان يسوع لا يمكن أن يعد مؤسس المسيحية أو أن يفهم هذا الفهم ، بل يجب أن يفهم على أنه (الشخصية النهائية الرئيسية فى جماعة المتصوفة اليهود القائلين بالبعث والحساب) !!

ويشير هرذر سنة ١٧٩٦ م الى ما بين مسيح متى ومرقس ولوقا ومسيح انجيل يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينها !!

وعرض بولس Heinrich Paulus تفسيراً عقلياً للمعجزات عزأها لعل وقوى طبيعية (١٨٢٨ م) . لكن شتراوس David Strauss حوالى (١٨٣٥ - ١٨٣٦ م) رفض هذه المحاولة ، وقرر أن الروايات التى تتضمن خوارق للطبيعة أساطير خرافية ، وينبغى إعادة كتابة حياة المسيح متحررة من هذه الأساطير !

وفى نفس الوقت هاجم بور Ferdinand Christian Bour رسائل بولس وقال انها مفسوسة عليه - عدا رسائل غلاطية وكورنثوس ورومية

(١) لويس برسوم : حياة يسوع المسيح ج ٢ ص ١١١ ، ١٨٢

(٢) لاينفرد المسيح بهذا الجدل فى (تاريخية) يقول فيليب حتى « ان محمد هو النبى الاوحد بين انبياء العالم الذى ولد فى ضوء التاريخ الكامل . وأول اشارة لمحمد فى اللغة الديانية وردت فى مؤلف يرجع للقرن ٧م وكان تيوفانيز أول مؤرخ بينظى سجل لنا حقائق عن (حاكم المشاركة والنبى المزعوم) فى الشطر الاول من القرن ٩م» راجع تاريخ العرب ترجمة نافع ج ١ ص ١٣٦ .

وهكذا تبارى المنكرون في الانكار على نباين في الأسلوب ودرجته ، حتى قرر Bruns Bauer سنة ١٨٤٠ م أن : يسوع لا يعدو أن يكون أسطورة أو تجسيدا للطقوس في القرن الثاني !! وأنكرت المدرسة الهولندية حقيقة المسيح التاريخية بعد بحوث مضمينة ، كان ممن قاموا بها Pierson, Naber, Matrhas وفي انجلترا وصل لنفس النتيجة Arrhur Drews W.B. Smith, J.M. Robertson أما ألمانيا فقد عرض فيها سنة ١٩٠٦ م النتيجة السالفة محدودة ، وكان Ernest Renan قد أورد نتائج النقد الألماني وعرض مشكلة الأناجيل في كتابه (حياة يسوع) سنة ١٨٦٣ : زمثل Loisy مدرسة أواخر القرن التاسع عشر الفلسفية اذ حلل نصوص العهد الجديد تحليلا أدى الى صدور قرار بحرما

هذا أحد الوجهين في قضية المسيح . . .

والوجه الآخر يمثل جانب الاثبات ، وأقدم اشارة تعزز هذا الرأي ما أورده المؤرخ **يوسيفوس** (٩٣ ؟) : « في ذلك الوقت كان يعيش يسوع ، من رجال الدين - اذا جاز أن نسميه رجلا ، لأنه يأتي بأعمال عجيبة ويعلم الناس ، ويتلقى الحقيقة وهو مغتبط ، واتبعة كثيرون من اليهود واليونان . . . لقد كان هو المسيح ! » . . . وتكتنف هذه الاشارة شكوك متزاحمة ، سيما وهي صادرة من يهودي ، يستغرب منه أن يخص المسيح بهذا الاعتراف الصريح والثناء الجميل !!

وأرسل **بلني الأصغر** Pilnius سنة ١١٠ م خطابه الى الامبراطور تراجان يستشيريه في معاملة المسيحيين ، وبعد ذلك بسنين أورد تاستوس Tacitus وصفا لاضطهاد نيرون لمن أسماهم Christiani في قطعة ينال منها الشك ، وان كانت أقرب لأسلوب هذا المؤرخ القديم .

وفي سنة ١٢٥ م ينقل سوتونيوس Suetonius خبر الاضطهاد نفسه ، كذلك خبر نفى كلوديوس سنة ٥٢ م لجماعة (اليهود الذين أثاروا اضطرابات عامة بتحريض المسيح Impulsore Céresto) ، وتتفق اشارته مع ما ورد في (أعمال الرسل) .

ولربما يقال : تلك أدلة على وجود المسيحية لا المسيح . . . ولكننا اذا لم نسلم بوجود المسيح فلا مناص من الفرض الضعيف جدا ، وهو أن شخصية المسيح اخترعت في جيل واحد !! « . . .

ولابد أن الطائفة المسيحية وجدت قبل سنة ٥٢ م ببضع سنين ، والا لما كان هناك مدعاة لصدور مرسوم من أجلها .

ويروى يوليوس أفريكانوس Africanns عن الكاتب الوثني Thallus الذى عاش فى منتصف القرن الأول : أن الظلمة التى خيمت وقت موت المسيح كانت محض ظاهرة طبيعية « فنكران ذلك الوجود لم يخطر على ما يظهر لأشد المخالفين لليهودية ، أو اليهود المعارضين للمسيحية الناشئة فى ذلك الوقت » .

وأبرز الأدلة على وجود المسيح كتابات بولس - ومنها رسائل تؤرخ سنة ٦٤ م - ولم يشك أحد فى وجود بولس نفسه ، أو لقائه لبطرس ويعقوب ويوحنا ، ويعترف بولس بمعرفة هؤلاء للمسيح ويحسداهم على ذلك ، ويشير لقصة العشاء الأخير والصلب (١) .

« وكل ما يفهم من سكوت المؤرخين المعاصرين على سبيل الجزم ، أن المؤرخين لم يدركوا خطرهما - المسيحية - ولم يميزوها عن الحركات المتفرقة التى كانت تختلج بها طوائف اليهود على صفة عامة . . . ويبدو لنا أن نشوة العلم الجديد : علم المقابلة بين الأديان ، هى التى دفعت أصحابها فى القرن الثامن عشر الى تحميل المشابهات والمقارنات - بين القصص المروية عن السيد المسيح والقصص المروية عن الأرباب فى العبادات الشرقية القديمة ، ومنها القول بأن أخبار المسيح بقية من الديانات الشمسية القديمة يدل عليها عدد اثني عشر الذى يشير الى البروج والى عدد التلاميذ - تحميلها فوق طاقتها . . . وينبغى أن نذكر أن المسيحية وجدت قبل أن تقترن بها تلك المراسم والتقاليد » (٢) .

وبرز جورج ماثيسون اللاهوتى الاسكتلندى ملامح صورة (المسيح) بين دعاة الاصلاح فيقول :

« تشترك صورة المسيح مع صورة بعض الفلاسفة أمثال (كونفوشيوس) و (بوذا) و (زرادشت) فى كثير من الملامح ، ولكن هنا يكمن السر الفريد، فحيث تبدو وحدة الملامح تستتر أعظم الفوارق» . .

« دعنا نضعه بجوار حكيم الصين ورجلها القوى الراسخ (كونفوشيوس) . . . نعم هناك تشابه فى الملامح الظاهرة ، فكلا الاثنين جاء ليؤسس مملكة أرضية ، وكلاهما قد أعلن فائدة العمل العادى البسيط ، وكلاهما قد حول أنظار تلاميذه الى الأمور البسيطة التافهة تحت

(١) ديورانت : قصة الحضارة ج ٣ م ٣ (قصر والمسيح) - ترجمة بدران ص

٢٠٢ : ٢٠٦

(٢) العقاد : عبقرية المسيح ص ١٨٤ : ٦

أقدامهم ٠٠ لكن عبقرية يسوع وتفردته تكمن : ليس في (ماذا) ، ولكن في (لماذا) ؟ لماذا رفع كونفوشيوس من قيمة العمل العادي ؟ لأنه أراد أن يجعل الناس عالميين (أى يربطهم بالعالم) . ولماذا رفع المسيح من قدر الواجبات العادية ؟ لأنه أراد أن يجعل الناس غير عالميين ٠٠٠ فى نظر حكيم الصين أن القوة التى تعيننا لنقوم بأداء الواجبات البسيطة هى دليل العبقرية الطبيعية ، ولكن هذه القوى فى نظر ابن الانسان هى برهان الالهام السماوى . يرى كونفوشيوس أن بركة المساكين بالروح تكمن فى كونهم ولدوا من أسفل ، ويرى يسوع أن تطويب المساكين بالروح كان فى كونهم ولدوا من فوق (لأن لهم ملكوت السموات) ٠٠٠ وأنا لا أعرف عملا قام به أحد الصينيين ونجح فيه مالم يكن قد وجه نظره الى آفاق أوسع من محيط عمله . ان الطالب لا يستذكر دروسه فى نور المصباح بل فى نور العطلة القادمة ! وهكذا لا أظن أن تثبيت النظر فى الحال الحاضرة ينتج عملا ناجحا ، بل ان الاجتهاد فى الحاضر هو نتيجة الرجاء فى المستقبل ، ينبغى أن أنظر الى ما وراء الساعة ان كنت أريد أن أجتاها ٠٠٠

« وكم اقترن اسم المسيح باسم (بوذا) فى مخيلة الكثيرين ٠٠٠ هناك أوجه شبه كثيرة ٠٠ على الأقل فى الملامح ، فكلاهما وصل الى مستوى واحد فى التضحية ، كلاهما يصرح أعط أعط ، كلاهما أخلى نفسه من مجد سابق ، كلاهما اختار الفقر والوحشة والعمل المضنى ، كلاهما نصح الناس بأن يحملوا الصليب وكلاهما رآه الناس يصعد مدارج جبل الجلجثة . ولكن فى وحدة الملامح تبرز الفوارق : بوذا يرى أن الصليب خنوع التعاسة البشرية ويسوع يرى أن الصليب ثورة فى وجه الشقاء البشرى ! بوذا يدعو الناس ليتحققوا بطلان وجودهم ويبحثوا أمام هذه الحقيقة المرة ويسوع يدعوهم ليقطعوا صلتهم بالأرض ويتنكروا لحالتهم ويسهموا فى رفع أحمال البشرية المذلة ! يسوع يدعونى لأرفع حمل أخى ليس لأننا نشترك فى الحمل الواحد بل لأن الحمل ينبغى أن يزاح ! انه حمل (صليبه) من أجل السرور الموضوع أمامه . انه تحمل للحمل فى الحاضر على رجاء التحرر منه فى المستقبل . انه تحمل للكلفة فى سبيل تحرير البشرية (١) .

(١) الأديب اليونانى نيكوس كزنتزاكى المولود فى كريت ١٨٨٥ م ومن أعماله (المسيح يصلب ثانية) كما أن له كتابات فى الفلسفة ومؤلفات شعرية ومسرحية ، يرى أن التحرر عند بوذا هو محاولة الخلاص حتى من الخلاص نفسه ، فالذى يسعى للخلاص يتكبل روحه بأغلال الأمل وتعاليم بوذا تدعو الى التسامى على الرغبة والأمل حتى لا يريد المرء شيئا ويبلغ اللاوجود ويتحرر من كل مادية ومعنوية وتفنى روحه فى الصمت المطلق وهكذا =

« ولنظر صورة أخرى : صورة (زرادشت) حكيم الفرس • هناك تشابه كبير ، انه أتى الى العالم بصيحة الحرب هاتفا : ان الكون قد اختل نظامه فهناك قوة شريرة تقف في وجه الله وتقاومه هلموا معي ولنتهيا للقتال ، وهكذا كان أيضا يسوع يتملكه شعور بنضال مقبل ومن ثم رفض أن ينظر للحياة نظرة المتفائل ودعا أتباعه ليعدوا أنفسهم لمنظر الصراع الدامي : لحروب وأخبار حروب ••• وفي مواضع الشبه تبرز أوجه الخلاف : زرادشت يقصد أن يقول : انكم تعيشون في عالم نضال لذلك تمنطقوا بلباس الحرب ويسوع يقول : انكم تعيشون في عالم محارب لذلك البسوا روح السلام ! الروح المحاربة في نظر يسوع هي آخر ما يصلح للحرب فالحرب تحتاج الى هدوء النفس والقوة التي تغلب العالم معه هي قوة السلام ! انه يطلب الاستعداد للمعركة بالهدوء الفكري ، فالفكر الذي يشترك في الصراع من أجل ملكوته هو الفكر الذي يتخلي عن ذاتيته ويتجرد عن التفكير حتى في أعدائه ! أن مؤسسى الديانات الأخرى يعدون شعبهم بالسلام بعد انتهاء الحرب ، أما يسوع فانه يعد شعبه بالسلام قبل أن تبدأ المعركة ! ••

« دعنا نختار الرجل الذى سبى في محيط الفكر عقول أفراد امبراطورية الرومان الفيلسوف الروافى (ابكتيتوس) Ep Cctitus الروح التى بعثها في الامبراطورية الرومانية ؟ انها الشجاعة وسط مخاطر الحياة والهدوء وسط عواصفها والجرأة في مواجهة أشباحها المظلمة • يسوع أيضا كانت له هذه الملامح ، ولكن هل صورة العبد المشوه على ضفاف التيبر تطابق صورة رجل الأحزان على ضفاف الأردن ؟ هل روح الامبراطورية تشابه روح ملكوت الله ؟ كلا ••• ان شجاعة كل منهما كانت تنبع من مصدر مختلف ، فابكتيتوس يقف على البحر لأنه غلب عاطفة الخوف ويسوع يقف على البحر بدافع عاطفة الحب ! ابكتيتوس وصل الى قمة شجاعته بالحد من مجرى حيويته ويسوع وصل الى قمة اقدامه بتوسيع مجرى حيويته ! ابكتيتوس انتصر بكبح جماح عواطفه ويسوع انتصر بتسامي عواطفه في دائرة أوسع ! ابكتيتوس ذابت أمام عينيه جبال المخاطر لأنه رأى العالم كله يذوب أمامه ويسوع تضاءلت أمامه جبال المخاطر ليس بانكماش العالم بل بانبساطه واتساعه ! أستطيع

= يخرج الانسان عن الامل المطلق واليأس المطلق معا ••• ومن هنا يصل كرنترزكى الى ان « المسيح يخفى بوذا في ثنياه » مقال خطاب الى الجريكو (المجلة - ع ٨٧ - مارس ١٩٦٤) •

أن أجتاز الأتون بدون خوف اذا فقدت الاحساس بالألم وأستطيع أيضا في سبيل انقاذ انسان آخر من الألم ، الأولى شجاعة الجمود والثانية شجاعة العطف ، الأولى تنتصر بضيق الصدر والثانية باتساعه ! ان يسوع لا يقلل من الخطر الذى يحيط به ، ولكنه يزيد من ابراز الخطر المحيط بالغير ! انه لا يصمت أمام الكارثة الداهمة صمت عدم الاكتراث كالفيلسوف الرواقى ، ولكنه يصمت ليصفى لأنات من هو أفدح خسارة !! « ٠٠ » (١)

على أن الانسانية لا ترتضى اليوم الطابع المأسوى الحزين ونحن نقرأ مثلا للأديب اليونانى كزنتزاكى أن المسيح لم يبلغ الله حتى امتحن بجميع عذاب الانسانية « لقد كان يحول المادة الى روح فى كل لحظة من لحظات الكفاح » ، لكن الأديب اليونانى يرفض أن يكون بلوغ الغاية مقصورا على مكابدة هذه الآلام « لقد آن الأوان أن يضحك المسيح . آن الأوان ألا يجلد ، ألا يبكى ، ألا يصلب كل يوم ، أن يتطبع بقوة وبهجة آلهة الاغريق . آن الأوان لكى يصبح مسيح اليهود اغريقيا » !! (٢)

وجورج مايسون يرى أن المسيح كان بطبيعته فرحا متهللا وانما كان لطابعه الحزين أسباب وعلل « وانى لا أكاد أصغى الى حديثه عن زنابق الحقل وطيور السماء الا ويتملكنى الشعور القوى بأن قلبه كان متفتحا لتأثيرات الفرح الناجمة عن مناظر الطبيعة الجامدة . لكن العالم الذى كان على يسوع أن يتعامل معه لم يكن عالم (الطبيعة) البهيج ، بل كان دائرة (البشرية) التعيسة ! لقد جعلته الطبيعة فرحا وأجازه الانسان فى اختبار الحزن ، لقد أحس بالفارق العظيم بين باقات الزنابق وجموع النفوس البشرية : الأولى كانت تنمو بلا عائق والثانية كانت عاجزة عن النمو والتطور ! ولقد تيقن فى قرارة نفسه أن حجر العثرة الذى وقف فى طريق نمو البشر هو افتقارهم الى الفرح وتثقلهم بأحمال الهموم وتلبد سمائهم بالسحب المظلمة ! ٠٠ ان أحزان يسوع كانت شيئا غريبا عنه ، شيئا دخيلا على نفسه هاجمه من العالم الخارجى ، وفى الرسالة الى العبرانيين : (فتفكروا فى الذى احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه ٠٠٠) . اننا كثيرا ما نتحدث عن (رجل الأحزان) ، ولكننى أعتقد أن أعرق الأنغام التى صدرت عن نفس يسوع لم تكن أنغام الحزن

(١) جورج مايسون : دراسات فى صور من حياة المسيح . ترجمة د. عزت زكى جا ٧ : ٢

(٢) مقال : خطاب الى الجريكو - المجلة ع ٨٧ مارس ١٩٦٤

بل أنغام الفرحة « ٠٠٠ ويمضى الكاتب في تحليله وتعليقه فيشير الى ما ورد في الانجيل بالنسبة لواقعة اقتسام الخبز في البرية « في تلك الساعة تهلل يسوع بالروح ٠٠ » ويرى في ذلك اعلانا لعودة المسيح الى طبيعته الأصلية لا تعبيرا عن حالة استثنائية نادرة الحدوث « لقد نظر يسوع الى الجمهور المبتهج ولأول مرة في اختباره رأى وكأنهم سموا في نومهم كزنايق الحقل وألقوا عن كاهلهم أحمال الأمس وهموم الغد فرحين بيومهم السعيد ، فرجع يسوع الى طبيعته الفرحة الأولى والى جوه السعيد الأول ٠٠٠ كان الحزن يتسلل الى قلبه من الظروف المحيطة ، ولكن الفرحة كان ميراثه الطبيعي « « ولقد كانت النقطة التي تهلل فيها يسوع بالروح هي نقطة ختام الفترة الأولى من حياته ، وهي أنقى لحظات حياته التي اختبرها حتى الآن ، بل أنقى اللحظات التي سيختبرها من بعد حتى يخيم عليه ظل الصليب ! في الفترة الثانية نقف أكثر مانقف بجوار صليبه ، ولكن هنا نقف أمام تاجه ! لقد وصلت رسالته الى قمة انتصارها وتوج انتصارها الرضا الالهي ! في الفترة الأولى نرى الخطوات التي نزل بها يسوع الى الانسانية ، وفي الثانية نرى الطريقة التي حاول بها يسوع أن يجتذب الانسانية اليه ! الحادثة الرمزية التي تشير الى الفترة الأولى هي حادثة كسر الخبز في البرية ، والحادثة الرمزية التي تشير الى الفترة الثانية هي الجسد المكسور الذي يجذب اليه جميع الناس ! ٠٠ ونحن نرى الجبل لناجم عن الفرحة يوضع كله على كاهل يسوع فبعد أن نراه يرفع عينيه الى السماء في غمرة من الفرحة الفياض نراه يحنى رأسه الى الأرض وينظر الى الجمهور ويشع في عينيه بريق الحنان وينادى (تعالوا الى يا جميع المتعبين والثقلى الأحمال وأنا أريحكم) !! « « لقد نبغ تجاوبه العاطفى مع احساسات الألم من اختباره للحظات السرور « « ولقد أعلنته الجليل كنبي وقدمت له أورشليم بالرغم من شبح الموت القادم لباس الملك ، وأستطيع أن أحدد بداية ساعة كهنوته باللحظة التي سقط فيها صليبه عن كاهله وهنا نراه في ثوب الكاهن يقدم ذبيحة نفسه وذاته « ! (١)

ويلمح بترسون سمث الى تجاوب المسيح مع الطبيعة « وأنت تشعر هذا الشعور فى تلميحاته التى تفوه بها عن الطبيعة فى أقواله ، وتحس

(١) جورج مائيسون : دراسات فى صور من حياة المسيح ترجمة دكتور عزت زكى ح ١ ص ١٥٨ - ٩ ، ١٦٤ : ٦ ، ح ٢ ص ١٥٧ ايضا بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ٣٥٢

أن الله وراء كل هذه المخلوقات التي يحبها ويعتنى بها ! يحب الحملان الصغيرة تلعب وتمرح في الحقول ، ويرى العصفور الصغير الذى يسقط من عشه ، وهو الذى يكسو الحقول خضرة ونضرة وينبت أزهار البرية فوق سفوح التلال ويكسوها جمالا يفوق جمال (سليمان فى كل مجده) ! ويرى الصبى الحياة تنبت فى بذر الحنطة من قبل الله بطريقة اعجازية (نباتا ثم سنبلًا ثم قمحا ملآن فى السنبل) ! وما أجمل أن نربى أولادنا هكذا ، وأن نرى الله يتحرك ويعمل فى حياة الطبيعة ونرقب باحترام ووقار زهرة تفتتح أكمامها ، ونشعر أن ايذاء طائر صغير أو الدوس بالقدم على زهرة ناضرة من قبيل اتخاذ اسم الله باطلا ! « ولست أدري من أين جاءتنا الفكرة الشائعة عن محيا يسوع الكتيب ، وأظنها جاءت عن نبوة أشعياء القائلة (رجل أوجاع ومختبر الحزن) ٠٠٠ أجل لقد احتمل أحزاننا وحمل أوجاعنا ، لكن الشعور مع الآخرين والموت لأجلهم لا يخفى معالم الفرح فى النفس الكبيرة ، بل ان الحمية للتضحية وانكار الذات هى فرح فى حد ذاتها لمن كان مثله ! ونستطيع القول من الوجهة البشرية أن انشراح الصدر والفرح الداخلى وخفة الروح هى التى هونت عليه مهمة الحياة ، ولم يفقد هذه الروح قط حتى فى أحلك أيام حياته . فقبل نزاع جثسيماني بثلاث ساعات فقط نراه يذكر تلاميذه بالسعادة التى تذوقوها ٠٠٠ وأبناء العرس سعداء فرحون لأن العريس معهم ٠٠٠ كلا ، لم يكن المسيح عابس الوجه ونحن نعلم أن شخصيته كانت جذابة ٠٠٠ ولنذكر أن الله يحب الانشراح وسعادة الحياة ٠٠٠ وليس الله يشبه الكاهن المترفع الذى يهتم فقط بالكنائس والوعظ وخدمة الأسرار المقدسة ، انه يرغب أن نستمتع بالحياة ، فهو الذى خلق الموسيقى والفن ووهبنا روح النكتة والضحك ، وهو الذى يشرح الصدور لتمكيننا من التغلب على وعورة الحياة » !! (١)

فاذا انتهينا من ذلك الى وجود المسيح تاريخيا والى شخصيته المتميزة ، فان رسالته قد استمرت بعد رفعه ٠٠ ان رسل المسيح من بعده يواصلون المهمة ويبشرون بالرسالة . ولقد مارسوا : « طقوسا ثلاثة : المعمودية ، ووضع الأيدى ، والشركة . فكان على كل مستجد يقبل الدعوة أن يتعمد باسم يسوع المسيح ، وأن يبارك بوضع الأيدى ، وأن يمارس الشركة وكسر الخبز » ٠٠٠ وقد تحول بولس الى المسيحية هذا

(١) بترسون سميث : حياة يسوع ترجمه حبيب سعيد ص ٣٧ - ٨ ، ٧٣ - ٤

التحول المثير الذى أشار اليه فى كلامه ، وبدأ عمله التبشيري بين يهود دمشق ، فلما شغبوا عليه قضى ثلاث سنوات فى البادية يتأمل ويبشر العرب ، ثم عاد الى اورشليم . وعاد الشغب فابتعد هو الى أنطاكية ، وقام برحلة تبشيرية مع برنابا الى قبرص وآسيا الصغرى (٤٥ : ٤٧ م) ثم عادا . وقام بولس بعدئذ برحلتين تبشيريتين : شملت واحدة (٥٠ : ٥٢ م) غلاطية وفيليبى وتسسالونيكية وأثينة وكورنثوس وافسوس وأنطاكية ، وشملت الأخرى (٥٣ : ٥٨ م) افسوس وكورنثوس وبعض جزر الأرخبيل اليونانى وصور وعكة وقيصرية فلسطين فالقدس . ولما عاد الى اورشليم ثارت ثائرة اليهود ، ويرجح أنه قضى شهيدا سنة ٦٤ م مع بطرس وغيره من ضحايا نيرون ، ويعتقد البعض أنه عاش حتى سنة ٦٦ م .

وكما انتقى المسيح الرسل الاثنى عشر وألحق بهم التلاميذ الاثنى والسبعين ، كان بولس فى رحلاته التبشيرية ينتقى لكل كنيسة يؤسسها شمامسة لخدمتها ومجلس كهنة لادارتها وقيما أعلى يمثله ويبقى على صلته بهذه الكنائس جميعها ويوجهها . ثم تعددت الكنائس فتكتلت فى كل ولاية حول كنيسة عاصمتها ، « ولا يختلف اثنان فيما نعلم أن المسيحيين الأولين كانوا مثال التقوى والصلاح ، وأن الايمان بالمسيح وبقرب عودته ليدين الأحياء والأموات كان أعمق أثرا فى نفوس أهل ذلك العصر من الايمان بالآلهة القديمة ، وأن الرسل بلغوا النجاح حيث أخفق كبار الفلاسفة . ومما يجدر ذكره أن الآباء المؤسسين حرّموا الاجهاض وقتل الاطفال ، ولموا اللقطاء وعمدوهم وربوهم على نفقة الكنيسة ، وحضوا المؤمنين على العفة والبتولية وأساغوا الزواج لمن خشى العنت . . ومما يثبت استقامة المسيحيين الأولين وصلاحهم شهادات الوثنيين أنفسهم مثل بلينيوس الأصغر وغاليانوس العالم . وأدى الشعور بينهم بالخطيئة وبقرب انتهاء العالم ومجيء الديان الى رغبة فى الطهارة والى اجتناب كل لذة من لذات الجسد » (١) .

ويرى مؤرخ الحضارة ديورانت أنه من الصعب اعتبار شخصيات رسل المسيح « من طراز الذين يختارون ليبدلوا أحوال العالم » ! ويذكر أن الأناجيل تظهر ما بين أخلاقهم من اختلاف واقعى ، وتكشف عن عيوبهم كشفا صريحا !! فبطرس شخصية بشرية لحما ودما ، فهو متهور جاد كريم غيور هيب – يصل به الوجمل أحيانا الى الجبن ! وكان هو وأندراوس

(١) د. أرسنم : الروم ج ١ ص ٢٤ - ٢٥ ، ٢٨ : ٣٠ ، ٣٦ - ٣٧ ، ٣٩ - ٤٠ .

يصيدان السمك فى بحيرة الجليل ، وكذلك ولدا زبدي Zebedee ويوحنا ، وانتقل الأربعة بأعمالهم وأسرههم وأصبحوا لصيقيين المسيح . أما متى فهو جاب للضرائب فى كبرنوم على الحدود « يخدم روما ، ومكروه من كل يهودى يتوق للحرية » !! ويهوذا الكريوثنى وحده هو الذى لم يأت من الجليل ، وقد جمع الاثنى عشر من تلاميذ المسيح كل ممتلكاتهم وعهدوا بها ليهوذا ، ليتولاهما نائباً عنهم . وكانوا فى طوافهم مع المسيح فى الرحلات التبشيرية يعيشون على مايقدمه القرويون من هدايا وضيافات . وأضاف المسيح الى هؤلاء اثنين وسبعين من الأتباع ، وانضمت اليهم بعض النساء الصالحات يقدمن المعونة فى الأعمال المنزلية التى لابد منها « وعلى يد هذه الجماعة الصغيرة ، البسيطة ، غير المتعلمة ، أرسل المسيح انجيله الى العالم » (١) !!

« وما كان أشد نفوذه عليهم وما أوثق صلته بهم . . . (يوحنا) : الشاب المملوء بالأحلام والأمانى ، (توما) الهادى ذو الوجه الوديع ، (سمعان) الوطنى الثائر المتمرد ، (بطرس) المندفع الأهوج الذى أحبه بصفة خاصة على الرغم من عيوبه ، الصنوان اللذان لايفترقان : (فيليبس) ونثنائيل ، والباقون حتى (الاسخريوطى) الذى كان من بلاد يهوذا وأحس كأنه غريب وسط الآخرين من سكان الشمال . . . كانوا كلهم بشرا فيهم كثير من العيوب والنقائص البشرية ولكن فيهم وجد يسوع صحابته ، وبدونهم كان يشعر بوحشة . .

* فريق كان أكبر مركزاً وأشد حماساً ، وهم الذين تولوا الزعامة فيهم ، وكانوا أقوى أخلاقاً وأعمق ولاءاً . . . الأخوان (بطرس وأندراوس) ، (يعقوب ويوحنا) ، والأربعة متلاصقون ، وهم أول من تعرفوا بالمسيح من حواريه ، ولذا كتب يوحنا فى شيخوخته انجيله فذكر التفاصيل حتى ساعة اللقاء ، ولم يكن (يوحنا) زعيماً ولكنه أعمق من (بطرس) فهو مفكر عميق وله عيون الرائي الحالم وكان (التلميذ الذى كان يسوع يحبه) . أما (أندراوس) فقد صلب ولسانه لايفتأ يبشر بالمسيح ، وكان يعقوب (الابن الرعد) كما وصفه المسيح ، وأحس هيرودس خطره فقطع رأسه ونجا بطرس من أن يشاركه المصير فى ذلك الوقت ليلحقه بعد أربعين عاماً !

❖ وفريق يحب المسيح ولا يصلح للقيادة ، يفكر ويرتاب ، ويمضى

(١) ديورانت : قصة الحضارة ج ٣ م ٣ (قيصر والمسيح) ترجمة بدران ص

وقتا طويلا قبل أن يؤمن بأن يسوع شخصية الهية فهكذا ركبت طبائعهم
٠٠ (فيلبس) و (نشائيل) و (برثلماوس) و (متى) و (توما) ٠٠ نرى
(فيلبس) يسعى دائما وراء الأدلة والبراهين ويريد أن يرى دائما ، كذلك
كان (نشائيل) بطيئا حذرا مرتابا وصامتا ومنكرا قال عنه المسيح
(اسرائيلي حقا لا غش فيه) ! أما (توما) فكان مرنا ينظر دائما للنواحي
المظلمة في الاشياء ، ومتى عرف المسيح صار أشد الجميع تعصبا له وتبعه
الى المنتهى . و(متى) كتوما هياب خجول ولا نعرف الكثير عنه ، كان منبوذا
من أسرته يعمل عشارا وجابيا للاموال ، ولعل وظيفته جعلت له وضعاً
خاصا في جمعه من أقوال المسيح في انجيله .

✠ وفريق اخير يندر ظهورهم في الأناجيل أو سفر الأعمال والأرجح
أن أعمالهم وجهودهم كانت في أصقاع نائية وهم نماذج لكثيرين من الذين
يعملون صامتين في كل العصور ولا يعرفهم الا الله ٠٠٠ أخوة متى الثلاثة
أبناء حلفى : (يعقوب الصغير ويهوذا وسمعان الغيور) كلهم من اليهود
المتشددين . وصار (يعقوب) فيما بعد أسقف اورشليم وكتب (يهوذا)
رسالة شديدة اللهجة في العهد الجديد وكان (سمعان) وطنيا متحمسا
وثار ضد روما . وربما يصح أن نعتبر هؤلاء شهيدى الغيرة ضيقى الفكر ،
وهم الذين عابوا على بطرس أن يأكل مع الأمم ولم يميلوا كثيرا الى آراء
بولس المجدد بشأن كنيسة جامعة يتساوى فيها اليهودى والأممى ! أما
(يهوذا الأسخريوطى) فكان الرجل المالى الذى تولى الوظيفة الادارية
العملية للبعثة ، ولقد أراد أن يكون مع المسيح ، وظهرت رجولته وسط
آلام وخز الضمير فألقى بالرشوة في وجه الذين خدعوه وذهب وشنق
نفسه ٠٠

« لقد دعا يسوع كل أصناف البشر ليكونوا له رسلا ، وفي ميدان
خدمته متسع لجميع الجهود من العباقر والغيورين والمرتابين والخائرين
والجهلاء والبلداء ٠٠٠ فى الجميع عناصر من العظمة يهذبها ويصقلها ،
وعناصر من الشر يقتلها ويبيدها ٠٠٠ يريد الجميع ويدعو الجميع » ! (١)
ويلفت النظر أن عدد تلاميذ المسيح الأولين كان اثنى عشر ، وعدد
أتباعه بعدهم كان اثنى وسبعين ٠٠٠ فالرقمان لهما فى تاريخ الأديان
السماوية مصادفات وموافقات ٠٠٠

فالأسباط أبناء يعقوب عددهم اثنا عشر » فأجاب بطرس حينئذ

(١) بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ١٨٣ : ٨

وقال له : هانحن قد تركنا كل شيء وتبعناك ، فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم : انكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد ، متى جلس ابن الانسان على كرسى مجده ، تجلسون أنتم أيضا على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط اسرائيل الاثني عشر » (١) .

والرقم ذاته وارد في القرآن ، ففي سورة الأعراف « وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما ، وأوحينا الى موسى اذ استسقاء قومه أن اضرب بعصاك البحر فانبعثت منه اثنتا عشرة عينا ، قد علم كل أناس مشربهم » ، وفي سورة المائدة « ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ، وقال الله اني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لا كفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار » ، ونقرأ في سورة الأعراف كذلك « واختار موسى من قومه سبعين رجلا لميقاتنا ، فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي ، أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ، ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين » (٢) .

وفي سيرة رسول الاسلام كذلك وردت هذه الأرقام ، ففي بيعة العقبة الثانية بايع على الاسلام من الأنصار اثنا عشر : « فلما كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر - منهم تسعة من الخزرج ٠٠٠ وثلاثة من الأوس » ، « ثم كانت بيعة العقبة ثانيا ، وقد وافى الموسم خلق من الأنصار ما بين مشرك ومسلم ، فتسلل منهم جماعة مستخفين لا يشعر بهم أحد واجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في ذى الحجة وواعده أوسط أيام التشريق بالعقبة ، وهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان ٠٠٠ وأقام صلى الله عليه وسلم اثني عشر نقيبا » (٣) .

حدث المسيح ولم يدون ٠٠٠

وآثر المسيحيون الاولون السماع على القراءة ٠٠٠

(١) مت ١٩ : ٢٧ - ٢٨

(٢) الأعراف : ٦٠ ، المائدة ١٢ ، الأعراف ١٥٥

(٣) المقرئى : امتاع الاسماع (طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ص

٣٣ : ٣٧ .

لكن المؤمنين تفرقوا ، واليونانيين وغيرهم ممن دخل في الدين الجديد لم يكونوا يفهمون الآرامية . .

فكان لابد من التدوين . . . ومن هنا جاءتنا الاناجيل الاربعة .

في أول الامر كانت كل المآثورات المعروفة عن المسيح : آفـراله ومعجزاته وحياته والقصص المروية عن موته وقيامته - كلها أقوال شفوية متناقلة . وحين كانت المسيحية تنتشر في سوريا وآسيا الصغرى واليونان كانت قصص البشائر تتناقلها الشفافة واستمرت على ذلك قرابة ٣٥ عاما . وانما جاء الدافع الى التدوين عند اضطهاد نيرون للمسيحيين اذ اجتمع شيوخ الكنيسة وكبارها في خريف عام ٦٤ م وتذكروا من افتقده من دعائم الكنيسة : وعلى رأسهم بطرس الذي صلب في حدائق الفاتيكان ! ووجد المجتمعون أمامهم يوحنا الملقب (مرقس) زميل بطرس في جهاده وكان قد هرب من الاضطهاد فكلفوه كتابة ما يستطيع أن يتذكره من أحاديث المسيح وتعاليمه . وكتب مرقس بشارته ، وحذا غيره حذوه . وتعددت البشائر ، ونسب بعضها الى من كانوا ينزعون الى (الغنوصية) وقيل أنهم حاولوا أن ينزعوا بالمسيحية نزعتهم ويدمجوها في غيرها فاصطنعوا أناجيل منها : انجيل بطرس وانجيل المصريين وانجيل بازيليدس وانجيل توما لديها من أناجيل واعتمدت (الاناجيل الاربعة) واعتبرت ماسواها (بشائر أبو كريفية) غير معترف بها .

على أن (العهد الجديد) نفسه قد سجل حديثين للمسيح لوجود لهما في الاناجيل الاربعة ، ففي وداع بولس لشيوخ افسسوس يقول : « متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال مغبوط هو العطاء اكثر من الاخذ - أعمال ٢٠/٣٥ » . وهو يستشهد بكلمات للمسيح لانجدها في الاناجيل مثل « انى عالم ومتيقن في الرب يسوع : ان ليس شيئا نجسا بذاته الا من يحسب شيئا نجسا فله هو نجس : رومية ١٤ : ١٤ » ونجد أحيانا روايات للنصوص بمعناها « أما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أنه لا تفارق المرأة رجلها - ١ كور ٧ : ١٠ » ويقابلها « فقال لهم من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزنى عليها مر ١٠ : ١١ » وأقتبس بولس من كلمات المسيح ما ورد في ١ تس ٤ : ١٦ « لأن الرب نفسه يهتف بصوت رئيس ملائكته وبوق الله سوف ينزل من السماء والاموات في المسيح سيقومون أولا » ولا نظير لهذا القول الاخير في كلمات المسيح المروية في الاناجيل الاربعة .

وبعض النسخ القديمة من (العهد الجديد) تحوى أقوالا لا توجد فى بقية الأصول التاريخية ، وهى غالبا أضيفت بقصد توضيح كلمة غامضة والى جانبها نجد ما هو معروف مقرر . (١)

ومتى : عشار يهودى تبع المسيح وأصبح أحد الرسل الاثنى عشر ، ويستدل من أقوال بعض الآباء أن متى تولى تبشير اليهود فكتب انجيله لهم بالآرامية ، بينما كان بطرس وبولس يعملان فى روما (٥٠ : ٥٥ م) ، وفى تضاعيف الانجيل ما يعزز أنه كتب لليهود – مثل اسناد نسب المسيح الى داود ووصل سيرة السيد بنبوءات التوراة ، وقد ضاع الأصل الآرامى وبقيت الترجمة اليونانية .

وكان بطرس يجهل اليونانية ولا يعرف سوى الآرامية فلما ذهب الى روما استدعى يوحنا الذى كان يدعى **مرقس** (٢) ليترجم بينه وبين سكان روما ، وكان مرقس من يهود قبرص يتكلم اليونانية ويقرأ ويكتب فالتحق ببرنابا وبولس ، وبعد وفاة الأول انتقل الى روما ودون سيرة المسيح بطلب من أهل روما بين عامى ٥٥ م ، ٦٠ م كما سمعها من فم بطرس ، دون تسلسل بل وفقا لاحتياجات القول ودواعيه .

وفى سنة ٦٤ م شعر دعاة المسيحية بالحاجة الى « سيرة مرتبة منظمة ، مكتوبة بلغة واضحة مضبوطة ، وبأسلوب رائق جذاب ، يستهوى العقول ، وينشط الهمم » . وهنا جاء دور لوقا الطبيب الذى اطلع وسمع ، ورافق بولس فى رحلاته ، « فجاء انجيله تاريخياً رسمياً ، وأثراً أدبياً » ، وظهر هذا الانجيل بين عامى ٦٤ م ، ٧٠ م ، « ومن هنا جاء القول بأن انجيل لوقا هو انجيل بولس ، ويرى رجال الاختصاص علاقة وثيقة بين هذا الانجيل وبين سفر أعمال الرسل من حيث جوهر الرسالة واللغة والأسلوب ، فينسبون الاخير الى لوقا أيضا » . وهكذا لم ينقل انجيلا مرقس ولوقا عن المسيح مباشرة ، بل الأول نقل عن بطرس والاخر عن بولس .

(١) يواكيم أرميا : أقوال المسيح غير المدونة فى بشائر الانجيل – ترجمة دكتور عزت ذكى ص ١٠ : ١٨

(٢) تشير المآثورات الكنسية الى أن البشير مرقس هو أول من أدخل المسيحية الى مصر وأنه استشهد بالاسكندرية ، راجع يوسابيوس : تاريخ الكنيسة ، دكتور زاهر رياض : كنيسة الاسكندرية ، حبيب سعيد : عشرون قرناً .

ويجمع علماء الكنيسة أرثوذكسين وكاثوليك على أن الانجيل الرابع هو ليوحنا الحبيب ، « ويرون في دقة المعلومات الجغرافية التي وردت فيه عن القدس وفلسطين ، كما يرون في شدة العاطفة التي تضمنها نحو شخص السيد ما يؤيد التقليد الموروث أن كاتب هذا الانجيل وسفر الرؤيا هو يوحنا الحبيب نفسه » (١) .

هذه هي الاناجيل الاربعة المتداولة . .

والاناجيل مجموعة مذكرات ووقائع وأحاديث اختزنت في عقول التلاميذ الاولين ولم يزاع فيها دائما الترتيب والتتابع الزمني وليس لدى الجيل الاول من المسيحيين سيرة تراعى هنا التتابع في وقائع حياة المسيح . وكانوا في الكنيسة يلقنون كل يوم أحد أجزاء متفرقة ويسمعون قصصا مروية . وقد عرفوا ترتيب أحداث (البداية) : التجسد والمعمودية والتجربة ، كما عرفوا ترتيب أحداث (النهاية) : الرحلة الى اورشليم والمحاكمة والصلب والقيامة والصعود . أما احداث الفترة المتوسطة فلم تبوب ولم ترتب زمنيا . « وظهرت الاناجيل المكتوبة التي هي سجل الانجيل غير المسطور الذي تلقنه المسيحيون الاولون » .

والاناجيل الثلاثة الاولى يستمدّها كتابها مما لقنه المسيحيون في الاقاليم التي عاشوا فيها ، ومن المعلومات التي يدلى بها شهود العيان ، ان غير ذلك من المصادر . والانجيل الاول كان (لمرقس) ويسهب في حوادث الايام الجليلية وهو مستمد من بطرس الذي كان يدعو مرقس : ابني - ويروي عن بابيلاس اسقف هيرابوليس عقب موت يوحنا أن مرقس ترجمان بطرس « كتب بدقة وان لم يكن بترتيب كل ما رواه بطرس عن المسيح ، لان مرقس نفسه لم يسمع السيد ولم يكن تلميذا له بل لبطرس الذي اعتاد أن يلقي تعاليم تناسب حاجات سامعيه لارواية مرتبة منسقة » ومن هنا قد يسمى هذا الانجيل بانجيل بطرس . وقدم (متى) صورة مستعرضة لأقوال المسيح توسع فيها هو وغيره حتى صارت الانجيل الحالي الذي بيدنا ، وفيه كثير من المواد التي جمعها مرقس . وتلقى (لوقا) انجيله في مجمع انطاكية ، وأخذ عن مرقس ومتى وعن مصادر أخرى ، وقد أفاد كثيرا من التلاميذ الآخرين الذين التقى بهم في صحبته لبولس وبخاصة بالنسبة لذكريات الطريق الى اورشليم وقد يسمى انجيله بانجيل بولس (٢) .

(١) د. أسد رستم : الروم ج ١ ص ٤٠ : ٢

(٢) تيرسون سمث : حياة يسوع - ترجمة حبيب سعيد ص ١٠٣ - ٤ ، ٢٨ .

و(سفر الاعمال) هو القصة الوحيدة المتصلة التي انتهت اليها عن الفترة الاولى من التاريخ المسيحى ، والرسول بولس يقول فى رسالته الى كولوس (٤ : ١٤) أنها من صنع لوقا الطبيب المحبوب والايات الاستهلالية فى (انجيل لوقا) اهداء الى شخص غير معروف يدعى ثاوفيلس (وفى الاصل اليونانى يخاطبه المؤلف بعبارة تفخيم تدل على انه كبير المقام) وسفر الاعمال يخاطب ثاوفيلس أيضا ويشير الى (الكلام الاول) . وهذا قد يعنى أن انجيل لوقا مع سفر الاعمال مؤلف من جزئين لكاتب واحد . ولم تصلنا خاتمة هذا السفر ، ولا يعرض للحديث عن استشهاد بولس ولعل الجزء الذى وصلنا قد انتهى قبل موت بولس أى حوالى سنة ٦٠م وان كان هذا يؤخر تاريخ كتابه انجيل لوقا عما هو عليه عند كثرة العلماء . وسفر ...

الاعمال أشبه (بيوميات) كتبت تباعا ويرجح ان لوقا لم يكن يهوديا لان بولس يذكره فى (كولوس ٤ : ١٤) بعد أن ذكر بعضا من صحابته (١١) العاملين معه وقال عنهم انه من المسيحيين اليهود وعلى ذلك يكون **لوقا الوحيد بين كتاب أسفار الانجيل الذى اعتنق المسيحية من عالم الامم** . ويصور لوقا دعاة المسيحية فى نشرهم دعوتهم ، ويروى أعمال بطرس وبولس فى التبشير بالانجيل كما يصور النزاع بين اليهود والامم ويتناول (سفر الاعمال) أحداث ثلاثين عاما من ٣٠م الى عام ٦٠م (١) .

وقد قدم عدد من المسيحيين الأولين حتى العصور الوسطى طائفة من أقوال المسيح المتواترة بين الناس . وكان بابيلاس أسقف هيرابوليس أول من حاول أن يجمع كلمات المسيح غير المدونة فى الأناجيل وقال عنه ايرانيوس انه سمع شخصا يوحنا بن زبدى . ولكن يذكر يوسابيوس مؤرخ الكنيسة انه أخطأ التمييز بين الصحيح والزائف ومن ذلك : « يخبرنا الشيوخ الذين سمعوا يوحنا تلميذ المسيح انه قال بأن الرب قال عن هذه الأوقات : هو ذا أيام تأتى حين تنموا كروم فى كل كرم عشرة آلاف فرع وفى كل فرع عشرة آلاف غصن وفى كل غصن عشرة آلاف محلاق وفى كل محلاق عشرة آلاف عنقود وفى كل عنقود عشرة آلاف حبة وكل حبة عنبه اذا عصرت تعطى خمسة وعشرين مكيالا من الخمر . الخ » وهذا أسلوب شبيه بأسلوب كتاب الادب اليهودى المتأخر فى بعض أجزاء

(١) د. مول : رسل المسيح ترجمة حبيب سعيد ص ٩ : ١٣ أيضا د. بترسون سمث حياة يسوع - ترجمة حبيب سعيد ص ٢٨ .

التلمود (البراكرت السرياني) ونجد مرويات أخرى فى كتابات يوستن الشهيد وثيودوتس أحد تلاميذ فالنتينوس وتريليانوس وفى كتابات اكلمندوس الاسكندري وأوريجانوس وابروتيموس واوغسطين على ان التلمود لا يعتبر من بين مصادر كلمات المسيح اذ تجاهل كتاب اليهود كل مايتعلق بالمسيح، وان كان يتضمن روايات لها دلالتها التاريخية . ومن ذلك ما روى عن الحير اليعازار بن هيركانوس الذى عاش حوالى عام ٩٠ م وكان أحد كبار احبار اليهود ، اذ يقص قصة لقاء له مع تلميذ للمسيح وقد تقدم اليه هذا يسأله : اليس مكتوبا فى ناموسكم : لا تدخل اجرة زانية الى بيت الرب الهك بث (٢٣ : ١٨) فلماذا تستخدمون مثل تلك يعقوب يقول له : اسمع اذن ما علمنى اياه يسوع الناصري من عقر الزانية جمعتها والى عقر الزانية تعود (ميخا ١ : ٧) من النجاسة أتت والى النجاسة تعود !

وقد اكتشف أثنان من الأثرين البريطانيين سنة ١٨٩١ فى حفائرهم البهنسا (اكسيرنيكوس) ورقة بردى طولها ١٥ سم وعرضها ٩ سم مكتوبا على وجهيها باليونانية ويرجح أنها ترجع الى أواخر القرن الثانى الميلادى أو بعده بقليل وتحتوى على أقوال للمسيح غير معروفة يستهل كل منها بعبارة (قال يسوع) والقول الأول خاتمته « وحينئذ تبصر جيدا ان تخرج القذى من عين أخيك » وهو يشبه ماجاء فى انجيل لوقا (٦ : ٤٢) والقول الخامس « ليس نبى غير مقبول الا فى وطنه ولاطبيب يشفى معارفه » وهذه اضافة لما ورد فى انجيل لوقا (٤ : ٢٤) ومن الاقوال التى ليس لها ما يقابلها « ان لم تصوموا عن العالم لن تجدوا ملكوت الله ، وان لم تحفظوا السبت كما يجب أن يحفظ فلن تبصروا الآب » . وفى عام ١٩٠٣ اكتشف الاثريون فى خرائب البهنسا بردنيين آخرين تحتويان أقوالا للمسيح تستهل أيضا بعبارة ، (قال يسوع) . وهذه الكلمات جميعها معروفة فى الاناجيل غير المعترف بها أو (الكتابات الابوكريفية) التى ليس لها مرتبة لاناجيل المعتمدة فى الثبوت والحجية مثل انجيل العبرانيين وانجيل المصريين أو انجيل توما . وجاء فى القول الثانى : «يقول يسوع: ينبغى أن ذاك الذى يطلب لا يكف حتى يجد وحينما يجد يمتلئ بالعجب ، وحين يمتلئ بالعجب سيملك ، وحينما يملك يستريح » ولا نجد فى هذا الكلام طابع أسلوب المسيح المعروف فى الاناجيل الاربعة وان كنا نجد هناك فى انجيل متى ولوقا « اطلبوا تجدوا » (مت ٧ : ٢٧ لو ١١ : ٩) : ونجد من بين الاقوال المنسوبة ما يشبه لغة الغنوصيين . . . «من يستطيع

أن يزيد قامتكم انه يهبكم كساءكم • فقال له تلاميذه : متى تعلن ذاتك لنا ؟ ومتى نراك فقال : حينما تتجددون من ثيابكم ولا تخجلون ، ! وقد ازدهرت (الغنوصية) في مصر في أوائل العصر المسيحي وكان من مبدئها العفة الجنسية والزهد المطلق كأساس للوصول الى السماء • وكان أهم اكتشاف في عالم البردى سنة ١٩٠٥ لوريقة من البردى لاتزيد عن ٨ر٨ × ٧ر٤ سم مكتوبة من الوجهين وتحوى كتابة يونانية من ٤٥ سطرا وترجع للقرن الرابع الميلادى ويبدو انها كانت تستعمل كحجاب • وفي سنة ١٩٣٥ اكتشفت صحيفة تحوى قصة موسعة لما ورد في انجيل يوحنا من مناقشة المسيح لعلماء اليهود ويرجح انها من انجيل غير معروف ويبدو ان كاتبها كان يعرف الكثير عن الاناجيل الاربعة وانه كتب من الذاكرة ما استطاع أن يستوعبه مضيفا اليها كلمات للربط وان حال جهله دون بعض التفاصيل الهامة •

وفي احدى برديات البهنسا نجد هذه الكلمات منسوبة للمسيح

« اتيت فى وسط العالم

وفى الجسد ظهرت لهم

ووجدتهم جميعا سكارى

ولم أجد واحدا منهم ظمأنا (للحق)

ونفسى تئن فى لاجل بنى البشر

لأنهم عميان فى قلوبهم ولا يبصرون »

ولم ترد هذه الكلمات فى الاناجيل الاربعة ولكنها تسير مع ما ورد فى انجيل يوحنا « كان النور الحقيقى آتيا الى العالم ، كان فى العالم » (يو ١ : ٩ - ١٠) وما جاء فى الرسالة الاولى الى تيموثاوس (الله ظهر فى الجسد) (٣ : ١٦) واستخدام كلمة (سكارى) للإشارة الى الخطيئة تذكر بأسلوب بولس فى رسالته الاولى الى تسالونيكى (٥ : ٧) والثانية اليها أيضا (٤ : ٥) وأسلوب بطرس فى رسالته الاولى (١ : ١٣ ، ٤ : ٧ ، ٥ : ٨) • والبعض يعتقد بصحة نسبة هذه الكلمات للمسيح استنادا لموضوعها •

ويروى اكليندوس الاسكندرى قولا لعله اقتبسه عن مجموعة من كلمات المسيح « اطلبوا الاشياء الاعظم والله يزيد لكم الاقل » وهو يوجد فى كتابات أوريجانوس ويوسابيوس وأمبروز ويقرب مما جاء فى

موعظة الجبل » اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم (مت ٦ : ٣٣ ، لو ١٢ : ٣١) . كذلك شاع في الكنيسة الاولى «كونوا صيارفة مميزين حاذقين» ونسب للمسيح ولكتاب المسيحية . ومن بين ماورد في برديات البهنسا «حيث هناك اثنان فهما ليسا بدون الله وحيث هناك واحد بمفرده أقول لكم أنا معه . . . ارفعوا الحجر تجدوني هناك ، شقوا الخشب هناك أنا » .

ويقال أن بعض الطوائف كانت تصطنع النصوص المروية عن المسيح تبريرا لتعاليمها وبخاصة (الغنوصيين) فمثلا نقرأ في انجيل فيليبس « لقد عرفت نفسى ، ولقد جمعت نفسى من كل ركن . . . وجمعت الاعضاء المبعثرة فى الخارج ، وأنى لأعرف من أنت لانى انتمى الى القوات العليا » . كذلك يقال ان اليهود كانوا يصطنعون أقوالا ينسبوننها للمسيح ويروونها فى التلمود للنيل منه . ونجد طائفة الابيونيين المعارضة للذبائح تروى قول المسيح : « شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم » على وجه آخر « هل اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم ؟ » وورد فى كتابات افرام السريانى « لاتقتنوا شيئا على الأرض » بدلا من « لاتقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً » على أن هناك بين أقوال المسيح غير المدونة فى الاناجيل الاربعة ما يرى بعض الباحثين أن لها « قيمتها التاريخية ، ولا يصل اليها النقد ويؤيدها التاريخ ، ومن ناحية الموضوع تستطيع أن تضعها جنبا الى جنب بلا حرج مع كلمات المسيح المدونة فى البشائر الاربعة » وان فيها على كل حال ما يكشف عن بيئة فلسطين الدينية والاجتماعية وموقف المسيح من الناموس وبعض التقاليد اليهودية ، كما يكشف عن الخلافات الضخمة بين المسيح والفريسيين وفيها مزيد من العبارات الحكيمة النبوية وكذلك التعاليم الاخلاقية الاجتماعية (١) .

ومعنى الانجيل gospel - وفى الانجليزية القديمة godspel - (اخبار طيبة) ، واللفظ ترجمة للفظ اليونانى evangelion الذى يبدأ به انجيل مرقس (أخبار سارة ، وهى أن المسيح قد جاء وملكوت الله قد غدا قريب المنال .

وأقدم النسخ للقرن الثالث الميلادى ، ودرج النسخ الأصلية الى ما بين عامى ٦٠ ، ١٢٠ م . وكان الكتاب قبل نهاية القرن الأول الميلادى

(١) يواكيم أرميا : أقوال المسيح غير المدونة فى بشائر الانجيل ص ١٣ : ٤٥ ، ٨٣ - ٤ ،

ينقلون عن العهد القديم لا الجديد ، ولا نجد اشارة لانجيل مسيحي قبل سنة ١٥٠ م الا عند Papias الذى كتب سنة ١٣٥ م يقول « يوحنا الأكبر قال ان مرقس ألف انجيله من ذكريات نقلها اليه بطرس . . ويضيف : وأعاد متى كتابة الكلمات بالعبرية » وقد كشف Hunt, Grenfell فى خرائب مدينة قديمة بمصر سنة ١٨٩٧ م ، ١٩٠٣ م عشرين قطعة من كلمات تتفق الى حد ما مع فقرات مماثلة فى الانجيل ، ولا ترجع البرديات الى ما قبل القرن الثالث ، وقد تكون نسخا من مخطوطات أقدم منها .

والرواية المأخوذ بها أن انجيل متى أقدم الاناجيل – وان كان هناك من النقاد والمؤرخين من يرى الأسبقية لانجيل مرقس ، ومن النقاد من يرجع الأول لتابع لمتى وليس للعشار نفسه ، ورواية المعجزات فيه أكثر . ويرى ديورانت أن هذا الانجيل وان أحاط به بعض الشك « لكنه أشد الاناجيل الأربعة تأثيرا فى النفس واثارة للعاطفة ، ولا يسعنا الا أن نعهده بين روائع الآداب العالمية ، وان لم يدرك ذلك كاتبه القديم » .

والبحث المقارن فى الاناجيل يقرر أن هناك ٦٠٠ آية مشتركة بين متى ومرقس ، من بين آيات انجيل مرقس التى لاتزيد عن ٦٦١ عدا . ومن انجيل مرقس كذلك ٣٥٠ آية تكاد توجد بنصها فى انجيل لوقا . أما الفقرات المشتركة بين متى ولوقا فهى اما أن تدل على أن لوقا أخذها عن متى ، أو تدل على أن الاثنى أخذها عن أصل مشترك لم يعثر عليه . ويشهد ديورانت « بمهارة أدبية للوقا ، تحمل على الظن بأن الانجيل أجمل ما ألف من الكتب » .

« وأناجيل متى ومرقس ولوقا يمكن الاحاطة بها بنظرة واحدة ، ذلك أن محتوياتها وحوادثها يمكن ترتيبها فى أعمدة متوازية والنظر اليها كلها مجتمعة ، وقد كتبت كلها باليونانية الدارجة ، ولم تكن نماذج طيبة فى النحو أو الصقل الأدبى ، بيد أن مافى أسلوبها السهل من قوة وايصال للمعاني عن أقرب طريق ، وما فى تشبيهاتها والصور التى ترسمها من وضوح ، وما فى الاحساسات التى تصورها من عمق ، وما فى القصص التى تحويها من روعة – كل هذا يكسبها حتى فى صورتها الأصلية الفجة جمالا فذا » . !!

أما الانجيل الرابع فليس ترجمة ليسوع بقدر ماهو عرض للمسيح من وجهة النظر اللاهوتية ، بوصفه كلمة الله وخالق العالم ومنقذ البشرية ، وهو الانجيل الذى تضمنت نصوصه ذكرا صريحا لألوهية المسيح .

« وملاك القول أن ثمة تناقضا كثيرا بين بعض الأناجيل والبعض الآخر ، وأن فيها نقاطا تاريخية مشكوكا في صحتها ، وكثيرا من القصص الباعثة على الريبة والشبهة بما يروى عن آلهة الوثنيين ، وكثيرا من الحوادث التي يبدو أنها وضعت عن قصد لاثبات وقوع كثير من نبوءات العهد القديم ، وفقرات كثيرة ربما قصد منها تقديم أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة أو طقس متأخر من طقوسها ... »

لقد كان المبشرون بالانجيل يرون - كما يرى شيشرون وسالست وتاستوس - أن التاريخ وسيلة لنشر المبادئ الخلقية السامية ، ويبدو أن نقل الأناجيل للأحاديث والخطب معرض لما في ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب ولأخطاء النساخ ، (أو تصحيحهم) !!

فاذا سلمنا بهذا كله بقى الشيء الكثير ...

ان تناقض الأناجيل لا يتعدى التفاصيل الجزئية الى الحقائق العامة ،
والثلاثة الأولى تتفق اتفاقا عجيبا وتعرض في مجموعها صورة منسقة للمسيح . ولقد دفعت حماسة الكشف كبار الناقدين الى أن يقيسوا صحة أقوال العهد الجديد بمقاييس لو طبقت على مئات من العظماء الاقدمين أمثال حمورابي وداود وسقراط لزالوا من عالم الحقائق وهووا الى عالم الخرافات !! **والمبشرون بالانجيل - رغم التحيز والميل والأفكار الدينيّة السابقة - يسجلون كثيرا من الحوادث كان يخفيها الملقون :** كتنافس الرسل على المنازل العليا في ملكوت الله ، وفرارهم بعد قبض يسوع ، وعجز المسيح عن الاتيان بالمعجزات في الجليل ، وإشارة بعض من سمعوه الى احتمال جنونه ، وتشككه الأول في رسالته ، واعترافه بجهل أمر المستقبل ، ولحظات حقه على أعدائه ، وصيحة يأسه على الصليب !! ... من يطلع على هذا لا يشك في أن وراءها شخصية تاريخية حقة .

ولو أن عددا قليلا من الرجال السذج قد اخترعوا في مدى جيل واحد هذه الشخصية الجذابة ، وهذه المبادئ الأخلاقية السامية ، وهذه النظرية الأخوية الملهمة - لكان عملهم هذا معجزة أبعد عن المعقول من أية معجزة تسجلها الأناجيل !!

والخطوط الرئيسية في سيرة المسيح وأخلاقه وتعاليمه تبقى بعد قرنين من النقد الشديد واضحة معقولة ، لتكون أروع ظاهرة في تاريخ القرنين وأكثرها فتنة للألباب ، (١) .

هذا هو رأى مؤرخ الحضارة الأستاذ ديورانت ، وقد ألمعنا في التقديم الى رأى الأستاذ العقاد وهو أديب مسلم وباحث أوتى مقدرة ممتازة على الاستيعاب والتحليل ، وله مؤلفات عدة انتصر فيها للتدين عموما وقدم دراسات تحليلية لشخصيات الأنبياء : ابراهيم وعيسى ومحمد ، وكثير من صحابة رسول الاسلام . ونضيف الى ما ذكرنا من أقواله في هذا الصدد قوله : « وتسقط دعوى الناقدين - المشككين حتى في المسيح نفسه - بمجرد الاحاطة بأصول المذاهب التي كانت معروفة في عصر الميلاد ، لأن الدعوة المسيحية كانت تعديلا لكل مذهب من هذه المذاهب في ناحية من نواحيه ، وكانت هذه التعديلات في جملتها تثوب الى وحدة متماسكة من القواعد والمثل العليا - لا بد لها من (شخصية) مستقلة عن هذه المذاهب جميعا ، قادرة على عرض شعائرها وعقائدها على محك واحد متناسق الفكر والايمان ... أما رأينا نحن في امكان المعجزات فهو رأينا في امكان جميع الأسباب ، فان العقل قاصر عن تعليل الحوادث بأسبابها ، وليس من العقل أن يقال أن هذه الاسباب المسماة بالطبيعة هي العوامل الفعالة في ايجاد الاسباب ، وأصح ما يقال فيها قول الغزالي : ان الاسباب والمسببات تحدث معا ، ولا تزيد علاقتها بعضها ببعض على علاقة المصاحبة والتوافق في الاوقات ، والا لزم أن تكون المادة ألوا من المواد كل منها مستقل بخصائصه ومؤثراته وعلاقته بالمواد الأخرى - ولا يقول بذلك عقل سليم . فاذا كان العقل لا يعقل الاسباب الطبيعية ، فمن الشطط أن يتعجل بانكار المعجزات والجزم باستحالتها ... »

وبعد ، فمن الحق أن نقول : ان معجزة المسيح الكبرى هي هذه المعجزة التاريخية التي بقيت على الزمن ولم تنقض بانقضاء أيامها في عصر الميلاد : رجل ينشأ في بيت نجار في قرية خاملة بين شعب مقهور ، يفتح بالكلمة دولا تضيع في أطوائها دولة الرومان ، ولا ينقضى عليه من الزمن في انجاز هذه الفتوح ما قضاه الجبابرة في ضم اقليم واحد ، وقد يخضع الى حين ثم يتمرد ويخلع لنير ، ولا يخضع كما خضع الناس للكلمة بالقلوب والاجسام ، (٢) ...

(١) ديورانت : قصة الحضارة ج ٣ م ٣ (قيصر والمسيح) - ترجمة بدران ص ٢٠٦ : ٢١١

(٢) العقاد : عبقرية المسيح (كتاب اليوم) ص ٢١ ٦ ١٩٦ - ١٩٧ .

« ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكُم بآية من ربكم انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرىء الاكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين . ومصدقا لما بين يدى من التوراة ، ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وجئتكُم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم . فلما أحس عيسى منهم الكفر قال : من أنصارى الى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله آمنا بالله ، واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت ، واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين » (١) .

(١) آل عمران : ٤٨ - ٥٣ .

صوت ... صارخ في البرية

« وفي تلك الأيام جاء
يوحنا المعمدان يكرز في
برية اليهود ، قائلا : توبوا
لأنه قد اقترب ملكوت
السموات ... »

كما هو مكتوب في
الأنبياء : ها أنا أرسل أمام
وجهك ملاكي الذي يهيئ
طريقك قدامك ... »

كما هو مكتوب في سفر
أقوال أشعيا النبي القائل :
صوت صارخ في البرية :
أعدوا طريق الرب ، اصنعوا
سبله مستقيمة ، كل واد
يمتلئ ، وكل جبل أكمة
ينخفض ، وتصير المعوجات
مستقيمة ، والشعاب طرقا
سهلة ، ويبصر كل بشر
خلاص الله ... »

(مت ٣ : ١ - ٣ ، مر
١ - ٢ : ٢ - ٣ ، لو ٣ : ٢ -
٦ ، يو ١ : ٢٣)

نعاصر الأنبياء

فى تاريخ النبوات ، كثيرا مايتعاصر الأنبياء . .

« و ابراهيم اذ قال لقومه : اعبدوا الله واتقوه ، ذلم خير لكم ان كنتم تعلمون . . . فآمن له لوط ، وقال انى مهاجر الى ربى ، انه هو العزيز الحكيم . ووهبنا له اسحق ويعقوب ، وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب ، وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين (١) » .

ويتعاصر الأنبياء ويكونون أحيانا من أسرة واحدة ، ومن هنا تعاصر داود وسليمان ، وتعاصر موسى وهرون ، كما تعاصر ابراهيم واسماعيل واسحق ، ويعقوب والأسباط . . . وهكذا .

« والأنبياء فى بنى اسرائيل لم يكن وجودهم ندرة ، ولم يكن بينهم فترة . . . أو لم يكن حتما لزاما أن تكون بينهم فترة ، كما جاء فى سفر الملوك الاول حيث جمع ملك اسرائيل (الأنبياء نحو أربعمئة رجل وسألهم : أذهب الى رامة جلعاد للقتال ؟) . وخير ما ورد فى وصف مكان الأنبياء بين بنى اسرائيل قول النبى محمد صلوات الله عليه : (علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل) ، فقد كان عمل النبى فى شعب اسرائيل كعمل العالم الفقيه ، ، ولم يكن من المستغرب أن يسمع بهم الخاصة والعامة فى وقت من الاوقات ، ولم يكن قيامهم انكارا لقيام الانبياء من قبلهم ، بل هو تفسير للكتب والنذر ، وحض على اتباع السنن التى رسمها لهم من قبل ابراهيم وموسى ويعقوب وغيرهم من الانبياء السابقين . . . ولعلنا نصف الحالة حق وصفها حين نقول ان القوم كانوا يبحثون عن الأنبياء ويترقبونهم ، ولا يعتبرون ظهورهم خارقة يستهولونها أو يستغربون تكرارها (٢) » .

ومن الأنبياء من يمهد الطريق لمن بعده ، ويعد الناس لاستقبال

(١) العنكبوت : ١٦ ، ٢٦ - ٢٧ .

(٢) العقاد : عبقرية المسيح (كتاب اليوم) ص ١٦ ، ١٩ .

النبوة فى ذريته أو فى غيرها » واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فآتمهن ، قال انى جاعلك للناس اماما - قال ومن ذريتى ؟ - قال لا ينال عهدى الظالمين (١) ، ولقد توجه ابراهيم واسماعيل الى الله بالدعاء أن يبعث من ذريتهما رسولا « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، انك أنت العزيز الحكيم (٢) » . ولقد بشر المسيح - عند أهل القرآن - برسول من بعده « واذا قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدي من التوراة ، ومبشر برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (٣) » .

كذلك كان يوحنا بالنسبة للمسيح ، بشارة واعداد

ونحن نجد فى القرآن تشابها وتجانسا بين كلمات (يحيى) وكلمات المسيح :

« يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، وآتيناه الحكم صبيا . وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا . وبراً بوالديه ولم يكن جبارا عصيا . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » .

« قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا . ذلك عيسى بن مريم » (٤) .

(١) البقرة : ١٢٤

(٢) البقرة : ١٢٩

(٣) الصف : ٦

(٤) مريم : ١٢ : ١٥ ، ٣٠ : ٣٤

يوحنا... بين يدي المسيح

فلنستمع اذن الى يوحنا ، يصرخ فى البرية ...

كان يوحنا فى صرخته خير مقدمة بين يدي رسالة المسيح ، كذلك كان فى تعاليمه وسيرته ، وفى بشارته وندارته ...

« فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون الى معموديته قال لهم : يا أولاد الافاعي ، من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ، فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة • ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا ابراهيم أبا ، لاننى أقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لابراهيم !! والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر ، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار » (١) •

هكذا صرخ يوحنا فى الفريسيين والصدوقيين ... وقد تناولت دعاواهم بأنهم أولاد ابراهيم وكفى ، وصدق الله حيث يقول فى القرآن فى نفس القضية « ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبى ، والذين آمنوا ، والله ولى المؤمنين » « ليس بأمانىكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ، ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا » • (٢)

ونفس الصرخة صرخها المسيح بعد يوحنا :

« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تشبهون قبورا مبيضة ، تظهر من الخارج جميلة ، وهى من الداخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة !! هكذا أنتم أيضا ، من خارج تظهرون للناس أبرارا ، ولكنكم من داخل مشحونون رياء واثما ! ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين ، وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء !! وأنتم تشهدون على

(١) مت ٢٣ : ٧ - ١٠ ، لو ١١ : ٣ - ٧ - ١٠

(٢) آل عمران : ٦٨ ، النساء ١٢٣

أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيا لآباءكم !! أيتها الحيات أولاد الأفاعي ، كيف تهربون من دينونة جهنم ؟ لذلك ها أنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة ، فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم تجلدون في مجامعكم ، وتطردون من مدينة الى مدينة ، لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض - من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح - الحق أقول لكم : ان هذا كله يأتي على هذا الجبل . يا اورشليم يا اورشليم . يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها !! كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة أفراخها تحت جناحيها - ولم تريدوا ، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا ، لانني أقول لكم : انكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتي باسم الرب » (١) .

نذير مبين ، وبيان رائع ...

« ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم - وفريقا تقتلون !! ؟ » (٢) .

كان يوحنا تقديمًا للمسيح بسيرته ، كما كان تقديمًا له بتعاليمه . . . كان زاهدا بسيطا : « ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الابل وعلى حقويه منطقة من جلد ، وكان طعامه جرادا وعسلا برياً » (٣) . وقد كابد العنت من اليهود ، كما لقي العسف من السلطة . . . كان صريحا لا يدهن ولا يرائي : « وسأله الجموع قائلين : فماذا نفعل ؟ فأجاب وقال لهم : من له ثوبان فليعط من ليس له ، ومن له طعام فليفعل هكذا . وجاء عشارون أيضا ليعتمدوا ، فقالوا له يامعلم ماذا نفعل ؟ فقال لهم : لاتستوفوا أكثر مما فرض لكم . وسأله جنديون أيضا قائلين : ماذا نفعل نحن ؟ فقال لهم : لا تظلموا أحدا ، ولا تشوا بأحد ، واكتفوا بعلائفكم » (٤)

ولم يكتف يوحنا بتنظيف أدنى درجات السلم ، بل أصر على أن

(١) مت ٢٣ : ٢٧ - ٣٩ ، وقد اختلفت الآراء في زكريا بن برخيا ، ويرجح القديس ايرونيموس أنه زكريا بن يودايا الذي قتله الملك يواش بين القدس ومذبح المحرقات - كما ورد في سفر أخبار الأيام الثاني (٢٤ : ٢٠ - ٢٢) ، اذ من المحتمل أن يودايا كان يحمل اسم برخيا ، أو أن يودايا كان جدا لزكريا (لويس برسوم : حياة يسوع المسيح ج ٢ ص ١٠٣) .

(٢) البقرة : ٨٧

(٣) مت ٢٤ : ٢٤ ، مر ١ : ٦

(٤) لو ٣ : ١٠ - ١٤

يظهر السلم من أعلاه « ٠٠٠ كان يقول لهيودس : لا يحل لك امرأة أخيك ، فحنقت هيروديا عليه ٠٠٠ » - الى آخر هذه المأساة التي تقدمت في الاطار التاريخي من فصول هذا الكتاب .

سيرة يوحنا اذن صورة لسيرة المسيح من بعده ، وما سيلقاه المسيح من بعده ٠٠ وتمخض كفاح المعمدان عن رأسه فوق طبق ، وانتهى كفاح المسيح باصدار حكم اعدامه على خشبة الصليب !!

« وكانت يد الرب معه ، وامتلاً زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ قائلاً : مبارك الرب اله اسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه ، وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه ، كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر . خلاص من أعدائنا ، ومن أيدي جميع مبغضينا !! ليصنع رحمة مع آبائنا ، ويذكر عهده المقدس - القسم الذي حلف لابراهيم أبينا أن يعطينا : اننا بلا خوف ، منقذين من أيدي أعدائنا ، نعبده بقداسة وبر قدماه جميع أيام حياتنا . وأنت أيها الصبي ، نبي العلي تدعى ، لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طريقه ، لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم ، بأحشاء رحمة الهنا التي بها افتقدنا المشرق من العلاء ، ليضئ على الجالسين في الظلمة وظلال الموت ، لكي يهتدي أقدامنا في طريق السلام (١) » .

ثم كان يوحنا يحمل بشارة صريحة بالمسيح ٠٠٠

« أنا أعمدكم بماء للتوبة ، ولكن الذي يأتي بعدى هو أقوى منى ، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه ، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار ، الذي رفشه في يده وسينقى بيدرته ويجمع قمحه الى المخزن ، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ (٢) » .

لقد كان انتظار المسيح يدفع الناس الى أن يتساءلوا : هل يوحنا هو المسيح ؟ فما كان يتركهم في هذا لابهام أو ايهام : « واذا كان الشعب ينتظر ، والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح ، فأجاب يوحنا الجميع قائلاً : أنا أعمدكم بماء ، ولكن يأتي من هو أقوى منى ٠٠٠ الخ » ، « فسألوه وقالوا له : فما بالك تعمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي ؟ أجابهم يوحنا قائلاً : أنا أعمد بماء ، ولكن في وسطكم

(١) لو ١ : ٦٦ - ٧٩ .

(٢) مت ٣ : ١١ - ١٢ ، لو ٣ : ١٦ - ١٧ .

قائم الذى لستم تعرفونه ، هو الذى بعدى الذى صار قدامى (١) . «
فيوحنا يعرف جليا أنه تقدمه بين يدي للمسيح ويصرح بذلك .
ولكن هل كان يعرف المسيح بشخصه وعينه ، أم بوصفه المرتقب
وحسب ؟

فى انجيل متى : « حينئذ جاء يسوع من الجليل الى الاردن الى
يوحنا ليعتمد منه ، ولكن يوحنا منعه قائلا : أنا محتاج أن اعتمد منك
وأنت تأتي الى ؟؟ فأجاب يسوع وقال له : اسمع الآن ، لأنه هكذا يليق
بنا أن نكمل كل بر . حينئذ سمح له ، فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من
الماء (٢) » . لكننا نجد فى انجيل لوقا خبرا آخر عن يوحنا ، بعد أن
ظهرت رسالة المسيح وفشت معجزاته : « فأخبر يوحنا تلاميذه بهذا كله ،
فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل الى يسوع قائلا : أنت هو الآتى أم
ننتظر آخر ؟ فلما جاء اليه الرجلان قالا : يوحنا المعمدان قد أرسلنا اليك
قليلًا : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟؟ وفى تلك الساعة شفى كثيرين من
أمراض وأدواء وأرواح شريرة ، ووهب البصر لعميان كثيرين . فأجاب
يسوع وقال لهما : اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما ، ان العمى
يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون ، والصم يسمعون والموتى
يقومون والمساكين يبشرون ، وطوبى لمن لا يعثر فى (٣) » .

وعلى أثر هذا انبرى المسيح يخطب ، يعرف نفسه بعد أن قدمته
عجائبه ، ويشيد بسلفه يوحنا الذى حمل البشارة به : « فلما مضى
رسولا يوحنا ابتداء يقول للجموع عن يوحنا ، ماذا ؟ خرجتم
الى البرية لتنظروا انسانا لابسا ثيابا ناعمة ؟ هو ذا الذين فى اللباس
الفاخر والتنعم ، هم فى قصور الملوك ، بل ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبياء ؟
نعم أقول لكم - و أفضل من نبي ، هذا هو الذى كتب عنه : ها أنا أرسل
أمام وجهك ملاكى الذى يهيب طريقك قدامك ، لأنى أقول لكم انه بين
المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر
فى ملكوت الله أعظم منه . وجميع الشعب اذ سمعوا والعشارون بروا
الله معتمدين بمعمودية يوحنا ، وأما الفريسيون والناموسيون فرفضوا
مشورة الله من جهة أنفسهم غير معتمدين منه » (٤) .

(١) لو ٣ : ١٥ ، يو ١ : ٢٥ - ٢٧ .

(٢) مت ٣ : ١٣ - ١٦ .

(٣) لو ٧ : ١٨ - ٢٢ .

(٤) لو ٧ : ٢٤ - ٣٠ .

والمسيح يشير أحيانا فى مواعظه الى يوحنا ويحاج اليهود به : « وفى أحد تلك الأيام اذ يعلم الشعب فى الهيكل ويبشر ، وقف رؤساء الكهنة والكتبة مع الشيوخ وكلموه قائلين : قل لنا بأى سلطان تفعل هذا ، أو من هو الذى أعطاك هذا السلطان ؟ فأجاب وقال لهم : وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة ، فقولوا لى : معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس ؟ فتأمروا بينهم قائلين : ان قلنا من السماء يقول فلماذا لم تؤمنوا ، وان قلنا من الناس فجميع الشعب يرجموننا لأنهم واثقون بأن يوحنا نبي ! فأجابوا : أنهم لا يعلمون من أين ، فقال لهم يسوع : ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا » (١) .

والمسيح يقارن بين مسلكه وبين مسلك يوحنا ، وينعى على تكذيب الناس له وليوحنا : « وبمن أشبه هذا الجيل ؟ يشبه أولادا جالسين فى الأسواق ينادون الى أصحابهم ويقولون : زمرنا لكم فلم ترقصوا ، نحنا لكم فلم تلتطموا ... لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب ، فيقولون فيه شيطان !! جاء ابن انسان يأكل ويشرب ، فيقولون هو ذا انسان أكل وشرب خمر ، محب للعشارين والخطاه !! » (٢) .

وهكذا كان يوحنا والمسيح من طبيعتين متباينتين ، ويوضح هذا الاستاذ العقاد بقوله : « السيد المسيح طبيعة أخرى غير طبيعة يحيى ابن زكريا ، فلم يكن متأبدا ولا نافرا من الناس ، بل كان يمشى مع الصالحين والخطائين ، وكان يشهد الولائم والاعراس ، ولم يكن يكره التحية الكريمة التى تصدر من القلب ولو كانت فيها نفقة وكلفة ... هذه السماحة قد اصطدمت بعماية الشهوات وعناد الغرور ، كما اصطدمت بهما تلك الصرامة (من يحيى أو يوحنا) رسالة قد استوفت تجربتها بل تجربتها ، وخرجت من التجربتين معا انسانية عالمية تنادى من يستمع اليها ، وتعرض عمن أعرض عن دعوتها بل دعوتها : دعوة الغيرة الصارمة الالوية ، ودعوة الغيرة السمحة الرضية » (٣) ويقول بترسون سميث « كان يوحنا انسانا متحمسا يتطاير الشرر من عينيه ، بوجه ناحل قد أعياه الزهد والتقشف واقف على النهر يسكب نفسه سكبا وحركة جهور من الناس بدت عليهم أمارات الثورة الفكرية العامة والحيرة والتساؤل واستولت على كثرتهم عاطفة دينية أخاذة يثنون أنين التوبة ... »

(١) لو ١٠ : ١ - ٨ .

(٢) مت ١١ : ١٦ - ١٩ .

(٣) العقاد : عبقرية المسيح (كتاب اليوم) ص ١١٦ - ١١٧ .

ولابد انه تلاقى مع المسيح فى الطفولة ولكن لم يتلاقيا فى الرجولة ،
وارجح انه لم يكن يدري ما اذا كان المسيا موجودا على الارض أم سيجىء
من السماء بغته وبقوة ومجد عظيم » (١) •

«وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير، فجاءوا الى
يوحنا وقالوا له : يامعلم ، هو ذا الذى كان معك فى عبر الاردن الذى أنت
شهدت له هو أن يعمد والجميع يأتون اليه ، فأجاب يوحنا وقال : لا يقدر
انسان أن يأخذ ان لم يكن قد أعطى من السماء !

أنتم أنفسكم تشهدون لى أنى قلت لست أنا المسيح ، بل انى مرسل
أمامه •••• من له العروس فهو العريس ، وأما صديق العريس الذى
يقف ويسمعه فيفرح فرحا من أجل صوت العريس ! اذن فرحى هذا قد
كمل ، ينبغى أن ذلك يزيد وأنى أنقص ! الذى يأتى من فوق هو فوق
الجميع ، والذى من الأرض هو أرضى ومن الأرض يتكلم ! الذى يأتى من
السماء هو فوق الجميع وما رآه وسمع به يشهد ، وشهادته ليس أحد
يقبلها ، ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق ، لأن الذى ارسله
الله يتكلم بكلام الله ، لانه ليس بكيل يعطى الله الروح • الآب يحب
الابن وقد دفع كل شىء فى يده • الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية ،
والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة ••• بل يمكث عليه غضب الله» (٢) •

(١) بترسون سميث : حياة المسيح ترجمة حبيب سعيد ص ٥٢

(٢) يوم ٣ : ٢٥ - ٢٦ •

المعمودية

وارتبط اسم (يوحنا) بطقس (المعمودية) ، فكان يوحنا المعمدان ومعمودية يوحنا هي الأخرى تصرخ في البرية مع صوته : طقس من طقوس الطهارة الحسية يغسل عن البشر أدران الجسد ، ويوقظهم لتطهير القلوب والأرواح .

ولم تخل الأديان من هذه (الرمزيات) ، تهمز أتباعها ليكونوا دائما ذاكرين ، وتخرجهم عن (روتين) الحياة المألوفة بعمل غير مألوف ، لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ...

ولقد جاء الاسلام بعدئذ يتضمن بين أحكامه الكثير عن الطهارة ... وفيه الاغتسال والوضوء . وليست هذه الطقوس شكلا ومظهرا ، أو اعناتا ومشقة : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون . واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا ، واتقوا الله ، ان الله عليم بذات الصدور (١) » . وهكذا لم تأت طقوس العبادات ، الا تذكرة بالرب المعبود .

والمسيحية جاءت تحذر الناس من (تجميد الدين) في الطقوس والأشكال - وسنعالج هذا في فصل قادم ، وحسبنا أن نقول الآن : ان يوحنا أشار اشارة واضحة صريحة الى انه هو يعمد بماء ، لكن الذي يأتي بعده « سيعمداكم بالروح القدس ونار » !

وما كان يوحنا وحده هو الصارخ في البرية ... وانما كان واقع الحياة يصرح وقتها ارهاصا بالحدث الجديد ...

العالم الروماني تهدده انشلالات البرابرة في أطرافه ، وتنحدر

(١) المائدة : ٦ - ٧ .

أزمات الحكام والمحكومين فى داخله ، وتلج عليه جوعته العقلية النفسية
تطلعا لغذاء فكر وروح ، بعد أن تخمت البطون وترفت الأجساد ...
واليهود تناحرت طوائفهم وتفاقت انحرافاتهم ...

» ويضاف الى هذا أن عصر الميلاد قد شهد فى فلسطين طوائف شتى
من الاساة الذين يطببون المرضى بالعلاج الروحانى ، ويعتمدون على قوة
الايمان وطهارة المعيشة فى التطبيب والعلاج . واذا قلنا ان عصر الميلاد
قد شهد عصرا مهيبا من الأعصاب ، فنحن نلتفت التفاتا خاصا الى هذه
الظاهرة التى تشير الى الحالة النفسية فى جملتها ، فليس أحوج من عصر
كذلك العصر الى السكينة وثقة الايمان ... فلم يأت أوان الرسالة
المسيحية حتى كانت قد سبقتها رسالات تمهد لها وتعمل فى وجهتها
عمل الرواد السابقين ، وقد كان أقوى هؤلاء الرواد يحيى المغتسل أو
يوحنا المعمدان - وان لم يكن هو الرائد الوحيد فى طريق الرسالة
والنبوة - فجعل للتطهير رمزا من الاغتسال بالماء ...

وكثر الحديث بين الناس عن الارباب والاديان والمذاهب والعقائد ،
وتبادل المفكرون والفلاسفة البحث فيها بعد انتقال مدارس الحكمة والعلم
الى الاسكندرية ، وتلاقى الحكماء والعلماء فيها من كل مذهب وكل
عقيدة ، وتعود الناس أن ينظروا الى الأمور نظرة عالمية وبخاصة بين أهل
الدرس والتأمل والمطالب الروحية ...

ان عصر الميلاد قد شهد عدة موجات دينية تجرى من الشرق وتغمر
بلاد الدولة الرومانية نفسها ، ومنها العاصمة الكبرى ...

والدلالة الكبرى التى تتجمع من شيوع هذه النحل فى عصر الميلاد
أنها : أولا : علامة على طلب الاعتقاد ، واحساس المخلصين المستعدين
للايمان بما يحيط بهم من الخواء فى جو التقاليد والمعتقدات . وأنها :
ثانيا : علامة الوجهة العالمية التى أخذت تسرى فى أنحاء العالم المعمور ،
وتؤلف بين أبناء الأمم المختلفة فى طلب العقائد الروحية ...

وكانت المذاهب الفكرية التى يتحدث بها المثقفون شائعة فى بلاد
الجليل حيث ولد السيد المسيح ، وحيث اختلط الغربيون والشرقيون -
وأكثرها الفيثاغورية والأبيقورية والرواقية ... وهذه المذاهب الثلاثة
تتلاقى فى غاية واحدة : هى طلب السكينة والراحة ، الا أن الفيثاغورية
التي ظهرت قبل عصر الترف والسلطان كانت أقرب الى الروحانية
والمزج بين عقائد الأمم المختلفة من اليونان والمصريين والفرس والهنود ،

وهي جميعا أقرب الى النشأة الشرقية لأنها نشأت بين قبرص وآسيا
الصغرى ...

وتواريخ الأديان جميعا تثبت الحقيقة الواضحة : اطراد السنن
الكونية في الحوادث الانسانية الكبرى ، فلا يحدث طور من أطوار الدين
أو الدنيا الا سبقته مقدماته التي تمهد لحدوثه وجاء سريانه في العالم على
وفاق لوازمه وداويعه ، وليست المسيحية شذوذا عن هذه القاعدة
... فما هي آفة العصر التي برزت في التاريخ ، واتفقت عليها أوصاف
المؤرخين الذين توقعوا الانقلاب فيه من طريق الدين أو من غير طريق
الدين ؟

كانت له آفتان بارزتان : احدهما تحجر الأشكال والأوضاع في
الدين والاجتماع ، والاخرى سوء العلاقة بين الأمم والطوائف مع
اضطرارها الى المعيشة المشتركة في بقعة واحدة من العالم المعمور - وعلى
الخصوص تلك الأقاليم التي نسميها اليوم بالشرق الأدنى . تحجرت
الأشكال والأوضاع وغلبت المظاهر على كل شيء ، فكل معنى الحياة
عندهم سمت وزينة وأبهة و محافل وشارات ، وانتقلت الحضارة من
الداخل الى الخارج - أو من النفس الى الجسد ، كما يحدث دائما في أعقاب
الحضارات : تبدأ في عالم الفكر والوجدان ، ثم تستفيض العمارة فتميل
الى التجسم والتضخم وتفقد من قوة النفس والضمير بمقدار ما تكسب من
مظاهر المادة والمال . تجمعت الثروة والكسل في ناحية ، وتجمعت
الفاقة والجهد المرهق في ناحية أخرى !! فغرق السادة في الترف وغرق
العبيد والأرقاء في الشقاء ، وفسدت حياة هؤلاء وهؤلاء !! وتحجرت نظام
المجتمع فأصبح أشكالا ومراسم خلوا من المعنى والغاية ، وتحجرت معه
الشرائع والقوانين فلم يكن غريبا أن تنقش على حجارة ، وأن يرتفع ميزانها
في يدى عدالة معصوبة العينين ، وأن تفرغ الكفتان فتستويان لانهما
فارغتان !! وتحجرت العقائد الوثنية في الدولة الرومانية ، وتحجرت
العقائد الكتابية بين بنى اسرائيل فأصبح فرق الشعرة بين النصين يقيم
الحرب الحامية على قدم وساق ، وأصبحت التقوى علما بالنصوص وبحثا
عن مراسم الشريعة ، وغلب المظهر على المتشبهين بالنصوص والمتصرفين
فيها ، فلا خلاف بينهم في طلب المظهر وان اختلفوا على اللفظ والتأويل .
وساءت العلاقة بين الأمة والأمة ، وبين الطائفة والطائفة ... دنيا آفتها
مظاهر الترف ومظاهر العقيدة ، ومن وراء ذلك باطن هواء وضمير خواء !!
فلا جرم يكون خلاصها في عقيدة لا تؤمن بشيء كما تؤمن ببسطة
الضمير ، ولا تعرض عن شيء كما تعرض عن المظاهر ، ولا تضيق بخلاف

كما تضيق بالخلاف على النصوص والحروف !! . . . وتقطعت الاسباب بين الامم وبين الطوائف وبين الآحاد ، واتسم العصر كله بالعصبية في السائد والمسود والحاكم والمحكوم : الروماني سيد العالم بحقه ، والاسرائيلي سيد العالم بحق الهه ، واليوناني والآسيوي والمصري كل منهم سيد وكل منهم مثال الهمجية ! والمولى يخرج العبد من زمرة الآدميين ، والعبد يمقت السيد مقت الموت ! وأبناء الأمة الواحدة طوائف طوائف ، تشيع بينها التهم وتعميها البغضاء ! .

ويأتى الى هؤلاء البشير المنظور . . . فماذا يقول لهم ان لم يقل لهم ان الله رب بنى الانسان وانه هو ابن الانسان ، وان الحب أفضل الفضائل وأفضل الحب حب الأعداء ، وان الكرم أن تعطى فوق ما تسأل وأن تعطى بغير سؤال ، وان ملكوت السموات لا تفتحه الأموال ، (١) .

« كان عالم الرومان على جانب عظيم من الشجاعة والعظمة والكبرياء والقوة والسيادة ولكن كان تحت عظمة الظاهر فساد ناخر ، فالحياة العائلية لا تطاق ، والمظالم فاشية وا لقسوة سائدة ، وأحب ملاهيهم المذابح المروعة فى ساحة المصارعات ! وكان الرق لعنة الامبراطورية والعبد فى حالة من الشقاء والبؤس ! كان الاشرار يعيشون فسادا فى روما وكان الفتيان يشيخون ويتلفون بالردائل ! وقد وصف (بولس) هذه الحال بعد المسيح بنصف قرن . . . وسثم هذا الحال خيار الرومان ، فكانوا يرحبون بقوة تنتشلهم ، وحاول المفكرون وهم أمام سماء خالية من الآلهة ايجاد نوع من الدين ليحيوا به وأخرج (الرواقيون) تعليم نبيلة ولكن لم تخرج جهودهم عن التفكير النظرى ولم يكن لديهم أساس مكن يقيمون عليه ديننا ولم تقو تأملاتهم النظرية على مصادمات الحياة وعثراتها وعلى امتلاك عامة الجمهور . . . ولم يكن (مفكرو اليهود) راضين عن دينهم أيضا وأحس اليهودى المتجول وهو يخالط أصدقاءه الوثنيين أن اليهودية عجزت أن تفتح أبوابها لأمثال هؤلاء ، وأن (يهوه) كان خاصا باسرائيل لا يتصل العالم اليه الا عن طريقهم بوساطة الختان ومراعاة أثقل الطقوس !! ويؤخذ من كتابات بعض اليهود فى ذلك العصر انهم كانوا يحاولون اصلاح دينهم وتوسيعه ، وقد أبان بولس كيف أن الغيورين من اليهود كانوا يسعون للاقتراب من الله . وأجرؤ على القول ان التاريخ البشرى لم يحو بين طياته مثل تلك الظاهرة النفسية العقلية : ظاهرة

(١) العقاد : عبقريه المسيح (كتاب اليوم) ص ٤٦ - ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٨ ،

الترقب الصامت والانتظار الحار الذى كان عليه ذلك الشعب عند مجىء المسيح وكان قد مضى على آخر الانبياء الذين تنبأ عن مجىء (المسيح المنتظر) خمسة قرون ! وقد ظهرت بين العهدين القديم والجديد اسفار تعبر عن هذا التوق الشديد منها سفر اخنوخ « ! (١)

هذا هو العالم الذى كان ينتظر الرسول ...

وجاءه الرسول يناديه : « تعالوا الى يا جمع المتعبين والثقلى الاحمال وأنا اريحكم ... احملوا نيرى عليكم ، وتعلموا منى ، لأننى وديع ومتواضع القلب ... فتجدوا راحة لنفوسكم ، لأن نيرى هين وحمل خفيف ، (٢) »

١. - ثور بترسون سييت : حياة يسوع ، جمة حبيب سعيد ص ١٣ : ١٩ .

(٢) مت ١١ : ٢٨ - ٣٠

إرهاص الميلاد

وكان المولد الغريب للمسيح آخر يصرخ فى البرية ، قبل أن يرتفع صوت المسيح نفسه ..

» فدخل اليها الملاك وقال : سلام لك أيتها المنعم عليها ، الرب معك ، مباركة أنت فى النساء ... فقال الملاك : لاتخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع - هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ، ويعطيه الاله كرسى داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون لملكه نهاية . فقات مريم للملاك : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ؟ فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس تحل عليك ... فقالت مريم : تعظم نفسى الرب ، وتبتهج روحى بالله مخلصى ، لأنه نظر الى اتضاع أمته ، فهو ذا منذ الآن جميع الاجيال تطوببنى ، لان القدير صنع بى عظام واسمه قدوس ... صنع قوة بذراعه ، شنت المستكبرين بفكر قلوبهم ، أنزل الأعراء من الكراسى ورفع المتضعين ، أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين ... (١) «

ولا عجب أن تتحدث مريم بنعمة الله هذا الحديث الطيب ، فهى الأخرى آية من آيات الله ومن عباده المصطفين الأخيار : « اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا ، فتقبل منى انك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت : رب انى وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت - وليس الذكر كالأنثى ، وانى سميتها مريم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا ، وكفلها زكريا : كلما دخل عليها زكريا المجراب وجد عندها رزقا ، قال : يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » ، « واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين (٢) »

(١) لو ١ : ٢٨ ، ٣٠ - ٣٥ ، ٤٦ - ٥٣

(٢) آل عمران : ٣٥ : ٣٧ ، ٤٢ - ٤٣

فقصة مريم ، وقصة مولد المسيح من ارهاصات الدين الجديد . . .

« وجعلنا ابن مريم و أمه آية ، وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » ، « والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا ، وجعلناها وابنها آية للعالمين » (١) .

والأنجيل تضيف الى ذلك مزيدا من الارهاصات . . .

« ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك ، اذا مجوس من المشرق قد جاءوا الى اورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود ، فاننا رأينا نجمة فى المشرق وأتينا لنسجد له ؟ . . . حينئذ دعا هيرودس المجوس سرا ، وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر ، ثم أرسلهم الى بيت لحم وقال : اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى ، ومنى وجدتموه فأخبرونى لكى آتى أنا أيضا وأسجد له . فلما سمعوا من الملك ذهبوا ، واذا النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبى . فلما رأوا النجم فرحوا فرحا عظيما جدا ، وأتوا الى البيت ورأوا الصبى مع مريم أمه ، فخرّوا وسجدوا له . ثم فتحو كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبيا ولبانًا ومرا ، ثم اذ أوحى اليهم فى حلم ألا يرجعوا الى هيرودس ، انصرفوا فى طريق أخرى الى كورثهم » (٢) .

« فولدت ابنها البكر ، وقمطته وأضجعتة فى المذود - اذ لم يكن لهما موضع فى المنزل . وكان فى تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ، واذا ملاك الرب وقف بهم ، ومجد الرب أضاء حولهم ، فخافوا خوفا عظيما . فقال لهم الملاك : لاتخافوا ، فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ، انه ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب ، وهذه لكم العلامة تجدون طفلا مقمطا مضجعا فى مذود . وظهر بغته مع الملاك جمهور من الجند السامى ، مسبحين الله وقائلين : المجد فى الأعالي ، و على الأرض السلام ، وبالناس المسرة ! ولما مضت عنهم الملائكة الى السماء ، قال الرجال الدعاة بعضهم لبعض : لنذهب الآن الى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذى أعلمنا به الرب ، فجاءوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعا فى المذود . فلما رأوه أخذوا بالكلام الذى قيل لهم عن هذا الصبى ، وكل الذين سمعوا تعجبوا مما قيل لهم من الرواة ، وأما مريم فكانت تحفظ جميع

(١) المؤمنون ٥٠ ، الأنبياء ٩١

(٢) مت ٢ : ١ - ١٢

هذا الكلام متفكرة به فى قلبها • ثم رجع الدعاة وهم يجسدون الله ويسبحونه على كل ما سمعوه ورأوه كما قيل لهم •••

وكان رجل فى اورشليم اسمه سمعان ، وهذا الرجل كان بارا تقيا ينتظر تعزية اسرائيل ، والروح القدس كان عليه ، وكان قد أوحى اليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب • فأتى بالروح الى الهيكل ، وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه ليصنعا له حسب عادة الناموس ، أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال : الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام ، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك •••

وكان أبواه يذهبان كل سنة الى اورشليم فى عيد الفصح ، ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى اورشليم كعادة العيد ، وبعد ما أكملوا الأيام بقى عند رجوعها الصبي يسوع فى اورشليم ، ويوسف وأمه لم يعلما • واذا ظناه بين الرفقة ذهابا مسيرة يوم ، وكان يطلبانه بين الأقرباء والمعارف ، ولما لم يجدها رجعا الى اورشليم يطلبانه ، وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل جائسا فى وسط المعلمين يسمعون ويسألهم ، وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته !! فلما أبصراه اندهشا ، وقالت له أمه : يا بنى لماذا فعلت بنا هكذا ؟ هو ذا أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين !! فقال لهما : لماذا كنتم تطلباننى ؟ ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فيما لأبى ؟ فلم يفهما الكلام الذى قاله لهما ، ثم نزل معهما وجاء الى الناصرة وكان خاضعا لهما ، وكانت أمه تحفظ جميع هذه الأمور فى قلبها • وأما يسوع فكان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس ، (١) •

تلك كلها خوارق روتها الأناجيل المتداولة •••• كانت تقدم الصبي الى الناس ، وحسبنا ميلاده من خارقه •••

وعن أمثال هذه الخوارق فى سيرة محمد قال العقاد : « والمؤرخون يجهدون أقلامهم غاية الجهد فى استقصاء بشارات الرسالة المحمدية : يسردون ما أكدته الرواة وما لم يؤكدوه ، وما قبله الثقات منها وما لم يقبلوه ، وما أيدته الحوادث أو ناقضته ، وما وافقته العلوم الحديثة أو عارضته ••• وما من بشارة قط من تلك البشارات كان لها أثر فى اقناع أحد بالرسالة يوم صدع النبى بالرسالة أو كان ثبوت الاسلام متوقفا عليها ، لأن الذين شهدوا العلامات المزعومة يوم الميلاد لم يعرفوا يومئذ

(١) لو ٢ : ٨ - ٢٠ ، ٢٥ - ٣٠ ، ٤١ - ٥٢

مغزاها ومؤداها ، ولا عرفوا أنها علامة على شيء أو على رسالة ستأتى بعد أربعين سنة، ولأن الذين سمعوا بالدعوة وأصاخوا الى الرسالة بعد البشائر بأربعين سنة لم يشهدوا بشارة واحدة ولم يحتاجوا الى شهودها ليؤمنوا بصدق ما سمعوه واحتاجوا اليه !! وقد ولد مع النبی أطفال كثيرون في مشارق الأرض ومغاربها ، فاذا جاز للمصدق أن ينسبها الى مولده جاز للمكابر أن ينسبها الى مولد غيره ، ولم تفصل الحوادث بالحق بين المصدقين والمكابرين الا بعد عشرات السنين : يوم تأتي الدعوة بالآيات والبراهين غنية عن شهادة الشاهدين وانكار المنكرين !! أما العلامة التي لا التباس فيها ولا سبيل الى انكارها ، فهي علامة الكون وعلامة التاريخ قالت حوادث الكون : لقد كانت الدنيا في حاجة الى رسالة ، وقالت حقائق التاريخ : لقد كان محمد هو صاحب تلك الرسالة ولا كلمة لمقائل بعد علامة الكون وعلامة التاريخ ، !! (١) .

غير أن الأمر مختلف بالنسبة لمولد المسيح ، فلا يمكن أن نفرض هنا من أهمية المعجزة فطبيعة الزمان والمكان تلح على أهمية الاعجاز في الاقناع ، ولو لم يكن للمعجزة قيمة ، لما كان ثمة داع للمعجزة الكبرى : معجزة ميلاد المسيح من غير أب !!

« كان الهواء مشحونا بالحماسة الدينية !! وكان آلاف من اليهود ينتظرون على أحر من الجمر مجيء منقذ اسرائيل !! وكان السحر والشياطين والملائكة وحلول الشياطين في أجسام الآدميين واخراجها ، والمعجزات والنبوءات والاطلاع على الغيب والتنجيم - كانت كل هذه عقائد مسلما بها في كل مكان » (٢) !

فمقتضيات النبوة عند بنى اسرائيل الذين اعتادوا على النبوءات والآيات ، غير مقتضياتها عند بنى اسماعيل في بادية العرب حيث التباهى باللسان والبيان !!

لكن . . . هل معنى ذلك أن المسيحية لا تجد سندا غير معجزاتها الحسية الصاعدة القارعة ؟ تعدل جون مائيسون « في رأي أن أعظم معجزة تمت

في أرض فلسطين هي معجزة توقع وانتظار المسيحية . . . ان الاعجاب

(١) العقاد : عبقرية محمد (طبعة المكتبة التجارية) ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢) ديورانت : قصة الحضارة ج ٣ م ٣ (قيسر والمسيح) - ترجمة بدران

بالفن فى أحد معاينه هو نتيجة توقعه والاحساس به ، ولو كانت صورة يسوع غريبة عن العالم لما تقبلها العالم على الاطلاق » (١)

والمسيحية بالنسبة لنا اليوم تقوم على موضوعيتها لا على خوارقها دون جدال ، فقد تباعد العهد بيننا وبين المعجزات ، ولئن كان لهذه ما كان من أهمية فى عصر الميلاد ، فالحجة فى عصرنا ليست لمجرد الغرائب والاعاجيب !

» وقد تعب أصحاب المقارنات والمقابلات كثيرا فى اصطيات المشابهات من هنا وهناك ، ولم يكلفوا أنفسهم جهدا قط فيما هو أولى بالجهد والاجتهاد فمتى حدث فى تاريخ الأديان أن أشتاتا مبعثرة من الشعائر والمراسيم تلفق نفسها وتخرج فى صورة مذهب مستقل دون أن يعرف أحد كيف تلفقت وكيف انفصلت كل منها عن عبادتها الاولى ؟ ومن هو صاحب الرغبة وصاحب المصلحة فى هذه الدعوة ؟ وأى شاهد على وجوده فى تواريخ الدعاة المعاصرين لسنة الميلاد ؟ وكيف برز هذا العامل التاريخى الدينى الخطير على حين فجأة قبل أن ينقضى جيل واحد ؟ ولماذا كان يخفى مصادر الشعائر والمراسم الاولى ولا يعلنها الا منسوبة للسيد المسيح ؟؟

على أن صناعة النقد التاريخى تتهم نفسها بالعجز البالغ اذا لم تستطع أن تعتمد على الكلام المروى فى تقرير (شخصية القائل) وتحقيق مكانه من التاريخ ومهما يكن من فصل القول فى استقلال كل انجيل أو اعتماد بعضها على بعض ، فهناك علامات واضحة لا يمكن أن يقصدها كتاب الاناجيل ، لانها علامات نفهمها الآن وفقا لما درسناه من تطور الدعوة المسيحية ، ولم يكن لها محل فى رؤوس الرواة المشاهدين أو الناقلين . فان روايات الاناجيل تطابق التطور المعقول من بداية الدعوة الى نهايتها ، ومن التطور المعقول :

أن تبتدىء الدعوة قومية عنصرية ثم تنتهى انسانية عالمية وأن تبتدىء فى تحفظ وهى محافظة ، ثم تنتهى الى الشدة والمخالفة

وأن تبتدىء بقليل من الثقة فى شخصية الداعى ، ثم تنتهى بالثقة التى لاحد لها فى نفوس الأتباع !

(١) جون ماتيسون : دراسات فى صور من حياة المسيح ترجمة دكتور عزت

وهكذا كانت الدعوة المسيحية كما روتها الأناجيل ، دون أن يعتمد كتابها تطبيق أحوال التطور ، أو تلتفت أذهانهم الى معنى تلك الاحوال .

وربما كان أوضح من هذا فى الابانة عن شخصية الداعى أن أقواله تتضمن نقدا لجميع المذاهب التى كانت شائعة فى عصره ، وأن هذه الأقوال تشير الى وجهة نظر واحدة لم يكن لها وجود فى غير تلك الشخصية . فالأقوال المسيحية تنتقد الفريسيين ، لكنها لاتصدر فى نقدهم عن وجهة نظر الصدوقيين أو السامريين ، وتنتقد أصحاب النصوص ولكنها لاتصدر فى نقدهم عن وجهة نظر الاباحيين والمتحللين وتنتقد الآسين والمتعصبين ، ولكنها لاتدين بآراء الفلاسفة أو الأبيقوريين والرواقين . وتنتقد السامريين ، ولكنها لا ترفض السامرية بتاتا ولا ترفض غيرها من النحل كل الرفض من جانب محدود . وتستشهد بأقوال موسى وابراهيم والأنبياء ، ولكنها لا تتقيد بكل قول منها تقيد المحاكاة ولا تقتدى بها اقتداء التابع للمتبع . واذا جمعنا وجوه النقد جملة واحدة ، أمكن أن نردها كلها الى وجهة نظر متناسقة وقوام شخصى مرسوم ، وقد يقع فيها الاستثناء حيث ينبغى أن يقع ، لأن التناسق الذى يجرى مجرى الأعمال الآلية على وتيرة واحدة لا يوافق طبيعة الدعوات الحية المتقدمة - ولاسيما الدعوات فى عصر الهدم والبناء والمراجعة والتثبيت .

هذه علامات (موضوعية) لها شأنها الاكبر فى الابانة عن شخصية السيد المسيح .

وأصدق تلك العلامات - بعد هذا كله - ان الدعوة جاءت فى ابانها وفاقا لمطالب زمانها ، بحيث تكون الغرابة أن يخلو الزمن من رسول يقوم بالدعوة ويصلح لأمانتها ، لا أن يوجد الرسول ونستغرب أن يكون .

ولو أن مؤلفا بعد ذلك العصر أراد أن يخلق رسولا يوافق رسالته المنشودة لوقف به الخيال دون ذلك التوفيق المطبوع ، (١) .

والعقاد يتكلم فى منطقة بلسان عصر ، والاناجيل تتكلم فى رواية خوارقها بلسان عصر آخر . . . وتتضافر مختلف الالوان من البيان - مع تباينها - على تقديم شخصية المسيح . .

فلنتقدم نحو صحبة المسيح فى الأناجيل الأربعة ، بعد أن تهيأت منا الأذهان والقلوب .

(١) العقاد : عبقرية المسيح ص ٨٨ : ٩٠

ليس الخبز... وحده

« ... مكتوب أن ليس
بالخبز وحده يحيا الانسان،
بل بكل كلمة من الله »
(مت ٤ : ٤ ، لو ٤ : ٤)

(١٠) مع المسيح - ١٤٥

الإنسان... والدين

نحن الآن في أخطر قضية من قضايا التدين ، وعليها يترتب أن يكون دين ، أو لا دين ...

هل للكيان الانساني مطالب غير مطالبه (البيولوجية) ، وهل للنفس الانسانية آفاق يصح أن تشغلها عدا ما يحفظ الذات ويحفظ النوع ؟!

للأديان السماوية كلها رد واحد على هذه الدعوى : « وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ، وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم بذلك من علم - ان هم الا يظنون . واذ تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا : ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين . قل الله يحييكم ثم يميتكم ، ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . والله ملك السموات والارض ، ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون » (١) .

هذا الخط الأساسي في العقيدة الدينية ، تناوله المسيح في حوارهِ مع ابليس : « أما يسوع فرجع من الاردن ممثلاً من الروح القدس ، وكان يقتاد بالروح في البرية أربعين يوماً - يجرب من ابليس ولم يأكل شيئاً في تلك الأيام ، ولما تمت جاع أخيراً . وقال له ابليس : ان كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزا ، فأجابه يسوع قائلاً : مكتوب أن ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة من الله » (٢) .

وحيل الشيطان الخائبة مع المرسلين متعددة في سيرهم : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ، الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم . ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، وان الظالمين لفي شقاق بعيد . وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق

(١) الجاثية ٢٤ : ٢٧

(٢) لو ٤ : ١ - ٤ ، أيضا مت ٤ : ١ - ٤

من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ، وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم » (١) .

هذا الركن الركين والاساس المتين فى كل دين ، يسميه العقاد (اختيار القبلة) . « ويمكن أن يقال فى وصف تلك الدعوة العامة كثير لا يحصى ، حسب النظرة التى ينظر بها القارئ الى الأناجيل ولكننا على التحقيق نطابق جوهرها كله ، اذا وصفناها بأنها (تغيير وجهة) وافتتاح قبله

ولاسبيل الى الجمع بين الوجهتين ، ولا الى التردد بين القبلتين ، (فلن يخدم أحد سيدين)

قبلة الروح ، أو قبلة الجسد

قبلة الله ، أو قبلة (مامون) - اله المادة والمال

معبد الضمير ، أو معبد الصخر والخشب

هنا أو هناك فالمهم هو الاتجاه أين يكون ، والى أى أمد يدوم ، وكل مايلى ذلك من تفصيل فهو خطوات الطريق تتسع أو تضيق ، وتسرع أو تتريث متى استقبل السالك قبلته وأدار ظهره لما وراءه ، ولا بد من المفترق الحاسم بين القبلتين ، ولا بد من خيرة بين السيدين » (٢) .

وتلك هى قضية اليوم الفاصلة : تدين أو الحاد

كتب أحد دعاة (المجيئين السبتيين) adventist : « ان كثيرين من بين موجهى هذا الجيل أصبحوا يشكون فى وجود اله يهتم بخلقة تافهة نظيرنا ، وكثيرين يجاهرون بأن الكتاب المقدس وأدب شكسبير كليهما فى منزلة واحدة من حيث التنزيل والالهام ، وأن مادونه موسى عن الخلق لا يزيد عن كونه قصصا وأساطير ومنذ سنوات قلائل صرح أحد الكتاب فى مجلة دينية قوية النفوذ واسعة الانتشار فقال : منذ جيل مضى كان جل هم علماء اللاهوت المسيحى يتركز فى الدفاع عن

(١) الحج : ٥٢ : ٥٤ .

(٢) العقاد : عبقرية المسيح ص ١٠٦ ، وبالهامش : (مامون) كلمة آرامية ترمز الى المطامع الدنيوية والشهوات الجسدية ، وتطلق الآن فى اللغات الأوربية على اله المادة والمال . راجع ايضا فصل : اختيار القبلة من كتاب العقاد المذكور

سفر التكوين ضد التعاليم الداروينية ، واليوم نراهم يدافعون عن عقيدة وجود الله - أيا كان شكلها - ضد الالحاد والمادية ، وضد الفلسفة الوضعية Postitivism التي تقول بوجوب تأليه الانسان . . . وصرح البروفسور ج. ب. سمث في كتابه (التفكير المسيحي المعاصر) الذي ألفه أثناء قيامه بتدريس اللاهوت المسيحي بكلية الدين بجامعة شيكاغو : ان قصة الخلق المعلنة في الكتب المقدسة تصف هذا الوجود باعتبار أنه قد أوفى على الغاية من حيث اكتمال صنعه واتقانه ، وتمازج توازنه وثبات كيانه - الأمر الذي يجعل هذه القصة تبدو في الواقع غير مقنعة لأولئك الذين يفكرون بمقتضى قواعد علم النشوء والتطور (ص ١٧٠ من الكتاب) . . . وكذلك جاء في خطاب مشهور ألقاه العالم اينشتاين صاحب نظرية النسبية على حفل كبير من رجال العلم والفلسفة والدين - اذ قال بلغة ساخرة : على معلمى الدين أن يجاهروا فى جرأة وشجاعة بنبذ المعتقد الخامس بوجود الخالق ! . . . وصرح رئيس الالتئام الخامس لمجمع الكونجرس الدولي فى خطاب موضوعه (استرداد احساسنا بوجود الله) : صار رجال العلم الطبيعى ويؤازرهم لفيف من رجال علم النفس الحديث يغضون من شأن الاعتقاد الخاص بوجود الله سبحانه ، وأصبحوا ينتقصون من قدره حتى جعلوه فى عداد التصميمات التى يبتكرها العقل ويختطها الانسان وفقا لميله وهواه !؟ وقد طفقت تعاليم أولئك القوم تتسرب بواسطة المجلات والروايات الى عقول أبناء هذا الجيل من رجال وسيدات ، بل لقد أصبحت هذه التعاليم الهدامة تخلق الجو الذى يحيط بنا وتتحكم فى تكييف عقولنا وتوجيه أفكارنا الى الحد الذى انتهى بنا الى انكار حقيقة الخالق عز وجل ، حتى ليصدق علينا قول بولس الرسول : (وبينما يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء . . . واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق ، وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله الى ذهن مرفوض) « (١) .

تلك هى القضية التى على كل أتباع دين سماوى - من مسيحيين ومسلمين - أن يتصدوا لمعالجتها ، وهى قضية عناصرها واحدة عند الجميع .

ومن ثم لا حرج على من يسير (مع المسيح) أن يدلل عليها بكتابات

(١) فرنسيس دانيكول : ايمانى ، حججه وأسانيده - ترجمة جرجس سليمان ص. ١٠٣ ، ١١٤ : ١١٧

المسلمين ، ولا حرج على من ينافح عن الاسلام أن ينتصر للتدين بدراسات
اللاهوتيين والفلاسفة غير المسلمين ، وقد أوضح هذا بجلاء الدكتور
ميلربروز Miller Burrowo الاستاذ بجامعة ييل حيث قال : « ان
المعضلات التي تتضمنها محاولة ايجاد ملاءمة بين الدين والعلم تتشابه
في الاسلام والمسيحية . ومع أن الحواجز القومية قد تفصل بين العلماء
وبعض ، فالعلم نفسه لا يقبل تجزئة مثل هذه ، إذ أن دنيا العلم واحدة ،
وإذا كانت دياناتنا مختلفة فالله واحد (١) » .

(١) بروز : Some suggsetions concerning the relations between religion and science in Islam بحث في مؤتمر الثقافة الاسلامية في
« برنستون » الترجمة العربية في كتاب (الاسلام والثقافة الاسلامية المعاصرة) ص ٤٣ .

فطرة... وضرورة

والأستاذ العقاد من خير من انتصر لقضية التدين في الفكر العربي المعاصر ، وهو يقول في افتتاح أحد كتبه :

« الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية . ولم يكن الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية لأنه مصلحة وطنية أو حاجة نوعية ، لأن الدين قد وجد قبل وجود الأوطان ، ولأن الحاجة النوعية (بيولوجية) تتحقق أغراضها في كل زمن وتتوافر أسبابها في كل حالة ، ولا يزال الإنسان بعد تحقق أغراضها وتتوافر وسائلها في حاجة إلى الدين . وغرائز الإنسان النوعية واحدة في كل فرد من أفراد النوع وكل سلالة من سلالاته ، ولكنه في الدين يختلف أكبر اختلاف لأنه يتجه من الدين إلى غاية لا تنحصر في النوع ولا تتوقف على غرائزه دون غيرها وليس الغرض منها حفظ النوع وكفى ، بل تعزيز مكانه في هذا الكون أو في هذه الحياة . فالإنسان يتعلق من النوع بالحياة ، ولكنه يتعلق من الدين بمعنى الحياة .

ولن يوجد إنسان ليس له نوع أو غريزة نوع أو آداب نوع — لأن وشيجة النوع ليست مما ينفصل عنه باختياره ، ولكن قد يوجد إنسان يفوته معنى الحياة ، وقد يوجد إنسان يفهم معنى الحياة على أنه اعراض عن الحياة الفردية ، وعن الحياة النوعية ، وتوجه إلى ضرب آخر من الحياة .

وقد يتحول الإنسان من عقيدة إلى عقيدة ، فلا يقال إذن أنه آمن بعلاقة جديدة بين الخلائق جميعا وبين الحياة أو مصدر الحياة . والإنسان إذا طلب من الدين الحياة الأبدية ، فهو لا يطلب ذلك لأنه فرد من أفراد نوع ، فإن النوع قد يبقى ألوف السنين وقد يقدر الإنسان أنه مكفول البقاء بغير انتهاء ، ثم لا يغنيه كل ذلك عن طلب الحياة الأبدية لأنه يريد لحياته معنى لا يزول ، ويريد أن يتصل بحياة الكون كله في أوسع مداه

وليس مقياس العقيدة الصالحة مقياس الدروس العلمية والحيل الصناعية ، وانما حسب العقيدة الصالحة من صلاح أنها تنهض بالعقل والقريحة ولا تصدهما عن سبيل العلم والصناعة ، ولا تحول بين معتقديها وبين التقدم والحضارة وأطوار الاجتماع .

وينبغي أن يلاحظ في هذا الصلاح أن الجماعات البشرية لا تعيش عمر انسان واحد ولا تنحصر في طبقة واحدة . فالعقيدة التي تصلح لعشرة أجيال يشترك فيها عشرة أجيال يختلفون في كثير من الأحوال والعادات ، والعقيدة التي يدين بها الملايين يشترك فيها الخاصة والعامة والأعلى والأدنى ، ولا تصاغ منها نسخة مستقلة لكل طبقة أو لكل فريق . **فالذي يطلب من العقيدة الصالحة أن تصلح لهؤلاء مجتمعين ،** وأن تصلح لأعمار بعد أعمار ، لأنها ليس مما يخلع تارة بعد تارة ، ولا مما يستبدل ببرامج السنوات ونصوص الدساتير !! ...

ومهما يكن من رأى العلماء والفلاسفة في الايمان بالله ، فهم لا يجهلون - ولا يستطيعون أن يجهلوا - **أن الايمان ضرورة كونية** لا تخلقها مشيئة أحد من الآحاد ، ولو كان في قدرة الرسل والأنبياء ! فاذا أجمع الناس على الاعتقاد كيفما كان اختلافهم في الجنس والزمن والموطن والمصلحة ، فليس هذا عمل فرد ولا هو مما يقع بين الحين والحين عرضا واتفاقا من فعل الحيلة والتدبير ، ولكنه باعث من صميم قوى الكون لا يفلح الرسل والأنبياء في نشر دعوته مالم يكن في تلك الدعوة مطابقة لحكمة الخلق وسر التكوين . . . !

انهم يتخذون من عقائد بعض العامة أو عقائد بعض الخاصة دليلا على أنها أمور لا تصدر من عند الله الذى يصفه أصحاب الأديان بالعلم والحكمة والقدرة على الهداية ، فاذا كان هذا هو المبطل للوحى الالهى فكيف يثبت الوحى الالهى في قياس أولئك الفلاسفة أو العلماء ؟؟ أثبت بعقيدة يدين بها العامة كما يدين بها الخاصة ، وتطابق الدروس العلمية اليوم ، كما تطابقها عندما تنقض نفسها بكشف جديد ؟ أثبت بعقيدة تدخل المعمل الصناعى أو العلمى كل سنة أو كل بضع سنوات للفحص والامتحان ؟ أثبت بعقيدة ليست بعقيدة ، ولكنها مجموعة من الأزياء الموسمية التى يغيرها الانسان تارة بعد تارة ولا يمزجها ببواطن الضمير ؟

كلا ، فان الوحى الالهى متى ثبت لا يثبت على النحو الذى تخيلوه ، بل على النحو الذى عهدنا عليه الأديان ، مع اختلاف العقول واختلاف

الأجيال واختلاف المعلومات • عقيدة هي عقيدة ، وإيمان هو إيمان ، وبعد ذلك موافقة لدواعي الحياة ومطالب الفكر وخلجات الشعور • وهكذا تصبح العقيدة - ان صحت على الاطلاق ، وهكذا يكون الايمان - ان كان ايمان » (١) •

« وكما تشتهق الابل الى جداول المياه هذه تشتهق نفسى اليك يا الله ، عطشت نفسى الى الله ، الى الاله الحي ... » « عطشت اليك نفسى ، يشتهق اليك جسدى فى أرض ناشفة ويابسة بلا ماء » (٢) •

والذين يريدون أن يستغنوا عن الدين ، لا يلبثون أن يحلوا محل الدين شيئاً آخر يدينون به ويتعصبون له ليسد الفراغ ويطفىء الظمأ... وفى النفس غريزة الخضوع ، فان لم يخضع الانسان (لقوة عليا محايدة) لا تستغل فيه هذا الخضوع ، فسيخضع للقوى التى تعصف بها الشهوات والنزوات « أرباب متفرقون خير ، أم الله الواحد القهار ! » ...

قوة الله هي القوة التى لا تتجبر لكثرة الطائعين ، ولا تهون بمعصية العاصين ، لأن صاحبها غنى عن العالمين : « ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون • ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » ••

قوة لا تحابى الأولياء ، ولا تتحامل على المخالفين ، لأن صاحبها فوق هؤلاء وهؤلاء ، ورب هؤلاء وهؤلاء ، والرحمن الرحيم على هؤلاء وهؤلاء... •••

قوة الله هي القوة التى اذا اجتمع عليها الناس اتجهت طاقتهم النفسية فى الحب والبغض الى وجهة تهدد من شحناء الانقسام والعصبية وصراع العدوان والبغى ، فلا يضم الحقد ولا تعلن الحرب الا على الشيطان الرجيم : « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » ...

قوة الله هي التى تجمع الناس عليها ، لتخط لهم طريقهم من عل ، بعيدا عن أهواء التحيز للدم أو الأرض أو الطائفة أو الرأى : « فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا » « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا » ...

هذه هي قوة الله التى أراد قوم أن يستبعدوها عن مجال النفس والضمير ، فهل بقيت النفس وبقي الضمير بعدها بغير اله ؟ ؟

(١) العقاد : الفلسفة القرآنية - المقدمة

(٢) مزمور ٤٢ : ١ - ٢ ، ٦٣ : ١

ما أصدق جوستاف لوبون حيث يقول في (روح الجماعات) :
 « وما لا طائل تحته أن تعيد القول بأنه لابد للجماعات من دين ، ولا
 تستقر المعتقدات السياسية والالهية والاجتماعية الا باكتسابها شكلا
 دينيا على الدوام ، فتكون به في حمى من الجدل . ولو أمكن حمل
 الجماعات على الالحاد ، لاكتسب هذا الالحاد ما في الشعور الديني من
 شدة تعصب ، ولأضحى في وجوهه الظاهرة ضربا من العبادة بسرعة !!
 ولنا في تطور المذهب الوضعي مثال طريف على ذلك ، ويشابه
 هذا المذهب العدمي (نسبة الى العدم) الذي روى العلامة دستويفسكي
 لنا قصته ، فقد سطعت أنوار العقل على هذا العدمي ذات يوم فحطم صور
 الآلهة والقديسين التي كانت تزين هيكل معبده الصغير ، وأطفأ
 الشموع ... ولم يبدد من الوقت ثانية ، فأحل محل الصور المحطمة
 كتب بعض الفلاسفة الملحدون كبوخنر ومولشوت ، ثم أشعل الشموع
 الثانية بورع !! !! أجل ، لقد تحول موضوع معتقداته الدينية ، ولكن
 أيمكن أن يقال : ان مشاعره الدينية تغيرت ؟؟ » (١) .

« وقد رأيت أناسا يبطلون الأديان في العصر الحديث باسم الفلسفة
 المادية ، فاذا بهم يستعيرون من الدين كل خاصة من خواصه وكل لازمة
 من لوازمه ، ولا يستغنون عما فيه من عنصر الايمان والاعتقاد التي
 لا سند لها غير مجرد التصديق والشعور ، ثم يجردونه من قوته التي
 يبثها في أعماق النفس - لأنهم اصطنعوه اصطناعا ولم يرجعوا به الى
 مصدره الأصيل !! فالمؤمنون بهذه الفلسفة المادية يطلبون من شيعتهم
 أن يكفروا بكل شيء غير المادة ، وأن يعتقدوا أن الأكوان تنشأ من هذه
 المادة في دورات متسلسلة ، تنحل كل دورة في نهايتها لتعود الى
 التركيب في دورة جديدة ، وهكذا دواليك ثم دواليك الى غير انتهاء .
 ويطلبون منهم أن ينتظروا النعيم المقيم على هذه الأرض متى صحت
 نبوءتهم عن زوال الطبقات الاجتماعية ، فان زالت الطبقات الاجتماعية
 في هذه السنة أو بعدها ببضع سنوات فتلك بداية الفردوس الأبدى الذي
 يدوم مادامت الأرض والسموات وتنتهي اليه أطوار التاريخ - كما تنتهي
 بيوم القيامة في عقيدة المؤمنين بالأديان ، ولا يكلف دين من الأديان
 أتباعه تصديقا أغرب من هذا التصديق ، ولا تسليما أتم من هذا
 التسليم !! ولا يخلو دين الفلسفة المادية من شيطانه ، وهو (الرأسمالية)
 الحبيثة العسراء فكل مافي الدنيا من عمل سوء أو فكرة سوء فهو كيد من

(١) لوبون : روح الجماعات - ترجمة عادل زعبتير ص ٧٠

«لشيطان الماكر المريد ، وكل ما فيها من عمل سوء أو فكرة سوء يزول ويحول وتحل في مكانه بركات الفلسفة المادية ورضوانها متى سار الأمر الى ملائكة الرحمة وذهب ذلك الشيطان الى قرارة الجحيم !!» وادخروها للزمن كله ، بل للأبد كله ، ولكنهم لم يصطدموا صدمتهم الأولى في الحرب العالمية الأخيرة حتى أفلست عقيدة الأبد ، ولجأوا الى الوطن يستعيدون مثله والى الديانة يستجدونها ويتمسحون بها ... وفحوى هذه العبرة البالغة أن أسرار العقيدة أعمق وأصدق مما يدور بأوهام منكريها ، وأنها ذخيرة من القوة وحوافز الحياة تمد الجماعات البشرية بزاد صالح لا تستمدّها من غيرها ، وأن هذه الذخيرة (الضرورية) خلقت لتعمل عملها ولم تخلق ليعبث بها العابثون ، كلما طاف بأحدهم طائف من الوهم أو طارت برأسه نزعة عارضة ، لا تثبت على امتحان ! ...

ومنذ الحرب العالمية الأولى كثرت في أوروبا وأمريكا مجموعات الفصول التي يبسط فيها كاتيوها آراءهم في العقائد والأديان ، ويلخص كل منهم فيها عقيدته التي استخلصها لنفسه ، وأحس أنها تناسب تفكيره وعلمه وشعوره بالعالم الذي يعيش فيه ، وبما يقتضيه أمر الاعتقاد في عصر العلوم (الوضعية) وتجارب الانسانية الحديثة ... وبعض هؤلاء قد اتخذ له الها اصطفاة على حسب المثل العليا التي يتمثل بها الاله ، وبعضهم يدين بعقيدة بشرية أرضية لا محل فيها لما وراء الطبيعة ولا تخرج عن كونها نخبة من قواعد الأخلاق وبرامج الإصلاح ، وبعضهم يفسر الدين الذي يؤمن به قومه تفسيراً يوائمه ويخالف ما اعتقده قومه من المراسم والعبادات ، وكلهم في جملة آرائهم ومذاهبهم يدلون على شيء واحد : **وهو ان الايمان ظاهرة طبيعية في هذه الحياة** (لان الانسان غير المؤمن انسان غير طبيعي فيما نحسه من حيرته واضطرابه ويأسه وانعزاله عن الكون الذي يعيش فيه ، فهو الشذوذ وليس هو القاعدة في الحياة الانسانية وفي الظواهر الطبيعية ، ومن أعجب العجب أن يقال ان الانسان خلق في هذا الكون ليستقر على ايمان من الوهم أو يسلب القرار !) ...

أما عقيدة (الجماعة) فلا مناص فيها من ملاحظة شرائط لا تدعو الضرورة اليها كلها في تلك العقائد الفردية : ومنها أن دين الجماعة لا يخلو من المجاز ، لأنه يوحى اليها بالمغيبات المحجوبة ويقرب اليها المعاني الأبدية التي لا تمتزج بالضمير ولا تستجيش الحس الا اذا اشتملت على مخيلاتهم واقتربت بما يعهدونه من المألوفات والمشاهدات . ومنها أن دين

الجماعة يعم الخاصة والعامة والمجتهدين والمقلدين ، ولا يؤدي غرضه الأسمى اذا قطع فريقا من هؤلاء عن فريق • ومنها أن دين الجماعة لأجيال كثيرة وليس لجيل واحد ، وفي هذه الأجيال الكثيرة يتسع المجال لكثير من المستحدثات في العلم ، وكثير من الغير والأطوار في مبادئ الأخلاق ومشارب الأذواق • وللجماعات البشرية فرص كثيرة لاستحداث العلوم ومتابعة الكشف والمخترعات - تستطيع أن تأخذ منها ماتشاء ان لم تأخذها من نصوص الدين ، ولكنها لا تستطيع أن تأخذ الدين من غير مصادر الاعتقاد ، وحسبها منه أن يحضها على التعلم ، ولا يصدها عن سبيل المعرفة حين تتاح لها مع الزمن بوسائل البحث والاستطلاع » (١) • والمسح الاجتماعي والرصد التاريخي خير شاهد ودليل •

يقول الدكتور ستيفن هربرت أحد علماء الآثار وأستاذ (الاشوريات) بجامعة اكسفورد :

« انى أذكر بثقة أن عقيدة (الوحدانية) في الديانات السامية والسومرية قد سبقت الايمان بعديد من الآلهة والاعتقاد بالأرواح الخيرة والشريرة ، فكل الديانات السامية قد بدأت بالايمان باله واحد للقبيلة قام بخلق أفرادها ويسهر على حفظهم ورعايتهم • وتاريخ الديانات في المجتمع الانسانى ليس سوى تاريخ سقوط الانسان وارتداده » •

ويؤيد ذلك سيربتر رينو مترجم (كتاب الموتى) للمصريين القدماء فيقول : « منذ أكثر من ٥٠٠٠ سنة ارتفعت في ربوع وادى النيل أصوات التسابيح للاله الواحد وخلود النفس • ان الاعتقاد بوحدانية الاله الأعظم وصفاته القدسية باعتباره الخالق الأوحد ومصدر الناموس الأدبى تبدو جوهرة لامعة متألقة وسط أكداس المعتقدات الفرعونية الكثيرة التى تراكت خلال العصور الطويلة لذلك ومن ثم لا يمكننا القول بأن الفكر الدينى فى مصر القديمة قد تطور من الدرجات السفلى وتسامى الى اعلى حتى وصل الى عقيدة الوحدانية والخلود » •

ويساير هذا رأى العالم النمساوى شميت فى كتابه (تطور الديانات) فيقول :

« ان الذى يدرس الآثار القديمة فى مختلف أنحاء العالم يستطيع

(١) العقاد : الفلسفة الفرآنية - المقدمة ، الخاتمة

أن يدرك أنه بين القبائل البدائية كانت تسود المعتقدات بآله واحد وحياة خالدة قادمة ٠٠٠ ، (١)

فالحبز وحده اذن - على حد قول المسيح - ليس يكفى ٠٠٠
وفرق طبعا بين أن نقول : الحبز وحده ليس يكفى ، وأن نقول :
الحبز ليس بلامع على الإطلاق ٠٠٠

« ٠٠٠ أجابهم يسوع وقال: الحق الحق أقول لكم: أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم آيات ، بل لأنكم أكلتم من الحبز فشبعتم !! اعملوا لا للطعام البائس ، بل للطعام الباقي ، للحياة الأبدية ، الذى يعطيكم ابن الانسان لأن هنا الله الآب قد ختمه ٠٠٠ الحق الحق أقول لكم : ليس موسى أعطاكم الحبز من السماء ، بل أبى يعطيكم الحبز الحقيقى من السماء ، لأن الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم . فقال له : يا سيد - أعطنا فى كل حين هذا الحبز ، فقال يسوع : أنا هو خبز الحياة ، من يقبل الى فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا ، ولكن قلت لكم انكم قد رأيتمونى ولستم تؤمنون ! » (٢) .

« وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا » ، « ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، منهم أمة مقتصدة ، وكثير منهم ساء ما يعلمون » ، « وتزودوا ، فإن خير الزاد التقوى (٣) » .

ان التدين الصحيح يحقق (للآلة الانسانية) انتظام السير : فرد متوازن ومجتمع متضامن ٠٠٠ كل مؤمن يراقب الله فى علاقته بالناس ، ويبتغى الآخرة فى طلب الدنيا .

ان الايمان قضية منطقية ، وحاجة نفسية ، ومصلحة اجتماعية ٠٠٠
أو هو اقتناع ، وراحة ، ونظام .

(١) دكتور جون الدر : الأحجار الكريمة ترجمة دكتور عزت زكى ص ٢٦ - ٧

(٢) يو ٦ : ٢٦ - ٣٦

(٣) الجن ١٦ ، المائدة ٦٦ ، البقرة ١٩٧ .

منطق

« وأنسهر الحجج التي اعتمدت عليها الفلسفة الالهية ثلاث : **برهان الخلق** المعروف عند الاوربيين بالبرهان الكوني Cosmological Argument وفحواه أن المتحركات لا بد لها من محرك لا تجوز عليه الحركة ، وأن الممكنات لا بد لها من موجد واجب الوجود ، والا لزم التسلسل الى غير انتهاء . **وبرهان النظام** المعروف عندهم ببرهان الغاية أو القصد Telological Argument : وفحواه أن نظام العالم يدل على ارادة محيطة بما فيها من الأسباب والغايات . **والبرهان الثالث برهان الاستعلاء** Ontological Argument المعروف عندهم ببرهان القديس أنسلم وفحواه أن العقل اذا تصور شيئا عظيما تصور ماهو أعظم منه والا تطلب Anselm موجبا للوقوف عند حد من العظمة لا تتعداه ، وكلما عظم شيء فه أعظم منه وأعظم ، حتى تنتهي بالتصور الى العظمة التي لا مزيد عليها ، والعظمة التي لا مزيد عليها لا تكون مجرد تصور يقع في الوهم ولا يوجد في الواقع ، لأن العظمة الموجودة فوق العظمة الموهومة أو المتصورة ، فالله اذن موجود لأنه أعظم الموجودات » (١) .

وفي القرآن أمثلة لهذه البراهين . . .

فبرهان الخلق واضح في قوله تعالى : « أم خلقوا من غير شيء ، أم هم الخالقون ؟؟ »

وبرهان النظام أو برهان الغاية أو القصد تلمحه في الآيات : « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور ؟؟ » ، « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وأنكم اليينا لا ترجعون ؟؟ فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم » .

وبرهان الاستعلاء والاستكمال قائم في وصف الله لذاته : « ليس

(١) العقاد : الفلسفة القرآنية ص ١٠٧ - ١٠٨ - للتفصيل راجع (الله) أيضا (طبعة دار الهلال) ص ١٨٨ • ١٩٧ •

كمثله شيء » ، « لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير » (١) .

وفى رأى العقاد أن مسألة وجود الله مسألة (وعى) قبل كل شيء : « فالإنسان له وعى يقينى بوجوده الخاص وحقيقته الذاتية ، ولا يخلو من (وعى) يقينى بالوجود الأعظم والحقيقة الكونية لأنه متصل بهذا الوجود بل قائم عليه . والوعى والعقل لا يتناقضان ، وإن كان الوعى أعم من العقل فى ادراكه لأنه مستمد من كيان الإنسان كله : ظاهره وباطنه وما يعيه هو وما لا يعيه ، ولكنه يقوم به قياما مجملا محتاجا الى التفصيل والتفسير .

ونحن نخطئ فهم العقل نفسه حين نفهم أنه مقصور على ملكة التحليل والتجزئة والتفتيت ، وأنه لا يعمل عمله الشامل الا على طريقة التقسيم المنطقى وتركيب القضايا من المقدمات والنتائج وإثباتها بالبراهين على النحو المعروف . فالعقل موجود بغير تجزئة وتقسيم ، وهو فى وجوده ملكة حية تعمل عملا حيا ولا يتوقف عملها على صناعة المنطق وضوابطه فى عرف المنطقيين ، وهو فى وجوده هذا يقول (نعم) ويقول (لا) - ويحق أن يقولهما مجملتين فى المسائل المجملة على الخصوص . وقد يخطئ القول فى بعض الأشياء ، ولا يضمن الاصابة فى كل شيء ، ولكن الخطأ ينفى العصمة الكاملة ولا ينفى الوجود . فقد يكون العقل المجمل موجودا عاملا وهو غير معصوم عن الخطأ الكثير أو القليل ، ولن يقدح ذلك لا فى وجوده ولا فى صلاحه للتفكير ، لأن التقسيم المنطقى يخطئ أيضا كما يخطئ العقل المجمل فى أحكامه المجملة ولا يقال من أجل ذلك ان التقسيم المنطقى غير موجود أو غير صالح للتفكير . فاذا قالت البدهاة العقلية : نعم هناك اله - فهذا القول له قيمة فى النظر الإنسانى لا تقل عن قيمة المنطق والقياس ، لأنها قيمة العقل الحى الذى لا يرجع المنطق والقياس الى مصدر غير مصدره أو سند أقوى من سنده . وقد كان العقل المجمل أبدا أقرب الى الايمان وأقرب الى قوله (نعم) فى البعث عن الله ، ولم يستطع التقسيم المنطقى أن يقول (لا) قاطعة مانعة فى هذا الموضوع (٢) » .

وقريب هذا مما انتهى اليه الفيلسوف ديكارت فى قولته المشهورة

(١) الطور ٢٥ ، تبارك ٣ ، المؤمنون ١١٥ - ١١٦ ، الأنعام ١٠٣ .

(٢) العقاد : الله (طبعة دار الهلال) ص ١٨٦ - ١٨٧ .

» مهما شككت فأننى لا أشك فى أن لى نفسا تشك) ، (أنا أفكر اذن
أنا موجود) !!

من أين تهب رياح الشكوك على منطق العقيدة ؟؟

هل العلم التجريبي هو مصدر الاعتراض ؟؟

» من العلماء من عقيدته تقرير وتوكيد ، ومنهم من عقيدته ترجيح
ورغبة ، ومنهم من عقيدته استعداد وانتظار ٠٠٠ وحصة هؤلاء فى تأييد
العقيدة غير قليلة ، لأنها بمثابة (فتوى علمية) بأن العلوم التى تفرغوا
لها وبلغوا مبلغ الثقة فيها لا تعارض الايمان فى أساسه ، ولا تمنع
صاحبها أن يفتح صدره وضميره لعالم الغيب فليس عالم الشهادة عندهم
بالعالم الوحيد . ولا نعرف من علماء القرن العشرين من هو أبعد شوطا
فى الاعتقاد من الدكتور ألكسيس كاريل Alexis Carrel الطبيب المتخصص فى
بحوث الخلية ونقل الدم وصاحب جائزة نوبل ١٩١٢ - ختم رسالته
الصغيرة عن الصلاة : (والخلاصة ان الشعور بالقداسة مع غيره من قوى
النشاط الروحاني له شأن خاص فى الحياة لأنه يقيمنا على اتصال بآفاق
الحفاء الهائل من عالم الروح ٠٠٠ والصلاة على ما نرى ضرورة لا غنى عنها
لنمو الانسان فى أرفع حالاته ، ولا ينبغي أن ننظر اليها كأنها عمل لا يلجأ
اليه غير الضعاف والمتسولين والجبناء - أو كما قال نيتشة : انها شئ
مخجل ، فما الصلاة بأدعى الى التحل من شرب الماء والتنفس !!

**وان الانسان لىحتاج الى الله حاجته الى الماء والأكسجين ، وهذا
الشعور بالقداسة الى قرائنه من الشعور بالبصيرة والحاسة الخلقية
ونفوق الجمال وضيء الفهم هو تمام الازدهار والنضج للشخصية الانسانية)**
٠٠٠ ومن العلماء المؤمنين : روبرت بروم Broom عضو الجمعية الملكية
الانجليزية ، الذى سئل عن عقيدته الدينية باعتباره رجلا من رجال العلم
الحديث فأجاب فى فصل خاص لمجموعة Modern Spirit towards
philosophy of faith سنة ١٩٥١ : (من نحو عشرين سنة اهتم بعضهم
المادية التى شاعت بين الدوائر العلمية فى النصف الأخير من القرن التاسع
عشر ، هل لاتزال على شيوعها ؟ ٠٠٠ فتبين أن فئة مدهشة بنسبة عددها
الى سائر أعضاء الجمعية الملكية - قد قررت بأسلوب واضح أنها تؤمن
بعالم روحاني وعناية ربانية مهيمنة ، وأن كثيرا منهم يعتقدون بقاء
الشخصية بعد موت الجسد ، وظهر فى امتحان الأسئلة أن عددا كبيرا

من الأعضاء لم يحفل بالافصاح عن رأيه - مما قد يفهم منه أن بعضهم على شك وتردد ، وقد يكون الشك والتردد خطوة في طريق الايمان» (١) .

والمادة بكثافتها الغليظة لا تقف حائلا دون الايمان بآله (لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير) :

« حدثت في السنوات الخمس الأخيرة من القرن التاسع عشر حوادث (علمية) غيرت كل صورة من صور المادة عرفها الأقدمون . . . عرفوا الكهرباء الذى تحسب ذرة الهيدروجين جبلا ضخما بالقياس اليه ، ثم تقدموا في معرفة الكهرباء والذرة حتى أفلتت المادة كلها من بين أيديهم ، ولم تبق منها غير حسبة رياضية كانوا (يحسبونها) مثلا في الدقة والضبط والعصمة من الخل ، فاذا هي في النهاية حسبة لا يضبطها الحساب الا على وجه التقريب ! أفلتت من المادة كل شيء ثابت أو كانوا يحسبون مضر المثل في الثبوت و (الحقيقة) !!

فاللون من الشعاع - والشعاع هزات في الأثير !! والوزن جاذبية - والجاذبية فرض من الفروض ! والجرم نفسه متوقف على الشحنة الكهربائية ، وعلى سرعة الجسم في الحركة ، ونصيبه من الحرارة . والحرارة ما هي ؟ حركة ! والحركة في أى شيء ؟ في الأثير ! والأثير ما هو ! فضاء أو كالفضاء ، وكل وصف أطلقته على الفضاء فهو بعد ذلك مطابق لأوصاف الأثير . حتى الصلابة التى تصدم الحس أصبحت درجة من درجات القوة تقاس بالحساب ، ويعلم الحاسب أنه حساب قابل للخطأ والاختلال . . . وتقدم العلم بالكهرب والذرة مرة أخرى ، فاذا المادة كلها كهارب وذرات ، واذا بالذرات تنفلق فتنتلق شعاعا كشعاع النور !! هل هذا الشعاع موجات ؟ هل هو جزيئات ؟ قل هذا أو قل ذاك ، فهذا وذاك في ميدان (التجربة) سواء !

وعاد العلماء التجريبيون الى القوانين الطبيعية التى تحكم الحرارة والحركة والضوء ، وكل ما فى عالم المادة من كهارب وذرات ، فوجدوا لها قانونا واحدا - وهو الخطأ والاحتمال . . . ان المادة اليوم لا تصد المفكرين عن عالم الحقائق المجردة ، ولا هم يتخذون من صلابتها وجسامتها

(١) راجع مزيدا من هذه الشهادات فى فصل (عقائد العلماء) من كتاب العقاد : عقائد المفكرين فى القرن العشرين

شرطا للحقيقة الثابتة ، فان الحقيقة المادية نفسها لا تثبت اليوم بالمجرد الصلابة والجسامة ، ولا تزال تتردد الى اصولها حتى تثول الى عدد من الهزات في ميدان مجهول هو ميدان الآثير وميدان الفضاء . فالمادة في القرن العشرين قد اقتربت من عالم الفكر المجرد بل دخلته ، وأصبحت في تقدير الثقات عملية رياضية او نسبة من النسب التي تقاس بمعادلات الحساب « (١) .

(١) العقاد : عقائد المفكرين في القرن العشرين ص ٤٦ : ٤٨ ، ٥٢

رابعة

« ٠٠٠ أجاب يسوع وقال لها : لو كنت تعلمين عطية الله ، ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب - لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيا ٠٠٠ كل من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش الى الأبد ، بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية (١) » ٠٠٠

هذه هى الراحة التى تفيض من العقيدة على جنبات النفس ٠٠٠

وما أروع هذه **المناجاة** التى تصور كيف يشفى الايمان بالرب الرحيم متاعب الكدر فى الحياة الدنيا .

« يا الله ٠٠٠ أن حياة الانسان على الارض حرب عوان ٠٠٠ عند الرضا نخاف من الشقاء ، وعند الشقاء نترأض لطلب الرضاء ! ٠٠ تبا لنعيم الارض لان الخوف من شقائها ينغص لذاتها ، وتبا لشقاء الدنيا لان الامل فى نعيمها يضغط على الطبيعة البشرية فلا يعود عندها صبر على شقائها ! ٠٠ عراك متواصل ، دون فتور أو هدنة ، وقد وضعت كل آمالى فى مراحمك ، فأعطنى أن أعمل ما تأمرنى به ، أعطنى العفة التى لا يقدر عليها الا من أعطيت له من فضلك ٠٠ أنت حبيب وهواى ، أنت أملى ومناى ، لا أتعلق الا بك ، ولا أشتاق الا اليك ٠٠٠ أنت المتعالى بقدرتك غير المتناقص برحمتك ، القوى القدير ، وليس للعقل البشرى أن يحيط علما بصفاتك السامية ! ليس أحد يراك ، ولا أحد يدركك ، على حين أنك حاضر دائما بيننا ، لا يعتريك زوال ولا يشبهك مثال ، تغير كل شيء وأنت لا تتغير فى شيء ، وتجدد كل شيء عدا المتكبرين فانك تسحقهم سحقا ! تغير الامور لا الاوامر ٠٠٠ أى يوم ياترى تجعل منزلك فى قلبى وتسكركه من خمرة حبك وتنسيه مرائر أوجاعه وبلاياه فيلتصق بك بجملته ! . أسألك أن لا ترد وجهك عني ، وحبذا أن أموت عن نفسى لأقدر أن أفوز بمعابنتك ! ان منزل نفسى صغير ضيق لا يسعك فأوسعه أنت ورممه ،

(١) يو ٤ : ١٠ - ١٤ .

ومن ياترى لى باصلاح نفسى سواك ؟ وهل اصرخ الى غيرك ؟ ... عظيم أنت يا الله ، مابال الانسان يحاول أن يمجدك ، وهو جزء طفيف من خلّاتك ! » ، « لقد صنعتنا لذاتك وتظل أرواحنا قلقة حتى تجد راحتها فيك » (١) .

ان الايمان بالله ليس مسألة رياضية أو فلكية وحسب ، يكتفى مقدرها بأن يقول : ان الله موجود أو ان الله واحد ، وتنتهى غايته عند هذا التقرير ... ليس مسألة كل ثمرتها زيادة المعلومات والمعارف الانسانية عن كائن يسمى (الله) صفاته كيت وكيت !! ...

« كان أناس من الحكماء يعرفون الله كأنهم يعرفون حلا مقنعا لمسألة الوجود ، أو كأنهم يعرفون خالقا للكون ولا يزدون ... وما لاريب فيه أن عقيدة التوحيد قد سرت من مصر فى صورة من الصور الى بلاد المشرق ومنها بلاد البحر الأبيض ووادى النهرين ، وما لاريب فيه أنها كانت سر الخاصة وذوى الرياسة فى المحارب والقصور ...

ولم يكن سر احبار وحكماء ، ولم يكن خالق الكون والناس ولا مزيد ! بل كان خالق الكون والناس ، وحاكم الكون والناس ، وكان منه الامر والنهى ، واليه المرجع والمآب . كانت مبادئه مسألة حية تمتزج بسرائر النفس ، وتنبعث منها فضائل الخير ، ولا تنزوى عنها زاوية فى الكون ولا فى ضمير الانسان . كانت دعوته صرخة تسمع وتتجاوب بها الآفاق ، ولم تكن لغزا يخفى وتتجاضى به العقول ! كانت صحبة البيت والطريق ، وصحبة اليقظة والنم ، وصحبة العزلة والجماعة ، وصحبة الحياة قبل الميلاد وبعد الموت ، ولم تزل حتى أصبحت وهى صحبة الخلود الذى لا يعرف الفناء (٢) » .

« الذى خلقتنى فهو يهدين . والذى هو يطعمنى ويسقن . واذا مرضت فهو يشفين . والذى يميّتنى ثم يحيين . والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتي يوم الدين (٣) » .

هذا الايمان الصحيح هو الذى يحقق ما ورد فى نداء المسيح : « تعالوا الى يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وأنا اريحكم(٤) » .

(١) اعترافات القديس اغسطينوس ترجمة الحورى يوسف العلم ومراجعة الأب بولس الفرنسيسكانى ص ١٠ : ١٢ ، ٢٢٢ - ٣
(٢) العقاد . ابو الانبياء ص ٩ - ١٠ .
(٣) الشعراء : ٧٨ - ٨٢ .
(٤) مت ١١ : ٢٨

فالإيمان يقى النفس من أن تتبدد طاقتها فى مضطرب الحياة الدنيا
... يعصمها من اليأس الكسير ، كما يعصمها من القوة المغرورة على
السواء : « ... بالإيمان قهروا ممالك ، صنعوا برا ، نالوا مواعيد ،
سدوا أفواه أسود ، أطفأوا قوة النار ، نجوا من حد السيف ، تقووا من
ضعف ، صاروا أشداء فى الحرب ، هزموا جيوش غرباء (١) » ...

« ونقص البراهين العقلية التى يستدل بها الفلاسفة على وجود الله
أن البرهان قوة ترغم العقل على التصديق ، ولا يأتى الإيمان بارغمام بل
بطلب وشوق واجتهاد فى التحصيل ، فان لم تشعر النفس بمكان
الإيمان منها فلا محل للبرهان فيها ، وان شعرت بهذا المكان فالبرهان
متمم لشيء موجود يعاونه ويزيد عليه ... قال الوجودى المتدين كارل
جاسبر Karl Jasper بصدد الأوامر المطلقة : (وينبوعها فى نفسى
بما أنها مساك كيانى ، وليس وجود الكائن الأبدى المطلق مسألة علم بل
مسألة يقين ، فان العلم المحدود لا يمتد وراء الحدود) « (٢) »

فالإيمان اذن انما هو استجابة لحاجة نفسية : « فأقم وجهك للدين
حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك
الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣) » .

وفى رحاب الإيمان يتوافق للعقل والوجدان ، ويتوافق الجسد
الروح ، ويتوافق الفرد والمجموع ، ويتوافق الانسان والكون ، ويتوافق
العمر المحدود والخلود ، حين تقوم هذه الصلة الروحية العقلية بين
الخالق والمخلوق .

ونحن نقرأ فى بعض الكتابات المسيحية مثل هذه الكلمات المنيرة
التي تحاول النفاذ الى أعماق الدين وأعماق الانسان على حد سواء :

« هناك خطأ فى التفكير يحسب الجسم شرا بسبب ماديته ، وكان
هذا خطأ الهراطقة المسيحيين الذين ظنوا أن المادة شر فى ذاتها وأن
الجسم شر سجن وأن الروح أسيرة فيه ! ولكن هذه ليست عقيدة
المسيحية ، فالجسد انما خلقه الله وجعله صالحا ، وفى الوسع استعماله
لأغراض شريرة كما يمكن أن يكون مسكنا للروح القدس وخادما لمقاصد
الله . والعالم الذى يعنى الكتاب المقدس أن نبتعد عنه انما هو العالم الذى
ينسى الله فيه » .

(١) عبرانيين ١١ : ٣٣ - ٣٤ .

(٢) العقاد : عقائد المفكرين فى القرن العشرين ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣) الروم ٣٠ .

« ٠٠٠ ، وعلينا هنا أن نشدد على ناحية واضحة جدا في الكتاب المقدس وهي أن الله يهتم بالانسان كله وليس بجزء منه ، وقد اعتدنا أن نتكلم عن الانسان أنه جسم وروح وكثيرا ما نظن بأن الجزء الذي يجب أن يكون متدينا هو روحه ! ويوضح الكتاب المقدس مثل هذا التمييز بين الجسم والروح وفي بعض الأوقات نراء يضيف النفس الى الجسم والروح ، ولكن هل معنى هذا أن الانسان يتألف من جزئين منفصلين : الروح والجسد ؟ أو ثلاثة أجزاء : الجسد والروح والنفس ؟ وهل واحد منها أدنى والآخر أعلى وأسمى ، واحد أرضى والثاني الهى ؟ ان الكتاب يتكلم دائما أن الانسان وحدة ٠٠٠ فالانسان وان كان جسدا ونفسا وروحا فانه وحدة ، والله يهتم بالانسان كله كما يهتم بالناس جميعهم على السواء ٠٠ »

« لقد خلق الانسان ليكون وحدة كاملة ، لكنه سرعان ما انقسم على نفسه ! وقد أعطانا الله غرائز وعواطف وقوة للتفكير والحكم ، ولكن هذا الانسان لم يسفد منها كما يجب ٠٠ » (١)

على أننا نقرأ أحيانا مايساير الفلسفة القديمة في تقسيم الكيان الانسانى ، ومن الغريب مثلا أن تقرأ للكاتب نفسه في موضع آخر مايدل على الننائية بل والانفصال « لا يستطيع الانسان أن يعيش كمن لا جسم له أو ككائن شابه الملائكة ولا يتأتى سلامه عن طريق التهرب من عالمه ، ويستطيع المسيحى أن يجمع بين العالمين فيعيش فيهما فى وقت واحد يوافق بين مطالب الجسد ومقتضيات الروح » ويوغل الكاتب الى أبعد من ذلك فيقول « ولابد من وقوع تصادم فى حياة الانسان (لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد ، وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون مالا تريدون - غلاطية ٥ : ١٧) ولا مراء ، فالروح يرغب أن يعيش بموجب مشيئة الله فى حين أن الجسد الذى هو قسم منا يرغب أن يعيش بشكل يحسب فيه الله غير موجود !! وإذا ما سمح الانسان لجسده أن يسيطر على روحه فانه يتدلى الى مرتبة الحيوان ، ولكنه اذا ترك لروحه أن تتحكم فيه اقترب من طبيعته الحقيقية الكاملة ! وعندما تسيطر الروح فعند ذاك يظهر الانسان الحقيقى اللائق بملكوت الله ٠٠ ان غرض الله انما هو تحقيق انتصار الروح على الجسد ٠٠ ان هناك صعيد المادة ، وصعيد الحياة ، والنفس ، والعقل ، والروح . وما يهم الله فى هذه المرحلة من مراحل تحقيق أغراضه على الأرض هو أن

(١) ستيفن نيل : ما هو الانسان ترجمة ابراهيم مطر ص ٢٠ - ١ ، ٢٩ ، ٦٦ ، ٧

يتحقق النصر للروح على الجسد ، وذلك بأن يتمرس الناس أن يعيشوا كأرواح ، وحياة الروح فى مستطاع الجميع ، ولكن ليس كل الناس يختارون أن يعيشوا كأولاد لله لأن الكثرة منهم يؤثرون عيشة الجسد » !! (١)

ويقول الأب فرنسيس فرييه ان القديس بولس يستعمل لفظ (الجسد) تارة بما يفيد الانسان بكامله ، وتارة بما يعنى الطبيعة البشرية الخاضعة للألم والموت ، وطورا بما يعنى الطبيعة البشرية التى أفسدتها الخطيئة » وانه من الخطأ أن ننسب لبولس ضلال الماموية حين يرسم المقابلة بين ضعف الجسد وقداسة الروح . . . ومن خلال النصوص يتضح أن المعنى المحقر للجسد الذى كان يقصده الفلاسفة الرواقيون لم يتسرب الى لغة القديس بولس ، خاصة عندما يتحدث عن جسد المسيح الطاهر . . . وعليه فالعلاقة القائمة بين الجسد والخطيئة ليست علاقة جوهرية » (٢) .

ما أصدق المسيح : «ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله ، وخسر نفسه (٣) » وهو يخسر نفسه اذ يتيه فى الدوامة الكبرى ويفتقد قاعدة الايمان الثابتة ، فما أسرع أن تميد به الأرض أو تهوى به الريح !! والايمان بالله كفيل بنماء الفضائل الأخلاقية ، وحسن انفاذ الأحكام التشريعية ، لأنه يملأ على النفس شعابها ، فيجعلها أقوى على حمل تبعات الحق ، وأورع عن المروق من التكاليف والجموح بين الثغرات والتأويل ، وأقدر على اطالة الأنفاس حتى لا تنقطع فى بيداء الحياة الشاسعة - ان أصابت المؤمن سراء شكر فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له .

فالعقيدة تعمق العلاقات الانسانية ، وتضاعف المجهود البشرى ، وتزيد القيم الفاضلة ثراء ، وتجعل الدنيا بزينتها وقسوتها معبرا لا بد من السعى فيه بجهد الى حياة النعيم .

وفى آفاق العقيدة الرحبية تنطوى المشكلات الصغيرة ، والمنغصات المحدودة ، التى تفجر الرؤوس وتغص الحلق وتضيق الأنفاس ، متى كانت الدنيا للانسان غاية همه ، ومبلغ علمه .

(١) ستيفن نيل : الله فى المسيحية ترجمة ابراهيم مطر ص ٩٠ - ٩٣

(٢) فرنسيس فرييه : التجسد - ترجمة لويس أبابير ص ٢٠ : ٢٢

(٣) مت ١٦ : ٢٦ ، مر ٨ : ٣٦ ، لو ٩ : ٢٥ :

« وعقائد القيم الانسانية تقف بصاحبها دون الغاية الوافية من العقيدة ... لأنها تتركه في الكون كله بغير سند يطمئن اليه ، ولا تتجاوز به حدود نوعه ، وهو - أي النوع الانساني - ضائع كله في الكون ، ما لم يكن لوجوده معنى أصيل مرتبط بالوجود الشامل لجميع الموجودات ... ان علاقة الانسان بالكون أعرق وأوثق وأعمق من كل علاقة باقليمه أو بعشيرته أو بنوعه ، وليس بالمفهوم أن تترجم نوازه عن علاقات العشيرة والاقليم والنوع ، ثم تخلو من ترجمة لعلاقته بالوجود كله !! فان لم تكن العقيدة الدينية هي ترجمة العلاقة الكونية ، فأين توجد هذه الترجمة ؟؟ ... نعم ان القيم الانسانية تؤسس في خلايق الانسان الايمان بالواجب ، وان قيامه بواجبه يبعث فيه الثقة والطمأنينة والعزاء ، وانه متى عرف القيم الانسانية عرف الأحسن والأكمل وأعرض عن القبح والنقيصة ، ومتى اهتدى الى الواجب بين ما هو حسن وما هو قبيح حمد له وتبين طريقه في ظلمات المجهول . ولكنه ولا ريب لا يكتفى بهذا الواجب لو علم بما هو أكثر منه وأكبر ، وانه لا يستغنى معه عن سند له وسند للنوع الانساني كله . ولا يجد هذا السند في شيء كما يجده في عقيدة تشمل الكون وما فيه بل تشمل الكون وما وراءه ، وتحيط بالزمن بغير ابتداء ولا انتهاء » (١) .

على جذور العقيدة الضاربة الى الأعماق ، ثبت المسيح غراس الأخلاق ونمى ثمارها ، وربى أتباعه على أن يفعلوا الخير ابتغاء مرضاة الله وحده وثوابه في أخراه .

« ورفع عينيه الى تلاميذه وقال : طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله ، طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون ، طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون ، طوباكم اذا أبغضكم الناس واذا أفرزوكم وعيروكم وأخرجوا اسمكم كشريير من أجل ابن الانسان - افرحوا في ذلك اليوم وتهللوا فهو ذا أجركم عظيم في السماء ، لأن آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء ! ولكن ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم قد نلتم عزاءكم ، ويل لكم أيها الشباعى لأنكم ستجوعون ، ويل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون ، ويل لكم اذا قال فيكم جميع الناس حسنا لأنه هكذا كان آباؤهم يفعلون بالأنبياء الكذبة .

لكني أقول لكم أيها السامعون : أحبوا أعداءكم ، أحسنوا الى

(١) العقاد : عقائد المفكرين في القرن العشرين ص ١٦٠ : ٢

مبغضيتكم ، باركوا لاعنيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم • من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضا ، ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه ! وكما تريدون أن يفعل بكم افعلوا أنتم أيضا بهم هكذا • وان أحببتهم الذين يحبونكم فأى فضل لكم ؟ فان الخطاة يحبون الذين يحبونهم • واذا أحسنتم الى الذين يحسنون اليكم فأى فضل لكم ؟ فان الخطاة أيضا يفعلون هكذا • وان أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأى فضل لكم ؟ فان الخطاة أيضا يقرضون الخطاة لكي يستردوا منهم المثل • بل أحبوا أعدائكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئا ، فيكون أجركم عظيما وتكونوا بنى العلى فانه منعم على غير الشاكرين والأشرار ، فكونوا رحماء كما أن أبائكم أيضا رحيم • ولا تدينوا فلا تدانوا ، لا تقضوا على أحد فلا يقضى عليكم ، اغفروا يغفر لكم ، أعطوا تعطوا « (١) •

هذه شريعة للأخلاق فوق شريعة الواجب ••• شريعة تستند الى أوامر الله وجزائه فى عالم الغيب ، لا الى تراضى الانسان والانسان وتبادلها المنافع العاجلة فى الواقع القريب •••

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم • وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم • »

« يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا • ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا • انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا • انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا • فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا • وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا • متكئين فيها على الأرائك ••• »

« ولكل درجات مما عملوا ، وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون • ويوم يعرض الذين كفروا على النار - أذهبتم طيباتكم فى الحياة الدنيا واستمتعتم بها ، فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون • »

« فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون • على الأرائك ينظرون • هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ؟؟ » (٢) •

(١) لو ٦ : ٢٠ - ٣٨

(٢) فصلت ٢٤ : ٣٥ ، الانسان ٧ : ١٣ ، الأحقاف ١٩ - ٢٠ ، المطففين ٣٤ : ٣٦

نظام

والعقيدة لا تجمع شتات النفس فى الفرد الواحد فحسب ، ولكنها
تجمع شتات الناس مجتمعين

العقيدة تجمع الطبقات ، وتجمع الأقوام ، وتجمع الأوطان ، ثم هى
تجمع الأجيال والأزمان

والى العقيدة وفلسفتها تركز أحكام التشريع
فالتشريع يقرر المساواة : ومن العقيدة تستمد هذه المساواة فى
أعمق جذورها ، اذ لا يتميز على المخلوق الا الخالق ، وكل العباد سواء
أمام الرب المعبود .

والتشريع يقرر الحريات : والعقيدة لا تجعل حاكما مقبولا لذاته -
مرضى الحكم فيما يرضى وفيما يكره الا الله لا يحمد على مكروهه سواء ،
وكل الناس بعد ذلك مختارون لمهامهم ، مسئولون عن التزاماتهم ،
يناقشون الحساب ! .

والتشريع يقرر التكافل : والعقيدة تجعل المالك الأصيل لكل النعم
هو الله ، وتجعل الناس جميعا مطالبين بابتغاء رزقه واقتسام عطائه دون
تظالم أو تهاون .

والعقيدة فى الله تجعل المؤمن حارسا للتشريع ، يعبد الله بطلب
حقه وأداء واجبه على السواء ، وهو اذ يحرس التشريع يحرس عقيدته
نفسها - حتى يحجز عن الكبرياء كل متعال بنسب أو طبقة ، وكل متجبر
بسلطة ، وكل متناول بثروة - اذ الله وحده هو الغنى القوى ، والعزیز
الجبار !

والعقيدة فى الله على هذه النحو تجمع على الانسان نفسه وتجمع
عليه الحياة !!

تجعله على وفاق مع عقله ونفسه ، ومصالحه ومطالبه كلها ، كما
تجعله على وفاق مع الكون ، وعلى وفاق مع الناس أجمعين - واذ أسلم
وجهه لله رب الناس والأكوان - رب العالمين ، فسلم من اضطراب النزعات
واضطراع الأهواء !

« وهذه هي الفتوح التي لا نظير لها فيما تحدث عنه المؤرخون من
فتوح الحياة الانسانية منذ أقدم عصورها الى العصر الحديث . لا نظير
لها فيما فتحه الانسان من هذا العالم حين سخر النار أو سخر الحيوان
أو سخر الذرة - فهذه فتوح فيما يملكه الانسان ، أما تلك الفتوح ففيها
ملاك الانسان كله : فيما يعلمه وفيما لا يعلمه ، وفيما يبيده وفيما
يخفيه . تلك فتوح غيرت عالم الانسان الظاهر وعالمه الباطن ، وليس
قصارى الأمر فيها أنها عبادة جديدة أفضل من عبادة سبقتها - وان كانت
العبادة الفضلى غنما يغليه من يقتنيه ويفديه بكل مايعيه ومالا يعيه ! كلا،
بل هي عبادة فضلى ، وفكر فاضل ونظر جديد الى الكون والى الانسان
وبنى نوعه فى وحدته وفى اجتماعه . وهى فتوح تصحح مقياس الفكر
وتبدل علاقة الانسان بنفسه وبدنياءه ، وتحسب من أجل ذلك فى سجلات
العلم ورياضات الخلق وقوانين الاجتماع .

ان حقائق الكون الكبرى لن تنكشف لعقل ينظر الى الكون كأنه
أشتات مفرقة بين الأرباب ، يتسلط عليها هذا بارادة ، ويتسلط عليها
غيره بارادة تنقضها . . . فلم يكن التوحيد عبادة أفضل من عبادة الشرك
وكفى ، بل هو علم أصح ونظر أصوب ومقياس لقوانين الطبيعة أدق
وأوفى ، ومن هنا صدرت كل فكرة عظيمة عن الكون من عقل فيلسوف
مؤمن بالوحدانية - وان لم تبلغه دعوة الأنبياء .

أما ميزان العدل الالهى فهو الذى أقام المساواة بين الناس على
دعامتها الراسخة ، وكل ماعداها من دعامة فانما هى دعائم القوة ممن
يقدر عليها سواء اقتدر عليها بسطوته الباطشة أو بتأليب الطوائف
والجماعات . وما كان للعدل بين الناس من سبيل وهم يقيسون بعضهم
الى بعض ، ويطلبون المساواة بين أقوى الأقوياء منهم وأضعف الضعفاء !
فاذا ارتفع الميزان الى اليد الالهية ، فهذا القوى مهما يبلغ من القوة ،
وذلك الضعيف مهما يبلغ من الضعف - ندان متساويان ، ومخلوقان أمام
خالق واحد : مازاد من قوة أحدهما فهو من عطاء ذلك الخالق ، وما نقص
من قوة الآخر فهو من قضائه ، ومن دواعى رحمته وبلائه ، واليه المرجع
فى حسابه أو جزائه . فلا يدخله أحد فى حساب غير ذلك الحساب ،

ولا يعرضه أحد على ميزان غير ذلك الميزان ٠٠٠ وان الواقع الذى لا مزية فيه أن الانسان قد ملك الذرة الصغرى فملك من الطبيعة قوتها الكبرى ، وأنه خليق بهذه القوة أن يضل ويطفئ ، ولكن اليقين الحق أنه لن يكبح ذلك الطغيان من نفسه بقوة الطبيعة صغراها وكبرائها ، وانما يكبحه - اذا قدر له أن يكبحه ! - بسلطان من ذلك الفتح المبين ٠٠٠ « (١) » .

ويقول الأسقف بل : « ان البعض يعتقدون أن (الديمقراطية) بدون الله - أى الديمقراطية التى تستلهم من مثل بشرية محضة - ستؤدى فى النهاية الى المجتمع الكامل ، وأمثال هؤلاء الناس الذين يعتقدون فى مبادئ المساواة والحرية والعدل ولكن بدون اعتقاد فى الله لا يحسبون حسابا لو هن العامل البشرى ! وهم يدعون أن المجتمعات التى أخذت بهذا الأسلوب من الحياة الديمقراطية تطبق هذه المبادئ ولا تتنكر لها ، على أن واقع الأمر أن هذه الديمقراطيات ليست مبرأة من عدم المساواة والتفرقة فى المعاملة والظلم والاستبداد والاستغلال والعدوان ! ويعتقد آخرون أن (العلوم) مفتاح سعادة البشر اذ بها يمكن خلق مجتمع متمدين ، ولكن ليست المدنية هى المرساة الكبرى لرجاء العالم البشرى لانها اذا اختفت ولى معها الرجاء « !! (٢)

والعقيدة اذ تكون ينبوعا فوارا بالخير ينفجر منه كل مبدأ سليم ، وكل سبيل قويم ، لا تقف عند البدء والانشاء ، بل هى توالى الامداد والتجديد والانماء ٠٠٠

والعالم الطبيعى شارل داروين - حفيد صاحب مذهب التطور - يشهد للعقيدة فى كتابه عن المليون سنة The Next Million Years فيقول : « ان العقائد لها خاصة أخرى أقوم وأجدر بالالتفات اليها ، وذاك أنها تكفل الدوام للخطط الاجتماعية زمنا أطول من الزمن الذى تتكفر به أية فكرة عقلية . وفى التاريخ حالات عديدة تصدى فيها نخبة من الساسة المستنيرين لوضع سياسة يتوخون بها المصلحة العامة ويقفون حياتهم على أنجازها ، وما هو الا أن ينقض جيلهم حتى يعقبهم ساسة آخرون ينقضونها ايثارا لطريقة غيرها من طرق المصلحة الانسانية ، فلا يطول أجل الحطة القائمة على العقل أكثر من جيل واحد - وهو أمد قصير جدا لا يكفى للتغلب على عقبات المصادفة !! فلو أن خطة من الخطط

(١) العقاد : أبو الانبياء ص ٦ : ٨

(٢) التقرير المرفوع لبابا الاسكندرية وبطريق الكرازة المرقسية من اللجنة المشكلة بقرار مابوى فى ١٧ أغسطس سنة ١٩٦٢ لفحص ما نسب الى مجلس الكنائس العالمى ص ١٥

تسنى لها أن تمتزج بحماسة الايمان فأصبحت من العقائد المصدقة ،
لقوى الأمل فى بقائها نحو عشرة أجيال متعاقبة - وهى برهة كافية
للتغلب على طوارئ المصادفات • وبهذه المثابة تشترك العقيدة خلية
التناسل فى خاصتها التى تحفظ أثرها فى البيئة الانسانية ، (١) •
هل ابتعدنا كثيرا عن صحبة المسيح فى الأناجيل الأربعة ؟؟ ...

لا أظن أننا ابتعدنا كثيرا أو قليلا ، بل نحن فى القلب والصميم •
وانما نحاول أن نتبين طريق المسيح - فهو طريق دين الله على اختلاف
رسله وكتبه ، ونتعرف العلة فى احتمال المسيح - واحتمال رسل الله
جميعا - ما احتملوه ، فما كان أحراهم أن يريحوا ويستريحوا من هذا
العناء ، لو كانت قضية العقيدة اثباتا لوجود اله دون تأثير على تعامل
الناس ، وقولا بعالم آخر دون مساس بالحياة الواقعة القائمة !!

« ان الله حياة ... ان الله نور ... ان الله محبة ... ان الله

روح »

« أنا هو نور العالم ... من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة ، بل يكون
له نور الحياة » (١) •

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهتدى به الله من اتبع
رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم
الى صراط مستقيم » (٢) •

(١) يو ١٤ : ٢٦ ، ١ : ٤ ، ٤ : ١٠ ، ٢٤ ، ٨ : ١٢ •

(٢) المائدة ١٥ - ١٦ •

رحمة ... لاذبيحة

« انى أريد رحمة ، لاذبيحة
... لأنى لم آت لأدعو أسراراً ،
بل خطاة الى التوبة »

« كان يجالس الفقراء ويستمع الى شكاتهم فقد كان فقيرا ، ويحدث الخاطئين دون أن يلتفت الى نظرات الاستنكار التى تصوب اليه – ولم يكن خطاء بل كان ذا قلب كبير ! كان انسانا يغفر ضعف الانسان !!

أصغى الى الكتب والفريسيين ولكنه لم يفعل لمواعظهم ، فكلماتهم تخرج من الفم ، كلمات ميتة بلا روح فلا تجد طريقها الى القلب ...

الفريسيون ينطلقون فى الطرقات يتجسسون على الفقراء ليتحققوا من طهارة ثيابهم ومنازلهم وحوانيتهم !! ولكنهم لا يهتمون كثيرا بطهارة النفس ، فالفواحش ترتكب دون أن يحركوا ساكنا ، فانما كل ما يهمهم نظافة الثوب ! وأصغى الى كبار الحاخامين فى المعبد فى موسم الحج فألقى شريعة موسى قد عقدت وتفرعت مذاهـب ، فما يحلله (هلل) يحرمه (شماى) ، فأعرض عن حلقات السفسطة والجدل ومعارض الكلام ، وأقبل بنفس متفتحة على الكون – يغترف علما وحكمة من معينه الرقراق .. »

« اورشليم غارقة فى المشاحنات الدينية ...

وبنو اسرائيل يرسفون فى أغلال الكهنة راضين ، فقد ثبتوا فى أذهانهم أن الله اختارهم لحفظ الدين والناموس ! راحوا يشغلون الناس بالمحظورات والمحرمات ، ويقسمونها الى أقسام ودرجات :

. فشماى فى تزمته يمنع فى يوم السبت عيادة المريض ، بل يحرم فيه الدفاع عن النفس وقتال الأعداء – وان جاءوا للبلاد محتلين ، والشيوخ يحرمون حمل شيء فيه وان كان ابرة أو كان قطعة من قماش زينت ثوب امرأة ولم تثبت فيها – حتى الأسنان الصناعية !!

أظهروا التقشف رياء للناس ، حتى ان فريق (الجباه الدامية) ! من الفريسيين، كانوا ينطلقون فى الطرقات مغمضى العيون – لكيلا تقع عيونهم على النساء ! فيتخبطون فى سيرهم وبالجدران يرتطمون ، فتسيل الدماء على الجباه ارضاء للناموس !!

اذا جاع يهودى يوم السبت – ولم يكن عنده ما يأكله – فخير له أن

يموت جوعاً من أن يظهر طعامه ويكسر السبت ، لأن كاسر السبت يستحق
الرجم ٠٠٠ وأما من مات في سبيل حفظه فهو شهيد » (١) !!

هذه صورة من قلم الأديب عبد الحميد السحر ، للقوم الذين سوف
يستقبلون المسيح ورسالة المسيح ٠٠٠

وانطلق المسيح يبشر برسالته ، بعد أن تقدمه صوت يوحنا الصارخ.
النذير ٠٠٠

تدفقت المواعظ من فمه ساحرة أخاذة ، جديدة على قوم ألفوا الكلام
في الطقوس والمراسم لاغير ، غريبة لان فيها حياة اذ تصدر من قلب فياض.
بالحياة : « فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى
بيته على الصخر ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك
البيت فلم يسقط ، لأنه كان مؤسساً على الصخر ٠٠٠ وكل من يسمع
أقوالى هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل ، فنزل
المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط ، وكان
سقوطه عظيماً !! » (٢) .

« أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ، خير أم من أسس
بنيانه على شفا جرف هار - فانهار به فى نار جهنم ، والله لا يهدى القوم
الظالمين . لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم ، الا أن تقطع قلوبهم ،
والله عليم حكيم » (٣) .

وكان لابد أن تحدث مقارنة سريعة فى أدمغة السامعين بين ما
يسمعون وما كانوا يسمعون !! « فلما أكمل يسوع هذه الأقوال - بهت
الجموع من تعليمه ، لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان ، وليس
كالكتبة » (٤) .

(١) السحر : المسيح عيسى بن مريم ص ٥٢ ، ١٤٠

(٢) مت ٧ : ٢٤ - ٢٧

(٣) التوبة : ١٠٩ - ١١٠

(٤) مت ٧ : ٢٨ - ٢٩ ، لو ٤ : ٣٢

للخطاة... لا الأبرار

وهل يطيق الذين عاشوا على أن يسمع الناس لهم وحدهم ، انطلاقة هذا الصيت الجديد ؟

هل يصبرون على انقياد الشعب لغيرهم ، واصغائه لصوت غير صوتهم ؟

« وقال الذين كفروا : لاتسمعوا لهذا القرآن ، والغوا فيه ... لعلمكم تغلبون ! » (١) .

لقد بدأت حملة التشويش ضد الصوت الجديد ..

« وبينما هو متكئ في البيت ، اذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه ، فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه : لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ، فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الأصحاء الى طبيب - بل المرضى !

فاذهبوا وتعلموا ما هو : اني أريد رحمة لا ذبيحة ... لانني لم آت لأدعوا أبرارا ، بل خطاة الى التوبة ! » .

« لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب ، فيقولون : فيه شيطان ! جاء ابن الانسان يأكل ويشرب ، فيقولون : هو ذا انسان أكل وشرب خمر ، محب للعشورين والخطاة ! » (٢) .

« وقالوا : مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق ، لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا . أو يلقي اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا ، فلا يستطيعون سبيلا ... وما أرسلنا قبلك من المرسلين

(١) فصلت : ٢٦ .

(٢) مت : ٩ : ١٠ - ١٣ ، ١١ : ١٨ - ١٩ ، مر ٢ : ١٥ - ١٧ ، لو ٥ :

٢٩ - ٣٢ ، ٧ : ٣٣ - ٣٤

الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض
فتنة - أتصبرون ؟ وكان ربك بصيرا ، (١) .

بدأوا يغمزون المسيح بغمز أتباعه ، لكن اجابة المسيح كانت مفحمة ،
من يدعو اذن : اذا كان سيتجنب من هم فى أمس الحاجة للهداية ؟ « ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من
حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء ، فتطردهم فتكون من
الظالمين » (٢) .

وقال المسيح قولته الصادقة : انه يريد رحمة لاذيعة !

« والبدن جعلناها لكم من شعائر الله ، لكم فيها خير ، فاذكروا اسم
الله عليها صواف ، فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ،
كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله خومها ولا دماؤها
ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم ، لتكبروا الله على ما هداكم ،
وبشر المحسنين » (٣) .

فليهاجم المتربصون تعاليم المسيح بعد أن أفلسوا فى النيل من سيرته
ومسلكه : « حينئذ جاء الى يسوع كتبة وفريسيون الذين من اورشليم
قائلين : لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ - فانهم لا يغسلون أيديهم
حينما يأكلون خبزا ؟! فأجاب وقال لهم : وأنتم أيضا لماذا تتعدون وصية
الله بسبب تقليدكم ، فان الله أوصى قائلا : أكرم أباك وأمك ، ومن يشتم
أبا أو أما فليمت موتا ، وأما أنتم فتقولون : من قال لأبيه أو أمه قربان هو
الذى تنتفع به منى فلا يكرم أباه أو أمه - فقد أبطلتم وصية الله بسبب
تقليدكم ! يامراءون ، حسنا تنبأ عنكم أشعياء قائلا : يقترب الى هذا الشعب
بفمه ويكرمنى بشفتيه ، وأما قلبه فمبتعد عني بعيدا ، وباطلا يعبدوننى
وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس » (٤) .

« كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » ! « أتأمرون الناس
بالبر وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون ؟ » ! « قل
من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ، تجعلونه قراطيس

(١) الفرقان ٧ : ٩ ، ٢٠ .

(٢) الانعام ٥٢ .

(٣) الحج ٣٦ - ٣٧ .

(٤) مت ١٥ : ١ - ٩ ، مر ٧ : ١ - ١٣ .

تبدونها وتخفون كثيرا ، وعلمتم مالا تعلموا أنتم ولا آباؤكم - قل الله ،
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » (١) ! •

كان اسحق في واد ، و (الطقوسيون) الشكليون الجامدون في راد
آخر ...

» لان الفريسيين وكل اليهود ان لم يغسلوا أيديهم باعثناء
لا يأكلون ... ومن السوق ان لم يغتسلوا لا يأكلون ، وأشياء أخرى
كثيرة تسلموها للتمسك بها - من غسل كثوس وأباريق وآنية ونحاس
وأسرة ! » (٢) •

وتكلم المسيح بلسانه وأعماله... كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى
الموتى باذن الله : » يطوف المدن كلها والقرى يعلم في مجامعها ، ويكرز
ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وكل ضعف في الشعب • ولما رأى
الجموع تحزن عليهم ، اذ كانوا منزعين ومتطرحين كغنم لاراعى لها» (٣) •
واليهود يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، فهم لا يدعون
معجزات المسيح تشده الأبصار دون تمويه أو تشويه •

» أما الفريسيون فلما سمعوا قالوا : هذا لا يخرج الشياطين الا
ببعزلبول - رئيس الشياطين! فعلم يسوع أفكارهم وقال لهم : كل مملكة
منقسمة على ذاتها تخرب ، وكل مدينة أو بيت منقسما على ذاته لا يثبت ،
فان كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته - فكيف تثبت
مملكته ؟ وان كنت أنا ببعزلبول أخرج الشياطين ، فأبناؤكم بمن يخرجون ،
لذلك هم يكونون قضاتكم ! ولكن ان كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين ،
فقد أقبل عليكم ملكوت الله • أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى
وينهب أمتعته ان لم يربط القوى أولا ، وحينئذ ينهب بيته ؟ » (٤) •

» وما يأتيهم مش رسول الا كانوا به يستهزئون ، كذلك نسله في
قلوب المجرمين • لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين • ولو فتحنا عليهم

(١) الصف ٣ ، البقرة ٤٤ ، الأنعام ٩١

(٢) مر ٧ : ٣ - ٤ •

(٣) مت ٩ : ٣٥ - ٣٦ •

(٤) مت ١٢ : ٢٤ - ٢٩ ، مر ٣ : ٢٢ - ٢٧

بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون : لقالوا انما سكرت أبصارنا ، بل نحن قوم مسحورون ! « (١) »

لم يسعفهم المنطق ، فليست اللمز والتنازع بالأصول والأحساب :
« ولما جاء الى وطنه كان يعلمهم في مجمعهم حتى بهتوا ، وقالوا : من أين لهذا هذه الحكمة والقوات ؟ أليس هذا ابن النجار ؟ أليست أمه تدعى هريم ، واخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا ؟ أو ليست أخواته جميعهن عندنا - فمن أين لهذا هذه كلها ؟ فكانوا يعثرون به . وأما يسوع فقال لهم : ليس نبي بلا كرامة الا في وطنه وفي بيته ، ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم ايمانهم ! » « فجاء الخدام الى رؤساء الكهنة والفريسيين ، فقال هؤلاء لهم : لماذا لم تأتوا به ؟ أجاب الخدام : لم يتكلم قط انسان هكذا مثل هذا الانسان ؟ فأجابهم الفريسيون : ألعلمكم أنتم أيضا قد ضللتهم ، ألعل أحدا من الرؤساء أو من الفريسيين آمن به ؟ ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون . قال لهم نيقوديموس الذي جاء اليه ليلا وهو واحد منهم : ألعل ناموسنا يدين انسانا لم يسمع منه أولا ويعرف ماذا يفعل ؟ أجابوا وقالوا له : ألعلك أنت من الجليل ؟ فتش وانظر : انه لم يقم نبي من الجليل ! »

« فيلبس وجد نثنائيل وقال له : وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء - يسوع بن يوسف الذين من الناصرة . فقال له نثنائيل : أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح ؟ » (٢) »

« ولما جاءهم الحق قالوا : هذا سحر ، وانا به كافرون . وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » (٣) .

هل فرغت جعبة المعارضين ؟

لقد أعبتهم الحيل وأجهدتهم المراوغة ، فأقبلوا مباشرة الى المسيح يستفسرون ويتساءلون ، ومن ثنايا الحديث يتصيدون الألفاظ ويؤولون الكلمات . . . ورد عليهم المسيح سؤالهم بسؤال ، فكان الهجوم أحسن طرائق الدفاع !

(١) الحجر ١٠ - ١٥ .

(٢) مت ١٣ : ٥٤ - ٥٨ ، مر ٦ : ٢ يو ٧ : ٤٥ - ٥٢ ، ١ : ٤٥ - ٤٦ .

(٣) الزخرف ٣٠ : ٣٢

« وقف رؤساء الكهنة والكتبة مع الشيوخ وكلموه قائلين : بأى سلطان تفعل هذا ، أو من هو الذى أعطاك هذا السلطان ؟ فأجاب وقال لهم : وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة فقولوا لى : معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس ؟ فتأمروا فيما بينهم قائلين : ان قلنا من السماء - يقول : فلماذا لم تؤمنوا به ، وان قلنا من الناس - فجميع الشعب يرجموننا لأنهم واثقون بأن يوحنا نبي ! فأجابوا : أنهم لا يعلمون من أين ، فقال لهم يسوع : و أنا لا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا » (١) .

« قالت رسلهم : أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ... قالوا : ما أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ، فأتونا بسلطان مبين ! قالت لهم رسلهم : ان نحن الا بشر مثلكم ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » ...

« الله أعلم حيث يجعل رسالته » سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون » (٢) .

(١) مت ٢١ : ٢٣ - ٢٧ ، مر ١١ : ٢٧ - ٣٣ ، لو ٢٠ : ١ - ٨

(٢) ابراهيم ١٠ - ١١ ، الأنعام ١٢٤

السبت... لأجل الإنسان

وجاءت مسألة (السبت) محكا للجدل ومثارا للنقاش ...

ومسألة السبت هذه تعرض لها القرآن مرات : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ، فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، « واسئلكم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت ، اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ، ويوم لا يسبثون لا تأتيهم ، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون » ! « انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ، وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » (١) .

ورغم أن فكرة الراحة الاجبارية في اليوم السابع وارتباطها بخلق الكون في ستة أيام فكرة غريبة عن الأصول الاسلامية الثابتة - فيما أعلم ، اذ الجمعة عند المسلمين يوم صلاة جامعة لا يوم راحة مفروضة ، فان المفسرين قد أوردوا في تفسير هذه الآيات ما عرفوه عن أهل الكتاب . قال ابن كثير : « لاشك أن الله تعالى شرع في كل ملة يوما من الأسبوع يجتمع الناس فيه للعبادة ، فشرع تعالى لهذه الأمة يوم الجمعة لأنه اليوم السادس الذي أكمل الله فيه الخليفة واجتمعت فيه وتمت النعمة على عباده واختاروا - بنو اسرائيل - السبت لأنه اليوم الذي لم يخلق فيه الرب شيئا من المخلوقات التي كمل خلقها يوم الجمعة ، فالزمهم تعالى به في شريعة التوراة ووصاهم أن يتمسكوا به وأن يحافظوا عليه . . . يقول تعالى : (ولقد علمتم) - يامعشر اليهود ما حل من البأس بأهل القرية التي عصت أمر الله وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السبت والقيام بأمره اذ كان مشروعا لهم ، فتحيلوا على اصطیاد الحيتان يوم السبت ، بما وضعوا لها من الشصوص والحبائل قبله والخ » (٢) .

« انما جعل (السبت) للانسان : لسعادته وخيرة . واذا تصفحنا

(١) البقرة ٦٥ ، الأعراف ١٦٣ ، النحل ١٢٤

(٢) تفسير ابن كثير : طبعة الحلبي ج ٢ ص ٥٩١ ، ج ١ ص ١٠٥

آيات (العهد القديم) نجدها تدور حول قصد ثنائى : أن يستريح الانسان يوم (السبت) من عناء العمل وأن يفرح بالرب فى يوم عطلته ، أن يستريح ويعتبر هذا هو ناموس الأب الصالح لخير أولاده ، يستريح الناس ويستردوا قوتهم ويكونوا سعداء ! وقال الله للرجال والنساء فى أعمالهم : للأحداث فى المدارس ، للعبيد فى قيودهم ، للمواشى والحيوانات تحت نيرها ، استريحوا وأهنأوا يوما واحدا كل سبعة أيام ! وربما كان يؤثر قوم من اليهود أن يعملوا معهم عبيدهم وماشييتهم ولسان حالهم يقول : متى ينتهى (السبت) فنشتري ونبيع ونكسب ؟ أما الله فلم يرض أن يوصم يوم راحته فقال : أنت وعبدك وأمتك وثورك وبهيمنتك - الجميع يستريح ، لأن السبت جعل للانسان ! والراحة للانسان الكامل ليست للجسد الذى يتعب من عناء العمل فحسب ، بل للانسان بكليته كما تراه عن الله . ومن هنا قال : تعالوا واستريحوا معى ، فكروا أفكارا سامية نبيلة ، أعطوا أنفسكم فرصة للغد . واذكروا مقاصد الله لخيركم الزمنى والأبدى ! .

« هذا هو يوم (السبت) هبة الله الصالحة ، ولكن المسيح رأى شعب الله يفسد يوم راحة الله وينتزعون منه غبطته وهناؤه ويحيطونه بقواعد وقيود سخيفة متعبة ما أنزل الله بها من سلطان ، فالطبيب الشافى لايجوز له فى نظرهم أن يعمل عملا من أعمال الرحمة ، ولا يجوز للرجل أن يمشى عددا معيناً من الامتار ، ولا للمرأة أن تضع ابرة فى ثيابها ، ولا للتلاميذ أن يفرکوا سنابل الحنطة بأيديهم لئلا يقعوا تحت طائلة الناموس . . . كأن الأب سيد متسلط ، ظالم مستبد ، حقود حاسد . . . وكان الانسان عبد خاضع لمضايقات (السبت) التى تخنق الأنفاس . وجاء يسوع بنسمات السماء الحرة العليقة ، وتحدى قواعدهم الضيقة الجافة . . . » ! (١) .

وأثيرت مسألة السبت فى وجه المسيح ، أثارها (الطقوسيون) المتزمتون . . .

« فى ذلك الوقت ذهب يسوع فى السبت بين الزروع ، فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون ، فالفريسون لما نظروا قالوا له : هو ذا تلاميذك يفعلون مالا يحل فعله فى السبت ! فقال لهم : أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه ، كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط ؟ أو ما قرأتم

(١) بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ١٦٦ - ٧

فى التوراة أن الكهنة فى السبت فى الهيكل يذنبون السبت وهم أبرياء ؟
**ولكن أقول لكم : ان ههنا أعظم من الهيكل ، فلو علمتم ما هو : انى أريد
رحمة لا ذبيحة ، لما حكمتكم على الأبرياء ، فان ابن الانسان هو رب السبت
أيضا . ثم انصرف من هناك وجاء الى مجتمعهم**

واذا انسان يده يابس ، فسألوه قائلين : هل يحل الأبرياء فى
السبت ؟ - لكى يشتكوا عليه . فقال لهم : أى انسان منكم يكون له
خروف واحد ، فان سقط هذا فى السبت فى حفرة - أفما يمسكه ويقيمه ؟
فالانسان كم هو أفضل من الخروف ! اذن يحل فعل الخير فى السبت .
ثم قال للانسان مد يدك فمدها ، فعادت صحيحة كالأخرى ! « ثم قال
لهم : السبت انما جعل لأجل الانسان لا الانسان لأجل السبت ، اذ ان
الانسان هو رب السبت أيضا ! » .

السبت لأجل الانسان ، لا الانسان لأجل السبت

حقيقة كبرى هى حقيقة الأديان كلها ! فالعبرة بالجواهر ، والعبادات
وسائل لترقية الانسان وتهذيبه ، لا لاعناته و اشقائه ، فما جعل الله فى
الدين من حرج ، ولا يكلف نفسا الا وسعها

لكن الذين حصروا أنفسهم فى الأشكال هم أبعد عن تذوق الروح ،
انهم يختنقون خارج مراسمهم اليايسة ! انهم يظنون الله كملوك الارض
الذين يزحمون قصورهم بالمظاهر ويتشددون فى قواعد البروتوكول :
« وكان الكتبة والفريسيون يراقبونه : هل يشفى فى السبت - لكى يجدوا
عليه شكاية ، أما هو فعلم أفكارهم . . . ثم قال لهم يسوع : أسألكم
شيئا - هل يحل فى السبت فعل الخير او فعل الشر ، تخلص نفس او
اهلاكها ؟ (١) »

وأعجب العجائب أن يكون جزاء من يشفى الناس . . . القتل مادام
يشفيهم يوم السبت ! فهذه شرعة الانصاف والطاعة كما يفهما اليهود :
« ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه ، لأنه عمل هذا
فى السبت ! فأجابهم يسوع : أبى يعمل حتى الآن ، وأنا أعمل . . . ،
« ففى السبت تختنون الانسان . . . فان كان الانسان يقبل الختان فى

(١) مت ١٢ : ١ - ١٣ ، مر ٢ : ٢٣ - ٢٨ ، لو ٦ : ١ - ١١ ،

١٤ : ١ - ٦

السبت لثلا ينقض تاموس موسى ، أفتسخطون على لأنى شفيت انسانا
كله فى سبت ! لا تحكموا حسب الظاهر ، بل احكموا حكما عادلا (١) » !

ولكن كيف يأتى العدل ممن بدد نعمة العقل : « فأتوا الى الفريسيين
بالذى كان قبلا أعمى ، وكان سبت حين صنع يسوع الطين وفتح عينيه .
فسأله الفريسون أيضا : كيف أبصر ؟ فقال لهم : وضع طينا على عيني ،
واغتسلت فأنا أبصر ! فقال قوم من الفريسيين : هذا الانسان ليس من
الله - لأنه لا يحفظ السبت ! ! خرون قالوا : كيف يقدر انسان خاطيء أن
يعمل مثل هذه الآيات ، وكان بينهم انشقاق ! » (٢) .

« من الذين هادوا سماعون للكذب ، سماعون لقوم آخرين لم
يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه » (٣) .

هؤلاء يريدون أن يموت الناس من الجوع أو المرض ، ولا يمد اليهم
أحد يدا - توقيرا ليوم السبت !

حدث جابر قال : خرجنا فى سفر ، فأصاب رجلا منا حجر فشجه
فى رأسه ، ثم احتلم ، فسأل أصحابه : هل تجدون لى رخصة فى التميم !
فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء - فاغتسل فمات ! فلما
قدمنا على رسول الله أخبر بذلك ، فقال : قتلوه ، قتلهم الله ! ألا سألوا اذ
لم يعلموا ، فانما شفاء العي السؤال ، انما كان يكفيه أن يتيمم (٤)

(١) يو ٥ : ١٦ - ١٧ ، ٧ : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) يو ٩ : ١٣ - ١٦ .

(٣) المائدة ٤١ .

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه والدارقطنى وصححه ابن السكن

حين تصير الأشكال ... أغلالاً

وهرش المعترضون رءوسهم ليتابعوا مرأههم : « وجاء اليه الفريسيون ليجربوه قائلين له : هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ؟ فأجاب وقال لهم : أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى ؟ وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا ، اذن ليسا بعد اثنين بل جسد واحد ، فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان .

قالوا له : فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق ؟ قال لهم : ان موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ، ولكن من البدء لم يكن هكذا . وأقول لكم : ان من طلق امرأته الا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى ، والذى يتزوج بمطلقة يزنى !

قال له تلاميذه : ان كان هذا أمر الرجل مع المرأة ، فلا يوافق أن يتزوج ! فقال لهم : ليس الجميع يقبلون هذا الكلام - بل الذى أعطى لهم ، لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات ، ومن استطاع أن يقبل فليقبل ، (١) .

هل انقطعت الأسئلة ؟

... مازالت هناك فرصة فى الأحاجي والألغاز : « فى ذلك اليوم جاء اليه صدوقيون - الذين يقولون ليس قيامة ، فسألوه قائلين : يا معلم ، قال موسى : ان مات أحد وليس له أولاد ، يتزوج أخوه بامرأته ويقيم نسلا لأخيه . فكان عندنا سبعة اخوة وتزوج الأول ومات ، واذا لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه ، وكذلك الثانى والثالث الى السبعة . وآخر الكل ماتت المرأة أيضا ، ففي القيامة لمن من السبعة تكون زوجة - فانها كانت

(١) مت ١٩ : ٢ - ١٢ ، مر ١٠ : ٢ - ١٢

للجميع ؟ فتأجاب يسوع وقال لهم : تضلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله ، لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون ، بل يكونون كملائكة الله في السماء ! وأما من جهة قيامة الأموات : أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل : أنا اله إبراهيم واله اسحاق واله يعقوب ، ليس الله اله الأموات بل اله أحياء - فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه ! •

أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معا ، وسأله واحد منهم وهو ناموسى ليجر به قائلا : يامعلم ، أية وصية هي العظمى في الناموس ؟ فقال له يسوع : تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك - هذه هي الوصية الأولى والعظمى ، والثانية مثلها : تحب قريبك كنفسك - بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء ، « فقال له الكاتب : جيدا يامعلم بالحق قلت ، لأنه الله وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة ، ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحركات والذبائح ، فلما رآه يسوع أجاب بعقل قال له : لست بعيدا عن ملكوت الله ، ولم يجسر أحد بعد ذلك أن يسأله » (١) •

وفي الاسلام نهى عما يسمى (بالأغلوطات) في اصطلاح الفقه الاسلامي : وهي المسائل التي لم تقع أو الفروض بعيدة التحقق ، فقد ورد في القرآن : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ، وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبدلکم ، عفا الله عنها والله غفور رحيم » • وفي الحديث النبوي : « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها » ، « أعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته » (٢) •

هنالك لم يبق للهادي في قوس الصير منزع •••••

انطلق المسيح يرسل على هؤلاء الشكليين شواظا من نار ، ويكشف حقيقتهم عارية سافرة بغير تزويق •••••

هؤلاء الذين يحصرون جهودهم في الطقوس والشكول ، وما من دين

(١) مت ٢٢ : ٢٣ - ٤٠ ، مر ١٢ : ١٨ - ٣٤ ، لو ٢٠ : ٢٧ - ٤٠

(٢) المائدة ١٠١ ، والاحاديث الواردة في تفسير ابن كثير للآية : « يا أيها الذين

آمنوا لا تسألوا ••••• » - طبعة الحلبي - ج ٢ ص ١٠٦

الا وله مناسكه وشعائره ، لكنها تبتغى رمزا وتذكرة ! ٠٠٠٠ هؤلاء الذين يقصرون العبادة على طهارة البدن وأداء المراسم وحفظ (تقليد الشيوخ !) ، وما من دين الا وله أحكامه فى الطهارة ومقدساته ومأثوراته ، لكن مقصود ذلك كله طهارة الروح ، طهارة الفكر والوجدان ! ٠٠ فاذا بالوسائل تنقلب فى أيدي هؤلاء الى غايات ، والرموز تتحول الى أصول : « أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون الكأس والقصة ، وأما باطنكم فمملوء اختطافا وخبثا ! يا أغبياء ، أليس الذى صنع الخارج صنع الداخل أيضا ؟ بل أعطوا ما عندكم صدقة فهو ذا كل شيء يكون نقيا لكم ، ولكن ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تعشرون النعنع والسذاب وكل بقل ، وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله ! كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك . ويل لكم أيها الفريسيون ، انكم تحبون المجلس الأول فى المجمع والتحيات فى الأسواق ! ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمرايون ، لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها يعلمون !

فأجاب واحد من الناموسيين وقال : يامعلم ، حين تقول هذا أتشتمنا نحن أيضا ! فقال : وويل لكم أنتم أيها الناموسيون ، لأنكم تحملون الناس أحمالا عسرة الحمل ، وأنتم لاتمسون الأحمال باحدى أصابعكم ! ويل لكم ، لأنكم تبنون قبور الأنبياء ، وآبائكم قتلوهم ! اذن تشهدون وترضون بأعمال آبائكم ، لأنهم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم ! لذلك أيضا قالت حكمة الله : انى أرسل اليهم أنبياء ورسلا فيقتلون منهم ويطردون ، لكى يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ انشاء العالم ٠٠ ويل لكم أيها الناموسيون ، لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة - وما دخلتم ، والداخلون منعتموهم ! « (١) .

« مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها ، كمثل الحمار يحمل أسفارا - بشس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين . قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس عليم بالظالمين قل ان الموت الذى يفرون منه فانه ملاقيكم ، ثم تردون الى قتمنوا الموت ان كنتم صادقين . ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم ، والله عالم الغيب والشهادة ، فينبئكم بما كنتم تعملون » (٢) .

وأقبل المسيح يشرح حقيقة الطهارة : « ثم دعا الجمع وقال لهم :

(١) لوقا ١١ : ٣٩ - ٥٢

(٢) الجمعة ٥ : ٨

اسمعوا وافهموا ، ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان ، بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الانسان ! حينئذ تقدم تلاميذه وقالوا له : أتعلم أن الفريسيين لما سمعوا القول نفروا ؟ فأجاب وقال : كل غرس لم يغرسه أبى السموى يقلع ! اتركوهم هم عميان قادة عميان ، وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما فى حفرة ! فأجاب بطرس وقال له : فسر لنا هذا المثل . فقال يسوع : هل أنتم أيضا حتى الآن غير فاهمين ؟ ألا تفهمون بعد أن كل ما يدخل الفم يمضى الى الجوف ويندفع الى الخارج ، وأما يخرج من الفم فمن القلب يصدر - وذلك ينجس الانسان ، لأن من القلب تخرج افكار شريرة : قتل ، زنى ، فسق ، سرقة ، شهادة زور ، تجديف - هذه هى التى تنجس الانسان ، وأما الأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس الانسان ، (١) .

« يأيتها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » . « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعملون . قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والاثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » . « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام - لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » . « قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق - فجعلتم منه حراما وحلالا ، قل آله أذن لكم أم على الله تفترون ؟! » (٢) .

وخشى المسيح أن تتجمد رسالته فى أيدي أتباعه كما تجمدت اليهودية عند اليهود ، وأشفق عليهم أن يتبعوا سنن الذين من قبلهم - حتى لو دخلوا جحرا لدخلوه : « وقال يسوع : انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين . ففكروا فى أنفسهم قائلين : اننا لم نأخذ خبزا؟! فعلم يسوع ، وقال لهم : لماذا تفكرون فى أنفسكم يا قليلي الايمان أنكم لم تأخذوا خبزا ، أحتى الآن لاتفهمون ، ولا تذكرون ؟! كيف لاتفهمون . أنى ليس عن الخبز قلت لكم أن تتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين؟

(١) مت ١٥ : ١٠ - ٢٠ ، مر ٨ : ١٤ - ٢٣

(٢) المائدة ٨٧ - ٨٨ ، الأعراف ٣٢ - ٣٣ ، النحل ١١٦ ، يونس ٥٩

حينئذ فهموا أنه لم يقل أن يتحرزوا من خمير الخبز ، بل من تعليم
الفريسيين والصدوقيين « (١) ٠٠٠

وهكذا كاد أتباع المسيح أنفسهم أن يصيروا حرفيين شكليين ، فهم
يغفلون عن المجاز الرائع فى كلمات المسيح !

« ابتداء يقول لتلاميذه : أولا تحرزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين
الذى هو الرياء ، فليس مكتوم لن يستعلن ولا خفى لن يعرف ، لذلك كل
ما قلتموه فى الظلمة يسمع فى النور ، وما كلمتم به الأذن فى المخادع
ينادى به على السطوح » (٢) .

ثم أنذر المسيح هؤلاء الجاحدين الجامدين : « ٠٠٠ قال لهم يسوع :
أما قرأتم قط فى الكتب ، الحجر الذى رفضه البنائون هو قد صار رأس
الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ، لذلك أقول لكم :
أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا
الحجر ينرضض ومن سقط عليه يسحقه ٠٠٠ ولما سمع رؤساء الكهنة
والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم ، واذ كانوا يطلبون أن يمسكوه
خافوا من الجموع - لأنه كان عندهم مثل نبي » (٣) .
« حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا :

على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن
تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا - لأنهم يقولون
ولا يفعلون ، فانهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على
أكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها باصبعهم ! وكل أعمالهم
يعملونها لكى ينظرهم الناس ، فيعرضون عصائبهم ، ويعظمون أهداب
ثيابهم ، ويحبون المتكأ الأول فى الولاثم والمجالس الأولى فى المجمع ،
والتحيات فى الأسواق ، وأن يدعوهم الناس : سيدى سيدى ! وأما أنتم
فلا تدعوا سيدى - لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعا اخوة ، ولا تدعوا
لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات ، ولا تدعوا معلمين
لأن معلمكم واحد المسيح ، وأكبركم يكون خادما لكم ، فمن يرفع نفسه
يتضع ومن يضع نفسه يرتفع ٠٠٠

لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تغلقون

(١) مت ١٦ : ٦ - ١٢

(٢) لو ١٢ : ٢

(٣) مت ٢١ : ٤٢ - ٤٦ ، مر ١٢ : ١٠ - ١٢ ، لو ٢٠ : ١٧ - ١٩ .

ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون انتم ولا تدعون الداخلين يدخلون ! ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعة تطيلون صلواتكم ، لذلك تأخذكم دينونة أعظم !

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ، ومتى حصل نصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا ! ويل لكم أيها القادة العميان القائلون : من حلف بالهيكل فليس بشيء ، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم !! أيها الجاهل والعميان ، أيما أعظم : الذهب أم الهيكل الذي يقدر الذهب ؟؟ ومن حلف بالمذبح فليس بشيء ، ولكن من حلف بالقربان الذي عليه يلتزم !! أيها الجاهل والعميان ، أيما أعظم : القربان أم المذبح الذي يقدر القربان ؟؟ فان من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ماعليه ، ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالسكان فيه ، ومن حلف بالسما فقد حلف بعرش الله وبجالس عليه . . .

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون ، وتركتهم أثقل الناموس : الحق والرحمة والايمان ! كان ينبغي أن تعلموا هذه ولا تتركوا تلك ! أيها القادة العميان الذين يصفون البعوضة ويبلعون الجمل ! ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تنقون الكأس والصحف وهما من داخل مملوءون اختطافا ودعارة . . . (١) » .

قذائف متتابعة ، كلها محكمة التصويب ! .
وقد تابع رسل المسيح تعاليمه ، ليضعوا عن الناس اصرهم والأغلال التي كانت عليهم : « ومصدقا لما بين يدي من التوراة ، ولأجل لكم بعض الذي حرم عليكم (٢) » . . .

« فقال بطرس : كلا يارب لم آكل قط شيئا دنسا نجسا ، فصار اليه أيضا صوت ثانية : ما طهره الله لا تدنسه أنت . وكان هذا على ثلاث مرات » ، « فقال لهم : أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي اليه ، وأما أنا فقد أراني الله أن لا أقول عن انسان ما انه دنس أو نجس » ، « لا تنقض لأجل الطعام عهد الله : كل الأشياء طاهرة ، لكنه شر للانسان الذي يأكل بعثرة » (٣) .

(١) مت ٢٣ : ١ - ٢٥ ، أيضا أجزاء في مر ١٢ : ٣٨ - ٤٠ ، لو ١١ : ٣٧ - ٥٢ ، ٢٠ : ٤٥ - ٤٧
(٢) آل عمران ٥٠
(٣) أعمال ١ : ١٥ - ٦ ، ١١ : ٨ - ٩ ، ١٠ : ٢٨ .

حوار.. في الختان

وقد واجه رسل المسيح في طريقهم مسألة الختان ، كما واجه المسيح من قبلهم مسألة السبت ، ونازعهم في هذا فريسيون أيضا .

وكان كثيرون من أتباع المسيح قد فروا من الاضطهاد في اورشليم وحيثما التجأوا في دمشق وأنطاكية أو غيرها كانوا يقصدون الأحياء اليهودية وكانوا يسمون (أهل الطريق) باعتبار المسيحية شيعة من اليهودية . واستطاع بعض هؤلاء أن يدعو للمسيحية وأن يكتسب قلوبا لها . وقد اهتمت كنيسة اورشليم بهؤلاء الداخلين حديثا في المسيحية ، وكانوا بالطبع يختلفون عن اليهود في التقاليد والعادات ولم يكونوا يعرفون شيئا عن الكتب المقدسة أو الطقوس اليهودية ، وأوفد برنابا وبولس الى هؤلاء المسيحيين الجدد . ووصل الى الكنيسة في أنطاكية زوار من (اليهودية) أزعجهم ما رأوه من خروج على تقاليد اليهود وطقوسهم ، فثارت مشكلة الختان على سبيل التمثيل لما يحدث من مخالفات . وكان على بولس أن يواجه الموقف : « هل يتحتم أن يرتبط الأسلوب المسيحي في الحياة الى الأبد بنظام جماعة واحدة من الناس وبمجموعة واحدة من العادات أم يكون أسلوبا مرنوفا لجميع البشر على اختلاف تقاليدهم ؟ هل تكون (شركة المسيحيين) قاصرة على جماعة اليهود أم أنها شركة عالمية للناس من جميع الأجناس يربطهم معا إيمانهم المشترك ؟ واذ أحست كنيسة أنطاكية بأهمية هذه المسائل أرسلت بولس وبرنابا فورا الى اورشليم للتشاور مع الرسل والقادة هناك ، وكما يحدث عادة في أغلب المؤتمرات ظهرت في المؤتمر ثلاث جماعات - أو تيارات : كان هناك المحافظون الذين يريدون أن يحتفظوا بالأساليب القديمة ، والمتحررون منهم الذين يرون أن يواجهوا الظروف بنهج ملائم ومن هؤلاء كان بولس وبرنابا وبطرس وثمة فئة ثالثة تأخذ بطبيعتها دور الوسيط بين الفريقين وتحاول أن تقف في منتصف الطريق ، وكان يقود جماعة الوسط يعقوب الرسول . وقد حاولت هذه الجماعة الثالثة التوفيق بين الطرفين لحفظ الوحدة بين الجميع ، واستطاعت أن تحدد القرار الأخير

للمؤتمر وضمنته رسالة موجهة الى الكنائس . . . وتستطيع أن تبين أن
(المؤتمر الأول للكنيسة) المسيحية قد أقر أن يوجد مجال في مستقبل
الكنيسة لتباين العادات بين أتباع المسيح .

* فالذين أزعجوا كنيسة أنطاكية كانوا يعبرون عن آرائهم
الشخصية وليس لهم صفة رسمية

* وليس من الضروري للمسيحيين من غير اليهود أن يتبعوا العوائد
وانتقاليد اليهودية

* لكن على المسيحيين الأمين أن يمتنعوا عن الدم والمخنوق وما ذبح
للأوثان لكي لا يعثروا ضماثر اليهود

* وحث المؤتمر الجميع أن يعيشوا حياة طاهرة نقية ، واعترف
بولس وبرنابا بقدرهما وجهودهما .

ان الحياة الجديدة في المسيح هي لكل الجنس البشرى ، لذلك
فليس من الضروري أن ترتبط بعبادات معينة لجماعة خاصة من الناس ،
ونحن نستطيع أن نلمس أن بولس كان يقاوم على الدوام أولئك الذين لم
يتقبلوا هذا الموقف . . . « (١)

« ولكن قام أناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين ،
وقالوا : انه ينبغي أن يختتنوا ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى .
فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الأمر ، فبعدما حصلت مباحثة
كثيرة قام بطرس وقال لهم : أيها الرجال الاخوة ، أنتم تعلمون أنه عند
أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمى يسمع الأسم كلمة الانجيل ويؤمنون ،
والله العارف القلوب شهد لهم معطيا الروح القدس كما لنا أيضا ، ولم
يميز بيننا وبينهم بشيء اذ طهر بالايمان قلوبهم . فالآن ، لماذا تجربون
الله بوضع نير على عنق التلاميذ - لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله ؟
لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضا - فسكت
الجمهور كله ، ، « **فان الختان ينفع ان عملت بالناموس ، ولكن ان كنت
متعديا الناموس فقد صار ختانك غرلة : اذن ان كان الأغرل يحفظ أحكام
الناموس ، أفما تحسب غرلته ختانا ؟ وتكون الغرلة التي من الطبيعة وهي
تكمل الناموس تدينك أنت الذي في الكتاب والختان تتعدى الناموس ؟
لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهوديا ، ولا الختان الذي في الظاهر في**

(١) بولس كلاسبر : الحياة الجديدة في المسيح - ترجمة القس فايز فارس ص ٨:٣٢

اللحم حنانا ، بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى ، وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان ، الذى مدحه ليس من الناس بل هو من الله ، « دعى أحد وهو مختون فلا يصر أغلف ، دعى أحد فى الغرلة فلا يختتن . ليس الختان شيئا وليست الغرلة شيئا بل حفظ وصايا الله . الدعوة التى دعى فيها كل واحد فيلبث فيها ، « فاثبتوا فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ، ولا ترتبكوا أيضا بنير عبودية ! ها أنا بولس أقول لكم : انه اذا اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا ، لكن أشهد أيضا لكل انسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس . قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تبررون بالناموس ، سقطتم من النعمة ، فاننا بالروح من الايمان نتوقع رجاء بر ، لأنه فى المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئا ولا الغرلة ، بل الايمان العامل بالمحبة » ، « وجميع الذين يريدون أن يعملوا منظرا حسنا فى الجسد هؤلاء يلزمونكم أن تختتنوا لئلا يضطهدوا لأجل صليب المسيح فقط . . . لأنه فى المسيح ليس الختان ينفع شيئا ولا الغرلة ، بل الخليقة الجديدة » (١) .



وأشهد أن كثيرا من أتباع الأديان السماوية فى أمس الحاجة الى تدبر وصايا المسيح ، ووصايا محمد ، ووصايا كل نبي يلفت المتدينين الى الجوهر لا المظهر ، والى الباب دون القشور !! وأشهد أن دعوة الدين اليوم كثيرا ما تشوه بأيدي الجامدين الحرفيين (الطقوسيين) ، أكثر مما ينال منها الجاحدون والملحدون . . .

ونحن نقرأ للكتاب المسيحيين المخلصين هذه الصرخة والنذير : « ان مسيحية الوقت الحاضر : لا هى يهودية مخطئة ولا هى مسيحية بالمعنى الصحيح بل هى خليط فيها وهذه هى الديانة التى نجح عدو المسيحية فى ايجادها . . . ديانة تقوم على الحسد وبعض آيات كتابية ضاعت قوتها الأدبية وفقدت مغزاها الروحي . . . انهم لا يزالون تحت (الناموس) من جهة الاختبارات الروحية . . . » (٢)

ومن بين قومي - وهم الذين أنا أدري بهم - من أرى منه استقصاء لمواعيد الصلوات الخمس بالدقيقة والثانية ، وضبطا لمواعيد الفطر عند

(١) أعمال ١٥ : ٥ - ١١ ، رومية ٢ : ٢٥ - ٢٩ ، كورنتوس ٧ : ١٨ - ٢٠ ، غلاطية ١ - ٦ ، ٦ : ١١ - ١٥
(٢) مجلة صوت البرية : عدد سبتمبر ، أكتوبر ١٩٦٤ - مقال : كفاية المسيح الكاملة

الصوم بالدقيقة والثانية ، ونقاشا محتدما يدور اذا اختلفت الساعات ،
وتبادلا لاتهام الساعات بالتلف والحسران !!

وكم من موسوس فى الوضوء ، يكرره مرات حتى يكاد يفرق
نفسه فى الماء ، لتكون قطرات الماء المتساقطة وثيابه المبتلة شاهدا باسباغ
الوضوء !!

وكم من موسوس فى تحديد قبلة الصلاة ، هل هى بانحراف يسير
أو كبير أو بغير انحراف ؟ ومن موسوس فى تكبيرة الاحرام : هل تلفظ
النية بلسان عربى مبين أم لا ، وهل كبر الله بحيث ترتج الأرض أم لا ،
وهل رفع اليدين حتى عركت الأذنين أم لا ؟؟ ...

وهؤلاء الذين يفعلون هذا كله ، ليس هناك بأس بأن يفعلوا
ما يشاءون ، ان كانوا يحصون ثرواتهم فيخرجون الزكاة للفقير بهذا
التدقيق ، وينصفون الناس من أنفسهم بهذا الميزان ، ويحاسبون أنفسهم
على الكلمة الطيبة والعمل الصالح مثل هذا الحساب ، أو شيئا من هذا
الحساب !! ان الذى فرض الصلاة لم يأمر بالصلاة فحسب ، لأنه
لا يحاسب الناس على دقائق معدودات ، ثم يتركهم لانطلاقاتهم سائر
الساعات الأربعة والعشرين !!

ولو كانت البيوت والمجتمعات تعمر بالتواصى بالحق واشاعة
الخير والتعاون على البر والتقوى كما تعمر المساجد والكنائس وسائر
المعابد ، لأثرت الانسانية من الدين ثراء بعيدا .

« ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكمة والنبوة ، ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على العالمين . وآتيناهم بينات من الأمر ، فما اختلفوا
الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون » . « واذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ،
ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ، ثم أقررتم وأنتم تشهدون . ثم أنتم
هؤلاء تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم
بالاثم والعدوان ، وان يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم
... **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض** ، فما جزاء من يفعل ذلك
منكم الا خزي فى الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب ،
وما الله بغافل عما تعملون . أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة
فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون (١) » .

(١) الجاثية ١٦ - ١٧ ، البقرة ٨٤ : ٨٦

بسطادون... بكلمة

صراع طويل بين المسيح وخصومه

صراع بدأ بغمز سيرة المسيح ، ثم تطرق الى نقد تعاليمه ، ووصل الى حد التهجم على معجزاته وعلى شخصه ، مع نثر الأسئلة بجانب نثر الأشواك ، لعله يتعثر باللسان اذا كان القدم لا يسير الا الى الخير والسلام !!

ماذا كانت نتيجة الصراع بين المظهر والجوهر ، بين الشكول والأصول ، بين التقاليد والروح ؟؟

ألقوا في طريقه (بفخ سياسى) ليوقعوه بفلتة لسان ، فرد الكرة اليهم فى مهارة ، وحملهم عبء الوقوع :

« حينئذ ذهب الفريسيون ، وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة !! فأرسلوا اليه تلاميذهم مع الهيروديسين قائلين : يا معلم ، نعلم أنك صادق ، وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد ، لأنك لا تنظر الى وجوه الناس ، فقل لنا ماذا تظن : أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ » .

ياسبحان الله (يصطادوه بكلمة) ! هذا الذى يتكلم المواعظ الطوال فيصيب الهدف وكأنه يعزف على أوتار القلوب ، يقع فى كلمة ! لو لم يكن الروح القدس يحميه بعصمة المرسلين ، لحق لبلاغته أن تحميه

وهذا الرصف الطويل من المدح والثناء ، ما باله اليوم يكال دون حساب !! هل اكتشف القوم - فجأة - أن المسيح (صادق .. ويعلم طريق الله بالحق .. ولا يبالي بأحد ، لأنه لا ينظر الى وجوه الناس) !!

ولكن لا يخفى المكر السئ على الرسول الموهوب المعصوم : « فعلم يسوع خبتهم ، وقال : لماذا تجربوننى يا أمراءون ! أرونى معاملة الجزية ..

فقدموا له دينارا ، فقال لهم : لمن هذه الكتابة ؟؟ ... قالوا له :
لقيصر .

فقال لهم : أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله !

فلما سمعوا ... تعجبوا ، وتركوه ومضوا !!

وفشلت المؤامرة المدبرة : « راقبوه ، وأرسلوا جواسيس يتراءون
أنهم أبرار ، لكي يمسكوه بكلمة حتى يسلموه الى حكم الوالى وسلطانه ..
فلم يقدروا أن يمسكوه بكلمة قدام الشعب ! » (١) .

اذن فليحملوا هم اثم الجريمة كلها ...

« فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا ، وقالوا : ماذا نصنع ،
فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة ، ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به
فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا ! فقال لهم واحد منهم - وهو
قيافا - كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة : أنتم لستم تعرفون شيئا ،
ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت انسان واحد عن الشعب ، ولا تهلك
الامة كلها ... فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه ، فلم يكن يسوع أيضا
يمشى بين اليهود علانية ، بل مضى من هناك الى الكورة القريبة من البرية
الى مدينة يقال لها أفرائيم ، ومكث مع تلاميذه . وكان فصيح اليهود
قريبا ... وكان أيضا رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمرا :
أنه ان عرف أحد أين هو ، فليدل عليه لكي يمسكوه » (٢) .

وهكذا اختار احبار اليهود أن يكونوا عصابات للخطف والاغتيال !!

« ... كان بيلاطس يطلب أن يطلقه ، ولكن اليهود كانوا يصرخون
ان أطلقك هذا فلست محبا لقيصر ! كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم
قيصر ... قال لهم بيلاطس : أصلب ملككم ؟؟ أجاب رؤساء الكهنة :
ليس لنا ملك الا قيصر » (٣) .

**مرحى للكهنة والفريسيين ، لقد صاروا (قيصرين) أكثر من عامل
قيصر !!**

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود ، وعيسى بن

(١) مت ٢٢ : ١٥ - ٢٢ ، مر ١٢ : ١٣ - ١٧ ، لو ٢٠ : ٢٠ - ٢٦

(٢) يو ١١ - ٤٧ - ٥٧

(٣) يو ١٩ : ١٢ ، ١٥

مريم - ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون . ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ، ولكن كثيرا منهم فاسقون « (١) » .

كنت أتأمل تاريخ بنى اسرائيل فى الأناجيل المتداولة وفى القرآن فازداد بصرا بعلّة تحول الرسالة - على يد محمد - من بنى اسرائيل، الى بنى اسماعيل

فالعرب - فى جملتهم - قوم بسطاء فيهم سماحة البداوة فيهم شجاعة الرأى وشجاعة القلب ، أصفياء من عقد الصولة والصولجان ، ومن عاهات الأحبار والكهان الواحد منهم اما أن يكون معك أو عليك ، فمن كان معك فهو معك بكل ما يملك ولو حارب الخلق أجمعين ، ومن كان عليك فهو مجاهر بالعداء سافر فى الخصومة ، ويوم يقتنع فهو يتحول بكل اخلاصه وكل قواه من طريق الى طريق ، دون اضطراب أو التواء .

وهذا صوت المسيح يسجل على بنى اسرائيل هذا اللجاج فى التكذيب : « ان كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقا ، الذى يشهد لى هو آخر - وأنا أعلم أن شهادته التى يشهد بها لى هى حق لأن الأعمال التى أعطاني الآب لأكملها - هذه الأعمال بعينها التى أنا أحملها هى تشهد لى أن الآب قد أرسلنى فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية - وهى التى تشهد لى ، ولا تريدون أن تأتوا الى لتكون لكم حياة ! مجدا من الناس لست أقبل ، ولكنى قد عرفتم أن ليست لكم محبة الله فى أنفسكم . أنا قد أتيت باسم أبى ولستم تقبلوننى لا تظنوا أنى أشكوكم الى الآب ! يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم ، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عني ، فان كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامى » (٢) .

« لكن الله يشهد بما أنزل اليك - أنزله بعلمه ، والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيدا »

(١) المائدة ٧٨ : ٨١

(٢) يو ٥ : ٣١ - ٤٧ .

ويتجاوب مع هذه الترنيمة الشاكية عزاء القرآن لرسول الاسلام :
« فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا . انا
جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا . وانا لجاعلون
معليها صعيدا جزا » . « قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون ، فانهم
لا يكذبونك - ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من
قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات
الله ، ولقد جاءك من نبي المرسلين . وان كان كبر عليك اعراضهم فان
استطعت أن تبتغي نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء فتأتيهم بآية ،
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، فلا تكونن من الجاهلين . انما يستجيب
الذين يسمعون ، والموتى يبعثهم الله ، ثم اليه ترجعون » (١) .

كان الطبيعى اذن أن تتحول رسالة السماء عن اليهود وكان
من الطبيعى اذن أن تكون وجهتها الجديدة هى العرب - أولاد عمومة
بنى اسرائيل فى الأرومة السامية

ولقد لقي رسول الاسلام ما لقيه ، على أيدي حفنة من اليهود حين
انتقل الى المدينة - فكيف لو كان قد بعث لهم وبين ظهرائهم ؟؟

وليس معنى هذا أن العرب - وقريشا بخاصة - قد فتحت ذراعيها
لدعوة الاسلام ولكن الاسلام واجه عند العرب تحدى الرجال الصرخاء
الشجعان ، فى حين نجد خصومة اليهود خصومة الختل والدس والغدر
والالتواء !!

« أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام
الله ، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . واذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا ، واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا : أتحدثونهم بما فتح الله
عليكم ليحاجوكم به عند ربكم ، أفلا تعقلون ؟ أولا يعلمون أن الله يعلم
ما يسرون وما يعلنون . ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى ، وان
هم الا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا
من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل
لهم مما يكسبون . وفانوا : لن تمسنا النار الا اياما معدودة !! قل
اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ، أم تقولون على الله
مالا تعلمون ؟؟ » « واذا قيل لهم : آمنوا بما أنزل الله ، قالوا : نؤمن
بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه - وهو الحق مصدقا لما معهم ، قل فلم

(١) النساء ١٦٦ ، الكهف ٦ - ٨ ، الأنعام ٣٣ - ٣٦

تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ! » ، « ٠٠٠ ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما ، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » ، « واذا جاءوكم قالوا آمنا ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ، والله أعلم بما كانوا يكتمون . وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يعملون . لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت ، لبئس ما كانوا يصنعون (١) » .

هذه بعض أوصاف اليهود في القرآن ، وتعززها أوصافهم في الأناجيل المتداولة ، فهل يطبق هؤلاء الأدعياء المتعالون المتغطرسون رسالة جديدة ؟

لقد حسبوا أنفسهم قد أحاطوا بالحكمة من أطرافها ، وأحرزوا الخيرات من كل أبوابها ، وتميزوا على سائر الأمم والشعوب الى يوم الدين !! .

ولقد لقي منهم المسيح - ورسالته هي شريعة الحب وحسب - ما لقي من عنت وايداء ، فكيف (بمحمد) الذي سوف يكون صاحب شريعة مفصلة ، وأحكام مبينة ، تنال ما سبقها من الشرائع بالتعديل ، أو الزيادة والنقصان ؟؟

حسبك أن تقرأ هذه السورة القرآنية لأحاسيس قلة من اليهود كانوا (بطانة) للمسلمين لتتعرف على حكمة الله وتحمد نعماء : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ٠٠٠ ودوا ما عنتم ٠٠٠ قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر - قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تحبونهم ، ولا يحبونكم ٠٠٠ وتؤمنون بالكتاب كله ، واذا لقوكم قالوا آمنا ، واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ، ان الله عليم بذات الصدور . ان تمسسكم حسنة تسوؤهم ، وان تصبكم سيئة يفرحوا بها . وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ، ان الله بما يعملون محيط » (٢) !

(١) البقرة ٧٥ . ٨٠ ، ٩١ ، آل عمران ٧٥ ، المائدة ٦١ : ٦٣

(٢) آل عمران ١١٨ - ١٢٠ .

آيات ... وعجائب

« ... انطلق اليه ،
وسأله أن ينزل ويشفي
ابنه - لأنه كان مشرفا على
الموت ... فقال له يسوع :
لا تؤمنون ان لم تروا آيات
وعجائب ! »

(يو ٤ : ٤٧ - ٤٨)

نعالم الرسالة ... هي صحتها

تقترن سيرة المسيح بكثير من المعجزات ٠٠٠ في حياة أمه أولا ، وفي قصة مولده بعد ذلك ، ثم في واقعة رفعه أخيرا ٠٠٠ وأيامه التي عاشها في دنيا الناس - حافلة بالمعجزات !!

لكن الخوارق في النبوات تأتي لتكشف صدق النبي في موضوع رسالته ، لا لتكون هي الموضوع أولا وأخيرا .

والخوارق دورها تاريخي ، ينتهي أثرها في جيل واحد - أو لعله يستمر خلال عدد قليل من الأجيال ، أما الرسالة في جوهرها ومضمونها فخالدة على تعاقب الأجيال ، شاملة للناس أجمعين .

والمسيح نفسه - كما تحدثت الأناجيل المتداولة - كان يضيق بطلب الآيات والخوارق والمعجزات ٠٠٠ فحسبه آيات الوحي المقدس لمن لهم عقول يتوخون اعمالها ، وما أقل هؤلاء بجانب العوام والطغام الذين يريدون ما يشده الحس ويأخذ بالأبصار !!

« حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلم ، نريد أن نرى منك آية ! فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطب آية ، ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي ، لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الانسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال » (١) .

وظاهر أن المسيح يشير الى رفعه ، وهذا أمر لن يكون الا بعد انتهاء حياة الرسول والرسالة ، ومعنى ذلك صرف الأنظار عن المعجزات والخوارق بلباقة - طوال حياته على الأقل !

وقد ورد هذا في صورة أصرح : « فخرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه ، فتنهد بروحه وقال :

(١) مت ١٢ : ٣٨ - ٤٠ ، لو ١١ : ٢٩ - ٣٠

لماذا يطلب هذا الجيل آية ؟ الحق أقول لكم : لن يعطى هذا الجيل آية ، ،
» ... هذا اذ سمع أن يسوع جاء من اليهودية الى الجليل - انطلق اليه
وسأله أن ينزل ويشفى ابنه لأنه كان مشرفا على الموت ، فقال له يسوع :
لا تؤمنون ان لم تروا آيات وعجائب ! « (١) .

فالادلة متوافرة متواترة على زهد المسيح فى هذا الأسلوب ، ومن
واجب دعاة الأديان أن يتنبهوا دائما لهذه الحقيقة الهامة ، وأن يوجهوا
اهتمامهم الى صلاحية الرسالة موضوعيا فى ذاتها واستحقاقها للبقاء .

» وجاء اليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه فسألوه أن يريهم
آية من السماء ، فأجاب وقال لهم : اذا كان السماء قلتهم : صحو ، لأن
السماء محمرة ! وفى الصباح اليوم شتاء لأن السماء محمرة بعبوسة !
يا مرءون ، تعرفون أن تميزوا وجه السماء ، وأما علامات الأزمنة
فلا تستطيعون ! « ، اذا رأيتم السحاب تطلع من المغرب تقولون : انه
يأتى مطر - فيكون هكذا . واذا رأيتم ريح الجنوب تهب تقولون انه
سيكون حر - فيكون . يا مرءون تعرفون أن تميزوا وجه الارض
والسماء ، وأما هذا الزمان فكيف لا تميزونه (٢) ؟؟ ! «

ومع رسول الاسلام تكرر المشهد نفسه : « وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ! أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ،
فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ! أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ،
أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ! أو ترقى فى السماء - ولن نؤمن لرقيك حتى
تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي ... هل كنت الا بشرا
رسولا ؟! « ، ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ... انما
أنت منذر ، ولكل قوم هاد ، « وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ،
فقل انما الآيات عند الله ، وانما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم أنا أنزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم ، ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ، «
» وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل انما الآيات
عند الله ، وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون (٣) ! « .

ومع ذلك ، فقد كانت هناك معجزات ، وروايات المعجزات كثيرة فى
الأنجيل ...

(١) مر ٨ : ١١ - ١٢ ، يو ٤ : ٤٧ - ٤٨

(٢) مت ١٦ : ١ - ٣ ، لو ١٢ : ٥٤ - ٥٦

(٣) الاسراء ٩٠ : ٩٣ ، الرعد ٧ ، العنكبوت ٥٠ - ٥١ ، الأنعام ١٠٨

غير أن المسيح كان حريصا ألا تستعلن هذه المعجزات أو تشيع ، وكان يوصي أصحابها بالكتمان : « وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلا : ياسيد ان أردت تقدر أن تطهرني ؟ فمد يسوع يده ولمسه قائلا : أريد فاطهر - وللوقت طهر برصه ! فقال له يسوع : **أنظر أن لا تقول لأحد** ، بل اذهب أر نفسك للكاهن وقدم القرбан الذي أمر به موسى شهادة لهم ، » وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان من هناك يصرخان ... فانفتحت أعينهما ! فانتهرهما يسوع قائلا : **أنظر لا يعلم أحد** - ولكنهما خرجا وأشاعاه في تلك الأرض كلها ، » وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعا وأوصاهم **أن لا يظهروه** ، » ثم وضع يديه على عينيه وجعله يتطلع ، فعاد صحيحا وأبصر كل انسان جليا . فأرسله الى بيته قائلا : لا تدخل القرية ، ولا تقل لأحد في القرية (١) . » .

ترى هل كان المسيح يقصد ألا تنتشر معجزاته قبل أوان رسمه وحده لنفسه ، حتى لا يسارع اليهود لاقتلاع النبت الجديد قبل أن يستوى على ساقه !! أم تراه أراد ألا تكون هذه الخوارق مشغلة للنفوس عن جوهر الدين والرسالة ؟؟ ان المسيح نفسه قد أوصى تلاميذه حين شهدوا احدي معجزاته بأن يكتموها حتى قيامته : « وفيما هو يتكلم اذا سحابة نيرة ظللتهم ، وصوت من السحابة قائلا : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت ، له اسمعوا ... ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جدا ، فجاء يسوع ولمسهم وقال : قوموا ولا تخافوا - فرفعوا أعينهم ولم يروا أحدا الا يسوع وحده . وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع : لا تعلموا أحدا بما رأيتم حتى يقوم ابن الانسان من الاموات (٢) ، » !

وهذا يرجح القول بأن المسيح كان حريصا على ألا تكون هذه الخوارق محور اهتمام الناس ... والقول بأنه أخر اذاعتها الى حين ، يحمل هو نفسه دلالة عدم التعويل عليها ، اذ لو كانت هي جوهر الرسالة لما تأخر قط في اذاعتها ، لأن مرور الوقت ينال من تأثيرها وآثارها ، ويفقدها روعة التحدي - اذ تفتت حرارتها وتصير مجرد حكاية طلية عن رسول ذهب من الوجود ، أو تكون دعوى بغير شهود !!

(١) مت : ٨ : ٢ - ٩ : ٢٧ - ٣١ ، مر : ٤٠ : ٤٥ - ٣ : ١٢ ، ٨ : ٢٢ - ٢٦ ، لو : ٥ : ١٢ - ١٥

(٢) مت : ١٧ : ٥ - ٩ : ٧ - ٩ ، لو : ٩ : ٣٤ - ٣٦ .

سجدة... ورحمة

والمسيح حريص فى صدد هذه المعجزات ، على أن يبين دور الايمان فيها ، ليخرج الناس منها بثمرة فى قلوبهم ، ولا ينحصر الأثر فى مجرد النجاة من مرض وشر .

« ولما دخل يسوع كفر ناحوم جاء اليه قائد مئة يطلب اليه ويقول : يا سيدى غلامى مطروح فى البيت مفلوجا متعذبا جدا ، فقال له يسوع : أنا آتى وأشفيه . . . فأجاب قائد المائة وقال : يا سيد ، لست مستحقا أن تدخل تحت سقفى ! ! لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامى ! لأنى أنا أيضا انسان تحت سلطان ، لى جند تحت يدى ، أقول لهذا اذهب فيذهب والآخرايت فيأتى ولعبدى افعل هذا فيفعل . . . »

فلما سمع تعجب ، وقال للذين يتبعون : الحق أقول لكم لم أجده ولا فى اسرائيل ايمانا بمقدار هذا . . . اذهب وكما آمنت ليكن لك - فبرأ غلامه فى تلك الساعة » ، « واذا امرأة نازفة دم منذ اثنتى عشرة سنة قد جاءت من ورائه ومست هذب ثوبه ، لأنها قالت فى نفسها : ان مسست ثوبه فقط شفيت !

فالتفت يسوع وأبصرها فقال : ثقى يا ابنة ، ايمانك قد شفاك - فشفيت المرأة من تلك الساعة » ، « وفيما يسوع مجتاز من هناك تبعه أعميان من هناك فيصرخان . . . فقال لهما يسوع : أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا ؟ قال له : نعم ياسيد ، حينئذ لمس أعينهما قائلا : بحسب ايمانكم ليكن لكما ، فانفتحت أعينهما » (١) .

حرص المسيح على تأكيد هذه الحقيقة ، حتى تتفتح القلوب للايمان ذاته :

(١) مت ٨ : ٥ - ١٣ ، ٩ : ٢٠ - ٢٢ ، ٩ : ٢٧ - ٣١ ، مر ٥ : ٢٥ - ٣٤ ، ١٠ : ٤٦ - ٥٢ ، لو ٧ : ١ - ١٠ ، لو ٨ : ٤٣ - ٤٨ ، ١٨ : ٥٣ - ٤٣

« ولما جاءوا الى الجمع تقدم اليه رجل جاثيا له وقائلا : ياسيد ارحم ابني فانه يصرع ويتألم شديدا ، ويقع كثيرا فى النار وكثيرا فى الماء ، وأحضرتة الى تلاميذك فلم يقدرُوا أن يشفوه !! فأجاب يسوع وقال : أيها الجيل غير المؤمن الملتوى الى متى أكون معكم ؟ الى متى أحتملكم ؟ قدموه الى ههنا - فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان فشفى الغلام من تلك الساعة ... »

ثم تقدم التلاميذ الى يسوع - على انفراد - وقالوا : لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه ؟؟ فقال لهم يسوع : **لعدم ايمانكم ، فالحق أقول لكم لو كان ايمانكم مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم ، وأما هذا الجنس فلا يخرج الا بالصلاة والصوم ، ... »** وفى الصبح اذ كان راجعا الى المدينة جاع ، فنظر شجرتين على الطريق ، وجاء اليها فلم يجد فيها شيئا الا ورقا فقط . فقال لها : لا يمكن منك ثمر بعد الى الأبد ، فيبست التينة فى الحال ! فأجاب يسوع وقال لهم : **الحق أقول لكم ان كان لكم ايمان ولا تشكون فلا تفعلون أمر التينة فقط ، بل ان قلتم أيضا لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر فيكون ، وكل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم ، ومتى وقفتم تصلون فاغفروا ان كان لكم على أحد شيء لكى يغفر لكم أيضا أبوكم الذى فى السموات زلاتكم »** ، وفى الهزيع الرابع من الليل مضى اليهم يسوع ماشيا على البحر ، فلما أبصره التلاميذ ماشيا على البحر اضطربوا قائلين : انه خيال ، ومن الخوف صرخوا !! فللوقت كلمهم يسوع قائلا : تشجعوا ، أنا هو لا تخافوا ! فأجابه بطرس وقال : ياسيد ان كنت أنت هو ، فمرنى أن آتى اليك على الماء ، فقال . تعال ! ... فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء لياتى الى يسوع ، ولكن لما رأى الريح شديدة خاف ، واذ ابتداء يغرق صرخ قائلا : يارب نجنى ! ففى الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال له : **يا قليل الايمان لماذا شككت ، ؟ (١)** .

وحول هذا المعنى أوصى نبي الاسلام أيضا : « ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه » (٢) .
والمسيح حريص على أن تكون هذه القوة الخارقة رحمة لا نقمة ...

(١) مت ١٤ : ٢٥ - ٣١ ، ١٧ : ١٤ - ٢١ ، ٢١ : ١٨ - ٢٢ ، مر ٦ : ٤٥ - ٥٣ ،
مر ١١ : ٢٠ - ٢٦ ، لو ٩ : ٢٧ - ٤٣ ، يو ٦ : ١٦ - ٢١
(٢) رواه الترمذى والحاكم فى المستدرک عن أبى هريرة .

« فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا : يارب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل ايليا أيضا ؟؟ فالتفت وانتهرهما وقال : لستما تعلمان من أى روح أنتما ، لأن ابن الانسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص ، فمضوا الى قرية أخرى ، (١) » .

« واذا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »

لقد توجه رسول الاسلام الى ثقيف بالطائف فلم تحقق ثقيف الرجاء : « بل أرسلوا سفهاءهم وغلمانهم يقفون فى وجهه فى الطريق ويرموناه بالحجارة فدعا الله : اللهم انى أشكو إليك ضعف قوتي وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين - أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى وأتى جبريل برسالة من الله جل ذكره وقال : ان الله أمرنى أن أطيعك فى قومك لما صنعوه معك ، فقال عليه السلام : اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون!! (٢) .

ان ما أوتى المسيح من قوى خارقة سلاح خطير ، ينبغى أن يستخدم باتزان لا بحمق أو غباء : « ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه الى جناح الهيكل ، وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك الى أسفل ، لأنه مكتوب : أنه يوصى ملائكته بك ، فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك ! قال له يسوع : مكتوب أيضا : لا تجرب الرب الهك ! ثم أخذه أيضا ابليس الى جبل عال جدا وأراه جميع ممالك العالم ومجدها ، وقال له : أعطيك هذه جميعها ان خرت وسجدت لى ! حينئذ قال له يسوع : اذهب يا شيطان ، لأنه مكتوب : للرب الهك تسجد ، وإياه وحده تعبد » (٣) .

والمسيح ينسب دائما هذه الحوارق الى الله : « وفيما هو مجتاز رأى انسانا أعمى منذ ولادته أجاب يسوع : لا هذا خطأ ولا أبواه ، ولكن لتظهر أعمال الله فيه ! ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى - مادام نهار ، يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل . مادمت فى العالم فأنا نور العالم » ، « فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ، ورفع يسوع

(١) لو ٩ : ٥٤ - ٥٦ .

(٢) الأنفال : ٣٢ - ٣٣ ، محمد الخضرى : نور اليقين ص ٦٦ - ٦٧ .

(٣) مت ٤ : ٥ - ١٠ ، لو ٤ : ٥ - ١٣ .

عينيه الى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى ، وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا أجمع الواقف قلت ، ليؤمنوا أنك أرسلتني . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هلم خارجا - فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطات ٠٠٠ !! ، « فأجاب يسوع وقال لهم : الحق الحق أقول لكم : لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا الا ما ينظر الآب يعمل ، لأن مهما عمل ذاك فما يعمل الابن كذلك ، لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمل ، وسيريه أعمالا أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم ، (١) ٠٠٠

وهكذا لا تذهب هذه الحوارق بددا ، ولا تكون مجرد غرائب ونوادر وأقاصيص : « ها أنا أعطيك سلطانا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء ، ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم ، بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت فى السموات » (٢) .

دأب المسيح اذن على أن يربط المعجزات دائما بالايمان ، ولا يتركها تمر دون انتفاع من الأثر الذى تتركه فى النفوس بعرض الدعوة وبيان الرسالة ، وتمجيد الله الذى أجرى هذه الآيات على يدى رسوله : « وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأة صوتها من الجميع وقالت له : طوبى للبطن الذى حملك ، والثديين اللذين رضعتهما ! أما هو فقال : بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه » (٣) .

« واذا واحد تقدم وقال له : أيها المعلم الصالح ، أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعونى صالحا ؟ ليس أحد صالحا الا واحد - هو الله ، ولكن ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا (٤) .

ان معجزة المسيح الكبرى أنه ولد بنفخة من روح الله فى مريم ٠٠٠ وهو يدعو الناس جميعا لأن (يولدوا من فوق) ، و (يولدوا من الروح) ، وبهذا يلحق المعلم درسه الباقي بعد ذهاب المعجزات ٠٠٠

« كان انسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود ، هذا جاء الى يسوع ليلا وقال له : يا معلم ، نعلم أنك قد أتيت من الله معلما ، لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل ان لم

(١) يو ٩ : ١ - ٥ ، ١١ : ٤١ - ٤٤ ، ٥ : ١٩ - ٢٠ .

(٢) لو ١٠ : ١٩ - ٢٠ .

(٣) لو ١١ : ٢٧ - ٢٨ .

(٤) مت ١٩ : ١٦ - ١٧ ، مر ١٠ : ١٧ - ١٩ ، لو ١٨ : ١٨ - ٢٠ .

يكن الله معه • أجاب يسوع وقال له : الحق الحق أقول لك : ان كان أحد لا يولد من فوق ، لا يقدر أن يرى ملكوت الله • قال له نيقوديموس : كيف يمكن الانسان أن يولد وهو شيخ ؟ أعله يقدر أن يدخل في بطن أمه ثانية ويولد ؟؟ أجاب يسوع : الحق الحق أقول لك : ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله ! المولود من الجسد جسد ، والمولود من الروح هو روح ! لا تتعجب أنى قلت لك أن تولد من فوق ، الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا من أين تذهب ، هكذا كل من ولد من الروح ! أجاب نيقوديموس وقال له : كيف يمكن أن يكون هذا ؟ أجاب يسوع وقال له : أنت معلم اسرائيل ولست تعلم هذا ! الحق الحق أقول لك : اننا انما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا ولستم تقبلون شهادتنا ! ان كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون ، فكيف تؤمنون ان قلت لكم عن السمويات ؟! « (١) •

(١) يو ٣ : ١ - ١٢

سج الإيات

ولست بصدد استقصاء روايات المعجزات فى الأناجيل المتداولة ،
فقد ورد منها فيما مضى - نماذج تصلح للتمثيل والتصوير ...

وقد أجمل القرآن ألوان المعجزات التى أجراها الله على يد المسيح :
« اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك : اذ أيدتك
بروح القدس ، تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة
والتوراة والانجيل ، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها
فتكون طيرا باذنى ، وتبرئ الأكمه والأبرص باذنى ، واذ تخرج الموتى
باذنى ، واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جثتهم بالبينات فقال الذين كفروا
منهم ان هذا الا سحر مبين . واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى
وبرسولى ، قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون » والقرآن يعبر بالاسلام عن
دين الله الذى تعاقب على حمل رسالاته الأنبياء أجمعون : « بلى من أسلم
وجهه لله وهو محسن ، فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون (١) » .

« وكان يسوع يطوف كل الجليل : يعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة
الملوكوت ، ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب ، فذاع خبره فى
جميع سورية . فأحضروا اليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع
مختلفة ، والمجانين والمصروعين والمفلوجين - فشفاهم » ، « فأخرج الأرواح
بكلمة ، وجميع المرضى شفاهم ، لكى يتم ما قيل بأشعياء النبى القائل :
هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا » ، « العمى يبصرون ، والعرج يمشون ،
والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين
يبشرون - وطوبى لمن لا يعثر فى (٢) » .

وقد روت الأناجيل كثيرا من الروايات عن شفاء الأمراض ، أما

(١) المائدة ١١٠ - ١١١ ، البقرة ١١٢ .

(٢) مت ٤ : ٢٣ - ٢٤ ، ٨ : ١٦ - ١٧ ، ١١ : ٥ - ٦ .

معجزة احياء الموتى فقد وردت على نطاق أضيق : « وفيما هو يكلمهم بهذا ، اذا رئيس قد جاء فسجد له قائلا : ان ابنتى الآن ماتت ، لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا ، فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه . . . ولما جاء يسوع الى بيت الرئيس ، ونظر المزمرين والجمع يضجون ! قال لهم : تنحوا ، فان الصبية لم تمت لكنها نائمة ، فضحكوا عليه ! فلما أخرج الجمع ، دخل وأمسك بيدها - فقامت الصبية . فخرج ذلك الخبر الى تلك الأرض كلها » ، « وبينما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجمع قائلين : ابنتك ماتت ، لماذا تتعب المعلم بعد ؟ فسمع يسوع لوقته الكلمة التي قيلت ، فقال لرئيس المجمع لا تخف ، آمن فقط ! ولم يدع أحد يتبعه الا بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب . . . ودخل حيث كانت الصبية مضطجعة ، وأمسك بيد الصبية ، وقال لها . طليثا قومي - الذى تفسيره يا صبية لك أقول قومي ، وللوقت قامت الصبية ومشيت . . . فأوصاهم كثيرا أن لا يعلم أحد بذلك ، وقال : أن تعطى لتأكل » (١) !!

وهذه رواية أقوى وأوضح : « وفى اليوم التالى ذهب الى مدينة تدعى نايين ، وذهب معه كثيرون من تلاميذه وجمع كثير . فلما اقترب الى باب المدينة - اذا ميت محمول : ابن وحيد لأمه ، وهى أرملة ومعها جمع كثير من المدينة ، فلما رآها الرب تحزن عليها وقال لها : لا تبكى ، ثم تقدم ولمس النعش فوقف الحاملون ، فقال : أيها الشاب لك أقول : قم - فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه الى أمه !! فأخذ الجميع خوف ، ومجدوا الله قائلين : قد قام فينا نبي عظيم ، وافتقد الله شعبه . وخرج هذا الخبر عنه فى كل اليهودية وفى جميع الكورة المحيطة » (٢) !!

والقصة المشهورة الذائعة - هى قصة (لعازر) . . .

« وكان انسان مريضا - وهو لعازر من بيت عنيا من قرية مريم ومرثا أختها ، وكانت مريم التى كان لعازر أخوها مريضا هى التى دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها ، فأرسلت الأختان اليه قائلتين : يا سيد ، هو ذا الذى تحبه مريض ! . . . فلما سمع يسوع قال : هذا المرض ليس للموت - بل لأجل مجد الله ، ليتمجد ابن الله به ! وكان يسوع يحب مرثا أختها ولعازر ، فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ فى الموضع الذى كان فيه يومين ، ثم بعد ذلك قال لتلاميذه : لنذهب الى

(١) مت ٩ : ١٨ - ٢٦ ، مر ٥ : ٢١ - ٤٣ ، لو ٨ : ٤١ - ٦ .

(٢) لو ٧ : ١١ - ١٧ .

اليهودية أيضا • قال له التلاميذ : يا معلم ، الآن كان اليهود يطلبون أن يرجعوك ، وتذهب أيضا الى هناك ••• قال لهم : لعازر حبيبنا قد نام ، لكنني أذهب لأوقظه ! فقال تلاميذه ياسيد : ان كان قد نام فهو يشفى - وكان يسوع يقول عن موته ••• فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام في القبر • وكانت بيت عنيا قريبة من اورشليم نحو خمس عشرة غلوة ، وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا الى مرثا ومريم ليعزوها عن أخيها • فلما سمعت مرثا أن يسوع آت لاقتة ••• فقالت مرثا ليسوع : ياسيد لو كنت ههنا لم يمت أخي ، لكنني الآن أعلم أن كل ما تطلب من الله يعطيك الله اياه ! قال لها يسوع : سيقوم أخوك ! قالت له مرثا : أنا أعلم أنه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير • قال لها يسوع : **أنا هو القيامة والحياة ، من آمن بي ولو مات فسيحيا •••** ولما قالت هذا مضت ، ودعت مريم أختها سرا قائلة : المعلم قد حضر وهو يدعوك ••• ثم ان اليهود الذين كانوا معها في البيت يعزونها لما رأوا مريم قامت عاجلا وخرجت ، تبعوها قائلين : انها تذهب الى القبر تبكي هناك •

فلما رآها يسوع تبكي ، واليهود الذين جاءوا معها يبكون - انزعج بالروح واضطرب ، وقال : أين وضعتموه ؟ قالوا له : يا سيد ، تعال وانظره ! بكى يسوع ، فقال اليهود : انظروا كيف كان يحبه ؟ ! وقال بعض منهم : ألم يقدر هذا الذي فتح عيني الأعمى ، أن يجعل هذا أيضا لا يموت ؟ ؟ ؟ فانزعج يسوع أيضا في نفسه وجاء الى القبر •

وكان مغارة - وقد وضع عليه حجر • فقال يسوع : ارفعوا الحجر ، قالت له مرثا أخت الميت : يا سيد ، قد أنتن لأن له أربعة أيام ! قال لها يسوع : ألم أقل لك : ان آمنت سترين مجد الله !

فرفعوا الحجر حيث كان موضوعا ، ورفع يسوع عينيه الى فوق وقال : أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي - وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي - ولكن لأجل هذا لجمع الواقف قلت ، ليؤمنوا أنك أرسلتني • ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هلم خارجا •

فخرج الميت : ويداه مربوطان بأقمطة ، ووجهه ملفوف بمنديل ! فقال له يسوع : حملوه ، ودعوه يذهب !!! ،

وكان في هذا فصل الخطاب •

« ويتساءل ناس : لماذا سجل لوقا وحدة هذه الحادثة الهائلة ؟ ولكن هذا الاعتراض ينطبق أيضا على اقامة ابن أرملة نايين ••• ثم لماذا سجل

متى ومرقس دون سواهما اقامة ابنة يائرس ؟ قد تقون من باب الحدس فقط ان البشائر كتبت بعد حادثة قيامة المسيح نفسه من الأموات وكانت الحياة فى نظر صحابة المسيح قد انتهت بالمدهشات المستغربات حتى لم يعد شىء فى نظرهم غريبا . ان اقامة لعازر وابن الأرملة من حوادث المرتبة الثانية اذا قيست بالأحداث المدهشة التى وقعت بعد الصلب « (١)

« فكثيرون من اليهود الذين جاءوا الى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به ، وأما قوم منهم فمضوا الى القريسيين وقالوا لهم عما فعل يسوع ! فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا ، وقالوا : ماذا نصنع ؟ فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة ، ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به ... فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه » (٢) .

« فما كان جواب قومه الا أن قالوا : اقتلوه أو حرقوه ! » فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا : اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه ... وقال فرعون ذرونى أقتل موسى - وليدع ربه ! انى أخاف أن يبدل دينكم ، أو أن يظهر فى الأرض الفساد ! ! » (٣) .

والاتفاق كامل بين نصوص القرآن وروايات الأناجيل المتداولة عن شفاء المرضى واحياء الموتى .

لكن القرآن يروى فى آخر سورة المائدة قصة استمدت منها السورة اسمها :

« اذ قال الحواريون : يا عيسى بن مريم ، هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا : نريد أن نأكل منها ، وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله : انى منزلها عليكم ، فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » (٤) .

(١) بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ٢٧٠ - ١

(٢) يو ١١

(٣) العنكبوت ٢٤ ، عافر ٢٥ - ٢٦

(٤) المائدة ١١٢ : ١١٥ .

وفى الأناجيل تكررت روايات القصة التالية :

« وأما يسوع فدعا تلاميذه ، وقال : انى أشفق على الجمع لأن لهم ثلاثة أيام يمكنون معى ، وليس لهم ما يأكلون ، ولست أريد أن أصرفهم صائمين لئلا يخوروا فى الطريق ! فقال له تلاميذه : من أين لنا فى البرية خبز بهذا المقدار حتى يشبع جمعا هذا عدده ؟؟ فقال لهم يسوع : كم عندكم من الخبز ؟ فقالوا : سبعة وقليل من السمك ٠٠٠ فأمر الجموع أن يتكثوا على الأرض ، وأخذ السبع خبزات والسمك ، وشكر وكسر وأعطى تلاميذه ، والتلاميذ أعطوا الجمع ٠ فأكل الجميع وشبعوا ، ثم رفعوا ما فضل من الكسر : سبعة سلال مملوءة ، والآكلون كانوا أربعة آلاف رجل ماعدا النساء والأولاد !! ثم صرف الجموع ٠٠ وصعد الى السفينة ، وجاء الى تخوم مجدل ، « ٠٠٠ فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا : ان هذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم ، وأما يسوع فاذا علم أنهم مزعمون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضا الى الجبل وحده » (١) ٠

فهل تعرض آيات المائدة فى القرآن وروايات الأناجيل لواقعة واحدة ؟؟

من مفسرى القرآن من قالوا : ان المائدة لم تنزل - اذ لم ينص القرآن على نزولها بالفعل ، وان الطالبين للمائدة قد عدلوا عن طلبها ، اذ سمعوا الله ينذر بهذا العذاب المنقطع النظير لمن يكفر بعد نزولها : « ٠٠ عن مجاهد قال : هو مثل ضربه الله ولم ينزل شيء ٠٠٠ وعنه : مائدة عليها طعام أبوها حين عرض عليهم العذاب ان كفروا ، فأبوا أن تنزل عليهم ٠٠٠ وعن الحسن : لما قيل لهم (عن العذاب) قالوا : لا حاجة لنا فيها ، فلم تنزل ٠ وهذه أسانيد صحيحة الى مجاهد والحسن ، وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا يعرفه النصارى وليس هو فى كتابهم ، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفر الدواعى على نقله ، وكان يكون موجودا فى كتابهم متواترا ولا أقل من الآحاد » (٢) ٠

وقول : انها نزلت ٠٠٠ والشيخ عبد الوهاب النجار يتأولها أنها هى نفسها قصة تكثير الطعام والبركة فيه ، وقد ذكر رواية الأناجيل وعقب بقوله : « ان هذه المسألة هى مسألة المائدة السماوية ، ومعنى

(١) مت ١٥ : ٣٢ - ٣٩ ، مر ٦ : ٣٠ - ٤٤ ، لو ٩ : ١٠ - ١٧ ، يو ٦ : ١٠ - ١٥ ٠

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١١٩ ٠

كونها سماوية أن الله تعالى بارك في الطعام بطريقة غير معروفة ولا مألوفة ،
وقد حكيت في القرآن الكريم ٠٠ وأنا أكرر القول : ان مسألة المائدة هي
مسألة الأرغفة الخمسة والسمكتين ، والمراد بانزالها عليهم أن يرزقهم الله
الطعام الكثير من حيث لا يحتسبون » .

والحق أن قضية المائدة هذه أثارت أقوالا كثيرة - جمع ابن كثير
بعضها في أربع صفحات من القطع الكبير جدا ، بالخط الدقيق أيضا !
كذا آثار تأويل الشيخ النجار ما آثار !

والعبرة كما يبدو لي من قراءة الآراء المتخالفة ، هي بما تحتمله
النصوص المروية في القرآن والأناجيل المتداولة من دلالات لغوية لا أكثر
... فالمسألة مسألة أدب وذوق لغوي ، ولا تتعلق بالعقائد ، أو بحجية
الأناجيل المتداولة عند أهل القرآن - خلافا لمن حاول أن يسوقها هذا
المساق من مخالفي الشيخ النجار ، الناقلين لكتابه (١) .

وآيات القرآن قد سكنت عن نزول المائدة فعلا ، ومن الجائز أن
القوم قد انصرفوا عنها بعد النذير ، خاصة وأن طالبها هم حواريو المسيح
الذين يؤمنون بالله ويخشون عذاب الآخرة .

روى الامام أحمد عن ابن عباس : قالت قريش للنبي ادع لنا ربك
أن يجعل (الصفا) ذهباً ونؤمن بك ! قال : وتفعلون ؟ قالوا : نعم ...
فدعا ، فأتى جبريل وقال : ان ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك ان
شئت أصبح الصفا لهم ذهباً ، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبتهم عذاباً
لا أعذبه أحداً من العالمين ، وان شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة ...
قال : بل باب التوبة والرحمة !! (٢)

وبركة الطعام فيها روايات كثيرة في ربيع النبوات ...

في غزوة الأحزاب : « كان المسلمون قد أصابهم مجاعة شديدة ،
وكان أهلهم يبعثون اليهم بما قدروا عليه ... فأرسلت عمرة ابنة
رواحة ابنتها بجفنة تمر عجوة في ثوبها الى زوجها بشير بن سعد بن ثعلبة
الأنصاري والى أخيها عبد الله بن رواحة ، فوجدت الرسول جالسا في
أصحابه ... فأخذه في كفيه ، ونثره على ثوب بسط له ، وقال لجعل ابن

(١) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤١٢ ، ٤١٩ - والهوامش

(٢) قال ابن كثير : رواه أحمد وابن مردويه والحاكم في مستدركه من حديث سفيان
الثوري .

سراقة : اصرخ : يا أهل الخندق ، هلم الى الغداء ! فاجتمعوا عليه يأكلون منه ، حتى صدر أهل الخندق - وانه ليفيض من أطراف الثوب !! وأرسلت أم معتب الأشهلية بقعبة فيها حيس - التمر والسمن والدقيق والفتيت مخلوطا - الى الرسول فنادى مناديه : هلم الى عشاءه ! فأكل أهل الخندق حتى نهلوا - وهى كما هى ، !!

وتكرر ذلك فى الحديبية ، وفى غزوة تبوك : « أرمل الناس ارمالا شديدا - أى نفذ زادهم كأن لم يبق لهم من طعام الا الرمل ! . . . فنادى منادى الرسول : من كان عنده فضل زاد فليأت به ! وأمر بالأنطاع فبسطت ، فجعل الرجل يأتى بالمد الدقيق والسويق أو التمر ، أو القبضة من الدقيق السويق والتمر ، والكسر ، فيوضع كل صنف على حدة - وكل ذلك قليل . فكان جميع ما جاءوا به من الدقيق والسويق والتمر ثلاثة أفرق حزرا . ثم توضع ركعتين ودعا الله ، ونادى مناديه : هلموا الى الطعام ، خذوا منه حاجتكم ! فأقبل الناس ، فجعل كل من جاء بوعاء ملاء ، فقال بعضهم : لقد طرحت يومئذ كسرة من خبز وقبضة من تمر ، ولقد رأيت الأنطاع تفيض ، وجئت بجرايين فملأت أحدهما سويقا والآخر خبزا ، وأخذت فى ثوبى دقيقا كفانا الى المدينة . فجعل الناس يتزودون حتى نهلوا عن آخرهم ، حتى كان آخر ذلك ان أخذت الأنطاع ونثر ما عليها !! » .

كذلك وردت رواية عن الماء أثناء الحديبية : « واشتكى الناس قلة الماء ، فانتزع الرسول - سهما من كنانته فأمر به فغرز فى الشمد ، فجاشت لهم بالرواء حتى صدروا عنه بعطن - أى بركت الابل حول الماء - وانهم ليغترفون بأنيتهم جلوسا على شفير البئر(١) » .

هذا ولم أعثر فى الأناجيل المتداولة على روايات تتعلق بخلق الطير من الطين !

(١) المقرئى : امتاع الأسماع - ص ٢٣٥ ، ٢٨٤ ، ٣٠١ ، ٤٧٣ - ٤٧٤

نبوءات عن المستقبل

لم تكن آيات المسيح مقصورة على معجزاته الحاضرة ، بل هناك أيضا تنبؤاته المستقبلية ..

كان دائما يعرف مصيره ، ويتحدث عنه تارة بالتلميح وأخرى بالتصريح : « ... كما كان يونان فى بطن الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال » ، « وفيما هم يترددون فى الجليل قال لهم يسوع : ابن الانسان سوف يسلم الى أيدي الناس ، فيقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم - فحزنوا جدا » ، « ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه : تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح ، وابن الانسان يسلم ليصلب » ، « وابتدأ يعلمهم أن ابن الانسان ينبغي أن يتألم كثيرا ويرفض من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل ، وبعد ثلاثة أيام يقوم ! وقال القول علانية ، فأخذه بطرس اليه وابتدأ ينتهره ، فالتفت وأبصر تلاميذه وانتهر بطرس قائلا : اذهب عني يا شيطان - لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس !! » ، « وخرجوا من هناك واجتازوا الجليل ، ولم يرد أن يعلم أحد ! ... لأنه كان يعلم تلاميذه ويقول لهم : ان ابن الانسان يسلم . وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه » ، « واذا كان الجميع يتعجبون من كل ما فعل يسوع قال لتلاميذه : ضعوا أنتم هذا الكلام فى آذانكم ، ان ابن الانسان سوف يسلم الى أيدي الناس ، وأما هم فلم يفهموا هذا القول ، وكان مخفى منهم لكيلا يفهموه ... » ، « وأخذ الاثنى عشر وقال لهم : هانحن صاعدون الى اورشليم ، وسيتم كل ما هو مكتوب بالأنبياء عن ابن الانسان ، لأنه يسلم الى الأمم ويستهزأ به ويشتم ويتفل عليه ، ويجلدونه ويقتلونه ، وفى اليوم الثالث يقوم - وأما هم فلم يفهموا ... » ، « قال لهم يسوع أيضا : أنا أمضى وستطلبوننى وتموتون فى خطيتكم حيث أمضى أنا ، لا تقدرون أنتم أن تأتوا . فقال اليهود : أعله يقتل نفسه ... » ، « من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه ، وأما من يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس منه ظلم ... لماذا تطلبون أن تقتلونى ! أجاب الجمع وقالوا :

بك، شيطان ، من يطلب أن يقتلك ؟ » ، « بعد قليل لا تبصروننى ، ثم بعد قليل تروننى - لأنى ذاهب الى الآب » (١) !!

احساس صادق ملح بالمصير

ولا عجب فهو مصير الأنبياء والمرسلين ... وبهذا أخبر ورقة بن نوفل محمدا فى أول الوحي : « ليتنى فيها جذعا اذا يخرجك قومك ، قال أو مخرجى هم ؟ قال : لم يأت رجل بمثل ما جئت به الا عودى ! » واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين (٢) » .

وللمسيح بعد ذلك نبوءات أخرى : « ثم خرج يسوع ومضى الى الهيكل ، فتقدم تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل ، فقال لهم يسوع : أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم : انه لا يترك هنا حجر على حجر لا ينقض .

وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا متى يكون هذا ؟ وما هى علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟ فأجاب يسوع وقال لهم : انظروا لا يضلکم أحد ، فان كثيرون سيأتون باسمى قائلين أنا هو المسيح ، ويضلون كثيرين .

وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب ، انظروا - لا ترتاعوا ، لانه لا بد أن تكون هذه كلها !! ولكن ليس المنتهى بعد ، لانه تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن ... ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع .

حينئذ يسلمونكم الى ضيق ، ويقتلونكم ، وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمى ، وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضا ، ويبغضون بعضهم بعضا ، ويقوم أنبياء كذبه كثيرون ، ويضلون كثيرين ، ولكثرة الاثم تبرد محبة الكثيرين ! ولكن الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص ، ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ، ثم يأتى المنتهى » .

(١) مت ١٢ : ٤٥ ، ١٦ : ٢١ - ٢٣ ، ١٧ : ٢٢ ، ٢١ : ١ ، مر ٨ : ٣١ - ٣٣ ،
٩ : ٣٠ - ٣٢ ، ١٠ : ٣٢ - ٣٤ لو ٩ : ٢١ - ٢٢ ، ٤٣ - ٤٥ ، ١١ : ٢٩ - ٣١ ،
يو ٨ : ٢١ - ٢٢ ، ٧ : ١٨ - ٢٠ ، ١٦ : ١٦ - ٢٤
(٢) الأنفال : ٣٠

حروب ، واضطهاد ، ثم انتصار فى النهاية •

انه خط سير البشرية ، وتاريخ الدعوات والمبادئ •

« فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس ، ليفهم القارىء !

فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية الى الجبال ، والذى فى السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا ، والذى فى الحقل فلا يرجع الى ورائه ليأخذ ثيابه ، وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الايام !! وصلوا ، لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا سبت ، لانه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الى الآن - ولن يكون !! ولو لم تقصر تلك الايام لم يخلص جسد ، ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الايام •• حينئذ ان قال لكم أحد : هو ذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا - لانه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا !

ها أنا قد سبقت وأخبرتكم ، فان قالوا لكم : ها هو فى البرية ، فلا تخرجوا !! ها هو فى المخادع ، فلا تصدقوا •• لانه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر الى المغرب ، هكذا يكون أيضا مجيء ابن الانسان !

وللوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السموات تتزعزع •• الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله ! السماء والارض تزولان ، ولكن كلامى لا يزول •

وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد - ولا ملائكة السموات ، الا أبى وحده (١) » •

« يا أيها الناس اتقوا ربكم ، ان زلزلة الساعة شئ عظيم • يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى - وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد (٢) » •

و (النبوءات) و (علامات الساعة) و (آخر الزمان) - تجد حديثها فى كل الأديان •

(١) مت ٢٤ : ١ - ٤١ ، مر ١٣ : ١ - ٣٢ ، لو ٢١ : ٥ - ٣٤ ، ١٩ : ٢٣ - ٤٤ :

(٢) الحج : ١ - ٢

وفي القرآن نبوءات عن أحداث مستقبلية تقع للروم ، ولبنى اسرائيل : « غلبت الروم في أدنى الارض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين » ، « وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ، ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم ، وأمددناكم بأموال وبنين ، وجعلناكم أكثر نفيرا . ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتهم فلها - فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم ، وان عدتم عدنا ، وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » .

كذلك في القرآن تبشير بانتشار الاسلام في العالمين : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق - ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا » .

أما الساعة : فالاديان لا تحدد موعدا ، لتفسح للناس حبل الامل والعمل : « يستلونك عن الساعة أيان مرساها ؟؟ قل انما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت في السموات والارض - لا تأتيكم الا بغتة . . يستلونك كأنك حفي عنها ، قل انما علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » ، « يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟ فيم أنت من ذكراها ؟ الى ربك منتهاها . انما أنت منذر من يخشاها . كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها . » ، « يسألك الناس عن الساعة - قل علمها عند ربي ، وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (١) » .

ومن أهم نبوءات المسيح ، مسألة مجيئه ثانية .

« فان ابن الانسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله . الحق أقول لكم : أن من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيا في ملكوته » ! « وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان في السماء ، وحينئذ تنسوح جميع قبائل الارض

(١) الروم ٢ ، الاسراء ، ٤ : ٨ ، الفتح ٢٨ ، الأعراف ١٨٧ - ١٨٨ ، النازعات ٤٢ : ٤٦ ، الأحزاب ٦٣

ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحب السماء بقوة ومجد كثير ، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الاربع الرياح من أقصاء السموات الى أقصائها • فمن شجرة التين تعلموا المثل : متى صار غصنها رخصا وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب - هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذا كله فاعلموا انه قريب على الأبواب ! الحق أقول لكم : لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله • السماء والارض تزولان ولكن كلامي لا يزول • وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد - ولا ملائكة السموات ، الا أبى وحده • وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضا مجيء ابن الانسان ، لانه كما كانوا في الايام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون الى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك ولم يعلموا ، حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع - كذلك يكون أيضا مجيء ابن الانسان ! حينئذ يكون اثنان في الحقل : يؤخذ الواحد ويترك الآخر ، اثنان تطحنان على الرحى : تؤخذ الواحدة وتترك الاخرى » ، ومتى جاء ابن الانسان في مجده وجميع الملائكة والقديسين معه - فحينئذ يجلس على كرسي مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار • • » ، « انظروا ، اسهروا وصلوا لانكم لا تعلمون متى يكون الوقت • كأنما انسان مسافر ترك بيته وأعطى عبده السلطان ، ولكل واحد عمله ، وأوصى البواب أن يسهر • اسهروا اذن ، لانكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت : أمساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحا ، لئلا يأتي بغتة فيجدكم نياما » ، « فاحترزوا لانفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسكر وهموم الحياة - فيصادفكم ذلك اليوم بغتة ، لانه كالفتح يأتي على جميع الجالسين على وجه الارض ! اسهروا اذن وتضرعوا في كل حين ، لكي تحسبوا أهلا للنجاة من جميع هذا المزعم أن يكون ، وتقفوا قدام ابن الانسان (١) » •

ومجيء المسيح له ذكره أيضا عند أهل القرآن :

« ولما ضرب ابن مريم مثلا : اذا قومك منه يصدون • وقالوا : آلهتنا خير أم هو ؟ ما ضربوه لك الا جدلا ، بل هم قوم خصمون • ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل • ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون • وانه لعلم للساعة ، فلا تمترن بها وآتبعون - هذا

(١) مت ١٦ : ٢٧ - ٢٨ ، ٢٤ : ٣٠ - ٣١ ، ٢٥ : ٣١ - ٤٦ ، مر ٨ : ٣٨ -

٣٩ ، ١٣ : ٢٦ - ٣٧ ، لو ٩ : ٢٦ - ٢٧ ، ٢١ : ٢٧ - ٣٦

صراط مستقيم » . فسر البعض الآية (وانه لعلم للساعة) : « أى ما وضع على يديه من الآيات من احياء الموتى وبراء الاسقام ، فكفى به دليلا على علم الساعة » . وفسرها آخرون : « قال هو خروج عيسى قبل يوم القيامة » . قال ابن كثير : « بل الصحيح انه عائد على عيسى فان السياق فى ذكره ، ثم المراد بذلك : نزوله قبل يوم القيامة كما قال تعالى (ومن أهل الكتاب الا ليؤمنن بين قبل موته) - أى قبل موت عيسى ، ويؤيد هذا القراءة الاخرى : وانه لعلم للساعة - أى أمانة ودليل . وهكذا روى عن أبى هريرة وابن عباس وأبى العالية وأبى مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم ، وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله انه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة : اماما عادلا ، وحكما مقسطا(١) » .

(١) الآيات من سورة الزخرف ٥٧ : ٦١ ، تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٣١ - ١٣٣
أحاديث حكم المسيح آخر الزمان : نص فنسبك فى (مفتاح كنوز السنة) على وجودها فى البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وأحمد والطيالسى ، أما مايتعلق بخروجه بالشام وقتله الدجال فقد رواها أبو داود ومسلم والترمذى وابن ماجه وأحمد

سلطان للتلاميذ

ولم يقصر المسيح هذه القوة الخارقة على نفسه •

« ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر ، وأعطاهم سلطان على أرواح نجسة حتى يخرجوها ، ويشفوا كل مرض وكل ضعف » ، « وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ، ويشفوا المرضى ! لكنه ذكرهم بأن الغاية هي نيل رضا الله أولا وأخيرا ، حتى لا تفتنهم القوة الجديدة : « ولكن لا تفرحوا بهذا : ان الارواح تخضع لكم ، بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت في السموات (١) » •

وانتشر التلاميذ الاثنى عشر - ومن بعدهم الاتباع السبعون - يبشرون برسالة المسيح طوال وجوده معهم وبعد رفعه ، يرون الناس من آيات الله كما يسمعونهم كلامه ووصاياهم : « بل هذا ما قيل بيوثيل النبي : يقول الله - ويكون في الايام الاخيرة اني أسكب من روحي على كل بشر ، فيتنبأ بنوكم وبناتكم ، ويرى شبابكم رؤى ويحلم شبوخمكم أحلاما ، وعلى عبيدي أيضا وامائي أسكب من روحي في تلك الايام فيتنبأون ، وأعطي عجائب في السماء من فوق ، وآيات على الارض من أسفل : دما ونارا وبخار دخان » !! « وكانت عجائب وآيات كثيرة تجري على أيدي الرسل » ! « وكان رجل أعرج من بطن أمه يحمل ، كانوا يضعونه كل يوم عند باب الهيكل ليسأل صدقة •• فقال بطرس : ليس لي فضة ولا ذهب ، ولكن الذى لي فايها أعطيك : باسم يسوع المسيح قم وامش ، وأمسكه بيده اليمنى وأقامه - ففي الحال تشددت رجلاه وكعباه ، فوثب ووقف وصار يمشى ودخل معهما الى الهيكل - وهو يمشى ويطفر ويسبح الله !! وأبصره جميع الشعب •• فلما رأى بطرس ذلك أجاب الشعب : أيها الرجال الاسرائيليون ما بالكم تتعجبون من هذا ، ولماذا تشخصون الينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشى ! ان اله ابراهيم واسحق ويعقوب -

(١) مت ١٠ : ١ ، مر ٦ : ٧ ، لو ٩ : ١ - ٢ ، لو ١٠ : ٢٠ •

اله آبائنا - مجد فتاه يسوع . . وبالايمان باسمه شدد اسمه هذا الذى تنظرونه وتعرفونه ، والايمان الذى بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم (١) ، !!

وكان المسيح حكيما اذا أوصى تلاميذه فى آخر وصاياه ألا يرتبطوا بغير دعوتهم ورسالتهم ، وأن ينفضوا عنهم التطلع الى الغيب الذى حجبته الله عن العباد : « أما هم المجتمعون فسألوه قائلين : يا رب هل فى هذا الوقت ترد الملك الى اسرائيل ؟ فقال لهم : ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والاوقات التى جعلها الآب فى سلطانه . لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وتكونون لى شهودا فى اورشليم ، وفى كل اليهودية والسامرة - والى أقصى الارض (٢) » .

ويقول الاب لويس برسوم الفرنسيسكانى : « على أن نبوءات الكتاب تلك ، وان تكلمت حقا عن سيادة اسرائيل - فتقصد لا اسرائيل الجسدى ، بل اسرائيل الروحى - أى الكنيسة ، وعن سيادة روحية معنوية لا مادية . وأما بخصوص ارتداد اسرائيل الجسدى وانخراطه تحت لواء المسيح - فانه وان كان أمرا مؤكدا ، الا أن زمن ذلك غير مفهوم ، كما هو غير معلوم كذلك زمن دخول شعوب الارض قاطبة الكنيسة ملكوت المسيح (٣) » .

وبعد . . .

فأظن انه قد استبان وجه المسيح وتلاميذه .

لكم حرصوا ألا تحجب النبوءات والمعجزات وجه الرسالة الانسانية الخالدة !!

فالدين لا يلجأ للمعجزة الا كشاهد ودليل بين يدي النبى لدى الجماهير ، ثم تمضى المعجزات وتصير أحاديث ، ويبقى جوهر الرسالة وحده معروضا على الأجيال .

ويقول الدكتور مول عن (المعجزة) :

« انها ليست مجرد عمل لا يمكن تعليله أو تأويله ، وأغلب الظن ان اللفظة ذاتها تخلق فى الاذهان شيئا من سوء الفهم ، وقلما يستخدم النص

(١) أعمال : ٢ . ١٦ - ١٩ ، ٤٣ ، ٣ : ١ - ١٦

(٢) أعمال ١ : ٦ - ٨ .

(٣) لويس برسوم : حياة يسوع المسيح ج ٢ ص ٣٠١ .

اليوناني للعهد الجديد لفظة تعنى فقط مجرد حادث يذهل ويبهر ! وأحيانا نجد الكتاب الوثنيين يستعملون لفظة *Teiat* للدلالة على حادث خارق ينبىء عن اقتراب وقوع أمر جليل وهذه اللفظة تحمل معنى الطيرة والشؤم . فقد اعتبر هيرودوت مثلا (ق ٥ ق م) من الخوارق اقتران مولد طاغية أثينا بيزيستراتوس بنضج لحوم الذبائح دون وقود ، واعتبر من الخوارق أيضا ماسبق استيلاء داريوس على بابل من نذير وهو اخصاب البغل ! أما اللفظة المستعملة في (العهد الجديد) فتعنى في أكثر الأحيان قوة أو آية . والمعجزة هنا ليست مجرد حادث مذهل يبهر الأنظار أو نذير بوقوع أمر خطير ، **انما هي حادث تتجلى فيه قوة الله وتعمل بطريقة خاصة ، هي عمل من أعمال الله . وعند بحث أية معجزة ينبغي أن نفكر في قوة الدليل التي تحمله .** وان كنا مسيحيين حقا فلا مندوحة لنا من أن نتخذ طبيعة الله ذاته الدليل الأوحد على صدق المعجزة أو كذبها . وقد جاء في (الابو كريفيا) - وهي أناجيل غير معترف بها ولم تدمج في أسفار العهد الجديد المعتمدة - قصص معجزية لا تنسجم مع طبيعة المسيح كما نعرفها في الاسفار المشروعة . فهل نقدر أن نصدق مثلا ما جاء في انجيل توما من أن غلاما صعق لأنه اصطدم بيسوع وهو بعد صبي ؟ . ويسير علينا أن نرى في (سفر الاعمال) كيف تفرعت الحوادث من حقيقة القيامة، فقد وقعت أحداث حملت النظارة والمشتكرين فيها دون قهر ولا ارغام على أن يروا الله عاملا بقوة عجيبة (وصارخون في كل نفس ، وكانت عجائب وآيات كثيرة تجرى على أيدي الرسل - أعمال ٢ : ٤٣) **على ان المعجزات - مهما يكن شغفنا بها - ليست الطريق الوحيد التي يعمل بها الله ،** فهناك أفعال كثيرة أخرى تظهر لنا مجده وقوته . ومن تلك الافعال مآثته دوركاس (طابيثا) في يافا ، وقد رأينا المسيحيين في اورشليم وضعوا نظاما لاغاثة الارامل الفقيرات هناك ، وقد صنعت أصابع دوركاس الرحيمة الكثير من الاقمصة والثياب لستر العرايا وكانت أخلاقها وأعمالها آية تشهد لقوة الله لا تقل في عظمتها عن آية اقامتها من الموت بيد بطرس ، وأن تكون الاولى أقل في صفتها الخارقة من الثانية . . والعبرانيون قديما عرفوا بأن روح الله يعمل بين الناس حين كانوا يرون أحداثا عجيبة ذات قوة خارقة في زعامة بارزة ، فالملك شاءول منح موهبة فجائية في القيادة يوم ظهر خطر الاعداء (امم ١١ : ٦) والزعماء المؤقتون الذين عرفوا بالقضاة في الفترة الاولى من تاريخ ذلك الشعب عزوا قوتهم الى هذا المصدر عينه ، وكذلك عزيت اليه شجاعة جدعون القافر (قض ٦ : ٣٤) وقوة شمشون الجبار (قض ١٣ : ٢٥ ، ١٤ : ٦ ، ١٩ ، ١٥ : ١٤)

واقصر الامر على الزعماء ولم يكن له حتى بالنسبة لهؤلاء صفة الدوام . .
 وكان على الرسول بولس أن يذكر أصدقاءه في كورنثوس (اكور ١٢-١٤)
 بأن مواهب يوم الخمسين مثل التكلم باللسنة وغيرها **ليست وحدها**
علامات الروح وهي ليست أهمها وجوهر المسألة يرتفع الى ما فوق هذا
 المستوى - كما تدل الفقرة (١ كور ١٣) وهو مستوى يقدر أن يبلغه كل
 انسان بل ينبغي أن يبلغه كل انسان ، ويقول ان مواهب الروح قد ترتب
 بحسب أهميتها (١ كور ١٢ ، ٣١ ، ١٤ : ١) ولكن مواهب القمة لا قيمة
 لها مالم تستخدم لخير الجماعة كلها (١) » .

ويقول الدكتور بترسون سمث :

« ان المعجزات تمدنا بالعون حين تعلمنا ان مجد الله العظيم يحيط
 بنا دائما ، والصانع العظيم يظهر لنا بنفسه في المعجزة لأجل قصير حتى
 نذكر انه يصنع ويعمل بعد ما تختفى المعجزات عن أنظارنا وشأن المعجزة
 أن تجعل المجد الخفى منظورا للأعين والحادث الخارق للعادة يبين لنا ان
 الاشياء العادية هي مجد الله أيضا ، أشبه بوميض البرق الذي يظهر لنا
 في لحظة وجود القوة الكهربائية العاملة في الكون . . وكان المسيح
 حريصا مقتصدا في فعلها ولم يكن قصده في صنعها اكراه القوم على
 الايمان به وقد استخدم القوة الالهية بالاكثير للترويج عن البشر
 واسعادهم ، فاذا احتاج جمع صاحب وطلب معجزة كآية فانهم يقرعونهم
 بعنيف القول : جيل شرير وفاسق يطلب آية ! أما اذا تعرضت عروس
 للخزي أمام صواحبها أو اذا تكلت أرملة نابين بفقد ولدها الوحيد واذا
 أصيبت امرأة كفر ناحوم بالحمى وأشرفت على الموت واذا جاء شحاذا أعمى
 على قارعة الطريق يطلب الانقاذ ، عندئذ يصنع المسيح المعجزات . . على
ان المعجزات في حد ذاتها ليست من الاساليب المستحبة لاعلان الله والفكر
 الذى ينظر الى قوة الله كأسمى درة في تاج المجد الالهى انما هو فكر
 سطحي عقيم ! ولما صرخ موسى لله قائلا : أرنى مجدك ، قيل له : أجزى
 كل جودى قدامك ، فجسود الله وكرمه ومحبته أعظم ما يتمجد به
 الله (٢) » !! .

ومن هنا يفهم موقف الاسلام الذى مضى في هذا الاتجاه الى آخر
 الشوط ، فكانت معجزته التى يتحدى بها العالمين هي القرآن وكفى :

(١) دكتور مول : رسل المسيح ترجمة حبيب سعيد ص ٢٣ - ٤ ، ٢٨ : ٢١ ،

٣٥ - ٦

(٢) بترسون سمث : حياة يسوع - ترجمة حبيب سعيد ص ٧٨ - ٩

« قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدي منهما أتبعه ان كنتم صادقين٠ » ،
« فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » ، « قل فأتوا بعشر سور مثله
مفتريات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » ، « فأتوا
بسورة من مثله » .

وكان القرآن واثقا من نتيجة التحدى : « قل لئن اجتمعت الانس
والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله - ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا » ، « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من
حكيم حميد » ، « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا(١) » .
« ان حكمة الله اقتضت ألا تكون الخوارق دعامة لنبوة محمد ،
وبرهانا على صحة رسالته ، وصدق دعوته التي جاءت بأسلوب جديد -
أسلوب لفت النظر الى الكون وما فيه من آيات باهرة ، والبرهنة بها على
وجود الله وقدرته الشاملة ، ووحدته واستحقاقه وحده للخضوع والعبادة
والاتجاه ٠٠ ثم أسلوب مخاطبة العقل والقلب في الحث على الفضائل
والتنفير من الرذائل ، واثبات قدرة الله على الحياة الاخرى وفكرة الحق
والعدل فيها ، وعلى اعتبار ان الدعوة التي تقوم على تقرير وجود الله
واستحقاقه وحده للعبودية واتصافه بجميع صفات الكمال ، وعلى التزام
الفضائل واجتناب الفواحش - هي في غنى عن معجزات خارقة للعادة
لا تتصل بها بالذات ٠٠ وآيات الانبياء السابقين الخارقات حادثات وقعت
وانقضت ، ولكن أسلوب الدعوة القرآنية أسلوب خالد حي قوى في كل
زمان ومكان ببراهينه ودلائله ، وحيويته ونفوذه ، وفصاحته ومعقوليته
ومنطقه وسموه(٢) » .

وليس هذا بغريب بعد أن أكدت رسالة المسيح هذا الاتجاه ، وهي
التي أحاطها سوار مزدان بتهاويل المعجزات !!

(١) القصص ٤٩ ، الطور ٣٤ ، هود ١٣ ، يونس ٣٨ ، البقرة ٣٣ ، الاسراء ٨٨ ،
فصلت ٤٢ ، النساء ٨٢

(٢) محمد عزة دروزة : سيرة الرسول ج ١ ص ٢٢٦

الله... محبة

« أيها الاحباء : لنحب بعضنا بعضا - لان
المحبة هي من الله • وكل من يحب فقد ولد
من الله ويعرف الله • ومن لا يحب لم يعرف
الله ... لان الله محبة » •

(رسالة يوحنا الرسول الاولى ٤ : ٧ - ٩)

رسول السلام

هنا نضافح رسول السلام ، فى موكب السلام الذى نشره فى العالمين ...

نشره فى الدنيا التى كانت تمزقها أهواء الاباطرة جريا وراء المزيد من التوسع والغلبة والنفوذ ! نشره فى الدنيا التى كانت تمزقها - فى الدولة الواحدة - خلافات الحاكم مع المحكوم ، ويمزقها - فى صفوف الحاكمين أنفسهم - صراع الكبراء على السطوة والسلطان ، وتمزقها - فى صفوف المحكومين مع بعضهم بعضا - فوارق الطبقات وفوارق القوميات وفوارق الطوائف ، وتمزقها - بين الحاكمين والمحكومين - من المظالم والفتن صنوف وألوان !!

حتى بنى اسرائيل ، الذين جمعتهم الأنساب وجمعتهم النبوات المتعاقبة المتلاحقة ... رفعوا بأيديهم سياط الفرقة والشقاق لأنفسهم وللناس ...

« وكان حاضرا فى ذلك الوقت قوم يخبرونه عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم ، فأجاب يسوع وقال لهم : أتظنون ان هؤلاء الجليليين كانوا خطاة أكثر من كل الجليليين لانهم كابدوا مثل هذا؟ كلا أقول لكم : بل ان لم تتوبوا فجميعكم تهلكون ! وأولئك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج فى سلوام وقتلهم - أتظنون ان هؤلاء كانوا مذنبين أكثر من جميع الناس الساكنين فى اورشليم ؟ كلا أقول لكم : بل ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون(١) !! ، » .

فى ركام من الخطايا والذنوب ، والبلايا والمحن ، والدماء والاشلاء ... جاء المسيح .

(١) لو ١٣ : ١ - ٦

طوبى ... للرحماء

« ولما رأى الجموع صعد الى الجبل ... »

فلما جلس ، تقدم اليه تلاميذه - ففتح فاه وعلمهم قائلا :

طوبى للمساكين بالروح ، لان لهم ملكوت السموات ! طوبى
للحزاني ، لانهم يتعزون ! طوبى للودعاء ، لانهم يرثون الارض !
طوبى للجوع والعطاش الى البر ، لانهم يشبعون ! طوبى للرحماء ،
لانهم يرحمون ! طوبى للأتقياء القلب ، لانهم يعاينون الله ! طوبى
لصانعي السلام ، لانهم أبناء الله يدعون ! طوبى للمطرودين من اجل
البر ، لان لهم ملكوت السموات ! طوبى لكم اذا عيروكم وقالوا عليكم كل
كلمة شريرة - من اجل - كاذبين ! افرحوا وتهللوا ، لان أجركم عظيم في
السموات ، فانهم هكذا طردوا الانبياء من قبلكم !!

سمعتم انه قيل : تحب قريبك وتبغض عدوك ، واما انا فاقول لكم:
أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا الى مبغضيكم ، وصلوا لأجل
الذين يسيئون اليكم ويطردونكم - لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في
السموات ، فانه يشرق شمسك على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الأبرار
والظالمين !! لانه ان أحببتهم الذين يحبونكم - فأى أجر لكم ؟ أليس
العشارون أيضا يفعلون ذلك ؟ وان سلمتم على اخوتكم فقط - فأى فضل
تصنعون ؟ أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا ؟ فكونوا انتم كاملين - كما
أن أباكم الذي في السموات هو كامل » ، « من ضربك على خدك الأيمن
فاعرض له الآخر أيضا ، ومن أخذ رداك فلا تمنعه ثوبك أيضا ، وكل
من سالك فاعطه ، ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه ، وكما تريدون أن يفعل
الناس بكم - افعلوا انتم أيضا بهم هكذا ... وان أحببتهم الذين
يحبونكم - فأى فضل لكم ؟ فان الخطاة أيضا يحبون الذين يحبونهم ...
واذا أحسنتم الى الذين يحسنون اليكم - فأى فضل لكم ؟ فان الخطاة
أيضا يفعلون هكذا ... وان اقترضتم الذين ترجون أن تشتروا منهم -

فأى فضل لكم ؟ فإن الخطاة أيضا يقرضون الخطاة لكي يستردوا منهم المثل . . . بل أحببوا أعداءكم ، واحسنوا وأقرضوا وانتم لا ترجون شيئاً فيكون أجركم عظيماً ، وتكونوا بنى العلى فإنه منعم على غير الشاكرين والاشرار !! فكونوا رحماء - كما ان اباكم ايضا رحيم(١)» .
وعن هذه الموعظة التاريخية يقول جون مائيسون الكاتب اللاهوتى الاسكتلندى :

« لقد كانت (موعظة الجبل) خطاباً للعالم ، وان كان يسوع لم يبدأ خطابه الا حينما تقدم اليه تلاميذه . . . والخيط الواحد الذى يربط الموعظة جميعها : هو نسيان الذات . . . انه ليس عليك أن تكبح محبة الذات فقط بل عليك أن تحب غيرك . ان القداسة ليست فقط قمع العواطف القديمة ، انها ولادة عواطف جديدة . . . وهكذا يضع يسوع اصبعه على نقطة الضعف فى الناموس القديم والوصايا القديمة : انه حبس النفس لا نسيانها . . . ويسوع يقدم طريقة للصلاة ، لا شكلاً لها ! ان نفس شكل الصلاة أو الصوم أو فعل الرحمة يمكن أن يصدر من الانسان بدافع الحب أو بدافع الانانية فالدوافع هي الامم(٢) » .

أما برجسون الفيلسوف الفرنسى اليهودى الأصل فهو يرى أنه لا الفلسفة من حيث هي امتثال عقلى محض تجعلنا نأخذ بالأخلاق أو نعمل بها ، ولا الأخلاق من حيث هي مجموعة من القواعد يدركها العقل تجعلنا نفضل الأخلاق تفضيلاً عقلياً . . . فقبل قواعد الأخلاق وقبل الميتافيزيقا هنالك الانفعال « يتجلى من جانب الارادة فى وثبة ويتجلى من جانب العقل فى تصور مفسر ! أنظر الى هذه العاطفة التى بشرت بها المسيحية وأسمتها (بالمحبة) ، انها اذا استولت على النفوس تبعها سلوك معين وانتشرت فى أثرها عقيدة معينة . فلا هذه الفلسفة هي التى فرضت تلك الاخلاق ولا تلك الاخلاق هي التى جعلتنا نفضل هذه الفلسفة ، وانما كلتا الفلسفة والأخلاق تعبران عن شئ واحد : الأولى تعبر عنه بلغة العقل والثانية تعبر عنه بلغة الارادة ، ونحن نسلم بكلا التعبيرين متى أحسننا بالمعبر عنه ! وبرجسون يميز بين المشاعر التى تربط المجتمع المغلق فى حدود (الاسرة) أو (الامة) وبين المشاعر التى تربط المجتمع المفتوح على الانسانية جمعاء فيقول « ونحن لا نصل الى الانسانية فى مراحل مارين بالاسرة فالامة ،

(١) مت ٥ : ١ - ١٢ ، ٤٣ - ٤٨ ، لو ٦ : ٢٩ - ٣٦

(٢) جورج مائيسون : دراسات فى صور من حياة المسيح ترجمة الدكتور عزت زكى

ج ١ ص ١١٦ : ١٢٠

بل نتخطاها فى قفزة ونفوقها من غير أن تكون قد اتخذناها غاية ! وهو يميز كذلك بين أخلاق الضغط وأخلاق التطلع « فأخلاق الضغط تتضمن فكرة مجتمع لا يبغي الا البقاء ٠٠٠ أما أخلاق التطلع فتتضمن شعورا بالتقدم والانفعال ، والذي يبعث عليها هو الحماسة للمضى قدما » والضغط والتطلع يتلاقيان ولكن يتمايزان « ان التطلع يميل الى التصلب فيأخذ شكل الالتزام المحدود ، والالتزام المحدود يكبر ويتسع فيشمل التطلع ٠٠٠ يلتقيان فى منطقة الفكر حيث تصنع التصورات ، ثم يسفر اللقاء عن امتثالات ٠٠ ونحن نستطيع أن نعلل اخفاق النظريات الاخلاقية العقلية أى بوجه العموم اخفاق معظم النظريات الفلسفية فى الواجب ، وليس معنى هذا طبعا انه ليس للفكرة المحضة من تأثير فى ارادتنا ولكن هذا التأثير لا يكون ناجعا الا اذا اتفق له أن يكون وحده فى الميدان » . ويرى برجسون ان الاخلاق الانسانية لا بد أن تتجسد فى شخصية ممتازة تتخذ قدوة تحتذى « فبعد أن تكون مبعثرة فى قواعد عامة يقبلها العقل من غير أن تصل الى أن تهز الارادة اذا بها تصبح جارفة قوية بنسبة ما تنصهر مواعظها المتعددة العامة فى وحدة انسان فرد ٠٠٠ ان الضغط كلما أدى الى القوى الطبيعية التى تسمى عادة أو غريزة كان أتم ، وأما التطلع فيزداد سلطانا كلما كان الذى يوحى به الينا أشخاص وكلما كان أكثر ظفرا على الطبيعة ٠٠ يجب أن نمر بالبطولة حتى نصل الى الحب ، والبطولة لا يوعظ بها وعظا وليس عليها الا أن تظهر على المسرح حتى تهز الناس وتبعث فيهم الحركة ٠٠ ان كل ما يستطيعه العقل هو أن يورد حججا ، وهذه الحجج من المتاح دوما أن نرد عليها بأخرى ، لكن وراء العقل هنالك الرجال الذين اسبغوا على الانسانية حلة الالهية فطبعوا العقل وهو الصفة الاساسية فى الانسان بطابع الهى ، وهؤلاء هم الذين يجذبوننا الى المجتمع المثالى فى نفس الوقت الذى نخضع فيه لضغط المجتمع الواقعى ٠٠٠ لقد انقضى ثمانية عشر قرنا قبل أن تعلن حقوق الانسان فى أمريكا أولا على يد المتطهرين ثم فى فرنسا على يد رجال الثورة ولكن هذا لا يبطل انها بتعاليم الانجيل بدأت ثم استمرت بعد ذلك لا يحدما شىء وشتان بين مثل أعلى يقدمه للناس حكماء وان كانوا جديرين حقا بالاعجاب وبين مثل أعلى يقذف الى العالم رسالة مترعة حبا تبشر بالحب ٠٠٠ وكما انه وجد عباقرة وسعوا حدود العقل فأتيح لافراد من حين الى حين أكثر مما كان من الممكن أن يوهب النوع دفعة واحدة ، كذلك قد انبثقت نفوس ممتازة شعرت انها تمت بقربى الى سائر النفوس فلم

تقف عند حدود الجماعة ولا اكتفت بالتضامن الذى أقامته الطبيعة بل ارتفعت فى وثبة من حب الى الانسانية كافة (١) .

دعوة الحب والرحمة . . . دعوة الكرم والسماحة . . . من رسول
سمح رحيم . . .

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم . . . غزيز عليه ما عنتم . . . حريص
عليكم . . . بالمؤمنين رءوف رحيم (٢) » !!

لقد رأينا بنى اسرائيل - فى الاطار التاريخى الذى قدمناه - وآفتهم
التطاول والادعاء والجمود عند المظاهر والشكول .

كانوا (حرفيين) (طقوسيين) ، يملؤهم الزهو بأنهم شعب الله
المختار !

فأنى لهذه القلوب أن تخالطها دعوة الحب الصافية الخالصة ، دعوة
الرحمة الكريمة السامية ؟؟

كان مفهوم الدين عندهم أن يقتل المخالفون لأدنى شبهة ، أن يهلك
العابدون فى تزمّت المراسم وجمود التقاليد . . . كانت صورة الاله فى
مخيلتهم - تعالى عن ذلك علوا كبيرا - وحشا ضاريا لا يرضى بغير مزيد
من الدماء . . . وكان لا بد أن يصحح هذا الفهم المنكوس ، لتعرف السماحة
طريقها لتلك القلوب . . . القلوب المتشبهة للقذف بالخطيئة واتهام
السريرة والولوغ فى الحرمات : « ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم
وكان الله شاكرا عليما (٣) » .

وبدأت كلمات المسيح تنساب كالغدير الصافى الرقراق : « ليس
كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يفعل ارادة
أبى الذى فى السموات . . . كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم : يارب
يارب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك

(١) برجسون : منبع الاخلاق والدين ترجمة الدروبي وعبد الدايم - راجع تلخيصا

لاهم فصوله فى كتابنا (الدين فى موقف الدفاع)

(٢) التوبة ١٢٨ .

(٣) النساء : ١٤٧ .

صنعنا قوات كثيرة؟؟ فحينئذ أصرح لهم : انى لم أعرفكم قط ، اذهبوا
عنى يافاعلى الاثم « (١) !!

فليست العبرة بالدعاوى العريضة الرنانة يوم الجزاء ... وليست
مدائح الناس بالتى تغنى يوم يقوم الاشهاد ...

« احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم ،
والا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السموات ... فمتى صنعت
صدقة فلا تصوت قدامك بالبوق كما يفعل المراءون فى المجمع وفى الأزقة
لكى يمجدوا من الناس ، الحق أقول لكم : انهم قد استوفوا أجرهم .
وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك ، لكى
تكون صدقتك فى الخفاء ، فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك
علانية « (٢) .

« يأبها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق
ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه
تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرُونَ على شئ مما اكتسبوا ،
والله لا يهدى القوم الكافرين . ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة
الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها
ضعفين ، فان لم يصبها وابل فطل - والله بما تعملون بصير ... ان
تبدوا الصدقات فنعما هى ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ،
ويكفر عنكم من سيئاتكم - والله بما تعملون خبير « (٣) .

والمسيح ينعى على الصلف والغرور فى هجوم سافر مكشوف ..
« لا تدينوا لكى لا تدانوا ، لأنكم بالدينونة التى بها تدينون
تدانون ، وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم . ولماذا تنظر القذى الذى
فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفتن لها ؟ أم كيف
تقول لأخيك : دعنى أخرج القذى من عينك ، وها الخشبة فى عينك؟؟
يامرائى ، أخرج أولا الخشبة من عينك ، وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج
القذى من عين أخيك « !!

« وان أخطأ اليك أخوك فاذهب وعاتبه ، بينك وبينه وحدكما ...
وان سمع منك فقد ربحت أخاك ، وان لم يسمع فخذ معك أيضا واحدا

(١) مت ٧ : ٢١ - ٢٣ ، لو ٦ : ٤٦ .

(٢) مت ٦ : ١ - ٤ .

(٣) البقرة ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٢٧١ .

أو اثنين - لكى تقوم كل كلمة على فم شاعدين أو ثلاثة ... وان لم يسمع منهم فقل للكنيسة ، وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار .

... الحق أقول لكم كل ماتربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء ، وكل ماتحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء ! وأقول لكم أيضا : ان اتفق اثنان منكم على الأرض فى أى شىء يطلبانه فانه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات ، لأنه حيث اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون وسطهم » (١) .

ان الله لا يكون فى الهيكل وحده ، ولا يشهد الطقوس والمراسم وحسب : « وما تكون فى شأن ، وما تتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل - الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر - الا فى كتاب مبين » ، « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة - ان الله بكل شىء عليم » (٢)

« حينئذ تقدم اليه بطرس وقال : يارب كم مرة يخطئ الى أخى وأنا أغفر له - هل الى سبع مرات ؟ قال له يسوع : لا أقول لك الى سبع مرات ، بل الى سبعين مرة سبع مرات !! لذلك يشبه ملكوت السموات انسانا ملكا أراد أن يحاسب عبيده ، فلما ابتدأ فى المحاسبة قدم اليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة ، واذ لم يكن له ما يوفى - أمر سيده أن يباع هو وامراته وأولاده وكل ماله ويوفى الدين . فخر العبد وسجد له قائلا : يا سيد تمهل فأوفيك الجميع ، فتحنن سيد ذلك العبد وترك له الدين ... ولما خرج ذلك العبد وجد واحدا من العبيد رفقائه مديونا له بمائة دينار ، فأمسكه بعنقه قائلا : أوفنى مالى عليك ... فدعاه حينئذ سيده وقال له : أيها العبد الشرير ، كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت الى ، أفما كان ينبغى أنك أنت أيضا ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا ؟ وغضب سيده وسلمه الى المعذبين حتى يوفى كل ما كان له عليه ... فهكذا أبى السموى يفعل بكم ان لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته » (٣) !

(١) مت ٧ : ١ - ٥ ، ١٨ : ١٥ - ٢٠ ، لو ٦ : ٢٧ - ٤٢ .

(٢) يونس ٦١ ، المجادلة ٧ .

(٣) مت ١٨ : ٢١ - ٣٥ ، لو ١٧ : ٣ - ٤ .

وليس للسماحة حدود . . .

ان القلب السمع لا يتأتى له أن يحدد لنفسه حدود سماحته :
« ادفع بالتى هى أحسن السيئة ، نحن أعلم بما يصفون » ، « صل من قطعك ، وأحسن الى من أساء اليك ، وقل الحق ولو على نفسك » (١) .
ذلك أن السماحة اذا تشربتها النفس فلن تتكلفها بعد : « لأنه ما من شجرة جيدة تثمر ثمرا رديا ولا شجرة ردية تثمر ثمرا جيدا ، لأن كل شجرة تعرف من ثمرها ، فانهم لا يجتنون من الشوك تينا ولا يقطفون من العليق عنباً . الانسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح ، والانسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر ، فانه من فضلة القلب يتكلم فمه » (٢) !

حقا : (اذا صلح القلب صلح الجسد كله) ، « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد ! » .
« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما . انها ساءت مستقرا ومقاما . والذين لا يدعون مع الله ألها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون - ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما . ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا . والذين لا يشهدون الزور ، وإذا مروا باللغو مروا كراما . والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا . والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما . أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، ويلقون فيها تحية وسلاما . خالدين فيها ، حسنت مستقرا ومقاما » (٣) .

(١) المؤمنون ٩٦ - الحديث صححه السيوطي

(٢) لو ٦ : ٤٣ - ٤٥

(٣) (حديث اذا صلح القلب . . .) في مفتاح كنوز السنة لنفسك انه مروي في البخارى الطيالسى - الآية « ان فى ذلك لذكرى » من سورة ق ٣٧ ، الآيات التالية من الفرقان ٦٣ - ٧٦

امتحان... من الراجع

وامتحننت دعوة المحبة أول أمرها في المجتمع الصغير : مجتمع التلاميذ ...

« حينئذ تقدمت إليه أم ابني زبدي مع ابنيها ، وسجدت وطلبت منه شيئاً ، فقال لها : ماذا تريدان ؟ قالت له : قل أن يجلس ابنائى هذان ، واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك ... فقال لهما : أما كأسى فتشربانها ، وبالصبغة التى أصطبغ بها أنا تصطبغان ، وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه الا للذين أعد لهم من أبى ...

فلما سمع العشرة اغتاظوا من أجل الأخوين !! فدعاهم يسوع وقال : أنتم تعلمون ان رؤساء الامم يسودونهم واتعظما يتسلطون عليهم - فلا يكون هكذا فيكم ... بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً ، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً - كما أن ابن الانسان لم يأت ليخدم ، بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثير » (١) .

ان مقعد الصديق بجوار المسيح أغرى القوم بالتنافس ، فنسوا وصية المسيح بالتواضع : « وقال للمدعوين مثلاً - وهو يلاحظ كيف اختاروا المتكئ الأول قائلاً لهم : متى دعيت من أحد الى عرس فلا تتكئ في المتكئ الأول ولعل أكرم منك يكون قد دعى منه ، فيأتى الذى دعاك واياه ويقول لك : أعط مكاناً لهذا ! فحينئذ تبتدىء بخجل تتخذ الموضع الأخير !! بل متى دعيت ، فاذهب واتكئ في الموضع الأخير ، حتى اذا جاء الذى دعاك يقول لك : يا صديق ، ارتفع الى فوق ! حينئذ يكون لك مجد أمام المتكئين معك ، لأن كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » (٢) .

(١) مت ٢٠ : ٢٠ - ٢٨ ، مر ١٠ : ٣٥ - ٤٥ .

(٢) لو ١٤ : ١٧ - ١١ .

ولطالما أوصى المسيح بالتضحية والفداء ، ولكن العشرة لم يتناسوا ذواتهم ازاء ما أحرزه صاحباهم من سبق ٠٠٠ والاثنى عشر قد حرصوا جميعا على تبين منازلهم فى دار الجزاء : « فأجاب بطرس حينئذ وقال : هانحن قد تركنا كل شىء وتبعناك فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم : أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد ، متى جلس ابن الانسان على كرسى مجده - تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيًا تدينون أسباط اسرائيل الاثنى عشر . وكل من ترك بيوتا أو اخوة أو أخوات أو أبا أو امرأة أو أولاد أو حقولا من أجل اسمى - يأخذ مائة ضعف ، ويرث الحياة الأبدية » .

ويذكر فى تفسير عبارة (أسباط اسرائيل الاثنى عشر) - أنها تعنى الشعوب كافة : « لأن اسرائيل الله الحقيقى ما هو الا الكنيسة ، التى تضم - ان لم يكن بالفعل ، فكحق - جميع شعوب الأرض قاطبة » . أما (عهد التجديد) فهو آخر الأيام ، حيث ستجدد الطبيعة كلها ، على ما جاء فى سفر الرؤيا (٢١ : ٥) : « ها أنا أجعل كل شىء جديدا » .

وهكذا اتجه المسيح الى تكوين جماعة صغيرة محدودة تنهض بأعباء دعوته ، وتكوين نواة تنمو وتعمل على مدى الأجيال « وقد تظل ثلاث سنوات يجمع حوله يوما بعد يوم هذه الجماعة المختارة معلنا لهم مبادئه ملهما اياهم أفكاره معلما اياهم بنموذج حياته حتى يترك من ورائه جماعة من الرجال المدربين المجاهدين لتحقيق فكرته فى حمل لواء ملكوت الله ٠٠٠ انه يلهب فى نفوسهم غيرة وحماسة ويضع فيهم ثقته الكاملة وان لم يخترهم من ذوى المكانة والجاه أو العلم أو التفوق العملى ٠٠٠ كانت حاجته الى شهود أمناء للحقيقة التى قام عليها الملكوت ٠٠٠ » (١)

ولم يدعهم المسيح يتواكلون : « ولكن كثيرون أولون يكونون آخريين وآخرون أولين » ، « وكانت بينهم مشاجرة ، من منهم يظن انه يكون أكبر ؟ فقال لهم : ملوك الأمم يسودونهم ، والمتسلطون عليهم يدعون محسنين . وأما أنتم فليس هكذا ، بل الكبير فيكم ليكن كالأصغر ، والمتقدم كالخادم - لأن من هو أكبر : الذى يتكئ أم الذى يخدم ؟ أليس الذى يتكئ ؟ ولكنى أنا بينكم كالذى يخدم . أنتم الذين ثبتوا معى فى تجاربى ، وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتا ، لتأكلوا

(١) بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ١٧٤ : ٧ .

وتشربوا على مائدتي في ملكوتي ، وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط
اسرائيل الاثني عشر » (١) .

ونحن نجد القرآن كذلك يعد المجاهدين والمهاجرين في سبيل الله
خير الجزاء في الدنيا والآخرة : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم
يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفورا رحيما » ، « ذلك
بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ، ولا يطئون
موطئا بغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا - الا كتب لهم به عمل
صالح ، ان الله لا يضيع أجر المحسنين . ولا ينفقون نفقة صغيرة
ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ، ليجزيهم الله أحسن ما كانوا
يعملون » (٢) .

فاذا انتقلنا من مجتمع التلاميذ الى مجتمع اليهود ، رأينا من
المفارقات عجبا لقد قدمنا في (الاطار التاريخي) اجمالا لطوائف
بنى اسرائيل ، يعطى صورة من هذه المجتمع المتشاحن المتناحر ، الذي
لم يلم شعثه نسب ولا دين . !

وانجيل يوحنا بالذات حافل بشواهد الانانية الطائفية والقومية
عند هؤلاء : « . . . فيلبس وجد نشايل ، وقال له : وجدنا الذي كتب
عنه موسى في الناموس والأنبياء - يسوع بن يوسف الذي من الناصرة .
فقال له نشايل : **أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح ؟؟** » ،
« فجاءت امرأة من السامرة لتستقي ماء فقال لها يسوع : أعطيني
لأشرب فقالت له المرأة السامرية : كيف تطلب مني لتشرب وأنت
يهودي وأنا امرأة سامرية - **لان اليهود لا يعاملون السامريين !!!**
قالت له المرأة : يا سيد أرى أنك نبي ، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل
وأنتم تقولون : ان في اورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه !
قال لها يسوع : يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا
في اورشليم تسجدون للآب ، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون ، أما نحن
فنسجد لما نعلم ، لأن الخلاص هو من اليهود ، **ولكن تأتي ساعة - وهي**

(١) مت ١٩ : ٢٧ - ٣٠ ، مر ١٠ : ٢٨ - ٣١ ، لو ١٨ : ٢٨ - ٣٠ ، ٢٢ : ٢٤

- ٢٩ ، لويس برسوم : حياة يسوع المسيح ج ٢ ص ٣٥

(٢) النساء ٩٩ ، التوبة ١٢٠ .

الآن - حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق ، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له ! الله روح ، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا ، (١) !!!

هذه هي الروحانية الغامرة والانسانية الرفيعة ، التي أقبلت تنير سراديب الطائفية والشكلية . . . « الروح هو الذي يحيى ، أما الجسد فلا يفيد شيئاً . الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة ، (٢) !!
حقاً ما أكبر الفرق بين هذه الروح الخالصة وبين القوالب الجامدة :
« أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس ، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون » (٣) .

« وكان في الجموع مفاجأة كثيرة من نحوه : بعضهم يقولون : انه صالح ، وآخرون يقولون : لا بل يضل الشعب . ولكن لم يكن أحد يتكلم عنه جهاراً لسبب الخوف الخوف من اليهود . فتعجب اليهود قائلين : كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلم ، أجابهم يسوع وقال : تعليمي ليس لي ، بل للذي أرسلني . ان شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم : هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي ؟ من يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه ، وأما من يطلب مجد الذي أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم (٤) » .

« وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان : ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ، ألا الى الله تصير الامور (٥) » .

وظل اليهود يتغامزون ويتهامسون : « فقال اليهود فيما بينهم : الى أين هذا مزع أن يذهب حتى لا نجده نحن ؟ أعله مزع أن يذهب الى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين » ؟؟ .

« فتش وانظر ، انه لم يقم نبي من الجليل (٦) ! »

(١) يو ١ : ٤٥ - ٤٦ ، ٣ : ٥ - ٢٦

(٢) يو ٦ : ٦٢

(٣) الأنعام ١٢٢

(٤) يو ٧ : ١٣ - ١٨

(٥) الشورى ٥٣

(٦) يو ٧ : ٣٥ - ٥٢

« فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به : انكم ان ثبتتم من كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذ ، وتعرفون الحق ، والحق يحرركم أجابوه : **اننا ذرية ابراهيم ولم نستعبد لأحد قط** ، كيف تقول أنت أنكم تصيرون أحرارا ؟ أجابهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : ان كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم ، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونني وأنا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله هذا لم يعمل ابراهيم . أنتم تعملون أعمال أبيكم !! فقالوا له : **اننا لم نولد من زنا ، لنا أب واحد هو الله** . فقال لهم يسوع : لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني ، لأنني خرجت من قبل الله وأتيت ، لأنني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني أنتم من أب هو ابليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا فان كنت أقول الحق ، فلماذا لستم تؤمنون بي ؟ الذي من الله يسمع كلام الله ، لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله ان كنت أمجد نفسي فليس مجدى شيئا ، أبى هو الذى يمجدنى - الذى تقولون أنتم أنه الهكم - ولستم تعرفونه ، وأما أنا فأعرفه ، وان قلت انى لست أعرفه أكون مثلكم كاذبا ، لكنى أعرفه وأحفظ قوله . أبوكم ابراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح فرفعوا حجارة ليرجموه (١) » !!!

لقد فزعت العقلية الضيقة المغلوبة فى الجدل ، المحجوجة بالبرهان - الى الطوب والخصى ، تكمل به المناقشة !!

« فدعوا ثانية الانسان الذى كان أعمى وقالوا له : أعط مجدا لله ، نحن نعلم أن هذا الانسان خاطيء !

فأجاب ذاك وقال : **أخاطيء هو ؟ لست أعلم ، انما أعلم شيئا واحدا ، أنى كنت أعمى والآن أبصر !!** ألكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ ، فستموه وقالوا : **أنت تلميذ ذاك ، وأما نحن فاننا تلاميذ موسى** . نحن نعلم أن موسى كلمه الله ، وأما هذا فلا نعلم من أين هو ؟؟ أجاب الرجل وقال لهم : ان فى هذا عجبا ، انكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتح عيني ، ونعلم أن الله لا يسمع للخطاة ، ولكن ان كان أحد يتقى الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع ! منذ الدهر لم يسمع أن أحدا فتح عيني مولود أعمى !! لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل.

(١) يو ٨ : ٣٠ - ٥٩

شيئا • أجابوا وقالوا له : فى الخطايا ولدت أنت بجملتك ، وانت تعلمنا !! فأخرجوه خارجا « (١) !

أخرجوه خارجا ••• هكذا حلوا الاشكال ، ودسوا رؤوسهم فى الرمال !!

انهم تلاميذ موسى وكفى ، وهم الاحبار والكهان الذين لا يتلقون علما من سواد الناس !

« ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل • والله أعلم بأعدائكم ، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا • من الذين هادوا - يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويقولون : سمعنا وعصينا ••• ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم ، بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون شيئا • أنظر كيف يفترون على الله الكذب ، وكفى به اثما مبينا ••• أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، فقد آتينا ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما • فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ، وكفى بجهنم سعيرا ••• ان الذين يكفرون بالله ورسله يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا • أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا أليما •• يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ، فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك ، وآتيناهم موسى سلطانا مبينا • ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ، وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا ، وقلنا لهم لا تعدوا فى السبت - وأخذنا منهم ميثاقا غليظا • فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف - بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا ••• فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا • وأخذهم الربا - وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما « (٢) •

« فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجعما ، وقالوا : ماذا نصنع ؟

(١) يو ٩ : ٢٤ - ٢٤

(٢) النساء ٤٤ : ٤٦ ، ٤٩ - ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٥ - ٥٥ ، ١٥٠ - ١٥١ ، ١٥٣ : ١٥٥ ، ١١٤ - ١٦٠

فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة ! ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به ،
فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا (١) !! « وكان أناس
يونانيون من الذين صعدوا ليسجدوا في العيد ، فتقدم هؤلاء الى فيلبس
الذى من بيت صيدا الجليل ، وسألوه قائلين : يا سيد ، نريد أن نرى
يسوع . فأتى فيلبس وقال لأندراوس ، ثم قال أندراوس وفيلبس
ليسوع ، وأما يسوع فأجابهما قائلا . قد أتت الساعة ليتمجد ابن
الانسان . الحق الحق أقول لكم : ان لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت ،
فهى تبقى وحدها ! ولكن ان ماتت تأتى بثمر كثير ! من يحب نفسه
يهلكها ، ومن يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها الى حياة أبدية » (٢) .

ان بنى اسرائيل يشفقون على ذهاب سلطانهم . . . يشفقون من
دعوة المحبة المسيحية أن تهدم العصبية ، وتأخذ طريقها الى اليونان
والرومان ، والى غير اليونان والرومان . . . ولكن هل يستطيع القوم
بعنادهم وجمودهم وضيق أفقهم أن يعترضوا مجرى التاريخ ؟؟ « لذلك
أقول لكم : ان ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره » (٣) !!

« ماذا تظنون ؟ كان لانسان ابنان : فجاء الى الأول وقال : يا ابنى
اذهب اليوم اعمل فى كرمى . فأجاب وقال : ما أريد ، ولكنه ندم أخيرا
ومضى . وجاء الى الثانى وقال كذلك ، فأجاب وقال : ها أنا يا سيد ولم
يمض . فأى الاثنين عمل ارادة الأب ؟ قالوا له : الأول . قال لهم
يسوع : الحق أقول لكم : ان العشارين والزواني يسبقونكم الى ملكوت
الله ، لأن يوحنا جاءكم فى طريق الحق فلم تؤمنوا به ، وأما العشارون
والزواني فآمنوا به ، وأنتم اذ رأيتم لم تندموا أخيرا لتؤمنوا به !

اسمعوا مثلا آخر : كان انسان رب بيت غرس كرما : أحاطه
بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وسلمه الى كرامين وسافر ، ولما
قرب وقت الأثمار أرسل عبده الى الكرامين ليأخذ أثماره . فأخذ
الكرامون عبده ، وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا . ثم أرسل اليهم ابنه
قائلا : يهابون ابنى . وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم :
هذا هو الوارث ، هلم نقتله ونأخذ ميراثه ، فأخذوه وأخرجوه خارج
الكرم وقتلوه . فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟؟
قالوا له : أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ، ويسلم الكرم الى كرامين

(١) يو ١١ : ٤٧ - ٨

(٢) يو ١٢ : ٢٠ - ٢٥

(٣) مت ٢١ : ٤٤

آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها !! قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البنّاءون هو قد صار رأس الزاوية - من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا ٠٠٠ ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم ، واذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع - لأنه كان عندهم مثل نبي « (١) !!

« قل ياأيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس ، فتمنوا الموت ان كنتم صادقين • ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين • قل ان الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » (٢) •



هكذا تلقى مجتمع التلاميذ ، ومجتمع اليهود دعوة المحبة المسيحية ٠٠٠

أما مجتمع التلاميذ فسار على الدرب ، ولئن تعثر خطوات فقد عوضها وتقدم أشواطاً ، وكل بنى آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون ٠٠٠

أوصاهم المسيح وحدد لهم مهمتهم : « هؤلاء الاثنا عشر - أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : الى طريق أمم لا تمضوا ٠٠٠ والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ٠٠٠ بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة ! وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين : انه قد اقترب ملكوت السموات ! اشفوا مرضى ، طهروا برصا ، أخرجوا شياطين ! مجاناً أخذتم ، مجاناً أعطوا ! لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم ، ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا ، لأن الفاعل مستحق طعامه • وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا : من فيها مستحق ، وأقيموا هناك حتى تخرجوا • وحين تدخلون البيت سلموا عليه ، فان كان البيت مستحقاً فليأت سلامكم عليه ، ولكن ان لم يكن مستحقاً فليرجع سلامكم اليكم • ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجاً من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم • الحق أقول لكم : ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما

(١) مت ٢١ : ٢٨ - ٤٦ ، مر ١٢ : ١ - ١٢ ، لو ٢٠ : ٩ - ١٩

(٢) الجمعة ٦ : ٨

لتلك المدينة » ، « فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا ، وأخرجوا شياطين كثيرة ، ودهنوا بزيت مرضى كثيرين - فشفوهم » (١) .

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فان لم تجدوا أحدا فيها فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وان قيل لكم ارجعوا - فارجعوا هو أذكى لكم ، والله بما تعملون عليم . ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ماتبدون وماتكتمون » ، « . . فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم - تحية من عند الله مباركة طيبة ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون » (٢) .

وتجاوزت الرسالة بعد ذلك حدود بنى اسرائيل ، وانطلق رسل المسيحية في أنحاء العالم الرومانى يبشرون برسالة المحبة « سلاما أترك لكم ، سلامى أعطىكم » (٣) .

وكانت لهم كلمات رائعة يؤسسون بها صرح المحبة فى مختلف أرجاء الأرض

كانت وصية المسيح منقوشة على صفحات قلوبهم : « أنا الكرمة وأنتم الأغصان . الذى يثبت فى وأنا فيه ، هذا يأتى بشمر كثير ، لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا . ان كان أحد لا يثبت فى يطرح خارجا كالغصن - فيجف ويطرحونه فى النار فيحترق . ان ثبتتم فى وثبت كلامى فيكم تطلبون ماتريدون فيكون لكم ، بهذا يتمجد أبى - أن تأتوا بشمر كثير فتكونون تلاميذى . كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا . اثبتوا فى محبتى . ان حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى كما أنى قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته . كلمتكم بهذا لكى يثبت فرحى فيكم ، ويكمل فرحكم .

هذه هى وصيتى : أن تحبوا بعضكم كما أحببتكم . ليس لأحد حب أعظم من هذا ، أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه . أنتم أحبائى ان فعلتم ما أوصيكم به . لا أعود أسمىكم عبيدا ، لأن العبد لا يعلم مايعمل سيده ، لكنى سميتكم أحباء لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى . ليس أنتم اخترتمونى ، بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بشمر ويدوم ثمركم ،

(١) مت ١٠ : ١ - ١٥ ، مر ٦ : ٧ - ١٢ ، لو ٩ : ١ - ٦

(٢) النور ٢٧ : ٢٩ ، ٦١

(٣) يو ١٤ : ٢٧

لكي يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمي - بهذا أوصيكم ، حتى تحبوا بعضكم بعضا ، (١) .

فتغنى التلاميذ على قيثارة الحب ، بألحان من وحي معلمهم : « فالذين تشبثوا ، جالوا مبشرين بالكلمة » (٢)

كتب بولس في رسالته الى أهل رومية : « فانه كما في جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد ، هكذا نحن الكثيرين - جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضا لبعض كل واحد للآخر ، ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا المحبة فلتكن بلا رياء . كونوا كارهين الشر ، ملتصقين بالخير ، وادين بعضكم بعضا بالمحبة الأخوية ، مقدمين بعضكم بعضا في الكرامة عاكفين على إضافة الغرباء . باركوا الذين يضطهدونكم . باركوا ولا تلعنوا لا تجازوا أحدا عن شر بشر ان كان ممكنا فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس . لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحياء ، بل أعطوا مكانا للغضب ، لأنه مكتوب لي : النعمة أنا أجازي - يقول الرب . فان جاع عدوك فاطعمه ، وان عطش فاسقه لأنك ان فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه . لا يغلبنك الشر بل أغلب الشر بالخير » (٣) .

وفي رسالة بطرس الرسول الأولى : « . . . أي مجد هو ان كنتم تلمنون مخطئين فتصبرون ؟ بل ان كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون - فهذا فضل من عند الله ، لأنكم لهذا دعيتم . فان المسيح أيضا تألم لأجلنا ، تاركنا لنا مثالا لكي تتبعوا خطواته ، الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فمه مكر ، الذي اذا شتم لم يكن يشتم عوضا ، واذا تألم لم يكن يهدد ، بل كان يسلم لمن يقضي بعدل » (٤) .

وضمن يوحنا رسالته الأولى هذه الفقرات الغالية : « نحن نعلم اننا قد انتقلنا من الموت الى الحياة ، لاننا نحب الاخوة . من لا يحب أخا يبقى في الموت . كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس ، وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه . بهذا قد عرفنا المحبة ، أن ذاك وضع نفسه لأجلنا ، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل

(١) يو ١٥ : ٥ - ١٧

(٢) أعمال ٨ : ٤

(٣) رومية ١٢ : ٤ - ٦ ، ٩ - ١٠ ، ١٣ - ١٤ ، ١٧ - ٣١

(٤) ١ بطرس ٢٠ - ٢٣

الاخوة ، وأما من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجا وأغلق أحشاه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه ! يا أولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق . . . أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضا ، لأن المحبة هي من الله ، وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله ، ومن لا يحب لم يعرف الله - لأن الله محبة . بهذا أظهرت فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد الى العالم لكي نحيا به . . . أيها الأحباء ان كان الله قد أحبنا هكذا ، ينبغي لنا أيضا أن يحب بعضنا بعضا . . . ان أحب بعضنا بعضنا ، فالله يثبت فينا ومحبه قد تكلمت فينا . . . بهذا تكلمت المحبة فينا ، أن يكون لنا ثقة في يوم الدين . . . لا خوف في المحبة ، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج !! . . . نحن نحبه ، لأنه هو أحبنا أولا . ان قال أحد اني أحب الله وأبغض أخاه فهو كاذب ، لأن من لا يحب أخاه الذي أبصره ، كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره ؟؟ » (١) -

وجاء في رسالة يعقوب : « من أين الحروب والخصومات بينكم ؟ أليست من هنا - من لذاتكم المحاربة في أعضائكم ؟ . . . لا يذم بعضكم بعضا أيها الاخوة ، الذي يذم أخاه ويدين أخاه يذم الناموس ويدين الناموس . . . واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك ، فمن أنت يا من تدين غيرك ؟ . . . أيها الاخوة ، ان ضل أحد بينكم عن الحق فردده أحد ، فعليكم أن من رد خاطئا فمن خلال طريقة يخلص نفسا من الموت ، ويستتر كثرة من الخطايا » (٢) . .

* . *

وهكذا أقامت المسيحية جماعة تؤلف بينها العقيدة والولاء المشترك للمسيح . ولفظة (كنيسة) ecclesia تشير في مواضع من (سفر الأعمال) الى المسيحيين ، وهي اذا كانت تعنى مرة محفل المدينة (١٩ : ٣٢ ، ٣٩ ، ٤١) ، وتعنى أخرى مجمع اسرائيل في البرية (خطاب اسطفانوس ٧ : ٣٨) فهي تكاد تعنى في كافة المواضع من (سفر الأعمال) « الجماعة المحلية في مكان معين » . وقد أطلقت شاملة لكنيسة فلسطين كلها التي انتظمت جماعات محلية عديدة (٩ : ٣١) ، على أن كنيسة اورشليم الأم وبناتها كانت رمزا للكنيسة المسكونية الجامعة ، وجاءت الكنيسة بمعناها المسكوني الجامع في رسالتى افسوس وكولوسي .

(١) ١ يوحنا : ٣ : ١٤ - ١٨ ، ٤ : ٧ - ٢١

(٢) يعقوب ٤ : ١ - ٢ ، ١١ - ١٢ ، ٥ : ١٩ - ٢٠

وكانت الكنيسة الأولى تضم الى جانب الرسل الاولين ١٢٠ شخصا بين رجال ونساء من أنماط مختلفة ينتمون الى شتى أرجاء اليهودية وبينهم نفر من أهل اورشليم المحليين . ثم اتسع نطاق الجماعة وضمت حوالى ٣٠٠٠ فى يوم الخمسين (١) . وقد قرأنا عن المناطق الكثيرة التى وفد منها الحجاج الى اورشليم فى عيد الخمسين (٢ : ٩ - ١١) فكان بينهم نفر من بلاد (ما بين النهرين) حيث استوطنت جالية يهودية منذ عصور السبى ورحلت مجموعات من سكان السامرة واليهودية وكان هناك حجاج من ولايات (آسيا الصغرى) ومن (شمالى افريقية) ومن (شرقى الأردن) والى جانب الوافدين من بلدان شرقى حوض البحر المتوسط جاءت وفود من رومية ذاتها ، وكان منهم اليهود الأصلاء والدخلاء ٠٠٠ وهكذا انسابت طرائق من الفكر مختلفة ونماذج من الحياة متباينة الى الجماعة المسيحية ٠٠٠ وبين وشائج الالتحام الروحى العميق الذى أطل الكنيسة المسيحية الأولى أو المجتمع المسيحى المبكر تطالعنا ثغرات وعثرات من خيانة ونزاع اليهود والأمميين ، على أن الأمر الواقع هو قيام نظام موحد وان لم يكن نظاما محكما كاملا منسقا تمام التنسيق . « وأما الكنائس فى جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام ، وكانت تبنى وتسير فى خوف الرب وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر - أعمال ٩ : ٣١ » وتعتبر الكنيسة المسيحية مشاركة لا مجرد زمالة أو ألفة وبهذه المشاركة ينتظم المسيحيون فى (أخوة) واحدة وعن طريق الكنيسة يتم الله نعمته ويوطد ملكوته « وكان لهذه الشركة المقدسة أثرها الظاهر فى حياة الجماعة ، كانوا يذهبون للهيكل كسائر الناس لأن المسيحيين الى ذلك الحين كانوا يهودا ، ولكن العبادة أوحى اليهم مثلا جديدة فى الحياة والسلوك وقوة أدبية جديدة مستمدة من الله ذاته اقترنت بشركة جديدة ورجاء جديد فى المستقبل ! لم يبطلوا عضويتهم فى الكنيسة اليهودية بل ازدادوا احساسا بأنهم يمثلون شعب الله الحقيقى الذى دعى لأداء مهمة فى التاريخ ، لا بسبب استحقاق فيهم ولكن بجود الله وفضله ليكونوا قلب هذا الشعب ! وهم فئة صغيرة مستضعفة ولكنهم أقوياء بالايمان الجديد القوى الذى يقدر أن يجذب الشعب كله الى الله » . « وكان المدبرون الأول لأموال الفقراء سبعة رجال اختيروا بعناية ، وفى العصور المتأخرة تضمنت واجبات الشمامسة العناية بالفقراء » ونلتقى

(١) يعرف عيد الخمسين أيضا بعيد الأسابيع أو يوم الباكورة أى بعد ٧ أسابيع من يوم الجمعة العظيمة - دكتور مول : رسل المسيح ترجمة حبيب سعيد ص ١٩

بعد قليل بشيوخ هم قادة الجماعة presbytyrions فقد كان في كنيسة
أورشليم شيوخ استقبلوا المندوبين واشتركوا في المجمع ، وعين بولس
وبرنابا شيوخا للجماعات بآسيا الصغرى وسمى الشيوخ أساقفة ،
Episkopol ووظيفتهم العناية والرعاية وكانوا يكرسون بوضع الأيدي
وكان نظاما مألوفاً بين اليهود « (١) » .



هذه هي الرسالة الانسانية التي ضاقت عنها عقول بنى اسرائيل ،
فانطلقت لتنير للعالم كله السبيل ...

ان بطرس يعتز بنزعتة الانسانية العالمية ، فيقول لقائد المائة
(كرنيليوس) من الكتيبة الايطالية في قيصرية : « أنتم تعلمون كيف
هو محرم على رجل يهودى أن يلتصق بأحد أجنبى ، أو يأتى اليه ! وأما
أنا فقد أرانى الله أن لا أقول عن انسان ما انه دنس أو نجس ! » (٢) .

وحاول الحرفيون الطقوسيون أن يناضلوا عن كياناتهم بالشغب
والتشويش ! كذلك فعلوا مع بولس ، عند عودته الى أورشليم بعد رحلته
التبشيرية في أوربا : « ... رآه اليهود الذين من آسيا في الهيكل ،
فأهاجوا كل الجمع وألقوا عليه الأيادى - صارخين : أيها الرجال
الاسرائيليون أعيّنوا ، هذا هو الرجل الذى يعلم الجميع فى كل مكان
ضداً للشعب والناموس وهذا الموضع ، حتى أدخل يونانيين الى الهيكل
ودنس هذا الموضع المقدس ، لأنهم كانوا قد رأوا معه فى المدينة تروفيمس
الافسى فكانوا يظنون أن بولس أدخله الى الهيكل . فهاجت المدينة
كلها ، وتراكض الشعب وأمسكوا بولس وجروه خارج الهيكل ... » (٣)

لكن اتجاه الريح سار على غير هوى أولئك اليهود : « وكانت كلمة
الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جدا فى أورشليم ، وجمهور كثير من الكهنة
يطيعون الايمان » ، « وأما الكنائس فى جميع اليهودية والجليل والسامرة
فكان لها سلام ، وكانت تبني وتسير فى خوف الرب ، وبتعزية الروح
القدس كانت تتكاثر » ، « فسمع الرسل والاخوة الذين كانوا فى

(١) دكتور مول : رسل المسيح ترجمة حبيب سعيد ص ٦٠ : ٦٢ ، ٦٦ ، ٦٨ ،

٧٣ : ٧٤

(٢) أعمال ١٠ : ٢٨

(٣) أعمال ٢١ : ٢٧ - ٣٠

اليهودية أن الأمم أيضا قبلوا كلمة الله ، « وكان - بولس - يحتاج في المجمع كل سبت ويقنع يهودا ويونانيين (١) » !

وعبثا حاول دعاة العصبية والطائفية إيقاف تيار المحبة الغامر ...

« وفي السبت التالي اجتمعت كل المدينة - أنطاكية بيسيدية - لتسمع كلمة الله ، فلما رأى اليهود الجموع امتلأوا غيرة ، وجعلوا يقاومون ما قاله بولس ومناقضين ومجدفين . فجاهر بولس وبرنابا وقال : **كان يجب أن تكلموا أنتم أولا بكلمة الله ، ولكن اذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية - هو ذا نتوجه الى الأمم ، لأن هكذا لوصلنا الرب : قد أقمتك نورا للأمم لتكون خلاصا الى أقصى الأرض .** فلما سمع الأمم ذلك كانوا يفرحون ويمجدون الرب ، وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية ، وانتشرت كلمة الرب في كل الكورة » (٢) .

ولم يكن المبشرون بالمسيحية يقصرون جهودهم على مجامع اليهود حيث ينزلون وأينما يرحلون : « فوقف بولس في وسط أريوس باغوس ، وقال : أيها الرجال الأثينيون ، أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيرا ، لأنني بينما كنت أجتاز وأنظر الى معبوداتكم وجدت أيضا مذبحا مكتوبا عليه : **لاله مجهول !!** فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أناذى لكم به - الاله الذي خلق العالم وكل ما فيه هذا ، هو رب السماء والأرض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيدى ، ولا يخدم بأيادى الناس كأنه محتاج الى شيء - اذ هو يعطى الجميع حياة ونفسا وكل شيء ، **وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون كل وجه الأرض .** وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مسكنهم ، لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه - مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيدا » (٣) .

لقد نجحت رسالة المحبة بين التلاميذ ...

ثم أشاعها دعاة المسيحية في مختلف الأقطار وبين شتى الأقوام .

« يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى بن مريم للحواريين : من أنصاري الى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله -

(١) أعمال ٦ : ٩ ، ٧ : ٢١ ، ١١ : ١ ، ١٨ : ٤

(٢) أعمال ١٣ : ٤٤ - ٤٩

(٣) أعمال ١٧ : ٢٢ - ٢٧

فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على
عدوهم فأصبحوا ظاهرين ، (١) .

أما بنو اسرائيل فقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت
عليهم عقولهم وأنفسهم ، فانطوا لا يريدون أن يفتحوا نافذة على شيء
خارج الهيكل والطقوس ، أو خارج حروف الناموس . . .

وغلت صدورهم بالحقد ، وعجزت ألسنتهم عن البرهان . . . فلم
يكن متنفس لسخائمهم الا في العدوان !

وكان المسيح نفسه - موقنا من مصيره على أيدي القتل والسفاكين،
الذين تعددت سوابق جرائمهم مع الأنبياء والمرسلين . . .

ولكنه كان يذوب شفقة على اورشليم ، وان كان أهلها قد تربصوا
به الشر : « وفيما هو يقترب نظر الى المدينة وبكى عليها قائلاً : انك لو
علمت أنت أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك ؟ ولكن الآن قد أخفى
عن عينيك ! فانه ستأتي أيام ، ويحيط بك أعداؤك بمتروسة ويحذقون
بك ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك - ونيبك فيك - ولا يتركون
فيك حجراً على حجر لأنك لم تعرفي زمن افتقارك » (٢) .

وهو موقف يذكر بشبيهه لرسول الاسلام وهو يودع مكة مهاجراً
فيقول : « الله يعلم أنك أحب بلاد الله الى الله ، وأحب بلاد الله الى ، ولولا
أن قومك أخرجوني ما خرجت ! » (٣) .

أما وقائع التاريخ فتتحدث عن تدمير تيطس لأورشليم سنة ٧٠ م ،
وتتناول اصطدامات للرومان مع اليهود سابقة ولاحقة . . .

يقول الدكتور حتى : « عومل اليهود منذ عهد بومبي كجماعة
متميزة ، فكانوا في عهد الأباطرة معفون من الخدمة في الجيش ومن الطقوس
الواجبة نحو الامبراطور ، وكانوا بممارستهم سياسة الانطواء والعزلة
يغذون شعورهم القومي . وأدى هذا الى اصطدامات اتسعت فأصبحت
ثورة قومية بين سنتي ٦٦ ، ٧٠ م في عهد نيرون ، وبين سنتي ١٣٢ ،
١٣٤ م تحت حكم هادريان . وقد عهد نيرون بمهمة قمع الثورة الأولى الى
الجنرال ربيما »

(١) الصف ١٤

(٢) انظر : تاريخ اليهود : ١٤٤

(٣) لو ١٩ : ٤٤ - ٤٤

(٣) أحمد والترمذي والواقدي - (روى ذلك فنسك في : مفتاح كنوز السنة)

قائده فسباسيان الذى أخضع سنة ٦٧ - ٦٨ م منطقة الريف والحصون المنعزلة ودمر يافا وغيرها من المدن ، وحين كان على وشك محاصرة اورشليم توفى نيرون وتولى هو العرش ، فعهد بانهاء المهمة الحربية الى ابنه تيطس الذى شدد الحصار على اورشليم خمسة شهور انتهت فى أيلول سنة ٧٠ م ويمكننا الحصول على مصير المحاصرين المفجع من وصف ميثاق متبادل بين اليهود تعهدوا فيه بإبادة أنفسهم حين كان الجنود الرومان يفتحون المدينة ٠٠٠ لقد هدمت المدينة ، وأحرق المعبد المزخرف الذى بناه هيرودس ، وقدر أن مليون يهودى قد هلكوا فى هذه الحرب ، وأجبر كثير من الأسرى على أن يقاتل الواحد الآخر أو يقاتلوا ضد الحيوانات المفترسة ، وهكذا أضيف فصل روماني فى تاريخ تفرق اليهود الى الفصول الأشورية الكلدانية ٠٠٠ أما بخصوص الديانة اليهودية ، فقد انحطت بانحطاط أتباعها ، ولم يكن أساسها القومى الضيق وبعض مظاهر طقوسها مناسبة لانتشارها ، وفشلت جميع محاولات العلماء اليهود ابتداء من فيلون الاسكندرى (زهاء عام ٤٠ م) لتقربها الى العقلية اليونانية الرومانية . وتعرض اليهود لقصة موت أخرى حين رفع راية الثورة اليهودية من سنة ١٣٢ م الى سنة ١٣٥ م قائد غامض يسمى سيمون باركوخيا ، وقد سحق هادريان الثورة وحول اورشليم الى مستعمرة رومانية باسم Aelia Capitolina وأبدل المعبد القديم بمعبد الاله Jupiter Capitolinus ويقدر ديو عدد القرى التى دمرت بـ ٩٨٥ قرية ، وعدد القتلى من السكان بـ ٨٥٠٠٠ ، (١) .

وقد أعد المسيح تلاميذه للصبر على الأذى : « ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب ، فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمم ، ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم الى مجالس وفى مجامعهم يجلدونكم ! وتسلبون أمام ولاية وملوك من أجل - شهادة لهم وللأمم . فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون ، لأنكم تعطون فى تلك الساعة ماتتكمون به - لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم . وسيسلم الأخ أخاه الى الموت والأب ولده ، ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم . وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى ٠٠٠ ولكن الذى يصبر الى المنتهى يخلص ، ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا الى الأخرى ، فانى الحق أقول لكم : لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن لانسان ٠٠ ليس التلميذ أفضل من المعلم ، ولا العبد أفضل من سيده ٠٠٠

(١) حتى : تاريخ سوريا ج ٢ - ترجمة حداد ورافق ص ٣٧٥ : ٣٧٧

ان كانوا قد لقبسوا رب البيت بعزلبول فكم بالحرى أهل بيته ؟
فلا تخافوهم ، لأن ليس مكتوم لن يستعلن وخفى لن يعرف . **الذى أقوله
فى الظلمة قولوه فى النور ، والذى تسمونه فى الأذن نادوا به على
السطوح !** ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ، ولكن النفس لا يقدر
أن يقتلها ، بل خافوا بالحري من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد
كليهما فى جهنم وأما أنتم ، فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة -
فلا تخافوا ، فكل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام
أبى الذى فى السموات ، ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضا
قدام أبى الذى فى السموات . . .

لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض ! ما جئت لألقى سلاما ،
بل سيفا !! فانى جئت لأفرق الانسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ،
والكنة ضد حمايتها ! وأعداء الانسان أهل بيته ، من أحب أبا أو أما
أكثر منى فلا يستحقنى ، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى . . .
من وجد حياته يضيعها ، ومن أضاع حياته من أجل يَجدها ! من يقبلكم
يقبلنى ، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى ! من يقبل نبيا باسم نبى
فأجر نبى يأخذ ، ومن يقبل بارا باسم بار فأجر بار يأخذ (١) .

اعداد صريح لجهاد مرير . . .

ان العقائد ليست مسألة خوارق ومعجزات تظفر باعجاب الحاضرين،
ثم يأتى الانقياد والتسليم . . . انها ليست مسرحيات حواة ، انها تغيير
وجهة واختيار قبلة !

« لو كان عرضا قريبا ، وسفرا قاصدا لاتبعوك . . . ولكن بعدت
عليهم الشقة ، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم
والله يعلم انهم لكاذبون » ، « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ، ولتسمعن
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وان
تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور » ، « أم حسبتم أن تتركوا ،
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة ، والله خبير بما تعملون » ، « قل ان أبائكم
وأبنائكم ، وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة
تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها - أحب اليكم من الله ورسوله ،

(١) مت ١٠ : ١٦ - ٤١ ، مر ٨ : ٣٤ - ٣٥ ، لو ٩ : ٢٣ - ٢٤

وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين ، (١) •

ان المسيح لا يلقى سلاما فحسب ، بل سيفا أيضا ••• فدعوته سيف قاطع يفرق بين الحق والباطل ! دعوته تكشف أستار المرائين ، وتهتك حجب الأدعياء ، وتذهب برهبة الظالمين من قلوب المظلومين ، فلا تسكنها الا خشية الواحد القهار !! ومن الطبيعى أن يثور على هذه الدعوة المراءون والأدعياء ، ومن الطبيعى أن يثور عليها الظلمة والطغاة ••• ولسوف تسرع السيوف ضد دعاة المحبة الذين لم يحملوا سيفا ولا عصا !! لقد كانت كلمات المسيح وتعاليمه وحدها سـيـوفا بواتر انتضيت لاتقائها سيوف الحديد !!! وقد قدم يوحنا المعمدان فاتحة التضحيات فى الكفاح الدامى كما قدم بشارة الرسالة الجديدة : « وتقدم تلاميذه ورفعوا الجسد ودفنوه ، ثم أتوا وأخبروا يسوع • فلما سمع يسوع ، انصرف من هناك فى سفينته الى موضع خلاء منفردا ••• فسمع الجموع وتبعوه مشاة من المدن » (٢) •

وعندما طلبت أم ابنى زبدى من المسيح أن يجلس ابنها على جانبه فى ملكوته ، أشار داعية الحب والسلام الى المصير المحتوم : « فأجاب يسوع وقال : لستما تعلمان ما تطلبان ! أتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف أشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا ؟؟ قال له : نستطيع ! فقال لهما : أما كأسى فتشربانها ، وبالصبغة التى أصطبغ بها أنا تصطبغان ••• وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه الا للذين أعد لهم من أبى (٣) » !

وترك المسيح لتلاميذه فى نبوءاته بشرى الامل فى خلال خطوب المحن : « حينئذ يسلمونكم الى ضيق ويقتلونكم ، وتكونون مبغضين من جميع الامم لأجل اسمى ، وحينئذ يعثر كثيرون ويبغضون بعضهم بعضا ، ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين ، ولكثرة الاثم تبرد محبة الكثيرين ••• ولكن الذى يصبر الى المنتهى - فهذا يخلص ، ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شهادة لجميع الامم ، ثم يأتى المنتهى » ! « فمتى ساقوكم ليسلموكم ، فلا تفتنوا من قبل بما تتكلمون ولا تهتموا ، بل مهما أعطيتكم فى تلك الساعة فبذلك تكلموا - لان لستم أنتم المتكلمين،

(١) التوبة ٤٢ ، آل عمران ١٨٦ ، التوبة ١٦ ، ٢٤

(٢) مت ١٤ : ١٢ - ١٣ ، مر ٦ : ٣٠ - ٣١ ، لو ٩ : ١٠ - ١١

(٣) مت ٢٠ : ٢٢ - ٢٤ ، مر ١٠ : ٣٨ - ٤٠

بل الروح القدس! «لانى أنا أعطيتكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها . . . ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك ، بصبركم اقتنوا أنفسكم (١) » .

ويختتم المسيح حياته بجلسة محبة مع أحبائه وأصفيائه وحوارييه . . . يتناول معهم (العشاء الوداعى الاخير) « شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم . . . انتم الذين ثبتتم معى فى تجاربي » !

« ان (الفصح اليهودى) رمز الى قرب خلاص اسرائيل . . . وجاء (الفصح المسيحى) يرمز الى خلاص أعظم . . . يقول بولس : (الرب يسوع هو الذى فى تلك الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزا وبعد أن شكر كسر وأعطى تلاميذه قائلا : خذوا كلوا ، هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم فاصغوا هذا لذكرى ! وعلى مثال ذلك بعد العشاء أخذ الكأس وبعد أن شكر أعطاها لهم قائلا : اشربوا من هذا كلكم فان هذا دمي لعهد جديد ، فاصنعوا هذا لذكرى كلما شربتم منه !) وكل المسيحيين يرون فى سر (العشاء الربانى) شعارا (للشركة المسيحية) وذكرى دائمة لمن مات عن خطاياهم . وكثرة المسيحيين يرون فيه مهما اختلفت مصطلحاتهم وأساليب تعبيرهم وسيلة لانسياب حياة المسيح فى حياة البشر ، وتقوية وانعاش نفوسنا بجسد ودم المسيح كما تقوى وتنتعش أجسادنا بالخبز والخمر (٢) » !

ومع هذا الحب العميق الذى جمع بين المسيح وصحبه ، أخذ المعلم يسمع من تلاميذه كلمات تعبر عن مطالب صبيانية عن عالم الدنيا . . . فى حين كان المسيح يودع هذه الدنيا كلها !!

ورأى المعلم بعينه تنازع تلاميذه عمن يكون الأعظم بينهم . . . وهكذا كان آخر عهده بهم قبل أن يفارقهم !!

واخيرا كان ينازع الألم وهم يغطون فى النوم ، والأعجب أن يقول لهم أخيرا « ان كلكم تشكون فى هذه الليلة . . . لانه مكتوب : انى أضرب الراعى فتبدد الخراف » !!

ومع ذلك لا ينسى المسيح فى آخر عهده بالدنيا أن يثبت تلاميذه على طريق الحق ، ويجعل من نفسه سلفا وقدوة : « ان كان العالم يبغضكم

(١) مت ٢٤ : ٩ - ٥١ ، مر ١٣ : ٩ - ١٣ ، لو ٢١ : ١٢ - ٢٠

(٢) بترسون سمت : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ٣٠٢

فاعلموا انه قد أبغضنى قبلكم • لو كنتم من العالم ، لكان العالم يحب خاصته ، ولكن لانكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم ، لذلك يبغضكم العالم •• ان كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم ••• قد كلمتكم بهذا لكيلا تعثروا : سيخرجونكم من المجمع ، بل تأتى ساعة يظن كل من يقتلكم انه يؤدى خدمة لله ! •••• وأما الآن فأنا ماض الى الذى أرسلى •••• لكنى أقول لكم الحق : انه خير لكم أن أنطلق ، لانه ان لم أنطلق لا يأتىكم المعزى ، ولكن ان ذهبت أرسله اليكم ، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية ، وعلى بر ، وعلى دينونة » ، « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق - فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا - لانكم معى فى الابتداء(١) » •

« •••• وعلى الله فليتوكل المؤمنون • ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ، ولنصبرن على ما آذيتمونا ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون • وقال الذين كفروا لرسلمهم : لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا ، فأوحى اليهم ربهم : لنهلكن الظالمين • ولنسكننكم الارض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد • واستفتحوا ، وخاب كل جبار عنيد ••• مثل الذين كفروا بربهم ، أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ، لا يقدرن مما كسبوا على شيء ، ذلك هو الضلال البعيد ••• وبرزوا لله جميعا ، فقال الضعفاء للذين استكبروا : انا كنا لكم تبعا ، فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا : لو هدانا الله لهديناكم ، سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص ! ••• ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون • ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار • يشبث الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء(٢) » •



« والمحك الذى تختبر به النفس العظيمة هو قدرتهما على مجابهة الفشل »

هكذا يقرر بترسون سمث فى (سيرته الشعبية عن المسيح) ، وهو

(١) يو ١٥ : ١٨ - ٢٧ ، ١٦ : ١ - ١١

(٢) ابراهيم ١١ : ١٥ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٤ : ٢٧

يضيف « ولقد وقف المسيح هنا موقف الثقة الاكيدة ليس لانه كان الها بل لانه كان انسانا يسير فى طريق الواجب ويوكل كل شىء الى الآب .
والنفس العظيمة هى التى تلقى الفشل هادئة مطمئنة وتسير فى طريقها الى الموت تاركة النتائج لله (١) » .

وكان لا بد أن تصطرع السيوف مع المنطق والايمان . . . وثبت المسيح فى الجولة متذرعا بمثله الانسانية الرفيعة « واذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه ، وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه . فقال له يسوع : رد سيفك الى مكانه ، لان كل الذين يأخذون السيف ، بالسيف يهلكون ! أتظن انى لا أستطيع الآن أن أطلب الى أبى ، فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة ، فكيف تكمل الكتب : انه هكذا ينبغي أن يكون !؟ » فقال يسوع لبطرس : اجعل سيفك فى الغمد ، الكأس التى أعطانى الآب ، أنا أشربها ! « وضرب واحد منهم عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى ! فأجاب يسوع وقال : دعوا الى هذا - ولمس أذنه وأبرأها (٢) » .

فى تلك اللحظات التاريخية الحاسمة : « جثا على ركبتيه وصلى ، قائلا : يا أبتاه ان شئت أن تجيز عني هذه الكأس ! ولكن لتكن لا ارادتى بل ارادتك - وظهر له ملاك من السماء يقويه . واذا كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض (٣) » !!

وقبض على المسيح بخيانة يهوذا

« قيل ان الطمع قد تملكه فأسلم سيده لقاء ثلاثين قطعة من الفضة والحق ان (يهوذا) لم يكن مجرد محب للمال ساع اليه ، ولثلاث سنوات خلت كان شابا يهوديا تقيا نابها ، شغف بدينه وكبرت آماله فى (المسيا المنتظر) ، وترك كل شىء وتبع المسيح واستمر يسير معه بعد ما تركه الآخرون ولم يعودوا يتبعونه وأكبر الظن ان مطامعه كانت فى أمان خابت وملأت خيبتها قلبه مرارة ، ساقته الى (النفرة) من المسيح (فالعداوة) له ثم (الخيانة) لقد ظن القوم أن يسوع جاء ليشيد دعائم (ملك أرضى) ، فطمحت نفس يهوذا كما طمح يعقوب ويوحنا الى مرتبة عليا فى هذا الملك ، ولكن خاب فأله ! وأستطيع أن أتخيل ذلك (اليهودى)

(١) بترسون سمث : حياة يسوع - ترجمة حبيب سعيد ص ٢١٤

(٢) مت ٢٦ : ٥١ - ٥٤ ، يو ١٨ : ١١ ، لو ٢٢ : ٥٠ - ٥١

(٣) لو ٢٢ : ٤١ - ٤٤

غريبا وسط الزمرة (الجليلية) من اخوانه فتمتلىء نفسه غيرة وحسدا منهم وهو يراهم يفضلون عليه ٠٠٠ وجاء موكب المسيح الشعبى فى (أحد السعف) وتصاعدت الهتافات (ملك اسرائيل الآتى باسم الرب) ، ولكن يسوع لم يفعل شيئا وترك نار الحماس تخبو ، وكان زعيم تلك الجماهير الحاشدة الصاخبة مستطيعا لو أراد اجلاء الرومان عن اورشليم ، ولكن وجهه لم ينم عن فرحة وكبرياء وارتسمت على محياه امارات الاشفاق والعطف كأنه ينظر الى أطفال ٠٠٠ وتخلى المسيح عن الفرصة السانحة فى نظر القوم ، ثم تحدى الكهنوت اليهودى علانية ، وشعر كثيرون بالحيرة ، ولكن شعور (يهوذا) بلغ حد المرارة ، وكأنه قد أضاع سنين هباء فى خدمة قضية عقيمة ، ولفحته نار الكره والحقده على من أقام عليه صرح أحلامه فخيب كل آماله (١) ، !! .

وقد ندم يهوذا أخيرا على فعلته الشنعاء ٠٠٠ وضاعت عليه نفسه ، فشنى نفسه !!



« فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه ، أجابه يسوع : أنا كلمت العالم علانية ! أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما ، وفى الخفاء لم أتكلم بشيء . لماذا تسألنى أنا ؟ اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم ، هوذا يعرفون ماذا قلت أنا ٠٠٠ » (٢)

وجرت محاكمة رسول المحبة أمام محفل اليهود من رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ ، الذين اجتمعوا فى بيت قيافا ليصدروا حكما بالاعدام- سبق لهم أن أصدروه مرات !!

« على ان (قيافا) ، وان كان هو الرئيس رسميا ، الا انه كان رئيسا بالاسم . وأما رئيس الامة الفعلى فكان (حنان) حماء الحبر الداهية ، الذى وان عزلته السلطات الرومانية منذ زمن بعيد عن رئاسة الكهنوت - الا

(١) بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ٢٨٧ : ٢٨٩ ، ٢٩٧ .
 ٢٩٨ ، ٣١٢ ويرى جورج مائيسون أيضا ان روح الغيرة كانت تدفع يهوذا أكثر من الطمع ص ١١٢ : ١١٥ ح ٢ ترجمة دكتور عزت زكى - أنظر أيضا فى النزوع لملك أرضى جورج مائيسون : دراسات فى صور من حياة المسيح ترجمة دكتور عزت زكى ص ١٨٢ : ١٨٣ .
 ٢٤٦ ، ستيفن نيل : من هو المسيح ترجمة ابراهيم مطر ص ٣٠
 (٢) يو ١٨ : ١٩ - ١٢

انه كان يتمتع بتلك الرئاسة ، وبجميع سلطاته لنفوذه الكبير عند سائر أبناء أمته ، التي أخذ يهيمن على شئونها السياسية والدينية العليا عن طريق أبنائه الخمسة الذين تولوا من بعده وعلى التتابع رئاسة الكهنوت ، حتى آلت تلك الرئاسة الى قيافا صهره وقد وجهت الدعوة فى هذه المناسبة ولا شك لهؤلاء الاعضاء الذين عرفوا بمناوأتهم الشديدة وعدائهم السافر ليسوع ، أما الاعضاء الذين كانوا يخشى معارضتهم - أمثال الراىى جملثيل والراىى نيقوذيموس - فلم توجه اليهم الدعوة لحضور الجلسة الليلية ، بل الغالب انها لم توجه اليهم أيضا الدعوة لحضور الجلسة الصباحية ، لعدم توفر الشروط القانونية فى كلا الجلستين . فمن هذه الشروط مثلا : أن لا ينظر فى أية دعوى ليلا ، ولا سيما الدعاوى الجسيمة التى قد يترتب عليها الحكم بالقتل ، وقد جاء فى كتاب التلمود : (يصير الحكم لاغيا اذا أصدره السندريم فى الليل) ، وأيضا حكم الاعدام لا يصح اذا صدر فى اليوم نفسه الذى نظرت فيه الدعوى . ومن ذلك يتضح أن محاكمة يسوع أمام محفل اليهود الاكبر كانت غير قانونية وباطلة من عدة وجوه : أولا لان أعضاء هذا المحفل قد اجتمعوا فى قصر قيافا فى حين أن المكان المعد لاجتماعات المحفل هو (قاعة الحجارة المنحوتة) الملاصقة للهيكل ، وقد اجتمعوا فى بيت قيافا كما لا يخفى فرارا من اشاعة الخبر قبل اصدار حكمهم المبرم وظهور من يعرقل مؤامرتهم الخسيسة ، ولاسيما انهم خشوا مضايقة السلطات الرومانية الحاكمة التى كانت قد حظرت على السندريم منذ أكثر من أربع سنوات اصدار أى حكم بالاعدام - محتفظة بهذا الحق لنفسها(١) . »

واذا كانت المحاكمة باطلة شكلا لهذه الأسباب ، فهى باطلة موضوعا لان أساس الاتهام والتجريم هو العجب العجيب !!!

وقد مضى اليهود فى مهزلتهم الى الغاية ، فقال رئيس الكهنة : « لقد جدف ، فما حاجتنا بعد الى شهود ؟ ها أنكم قد سمعتم تجديفه ، فماذا ترون ؟؟ أجابوا : انه يستوجب الموت !! » .

وأصدر اليهود الحكم ، وألقوا على الرومان عبء التنفيذ !!!

« ثم دخل بيلاطس الى دار الولاية ودعا يسوع وقال له انت ملك اليهود ! أجاب يسوع مملكتى ليست من هذا العالم لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم لليهود(٢) »

(١) لويس برسوم . حياة يسوع المسيح ج ٢ ص ٢٠٠ ، ٢٠٦ - ٧

(٢) يو ١٨ : ٢٣ - ٦

وكان اليهود كشأنهم - متحرزين مدققين فى الطقوس والمراسم :
« جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية - وكان صبح ، ولم يدخلوا
هم الى دار الولاية لكى لايتنجسوا فيأكلون الفصح !!!... فخرج بيلاطس
اليهم وقال : أية شكاية تقدمون على هذا الانسان ؟ أجابوا وقالوا له : لو
لم يكن فاعل شر لما كنا سلمناه اليك ! فقال لهم بيلاطس : خذوه أنتم
واحكموا عليه حسب ناموسكم ... فقال له اليهود : لا يجوز لنا أن نقتل
أحدا ؟؟؟ » (١)

« وانه لهين أن تقول انه كان واجبا على (بيلاطس) أن يتجاهلهم ،
ولكن هذا التصرف كان يتطلب شجاعة . وكان أخوف ما تخافه الحكومة
الرومانية قيام أية دعاية عن (المسيح) فى فلسطين فقد كلفهم هذا كثيرا
من قبل . ورأى بيلاطس بعينى فكره مآل الاسر لو رفعت هذه القضية أمام
طبريوس قيصر الذى لم يكن هو من محاسيبه ، فان هذا الانسان قد
اعترف علنا أمام منصة القضاء بأنه (المسيح) والشعب اليهودى يعتبر
هذا بمثابة ثورة وعصيان ... ومع ذلك نرى رأى بيلاطس الشخصى فى
المتهم حين يلوح لليهود باطلاق سراحه بمناسبة عيدهم ... حاول أن
يتخلص من هذه القضية الشائكة باحالتها الى هيرودس بحكم الاختصاص
الاقليمى . ولكن هيرودس صاحب التجربة الأليمة مع يوحنا المعمدان أعاد
القضية وصاحبها بالتالى الى بيلاطس (٢) ، وقد تحدث لـ بـ . كوين أستاذ
التاريخ الحديث بجامعة ليفربول عن وثيقة تنسب الى بيلاطس محاولات
يائسة لانقاذ المسيح وتذكر أنه كتب الى القيصر طبريوس فى ذلك . وهذه
الوثيقة هى موضع شك عند الفاتيكان (٣) .

ويخرج المسيح من هذه الدنيا ، ويأتى بعد ذلك (ارانيوس) أسقف
ليون بفرنسا ليتحدث : كيف دخل المسيح عالم الموتى وكرز لأنفس
الراجلين ، فنال غفران الخطايا كل من علق الرجاء عليه وخضع لأحكامه
وتعاليمه ! ومثل هذا يقرره اكليمندوس الاسكندرى الذى ولد بعد موت
يوحنا بخمسين سنة ، ويرى ان أرواح الرسل قامت بنفس المهمة عقب
انسلاخها من الجسد ، وأن (الكرازة) ليس لليهود والقديسين فحسب بل
للوثنيين أيضا . ثم يمضى أوريجانوس فى الطريق فيؤيد ما ذهب اليه
أستاذه اكليمندوس . ونحى هذا المنحى فى افريقية الغربية ترتوليانوس

(١) يو ١٨ : ٢٨ - ٣١

(٢) بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ٣١٦ - ٧

(٣) محمود نفاع : الصهيونية فى الستيات ص ٤٤

كما كان يعلم به الاسقف كيرلس فى اورشليم . . . وهكذا يواصل المسيح رسالته ويبدى للناس محبته وحرصه على خيرهم حتى بالنسبة للذين لم يروا وجهه قط . . . فى نظر هؤلاء المعلمين !! وقد تؤول عبارة لبطرس لتأييد ذلك يقول فيها « فانه لأجل هذا بشر الموتى (١ بط ٣ : ١٨ » (١) . . . والحق أن لفظ (الموتى) هنا قد يكون اشارة بليغة عميقة الى (موتى الاحياء) !!

« ومكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين . اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ، ومطهرك من الذين كفروا ، وجاعل الذين أتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ، ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون . فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة ، وما لهم من ناصرين . وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفىهم أجورهم ، والله لا يحب الظالمين . ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم (٢) » .

(١) بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ٢٢٨ - ٩ .

(٢) آل عمران : ٥٤ - ٥٧ .

اليهود ... ودم المسيح

فى ٨ من نوفمبر ١٩٦٣ وزع المكتب الصحفى فى الفاتيكان بياناً على أعضاء (المجلس المسكونى المقدس) للكنيسة الكاثوليكية الرومانية فى دورته الثانية .

وقد سبق أن عقدت الكنيسة مؤتمرات عديدة ، وتتابعت المجامع الكنسية فى العصور الوسطى لبحث بعض المسائل اللاهوتية عن طبيعة المسيح ، واللاهوت والناسوت ، والارادة الخ وشيئاً فشيئاً حدث الانقسام بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما ، ثم بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة الاسكندرية .

واشترك الارثوذكس فى مؤتمرات الكنيسة مع الكاثوليك الى أن وقع الخلاف . . . ثم أخرجت صيحة لوثر فريقاً آخر من الولاء للكنيسة الكاثوليكية . . .

وكان أول مؤتمر عقد بالفاتيكان بعد هذه الظروف سنة ١٨٦٩ . وجاء المؤتمر الثانى سنة ١٩٦٢ : واستغرقت دورته الاولى من اكتوبر الى ديسمبر سنة ١٩٦٢ ، وانعقدت دورته الثانية فى سبتمبر ١٩٦٣ ، ودورته الثالثة فى سبتمبر ١٩٦٤ ، واستمرت حتى نوفمبر ١٩٦٤ . وقد شارك فى أعمال المؤتمر ٢٢٠٠ كاردينالاً .

هذا عن مؤتمر المجلس المسكونى . . . فماذا عن البيان ؟؟

لقد تضمن البيان (مشروع وثيقة) تقدم بها الكردينال الالماني (اغسطس بيا) ويبلغ من العمر ٨٣ عاماً ، وقد درس فى جامعات هولندا والنمسا وألمانيا ، وتخصص فى اللاهوت والدراسات العبرية وزار ديار الشام ومصر ورسم كاردينالاً فى عهد البابا يوحنا الثالث والعشرين ، وهو من اليسوعيين (الجيزويت) ، ويقال انه صاحب الاشارة بتعديل ما ورد فى (صلاة الاحاء) من أن اليهود هم الشعب العاصى ! وقد اختاره البابا يوحنا الثالث والعشرون على رأس (جهاز السكرتارية) الذى أنشأه

لبحث (الوحدة المسيحية) ، فلعب دورا بارزا فى تهيئة سبل اللقاء بين البابا وبين أقطاب الكنائس المسيحية الأخرى ، وبخاصة الدكتور جيوفرى فيشر أسقف كانتريرى البريطانى فى عام ١٩٦٠ .

وخرج (الكردينال بيا) على العالم (بمشروع وثيقة) تنزع الى تبرئة اليهود من دم المسيح وتحميل البشرية جمعا هذه المسؤولية . ذلك أن بيانا يرى أن مصدر العداء ضد السامية (أو النزعة اللاسامية) يكمن فى نظرة (الكاثوليكية) الى اليهود . وهو بذلك يحمل (الكنيسة) بطريقة غير مباشرة مسؤولية ما تعرض له اليهود من (النازية) ، ويقال انه اعتكف خلال الحرب العالمية الثانية لهذا السبب !! ويمكن القضاء على هذا العداء فى نظر الكردينال الالماني بتغير نظرة الكاثوليكية لليهود ، وهذا هو ما توخاه فى مشروعه الذى قدمه الى (المجلس المسكوني) ليتبناه !! (١)

ويشير المشروع الى اعتقاد المسيحيين بأن جذور الكنيسة تمتد الى (العهد) الذى أقامه الله مع ابراهيم ونسله ، وانه بمجيء السيد المسيح وهو من نسل ابراهيم بحسب الجسد امتدت مراحم الله التى كانت للشعب المختار الى العالم بأسره .

وتناول المشروع نقطة أخرى هى أن مسؤولية (موت المسيح) تقع على « النوع الانسانى الواقع تحت الخطيئة » ، وهذا هو التعليم الواضح الثابت فى (العهد الجديد) والذى رددته جميع آباء الكنيسة وعلمائها الكبار ، ويقوم على أن المسيح قد مات ليكفر عن خطايا كل انسان . فالمسؤولية التى دفعت قادة اليهود لا يبرأ من تبعتها النوع الانسانى كله ، كما أن جريمة هؤلاء القادة جريمة شخصية لا يؤخذ بجريرتها الشعب اليهودى كله فى ذلك الزمان أو فى أى زمان لاحق .

وألقى الكردينال (اغسطس بيا) صاحب مشروع الوثيقة كلمة فى الدورة الثانية لاجتماع المجمع المسكونى الثانى قدم فيها مشروعه فقال : ان البابا الراحل يوحنا الثالث والعشرين هو صاحب الاقتراح ، لكن اللجنة التحضيرية لم تتمكن من بحثه فى يونيو ١٩٦٢ بسبب بعض الظروف السياسية غير المواتية فى ذلك الحين . وقال : ان المشروع وضع على أساس أنه مشكلة دينية بحتة لا علاقة لها بآية مسألة قومية او سياسية ، وبخاصة موضوع اعتراف الكرسي البابوى باسرائيل . وأناما يتناول المشروع النواحي المشتركة بين الكنيسة الكاثوليكية والشعب

(١) جريدة الاهرام (ملحق الجمعة) ١٩٦٤/١٠/٢ ، ١٩٦٤/١١/٢٠

اليهودى ، اذ الكنيسة استطراد لشعب اسرائيل المختار ، كذلك لا يتعلق الامر باثارة الشك فى ما ذكرته الكتب المقدسة عن الحكم الظالم على المسيح البرىء وانما يتعلق بانه لا ينبغى أن ينسب الى جميع الشعب اليهودى ما ارتكبه بعض أفرادہ . ويشير الكاردينال الى ما دعا الى وجوب بحث هذه المسألة وهو سيطرة العداء لليهودية منذ عشرات السنين فى بعض المناطق واتخاذ صورة اجرامية كما حدث فى ألمانيا فى ابان حكم النازى . ويصل الى أن على المسيحيين أن يتخذوا ازاء اليهود نفس الموقف الذى اتخذه المسيح وتلاميذه .

هذا هو البيان ويقال انه بينما حرص النص العربى على أن يتضمن النفى لان يكون مشروع الوثيقة مقدمة لاعتراف الفاتيكان باسرائيل ، فان النص الانجليزى قد خلا من هذا التحفظ !

والاتجاه الى تعاون أهل الاديان بصفة عامة ، وتعاون المسيحيين واليهود بوجه خاص ، قد وضع من قبل فى كثير من أهداف الجماعات والمؤتمرات

ومن قبل سلطت الاضواء بقوة على مسرحية الكاتب الالمانى البروتستنتى الشاب رولف هوشهدت التى كانت تنتقد بمرارة سكوت البابا بيوس الثانى عشر على جرائم النازى ضد آلهود !

وفشل مشروع الوثيقة فى الحصول على الاصوات الكافية لتقرير مبدأ مناقشته فى الدورة الثانية للمجمع المسكونى سنة ١٩٦٣ ، واقرعت ضده أغلبية ساحقة قيل انها بلغت ٩٦٪ من مجموع الاصوات فى الاقتراع (١) .

ولكن عاد المشروع مرة أخرى الى الظهور بعد تعديل يسير فى الصياغة عند انعقاد الدورة الثالثة للمجمع

وأصدر (المؤتمر القومى للكنيسة الأسقفية البروتستنتية فى أمريكا) بياناً يؤيد فيه مشروع الوثيقة بينما تلقى المشروع معارضة فن أساقفة آخرين وبخاصة من الاساقفة الشرقيين .

وبين المد والجزر تدخل مجلس (الكوريا) - الجهاز الادارى الأعلى للكنيسة الكاثوليكية الذى يشرف عليه البابا شخصيا - لايقاف بحث هذا المشروع المدرج فى جدول الاعمال حرصا على تدعيم الوحدة المسيحية ،

(١) محمود نعاة . الصهيونية فى الستينات ص ١٥ : ٢٩

وقد تمت اقتراحات لقصر المشروع على (طبيعة الكنيسة) أو على الموقف
الانسانى للمسيحية من أهل الاديان الاخرى بوجه عام .

ولكن جهودا مضادة بذلت ، واستجاب البابا لالتماس جديد بنظر
المشروع وانتهى الأمر الى اقرار المشروع فى قراءة أولى (١) .

أما وجهة نظر الكنائس الشرقية فقد أوضحها أحد كبار رجال الدين
الشرقيين فى كلمة ألقاها فى المجمع المسكونى فى ١١/٨/١٩٦٣ جاء فيها:
« ان مسألة اليهود ومسألة الحرية الدينية قد أثرتا فى وقت غير مناسب
وفى غير مكانهما . وان المجمع المسكونى يهتم أولا بالكاثوليك ولا يتناول
سائر المسيحيين الا بطريقة غير مباشرة ، أما بالنسبة لسائر الأديان فهو
لا يتعرض لها الا بصفة عارضة ودون تمييز بينها ، وتعلم السكرتارية انها
قد شكلت من أجل وحدة المسيحيين فقط . وان قرارا من هذا النوع قد
يؤدى فى مناطق كثيرة الى الحاق الأذى بالمسيحيين على حساب المصالح
العامة للكنيسة الكاثوليكية... وبالرغم من ان المجمع المسكونى باصداره
مثل هذا القرار قد يكون مدفوعا بدوافع روحانية الا أن نوايا آباء المجمع
المقدس المحترمين سوف لا تفهم على حقيقتها أو يساء تأويلها بدافع من
المصلحة أو المناورات بسبب الظروف الحالية للسياسة وذلك على حساب
المسيحيين الذين يجب أن يحتلوا المقام الاول من اهتمامنا . ومن جهة
أخرى فان التفسيرات التى أعطيت مؤخرا سواء باللغة العربية أو بلغات
أخرى لا تكفى لتجنب هذه الاخطار » .

وقد عقد القمص باخوم المحرقى مندوب الكنيسة القبطية
الارثوذكسية فى الدورة الثانية للمجمع مؤتمر صحفيا بمقر البطريركية
بالقاهرة فى ١٩/١٢/١٩٦٣ تحدث فيه عن جهود ممثل الكنيسة داخل
المجمع وخارجه لاسقاط مشروع الوثيقة وحذفها من جدول الاعمال .
وذكر ان الوفد القبطى أعلن فى كلمته أمام المجمع انه ينبغى عند بحث
الديانات غير المسيحية أن يمثل الاسلام مكان الصدارة بينها لان الاسلام
أقرب الديانات الى المسيحية (٢) .

وفى أثناء الدورة الثانية ألقى مندوب الكنيسة القبطية الارثوذكسية
القس مرقس عبد المسيح فى الاجتماع الذى تعقده السكرتارية اسبوعيا

(١) الاهرام فى ١٣ ، ١٤ ، ١٥ - ١٦ اكتوبر ١٩٦٤

(٢) محمود نعاة : الصهيونية فى الستينات ص ٢٩ - ٣٠ ، ٤٠ - ١

للمراقبين - وكان يحضر الاجتماع معهم مائة من أساقفة الكنائس غير الكاثوليكية - كلمة ذكر فيها بما يلي :

● ان الوضع السياسى فى الشرق الاوسط يبلغ من شدة توتره حدا يؤدى بما لا يدع مجالا للشك الى سوء فهم لهذه الوثيقة وسوء تفسيرها .

● والتجارب السابقة فى مثل هذه المواقف تمكننا جميعا من التنبؤ بمدى الكسب السياسى الذى ستجنيه اسرائيل نتيجة صدور هذه الوثيقة حتى وان قررت بوضوح ان هدف المجلس روحى ودينى بحت .

● وقد أشار بعض آباء الكنائس الكاثوليكية الى ما سوف تخلقه هذه الوثيقة من صعوبات لكنائس الشرق الاوسط

ثم أضاف مندوب الكنيسة القبطية الارثوذكسية بعض النقاط بأمل وضعها فى الاعتبار لدى أعضاء سكرتيرية المجلس واللجنة التى تعمل فى الموضوع :

● ان الشعور فى الشرق الاوسط سوف يغلب ضد هذه الوثيقة... .
واذا تم اصدارها فلسوف يكون من المستحيل بعد ذلك الغاؤها . وأنا أخشى أن تتحمل (الكنيسة) النتائج المترتبة على ذلك لاننا لم نزن بعين الانصاف والعدل هذه النقطة

● ان النتائج الاجتماعية المترتبة على اصدار الوثيقة سوف تتحملها كل كنيسة مسيحية لان رجل الشارع فى أى مجتمع لن يدين الرومان الكاثوليك وحدهم بتهمة (تأييد اسرائيل) وقد بدأت صحف اسرائيل بالفعل تستعمل هذا التعبير هذا العام .

● وسوف يعلن البعض بصراحة موقفهم المخالف بخصوص هذه القضية نظرا لشعورهم بأنهم يتحملون مسئولية غير عادلة فى اصدار هذه الوثيقة والنتيجة توسيع الهوة التى نحاول نحن والمجلس تضييقها .

● وأجاب مندوب الكنيسة القبطية الارثوذكسية على سؤال وجهه أكثر من مرة كثير من الآباء والمراقبين بالمجلس : لماذا تخشى أنت والكنائس التى تمثلها من حكوماتكم بالشرق الاوسط ؟؟ فأبان أن موقف كنيسته ليس دافعه الخوف ، وانما السبب الوحيد هو اننا مدركون تماما لرسالة كنيستنا وبخاصة فى بلادنا وبين شعوبنا .

واقترح المندوب بتأييد من بعض الآباء فى المجلس اصدار وثيقة

تحت بشكل عام على حب جميع الناس لبعضهم البعض وتعارض التفرقة العنصرية أو الاضطهاد . ولقى ذلك الرأي تعضيد الدكتور أوبرمان عميد جامعة هارفارد اللاهوتية والأب ماكس توريان ممثل بعض الكنائس الألمانية غير الكاثوليكية والأب اولدنوهفن ممثل الكنائس الكاثوليكية القديمة بهولندا(١) .

وانتقد البطريرك سيداروس الاول بطريرك الاقباط الكاثوليك في مصر والسودان مشروع الوثيقة في اجتماع عقده في ١٨/١١/١٩٦٣ وقال ان في الاشارة الى اليهود خروج على مشروع توحيد المسيحيين ، وليس من الضروري اعلان استنكار العداء لليهود اذ ان الكنيسة دائما استنكرت كل اضطهاد من أى نوع ، والظرف التاريخي يبين خطورة معالجة مسألة اليهود في الوقت الحالي . ونشرت الصحف الايطالية أن الكاردينال سيرى والكاردينال روفيني رئيسى أساقفة جنوا وبالرمو وغيرهما من الاساقفة ورؤساء الطوائف الكاثوليكية قد شنوا حملة شديدة على المشروع .

ووصف المونسنيور نعمة السمعان نائب بطريرك اللاتين في عمان مشروع الوثيقة بأنه « يتلاعب بالالفاظ وتكن وراءه درافع سياسية» كما انتقد الفكرة في عمان أيضا الأب عقل الزعيم الروحي للكنيسة الانجليكانية العربية(٢) .

وكتب القس ابراهيم سعيد وكيل الاقباط الانجيليين بالجمهورية العربية المتحدة يقول ٠٠٠ « ليس من حق مجمع الكرادلة أن يجعلوا الانجيل المقدس كبش فداء مقدم على مذابح السياسة ٠٠٠ ذلك لأن نصوص الانجيل صريحة في دمج اليهود بمسئولية صلب المسيح دون سواهم من حكام الرومان وغير الرومان . ان أول حكم صدر على المسيح بالصلب هو حكم (قيافا) الكاهن الزائف اذ قال : خير لنا أن يموت واحد من الشعب من أن يموت الشعب بأسره !٠٠٠ ولقد صرخوا - اليهود - بصوت واحد قائلين : دمه علينا وعلى أولادنا !٠ وكان باب السماء كان مفتوحا ، فاستجابت السماء الى طلبتهم هذه فجالوا في الارض مكروهين منبوذين هم وأولادهم على رغم ما يملكون من جاء وثرأء ٠٠٠ أما ما يقال عن بعض القسوس الانجليكان - لا الانجيليين - من انهم أيدوا هذه الوثيقة فلا رد لنا عليه الا أن الامريكان في أمريكا يعملون بوحى انتخابات

(١) الامرام ١٥/١٠/١٩٦٤

(٢) محمود نمناعة : الصهيونية في الستينات ص ٣٢ - ٣ ، ٥٠ : ٦٥

رياسة الجمهورية لا بوحى الكتاب ٠٠٠ وليس من اللياقة ولا من اللباقة
أن نحابى شعبا على حساب الجمهورية العربية المتحدة فضلا عن مخالفتنا
للانجيل (١) ! »

وبين رجال الكنائس الشرقيين من ينظر الى الامر من زاوية أخرى
فقد جاء فى بيان للبطريرك مكسيموس الرابع بطريرك انطاكية وسائر
المشرق للروم الكاثوليك صدر فى ١١/١١/١٩٦٣ ان « مشروع الوثيقة
هو نص دينى محض لا يجوز لأى ناقد نزيه أن يرى فيه سوى محاولة
نظرية وعملية لشجب الحملات العنصرية والضغائن المذهبية فى بعض
مناطق الغرب المسيحى » . وقال البيان « ان بلادنا العربية اذ تحارب
اسرائيل من الوجهة السياسية كمغتصب لأرض فلسطين ما زالت تحترم
حرية الاديان السماوية بما فيها اليهودية وتحافظ على حرية اليهود فى
أراضيها وتميز كل التمييز بين الصهيونية التى هى حركة عنصرية
سياسية وبين اليهودية التى هى دين سماوى » .

وفى ٢٥/١٢/١٩٦٣ تحدث المطران الياس زغبى النائب البطريركى
للروم الكاثوليك فى مصر والسودان :

« طالعنا بعض الصحف العربية بمقالات قلقة ، هى صادرة ولاشك
عن مشاعر قومية شديدة وحرص أكيد على مصلحة الوطن ، ولكنها مبنية
على تقدير للاوضاع لا يتفق مع الحقيقة . ولما كنت عضوا فى هذا المجمع
وشهدت جميع جلساته واشتركت اشتراكا فعليا فى مداولاته وتناولت
بالبحث والتحليل مختلف وثائقه ونشرااته لا يسعنى الا القطع بأن
ما ذهبت اليه هذه الصحف يدل على فهم أخطاء التوفيق ٠٠٠ ان الوثيقة
هى مشروع قرار تقدم به (الكردينال بيا) وهو أسقف ألمانى كبير السن
ظل ربع قرن يدير أكبر معهد فى روما لدرس الكتب المقدسة وتحقيقها ،
فكيف يستطيع أن يتنكر لحقيقة بدت واضحة جلية فى صفحات كتبنا
المنزلة وهى ان اليهود هم المسئولون عن صلب المسيح وموته ! ثم يناقش
سيادة المطران مسئولية اليهود فى هذه الجريمة وينتهى الى ان قادة اليهود
وحدهم هم المسئولون عن الجريمة ويقول « لطالما صرح السيد رئيس
جمهوريةنا العربية وهو المعلم الاول للوطنية بأن الشعوب لا يجوز أن
تسأل عن جرائم قادتها (٢) ! » .

(١) الامرام ١٧/١١/١٩٦٤

(٢) محمود نعاة : الصهيونية فى الستينات ص ٣٤ : ٦

ونحن لا نريد أن ندخل فى جدل عقائدى أو فقهى حول مسئولية
(جميع) اليهود أو (أفراد) منهم ، ومسئولية (جيل) من اليهود أو
جميع أجيالهم .

● نحن نقرأ فى جانب « وقرب عيد الفطير الذى يقال له الفصح
وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه لانهم **خافوا من الشعب** .
فدخل الشيطان فى يهوذا ٠٠٠٠ فمضى وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد
اللجنة كيف يسلمه اليهم ٠٠٠ لو ٢٢ : ١ - ٧ ، »

« وكان رؤساء الكهنة والكتبة مع وجوه الشعب يطلبون أن يهلكوه،
ولم يجدوا مايفعلوه **لأن الشعب كله كان متعلقا بما يسمع منه** ٠٠٠ لو
١٩ : ٤٧ »

● ونقرأ فى الجانب الآخر « فدعا بيلاطس رؤساء الكهنة والعظماء
والشعب وقال لهم قد قدمتم الى هذا الانسان كمن يفسد الشعب وها أنا
قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الانسان علة مما تشتكون به عليه
ولا هيروودس أيضا لاني أرسلتكم اليه ، وها لا شيء يستحق الموت صنع
منه، فأنا أؤدبه وأطلقه- وكان مضطرا أن يطلق كل عيد واحدا ، فصرخوا
بجملتهم قائلين : خذ هذا واطلق لنا باراباس ٠٠٠ فكانوا يلحون بأصوات
عظيمة طالبين أن يصلب ، فقويت أصواتهم وأصوات رؤساء الكهنة فحكم
بيلاطس أن تكون طلبتهم ٠٠٠ وأسلم يسوع **لمشيئتهم** لو ٢٣ : ١٣-٢٦ ،
« وكان الشعب واقفين فينظرون والرؤساء أيضا معهم يسخرون منه
قائلين خلص آخرين فليخلص نفسه ان كان هو المسيح مختار الله » .
ونقرأ للمسيح فى خطابه للكتبة والفريسيين « ٠٠٠ فأنتم تشهدون على
أنفسكم أنكم أبناء قتلة الانبياء ، فاملأوا أنتم **مكيال آبائكم** ٠٠٠ كذلك ها
أنا أرسل اليكم أنبياء حكماء وكتبة ، فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم
تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة ، لكن يأتى عليكم
كل دم ذكى سفك على الارض من دم هابيل الصديق الى دم ذكريا بن برخيا
الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح ! الحق أقول لكم ان هذا كله يأتى على
هذا الجيل متى ٢٣ : ٢٧ - ٣٧ » .

وبعض الكتاب يفسر الموقف هنا بأنه قد حدث (تحول) فى موقف
الرأى العام اليهودى نتيجة لفجعه فى أمله فى المسيح كقائد ثورة
ومؤسس ملك أرضى فضلا عن تأثير استثارة الكهنة للعامة ضد المسيح -
والبعض الآخر يرى أن معاداة المسيح كانت ظاهرة « جزئية » فمثلا نجد
بترسون سمث يقول « ومن العدالة أن تقول ان تلك الجماهير لم تكن كلها
معادية ليسوع وليست البشرية مسيئة بجملتها ، ولو كنا فى حالة السوء

المتنامية التي تصور بها أنفسنا لما كنا أهلاً لهذا الخلاص ٠٠٠ وان غوغاء
أورشليم المتعصبة المسوقة بايعاز رؤساء الكهنة لا تمثل قلب الجماهير
الكبيرة التي وان لم تكن تتبع المسيح فقد أعجبت به ودافعت عنه « ان
الذين رفضوا المسيح هم رجال السلطات لا الشعب اليهودي هم الامة
بصفتها الرسمية وفي مظهرها الحكومي » ويقول الدكتور عزت زكى
« اعتاد الوعاظ والمفسرون أن يقارنوا بين صرخة الولاء والمحبة حين دخل
يسوع أورشليم : أوصنا ، مبارك الآتى باسم الرب ، وبين صرخة الحقد
التي هتف بها الشعب فى يوم الجمعة اللاحق : اصلبه اصلبه ! ومن هذه
المقارنة خلقوا مقارنة عريضة عن قلب الطبيعة البشرية ولكن ليس هناك
دليل واحد يشير الى ان الجمهور الذى هتف بهتافات الولاء هو بعينه
الجمهور الذى صرخ بصرخات العداء ٠٠ ان أولئك الذين هتفوا بهذه
الصرخة القاسية هم جماعة من حثالة اليهود ومن المأجورين ومن الصيارفة
والتجار الذين طردهم السيد من الهيكل تغذيتهم رشاي الكهنة والكتبة
والفريسيين ص ٤٤ - ٥ » « والخلاصة اننا ينبغي ألا ندين شعب فلسطين
بأكمله فى جريمة صلب يسوع ، فآلاف الآلاف استبد بهم الحزن لهذه
المأساة الدامية ، وكان الجليليون الى جوارء آخر ساعاته على الارض .
ولقد نشأ سوء فهمنا لهذه الحقيقة من تكرار البشير الرابع لاثامه لليهود
وقد كتب بشارته بعد انفصال المسيحية عن اليهودية وكان البشير يقصد
باليهود سكان اليهودية ويتركزون فى أورشليم حيث الصدوقيون والكهنة
أكبر قوة معادية ليسوع ٠٠٠ ولا يقع عبء صلب المسيح على الفريسيين
فمع ان معظمهم رفضوا تعاليمه وقاوموها الا ان كثيرين منهم كانوا غير
موافقين على صلبه ٠٠٠ والقارىء المنصف يستطيع أن يضع عبء الجريمة
كله على (مجلس السنهدريم) واننا لا نضع الكثير من اللوم على
بيلاطس (١) »

وأنا لا أحاول أن أخوض فى هذا الجدل ٠٠٠ من زاوية العقائد أو
زاوية التاريخ . وحسبى أن أقول :

(١) جورج مائيسون : دراسات فى صور من حياة المسيح ترجمة دكتور عزت زكى
ج ١ ص ١١٠ : ١١٣ ، ١٨٢ - ٣ ، ج ٢ ص ٩ - ١٠ ، ١٩ ، ٢٧ - ٨ ، ٧٦ - ٧ ،
٩١ - ٢ ، ١٤٦ ، بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ١٤٩ ، ص ١٦١ - ٢ ،
٢١٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٦٣ : ٢٧٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ - ٢ ، ٣١٧ - ٨ ، ٣٢٠ ، دكتور
عزت زكى : فلسطين كما عرفها المسيح ص ٤٢ : ٦ ، ١٤٢ : ١٥٢

● ان دعوة المحبة الانسانية المسيحية ومبدأ العدالة الالهية فى القاء المسئولية وتوقيع الجزاء قد تقررتا فى الاناجيل والرسائل الملحقه بها فى صراحة ووضوح ... وهما من أصول الرسالة المسيحية التى لا تحتل النقاش ولا تحتاج للتوكيد والتوثيق .

● وان دعوة المحبة الانسانية المسيحية قد جاء تطبيقها واضحا فى سيرة المسيح وتلاميذه ... وهو تطبيق يجمع بين انسانية العلاقة وتميز العقيدة .

● ومن هنا فليست الحاجة ماسة لتأكيد هذا الامر بوثيقة أو بقرار ... خاصة اذا كان هذا القرار سيتألف قلوب اليهود ويفرق قلوب المسيحيين أنفسهم !!

● واذا ما كانت نزعة الكراهية لليهود أو (اللاسامية) قد ظهرت كانهراف مؤقت نتيجة ظروف معينة ورد فعل لمواقف (دنيوية) بحثة فى كثير من الاحيان ، فلا يعنى هذا أن يعالج هذا الانحراف الوقتى الدنيوى بقرار دينى قد يدين ضمنا المسيحية والمسيحيين بالمسئولية عن هذا الانحراف طوال قرون سابقة على صدور الوثيقة !!

● واذا كانت هذه الوثيقة جاءت لتعالج استغلال النصوص المقدسة فى ظروف معينة لاشعال نيران العداء لليهود ... فانها من أجل معالجة ظروف ولت وانتهت بسقوط النازية ، تغفل ظروف أخرى قائمة حاضرة سوف تستغل الوثيقة المقترحة عن يقين فى مظالم أخرى ... وهى (اسرائيل) التى حاول بنوها السالفون من قبل أن يصطادوا المسيح نفسه (بكلمة) !! ...

● ولماذا لا يتبرأ اليهود المعاصرون أنفسهم من جرم أسلافهم ومن جرم أقرانهم ... قبل أن يطالب المسيحيون بتبرئتهم مما لم يعلنوا قط فى (أدبهم) المعروف استنكارهم له !!

وأنا كمسلم أومن بالعدالة الالهية « وان ليس للانسان الا ماسعى ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

وأنا كمسلم أقرأ القرآن يحدثنى عن جرائم اليهود فى أجيال متعددة وعن لعن الله اياهم وغضبه عليهم ... فى سورة النساء - مثلا - وهى ليست السورة الوحيدة من القرآن التى تعدد جرائم اليهود « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا

السبيل • والله أعلم بأعدائكم ، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا •
 من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا
 واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ••• ولكن لعنهم
 الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا • يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما
 نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نلمس رجوها فنردها على أدبارها ، أو
 نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ••• فيما نقضهم
 ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف
 بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا • وبكفرهم وقولهم على
 مريم بهتاننا عظيما (١) ••• ويحدثني القرآن عن أن الخلف اذا شاركوا
 سلفهم في الرأي فقد شاركوهم في الوزر من هنا قرع اليهود المعاصرين
 لرسول الاسلام على جرائم أسلافهم « قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل
 ان كنتم مؤمنين (٢) » •

واذا كان القرآن لا يدين اليهود بجريمة (قتل) تامة لشخص
 المسيح اذ رفعه الله اليه ، فانه يدينهم بجريمة (الاتفاق الجنائي) لقتله ،
 وبجريمة (الشروع) في التنفيذ ، وبجريمة (قتل تامة لشبيه المسيح) ،
 وبالتباهى باقتراف جرائم القتل ، « وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن
 مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا
 فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا • بل
 رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما •

ومع هذا التاريخ الاسود لهؤلاء القوم فان القرآن يشهد لهم كما
 يشهد عليهم وفقا لميزان العدل الالهي المجرد • والقرآن يضمن (سورة
 النساء) نفسها آيات متتابعة لتبرئة يهودى أدين ظلما في تهمة هو برىء
 منها بمؤامرة حيكت ضده « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين
 الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما •• ولا تجادل عن الذين
 يختانون أنفسهم ، ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما • يستخفون
 من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ، اذ يبيتون ما لا يرضى من
 القول ، وكان الله بما يعملون محيطا •• ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم
 يرم به بريئا فقد احتمل بهتاننا واثما مبينا • ولولا فضل الله عليك
 ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك
 من شيء ، وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان

(١) النساء ٤٤ : ٥٥ ، ٦٠ ، ١٥٣ : ٨

(٢) البقرة ٩١

فضل الله عليك عظيما (١) « ويضع القرآن مبدأ عاما : « ولا يجرمنكم
شئان قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى (٢) » وأنا كمسلم
أومن بأن ديانات الله أصلها واحد وتجمعها أوثق الصلات والروابط «
شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به
إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (٣) ٠٠٠ وما
تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم(٤) » « لا نفرق بين أحد من
رسله ٠٠٠ (٥) »

ومن هنا قد اعتقد ان وثيقة تبرئة اليهود من الوجهة (الفنية) قد
لا تعنى خطأ ما ، ولكن لا بد لصاحب الدعوة أن يقدر (ظروف الواقع) التي
يبشر فيها بتعاليمه ، وأن يحذر من أن يصطاده المفرضون (بكلمة) ٠٠٠
وأن يتزود بما تزود به المسيح حين كان يتوقى الفخاخ المنصوبة ، فيقول
« اعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله » حتى لا يتلقف من فمه متربص كلمة
تثير عليه الرومان ، ويقول « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » حتى
لا يتلقف من فمه متربص كلمة تثير سدة الناموس !! ويترك للدعوة في
أصولها وللزمن في تطوره أن يعمل العمل البطيء ويصلا للنتيجة المرجوة
٠٠٠ سواء بالنسبة للرومان أو بالنسبة لليهود !!

ومن أجل ذلك كنت أرجو للكنيسة الكاثوليكية الا تتورط ٠٠٠٠
وحسبها نصوص (العهد الجديد) نفسها دعوة للمحبة الانسانية، وتقريراً
للعادلة الالهية .

أقول هذا وأنا أذكر للفاتيكان حرصه على ضمان حقوق سكان
فلسطين جميعا وحماية الاراضى المقدسة واعادة اللاجئين العرب الى ديارهم
أو تعويض من لا يرغب منهم في العودة تعويضا عادلا وأذكر له استنكار
العدوان الثلاثي الذي شاركت فيه اسرائيل على مصر .

أذكر هذا ٠٠ وكنت أفضل من أجل المسيحية نفسها لو لم يقر
المجمع المسكوني في دورته الثالثة القراءة الاولى لوثيقة الكاردينال
اغسطين بيا .

ومع ذلك ٠٠٠ فان الفرصة لم تفلت لتدارك ما فات ، في ما يتلو
ذلك من قراءات ا

(١) النساء ١٠٥ : ١١٤

(٢) المائدة ٨

(٣) الشورى ١٣ . (٤) الشورى ١٤ . (٥) البقرة ٢٨٥ .

بل جئت ... لأكمل

« لا تظنوا أني جئت
لأنقض الناموس أو الأنبياء ،
ما جئت لأنقض ، بل لأكمل .
فالحق أقول لكم : إلى أن
تزول السماء والأرض
لا يزول حرف واحد أو نقطة
واحدة من الناموس حتى
يكون الكل »

(مت ٥ : ١٧ - ١٨)

عقيدة...وشريعة

« ليست التصورات الدينية تصورات محضة مطلقة ، ولو غلب عليها الطابع الفلسفى - كما هى الحال فيما يمس العقائد ، فالناس يحبونها بالقدر الذى يجعلونها فيه موضوعا لتفكيرهم ، وهى تثير فى أعماق النفوس مجموعة كبيرة من العواطف والمخاوف وحماس التقوى ، ومعنى ذلك أنها **تدفع الى العمل أو تنتهى عنه** ، فانها تنتهى بأن تصير معاملات اجبارية أو نواهى . وقد اعتاد العلماء اطلاق اسم (التابو) على الامور المحرمة Taboo - وهذا المصطلح مأخوذ عن اللغة البولينية » (١) .

الاجتماع فى اقتران العقيدة بالشرعية ، اذ يقترن الرمز المعبود بالنهاى Totem, Taboo منذ ديانات الجماعات البدائية .

بهذا أوضح الاستاذ باستيد : Roger Bastide وجهة نظر علم فلا يكفى الانسان أن تتحدد نظرتة العامة الى الكون والحياة ، اذ هو لا يستغنى عن خطوط أخرى تنير له الطريق فى الدروب والشعاب... ذلك أن من شأن مسالك (الشرعية) العملية أن تشرح وتوضح ، وتظاهر وتؤازر أصول (العقيدة) الفكرية ، فيكون المجال أوسع لتفهم الايمان والانتفاع به انتفاعا واقعيا فى دنيا الناس حين يصاغ فى (أحكام دين) ، ولا يكون مجرد (نظرية فلسفية) آثارها متوقفة على مدى الاشعاع الروحى الذى ترسله فى أرجاء النفس الانسانية !

على أن بعض البيئات فى بعض الأوقات قد تكون أحوج ليقاظ روحى منها لتشريع تنظيمى... يقول جورج مائيسون « فى عصر ابراهيم لم يكن موضوع اهتمام البشر (ناموسا) مقدسا بقدر ماكان (شخصا)

(١) روجيه باستيد Rober Bastide مبادئ علم الاجتماع الدينى (ترجمة دكتور

محمود قاسم) ص ٩٧

مقدسا • لقد احتل هذا الأب (البطريرك) العظيم في قلوب الناس مكانة
الناموس المكتوب ، فبدلا من أن تتجه عيون القبيلة الى صحائف الناموس
المسطورة تركزت أعينهم على شخص رئيس جبار رأوا فيه ممثل الله على
الأرض في كل ماهو حسن وصادق ... يقيسون أعمالهم في نوره
ويتساءلون : هل ترضى تصرفاتهم اله ابراهيم ؟ ... لقد كانت حياتهم
حياة المثال أكثر منها حياة الناموس ، بل أكاد أقول انها حياة كان
تأثير الفرد فيها أقوى من تأثير مثل كتاب أخلاق ... وكان ابراهيم
يمثل عهد الآباء ، وموسى يمثل عهد الناموس ، وداود في اسرائيل جمع
الملك والنبوة معا ، (١) •

والحاجة الروحية والاجتماعية التي تلبىها شخصية الرسول أو
النبي وسيرته ليست مقصورة على عصر ابراهيم ... انها يمكن أن
تتكرر بتكرار دواعيها ، فقد تكون الشريعة باقية من عهد رسول سبق
ولم يأت أو ان النسخ والتعديل ، وانما يحتاج الناس الى من يوقظ
قلوبهم وعقولهم للقبال على الله واتباع تعاليمه القائمة بينهم ... ومن
الأمثلة الواضحة على ذلك (يوحنا المعمدان) ، يكفي أن يصيح في قومه
« توبوا ، لأنه قد اقترب ملكوت السموات !

ومعنى ذلك أن يتبنى هذا الرسول الشريعة الالهية التي تقدمت
بين يديه ، ومن هنا يمكن القول بوجه عام أن الدعوة الدينية تقوم على
عقيدة وشريعة ، بالنظر الى وحدة الرسالة الالهية وتكامل جهود
المرسلين •

وقد تحدت مسالك الشريعة الالهية فيما صدر عن الرسل
والأنبياء من أقوالهم وأفعالهم وفيما بلغوا عن ربهم ...

والقرآن يشير الى الشرائع السابقة دون تفصيل لأحكامها ، وهو
بالنسبة الى بعضها لا يورد الا أبرز هذه الأحكام : « ولوطا اذ قال لقومه
أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين • أنكم لتأتون الرجال
شهوة من دون النساء ، بل أنتم قوم مسرفون » ، « والى مدين أخاهم
شعيبا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، قد جاءكم بينة من
ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا في
الأرض بعد إصلاحها ، ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين (٢) » •

(١) جورج ماتيسون : دراسات في صور من حياة المسيح ترجمة دكتور عزت زكي

ج ١ ص ١٨ ، ج ٢ ص ٤٣

(٢) الاعراف ٨٠ - ٨١ ، ٨٥

ونحن لا ندري ان كانت هذه الاحكام هي كل ما ورد في رسالات أولئك الرسل من تشريع - على اعتبار أن احتياجات المجتمعات وتطور الشرائع اقتضى الاكتفاء بها ، أو أن هناك ما لم يجد القرآن مدعاة للإشارة إليه ... على أن القرآن حريص في أن شريعة موسى بالذات كانت مفصلة : « ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء ، وهدى ورحمة لعلمهم بلقاء ربهم يؤمنون » ، « وكتبنا لهم في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء ، فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها » ...

وتلك هي الشريعة التي وجدها المسيح بين يديه : « ومصدقا لما بين يدي من التوراة ، ولأجل لكم بعض الذي حرم عليكم (١) » .
ومعنى الآية القرآنية الأخيرة أن المسيح سيتناول شريعة موسى بالتعديل ، فيحل ما كان محرما ...

والناظر فيما ورد في القرآن عن المحرمات على بنى اسرائيل ، يجد أن منها ما حرم كعقوبة الهية على التمرد والعصيان ، دون أسباب موضوعية ثابتة : « فبظلم من الذين هادوا - حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيرا . وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما » ، « وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم - ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون !!

بل ان من هذه المحرمات ما حرمه اسرائيل على نفسه وفاء بالندر وشكرا على النعمة وقربى الى الله : « كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل ، الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة - قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين (٢) » .

ويروى انجيل لوقا : « كان الناموس والأنبياء الى يوحنا ، ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله ، وكل واحد يغتصب نفسه اليه . ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » (٣) !

(١) الانعام ١٥٤ ، الاعراف ١٤٥ ، آل عمران ٥٠

(٢) النساء : ١٦٠ - ١٦١ ، الانعام ١٤٦ ، آل عمران : ٩٣

(٣) لو ١٦ ، ١٦ - ١٧

المسيح ... والناموس

« لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ... ما جئت لأنقض ، بل لأكمل ! فاني الحق أقول لكم : الى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل . فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا - يدعى أصغر الناس في ملكوت السموات ، وأما من عمل وعلم - فهذا يدعى عظيما في ملكوت السموات ، فاني أقول لكم : ان لم يزد بركم على الكتب والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » !

اعمال لشريعة الناموس ، واحترام لها ... وحرص عليها يتجاوز حرص الكتب والفريسيين ، الذين يزعمون أنهم قوامون بشريعة التوراة حفاظ عليها !

« قد سمعتم أنه قيل للقديما : لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم ... وأما أنا فأقول لكم : ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ! ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع ، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم ! فان قدمت قربانك الى المذبح ، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك ، فاترك هناك قربانك قدام المذبح ، واذهب أولا اصطالح مع أخيك - وحينئذ تعال وقدم قربانك ! كن مراضيا لخصمك سريعا مادمت معه في الطريق ، لئلا يسلمك الخصم الى القاضي ، ويسلمك القاضي الى الشرطي فتلقى الى السجن - الحق أقول لك : لا تخرج من هنا حتى توفي الفلس الأخير !!

« قد سمعتم أنه قيل للقديما : لا تزني ! وأما أنا فأقول لكم : ان كل من ينظر الى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه !! فان كانت عينك اليمنى تعثر فاقلعها وألقها عنك ، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسمك كله في جهنم ! ...

« وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا فأقول لكم :

ان من طلق امراته - الا لعلة الزنا - يجعلها تزنى ، ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى !

« أيضا سمعتم أنه قيل للقسماء : لا تحنث ، بل أوف للرب أقسامك . وأما أنا فأقول لكم : **لا تحلفوا البتة - لا بالسماء لأنها كرسى الله ، ولا بالأرض لأنها موطىء قدميه ، ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم ! ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء ، بل ليكون كلامكم : نعم نعم ، لا لا - وما زاد على ذلك فهو من الشرير !!**

« سمعتم أنه قيل : عين بعين ، وسن بسن ، وأما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ، ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين . ومن سألك فأعطه . ومن أراد أن يقترض منك ، فلا ترده » (١) !

انها شريعة الايثار . . .

تتجاوز النصوص الى ما وراء النصوص ، وتسد كل ثغرة يتملص منها المتحايلون ! انها تسير مع دعوة الحب والسماحة حتى (تقوم المحبة بين الناس مقام القانون) !! انها تجعل الناس فى غنى عن تطبيق الناموس بحروفه فى المحاكم ، لأنهم تجاوزوا ما يطالبهم به الناموس الى ما يطمئن اليه الضمير : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد . . . ومنهم سابق بالخيرات باذن الله - ذلك هو الفضل الكبير » (٢) .

« وفى اعتقادنا أن (شخصية) المسيح لم تثبت وجودها التاريخى وجلالها الأدبى بحقيقة من حقائق الواقع كما أثبتتها بوصايا هذه الشريعة : **شريعة الحب والضمير . . .** هى شريعة تهدم كل عرف قائم وتعصف بكل شكل ظاهر ، ولكنها لا تهدم الناموس ولا تعصف بركن من أركانه ، وقد تزيد فرائضه ولا تنقص حرفا منها حين تنقلها من الأوراق ومناظر العيان الى الضمائر والقلوب ، لأن الانسان يحاسب نفسه اذا أحب حسابا لا تدركه الشرائع ولا يطلع عليه القضاء ! وقد كان

(١) مت ٥ : ١٧ - ٤٢

(٢) فاطر ٣٢

المصطدم بين الشريعتين حيث يتوقع وكما يتوقع ... ومن ثم نقول أن الشخصية التاريخية والدعوة المتناسقة لم تثبتا ببرهان أصدق من هذا البرهان ، وأن المصطدم بين الشريعتين لا يخلقه المخلوق ان شاء (١) ، !!
« البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

« البر ما سكنت اليه النفس واطمأن اليه القلب ، والاثم ما لم تسكن اليه النفس ولم يطمأن اليه القلب ... وان أفتاك المفتون (٢) ، !! » .

والعبرة بالنيات في شرائع العبادات : « ومتى صليت فلا تكن كالمرائين ، فانهم يحبون أن يصلوا قائمين في المجمع وفي زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس ! الحق أقول لكم : انهم قد استوفوا أجرهم !! وأما أنت فمتى صليت فادخل الى مخدعك وأغلق بابك ، وصل الى أبيك الذي في الخفاء ! فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية ... وحينما تصلون لا تكررُوا الكلام باطلا كالأمم ، فانهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم ! فلا تتشبهوا بهم ، لأن أباكم يعلم ماتحتاجون اليه قبل أن تسألوه ... »

ومتى صمت فلا تكونوا عابسين كالمرائين ، فانهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين ! الحق أقول لكم . انهم قد استوفوا أجرهم !!
وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكيلا تظهر للناس صائما - بل لأبيك الذي في الخفاء ! فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية ، (٣) !!

ان المسيح يصادر كل ما يعتز به (الطقوسيون الحرفيون) - من مظاهر وشكول !!

« حينئذ أتى اليه تلاميذ يوحنا قائلين : لماذا نصوم نحن الفريسيون كثيرا ، وأما تلاميذك فلا يصومون ؟ فقال لهم يسوع : هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا مادام العريس معهم ؟ ولكن ستأتي أيام حين يرفع

(١) العقاد : عبقرية المسيح - ص ١٢٣ ، ١٢٨

(٢) الحديث الاول رواه البخاري في الادب ومسلم والترمذي وصححه السيوطي والثاني رواه أحمد وحسنه السيوطي

(٣) مت ٦ : ٥ - ٨ ، ١٦ - ١٨

العريس عنهم - فحينئذ يصومون ! ليس أحد يجعل رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق ، لأن الملاء يأخذ من الثوب فيصير الحرق أردأ !! ، (١) •

وباب الله مفتوح للدعاء ... بلا مراسم أو تعقيدات :

« اسألوا تعطوا ... اطلبوا تجلبوا ... اقرعوا يفتح لكم • لأن كل من يسأل يأخذ ، ومن يطلب يجد ، ومن يقرع يفتح له • أم أى انسان منكم اذا سأل ابنه خبزا يعطيه حجرا ؟ وان سأل سمكة يعطيه حية ؟ • فان كنتم وأنتم وأشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة ، فكم بالحري أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه » (٢) !!
والمسيح يوصى رسله ليكونوا نورا للرسالة حيث يسرون ...

« أنتم ملح الأرض ، ولكن ان فسد الملح فبماذا يملح ؟ لا يصلح بعد لشيء الا أن يطرح خارجا ويداس من الناس • أنتم نور العالم ! لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل ، ولا يوقدون سراجا ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين فى البيت • فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة » ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (٣) •

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ، ويجعل لكم نورا تمشون به ، ويغفر لكم ، والله غفور رحيم » (٤) •

(١) مت ٩ : ١٤ - ١٦ ، مر ٢ : ١٨ - ٢١ ، لو ٥ : ٣٣ - ٣٦

(٢) مت ٧ : ٧ - ١١ ، لو ١١ : ٩ - ١٣

(٣) مت ٥ : ١٣ - ١٦

(٤) الحديد ٢٨

التلاميذ... والناموس

وقد واصل التلاميذ التبشير بالمسيحية ، وكثيرا ما التقوا باليهود أثناء تجوالهم ، فكان عليهم أن يوضحوا موقفهم من الناموس :

« شدة وضيق على كل نفس انسان يفعل الشر : اليهودى أولا ثم اليونانى .. ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح : اليهودى أولا ثم اليونانى ، لأن ليس عند الله محابة ... »

لأن كل من أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك ، وكل من أخطأ فى الناموس فبالناموس يدان ! لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله . بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون ! • لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو فى الناموس، فهؤلاء اذ ليس لهم الناموس – هم ناموس لأنفسهم !!

هو ذا أنت تسمى يهوديا وتتكلم على الناموس وتفتخر بالله ، وتعرف مشيئته وتميز الأمور المتخالفة متعلما من الناموس ، وتثق أنك قائد للعميان ونور للذين فى الظلمة ومهذب للأغبياء ومعلم للأطفال ، ولك صورة العلم والحق فى الناموس ! فأنت اذن الذى تعلم غيرك – ألسنت تعلم نفسك ؟ الذى تكرر : أن لا يسرق – ألسنت تقول : ألا يزنى – ألسنت تستكره الاوثان – ألسنت تهين الله ؟ لأن اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم – كما هو مكتوب !

اذن ما هو فضل اليهودى ؟؟ ... فلأنهم استؤمنوا على أقوال الله . فماذا ان كان قوم لم يكونوا أمناء ؟ ... فماذا اذن : أنحن أفضل ؟ كلا البته ، لا نناقدهم شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية ... ونحن نعلم أن كل مايقوله الناموس فهو يكلم به الذين فى الناموس لكى يستند كل فم ، ويصير كل العالم تحت قصاص من الله . لأنه بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر أمامه ، لأن بالناموس معرفة الخطيئة .

وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس « مشهودا له من الناموس والأنبياء ٠٠٠ بر الله بالإيمان بيسوع المسيح - الى كل وعلى كل الذين يؤمنون ٠٠٠ متبررين مجانا بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح ٠٠٠ فإين الافتخار ؟ قد انتفى ٠ باى ناموس ؟ ابناموس الأعمال ؟ كلا - بل بناموس الايمان ٠ اذن نحسب أن الانسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس ؟ أم الله لليهود فقط ؟ أليس للأمم أيضا ؟ بلى للأمم أيضا ٠٠٠

يا اخوتى أنتم أيضا قدمتم للناموس بجسد المسيح ، لكي تصيروا لآخر - للذى قد أقيم من الأموات لنثمر لله ٠ لأنه لما كنا فى الجسد كانت أهواء الخطايا التى بالناموس تعمل فى أعضائنا لكي نثمر للموت ، وأما الآن فقد تحررنا من الناموس - اذ مات الذى كنا ممسكين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بعشق الحرف ٠ فماذا نقول : هل الناموس خطية ؟ حاشا ! بل لم أعرف الخطية الا بالناموس ، فأننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشتهه ٠٠٠ ولكن الخطية - وهى متخذة فرصة بالوصية - أنشأت فى كل شهوة ، لأن بدون الناموس الخطية ميتة ٠٠٠ فأننا نعلم أن الناموس روحى ، وأما أنا فجسدى مبيع تحت الخطية ٠٠٠ فأنى أسر بناموس الله بحسب الانسان الباطن ، ولكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسببى الى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى ٠ ويحى أنا الانسان الشقى !! من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟ أشكر الله يسوع المسيح ربنا - اذن أنا نفسى بذهنى أخدم ناموس الله ، ولكن بالجسد ناموس الخطية » !!

ونتيجة هذا التصوير أن : « الخليقة، نفسها سمعتق من عبودية الفساد الى حرية مجد أولاد الله » ، وأن « لا فرق بين اليهودى واليونانى لأن ربا واحدا للجميع غنيا لجميع الذين يدعون به » (١) ٠

لقد تجول بولس فى مدائن البحر المتوسط ينشئ الكنائس ، وقد اعتبر عمله الرئيسى الغرس والانشاء وعلى غيره الرعاية والانماء « أنا غرست وأبلوس سقى ولكن الله كان ينمى (١ كو ٣ : ١ - ٦) » ، وقد كتب بولس معظم رسائله لتوجيه هذه الكنائس وكان يعلم نقائصهم تماما ، فمن مشاحنات بين النساء تهدد وحدة الكنيسة (فيلبى ٤ : ٢) ، الى نورط فى علاقات محرمة (١ كو ٥ : ١) بل كان البعض يسكرون

(١) رومية ٢ : ٩ - ١٤ ، ١٧ - ٢٤ ، ٣ : ١ ، ٩ ، ١٩ - ٢٩ ، ٧ : ٤

- ٨ ، ١٤ ، ٢٢ - ٢٥ ، ٨ : ٢١ ، ١٠ : ١٢

أثناء ممارسة العشاء الربانى (١ كو ١١) • ولكن على الرغم من هذا كله كان بولس يرى فى هذه الجماعات المسيحية الموزعة على ضعفها « رجاء لليوم الجديد ، لبشارة الحياة الجديدة فى المسيح ••• كانت طرقا وممرات يعمل عن طريقها الروح القدس فى العالم » • وقد واجه المسيحيون فى هذه المدن التجربة التى تتعرض لها الأقليات : التميع أو العزلة ! وبين جاذبية الحياة القديمة وجاذبية الحياة الجديدة دعا بولس الى الصراط المستقيم الذى يسلكه المسيحى فى عالم غير مسيحى « فاطلب اليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله **عبادتكم العقلية** ، ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة (رو ١٢ : ١ - ٢) » • « ••• أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الانسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور **وتتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الانسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق (١ ف ٤ : ١٧ - ٢٤)** • وكان بولس دائما هو الداعية الواسع الأفق ، الذى يعنيه الجوهر وحده ، ولكنه لا يهمل الشكل عند الاقتضاء ، ومن هنا نراه حين صحب تيموثاوس « ••• ختنه من أجل اليهود الذين فى تلك الأماكن لأن الجميع كان يعرفون أباه أنه يونانى (أعمال ١٦ : ٣) ، (١) •

ويكاد أن يتخصص بولس فى تكرار القول بأن رسالة المسيح قد غطت على الناموس ، ويكاد أن يصرح بأن الناموس قد استنفذ أغراضه وصار غير ذى موضوع ••• « قلت لبطرس قدام الجميع : ان كنت وأنت يهودى تعيش أمميا لا يهوديا ، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا ؟ نحن بالطبيعة يهود ، ولسنا من الأمم خطاة ، اذ نعلم أن الانسان لا يتبرر بأعمال الناموس - بل **بايمان يسوع المسيح آمنا نحن أيضا بيسوع المسيح** ، لننتبرر **بايمان يسوع لا بأعمال الناس** ، لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما • فان كنا ونحن طالبون أن نتبرر فى المسيح نوحده نحن أنفسنا أيضا خطاة ، أفالمسيح خادم للخطية ؟ حاشا ! فانى ان كنت أبنى أيضا هذا الذى هدمته ، فانى أظهر متعديا ، لأنى مت بالناموس للناموس **لأحيا الله ! مع المسيح صلبت فأحيا ، لا أنا - بل المسيح يحيا فى** • فما أحياء الآن فى الجسد ، فانما أحياء فى الايمان : ايمان ابن الله الذى

(١) بولس كلاسيبر : احياء الجديدة فى المسيح - ترجمة الفس فايز فارس ص

أحبني وأسلم نفسه لأجلي . لست أبطل نعمة الله ، لأنه ان كان بالناموس بر ، فالمسيح اذن مات بلا سبب !! جميع الذين هم من أعمال الناموس - هم نحت لعنة ! لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس لنعمل به - ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر ، لأن البار بالايمان يحيا ، وتكن اثناموس ليس من الايمان ؛ بل الانسان الذى يفعلها سيحيا بها . المسيح افتدانا من لعنة الناموس . . . اذ صار لعنة لأجلنا ! لأنه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة ! . . .

فلماذا الناموس . . .

فلماذا الناموس قد زيد بسبب التعديات ، الى أن يأتي النسل الذى قد وعد له مرتبا بملائكة فى يد وسيط ، وأما الوسيط فلا يكون واحد . ولكن الله واحد . فهل الناموس ضد مواعيد الله ؟ حاشا ! لأنه لو أعطى ناموس قادر أن يحيى ، لكان بالحقيقة البر بالناموس . لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ، ليعطى الموعد من ايمان يسوع المسيح للذين يؤمنون ! ولكن قبلما جاء الايمان ، كنا محروسين تحت الناموس مغلقا علينا الى الايمان العتيد أن يعلن ! اذن قد كان اثناموس مؤدبنا الى المسيح لكى نتبرر بالايمان ، ولكن بعد ما جاء بالايمان لسنا تحت مؤدب - لأنكم جميعا أبناء الله بالايمان بالمسيح يسوع . . . ليس يهودى ولا يونانى ، ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر ولا أنثى - لأنكم جميعا واحد فى المسيح يسوع « !!! (١)

لقد كان بولس فى ماضيه يهوديا (فريسيا) متزمتا ، قاوم المسيحية ليحتفظ لليهودية بأصالتها ونقاوتها . . . لكن بولس افتقد فى الطقوسية اليهودية احتياجات روحه « انه يصف الخلاص أو الحياة الجديدة (كقيامة) من الموت : (مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى . فما أحياء الآن فى الجسد فانما أحياء فى الايمان ، ايمان ابن الله الذى أحبني وأسلم نفسه لأجلي) . وهكذا كما صلب المسيح على الصليب كذلك مات (الانسان العتيق) أى أسلوب الحياة القديم ! لكن الموت ليس الكلمة الأخيرة ، فكما غالب المسيح الموت وهو الآن حى ، كذلك ندخل نحن (الحياة الجديدة) . . . ان قوة هذه الحياة الجديدة ينبع من أن (المسيح يحيا فى) ! لقد جاء (انسان جديد) وخليقة جديدة الى الوجود . . . « (٢)

(١) غلاطية ٢ : ١٤ - ٢١ ، ٣ : ١٠ - ١٣ ، ١٩ - ٢٨

(٢) بولس تلاسبر : الحياة الجديدة فى المسيح - ترجمة القس فايز فارس ص

ان بولس يرى فى الايمان المسيحى والمحبة المسيحية ثراء وغناء . .
 « وانما أقول : اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد ، لأن
 الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد ، وهذان يقاوم أحدهما
 الآخر حتى تفعلون مالا تريدون ، ولكن اذا انقذتم باتروح فلستم تحت
الناموس ! وأعمال الجسد ظاهرة : التى هى زنى ، عهارة ، نجاسة ،
 دعارة ، عبادة الأوثان ، سحر ، عداوة ، خصام ، غيرة ، سخط ، تحزب ،
 شقاق ، بدعة ، حسد ، قتل ، سكر ، بطر - وأمثال هذه . . وأما ثمر
 الروح : فهو محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، ايمان ،
 وداعة ؛ تعفف - ضد أمثال هذه ليس ناموس . ولكن الذين هم
 للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات !! ان كنا نعيش باتروح ،
 فلنسلك أيضا بحسب الروح !! ، (١) .

وفى الرسالة الى العبرانيين تعبير أقرب الى التصريح :

« فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال - اذ الشعب أخذ الناموس عليه ،
 ماذا كانت الحاجة بعد الى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكى صادق ولا
 يقال على رتبة هرون ، لأنه ان تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير
 للناموس أيضا . . . فانه واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا الذى
 لم يتكلم عنه موسى شيئا من جهة الكهنوت ، وذلك أكثر وضوحا أيضا
 ان كان على شبه ملكى صادق يقوم كاهن آخر . . . فانه يصير ابطال
 التوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها ، اذ الناموس لم يكمل
 شيئا . ولكن يصير ادخال رجاء أفضل - به نقرب الى الله » (٢) .

وهذه الرسالة نفسها تناقش مراسم العبادة عند اليهود ، وتقرر
 أنها ليست طريقا للخلاص : « لأن الناموس اذ له ظل الخيرات العتيدة -
 لا نفس صورة الأشياء - لا يقدر أبدا بنفس الذبائح كل سنة التى
 يقدمونها على الدوام أن يكمل الذين يتقدمون . والا : أفما زالت
 تقدم ؟ . . . لكن فيها كل سنة ذكر خطايا ، لأنه لا يمكن أن تم ثيران
 وتيوس يرفع خطايا . . . نحن مقدمون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة
 واحدة . وكل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدم مرارا كثيرة تلك الذبائح
 عينها التى لا تستطيع البتة أن تنزع الخطية . وأما هذا ، فبعد ما قدم

(١) بولس كلاسير : الحياة الجديدة فى المسيح - ترجمة القس فايز فارس ص ٥٥ : ٧ .

٧١ : ٥ ، ٨٧

(٢) عبرانيين ٧ : ١١ - ٢٠

عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس الى الأبد عن يمين الله ، منتظرا بعد ذلك حتى توضع أعداؤه موطنًا لقدميه ، لأنه بقربان واحد قد أكمل الى الأبد المقدسين ! ... فاذا لنا أيها الاخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع ، طريقا كرسه لنا حديثا حيا بالحجاب - أي جسده - وكاهن عظيم على بيت الله ، لتتقدم بقلب صادق في يقين الايمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقي ، لنتمسك باقرار الرجاء راسخا لأن الذي وعد هو أمين . ولنلاحظ بعضنا بعضا للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة ، غير تاركين اجتماعنا - كما لقوم عادة - بل واعظين بعضنا بعضا ، وبالأكثر على قدر ماترون اليوم يقرب . فانه ان أخطأنا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق ، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة التي تأكل المضادين ، (١) .

اذن فهل يعنى اكمال الناموس الذي ذكره المسيح ، تجاوز دائرته كلية الى دائرة أوسع وأرحب ، تنتظم الناموس في مجمله وجوهره ، وغايته وقصده ، لكنها تتخلى عن التفاصيل والجزئيات ؟؟

يعرض لهذه القضية أحد دعاة الميثيقين السبتيين adventist وهي جماعة مسيحية خاصة - في معرض الحديث عن الأخذ بيوم السبت : « يجب أن يكون مفهوما أن أية محاولة لاقامة حد فاصل بين كتابات العهدين القديم والجديد لا يعود علينا بفائدة أو جدوى سوى أنها تجعل وحدة الكتاب المقدس أمرا يكتنفه الابهام والغموض ! لأن مثل هذه التعبيرات - أي القديم والجديد - انما هي من وضع الانسان وتسميته ، ولم يصبح استعمالها متداولاً الا بعد كتابة الأسفار المقدسة بزمان طويل . وبالرغم من ذلك فان هناك اليوم كثيرين ممن يستفاد من أقوالهم : أن المسيح قد أصبح لا شأن له بالعهد القديم ، وأنه غير ملتزم بأى نص من نصوص العهد القديم - ما لم يرد ذكره صريحا في العهد الجديد ! صحيح أنه يوجد في العهد القديم أوامر كثيرة تتعلق بالتقدمات والذبائح مثلا وغيرها من الفرائض والطقوس - التي انتهت من تلقاء ذاتها بمجرد موت المسيح الفدائي ، كما أوضح لنا ذلك أيضا كتبة العهد الجديد . ففي مثل هذه الحال لا نكون مقيدين بتلك الأوامر المدونة في العهد القديم ، لأنها تعتبر منتهية بانتهاء مدتها . وينطبق هذا المبدأ عينه على الشرائع والقوانين المتعلقة بحكومة الأمة الاسرائيلية ، لأن كتبة العهد الجديد

(١) عبرانيين ١٠ : ١ - ٥ ، ١٠ - ١٤ ، ١٩ - ٢٧

أوضحوا لنا أن اليهود كافة أو كجنس قد فقدوا اعتبارهم كشعب الله المختار ، فمن ثم تكون قوانينهم وشراعتهم المدنية معدومة الدلالة والأهمية بالنسبة لنا ، أو بعبارة أخرى تصبح غير ذات موضوع - اللهم الا اذا كانت تنطوي على مبدأ من المبادئ الأدبية الأساسية العامة .

ولكن ليست هكذا الحال فيما يختص ببعض الأوامر الأدبية العظمى التى أمر بها الله فى العهد القديم ، فانه قد لخص المبادئ الأدبية العامة وقننها فى الكلمات العشر التى نطق بها الله نفسه . وهذا القانون - أو هذه الوصايا العشر - ليست مقصورة على زمن دون زمن ، أو موضوعة لجيل دون آخر ، وانما هى مبادئ عامة لا يمكن أن تحد بحدود جنسية أو فوارق قومية . وهى جزء من التعليم والارشاد الروحي المعلن من الله فى العهد القديم لكل الناس فى كل زمان وفى كل مكان ، فلا يمكن أن يقال عنها انها قد فقدت شيئا من تأثيرها أو قيمتها فى العهد الجديد .

وحيثما كان الرسل يجولون مبشرين بالكلمة ، كانوا يستعملون العهد القديم طبعا - لأن العهد الجديد لم يكن قد كتب بعد . ومن تصريحات بولس فى هذا الصدد قوله : كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب الذى فى البر ، لكى يكون انسان الله كاملا متأهبا لكل عمل صالح (٢ تيموثاؤس ٣ : ١٦ - ١٧) « (١) .

ويسلط باحث كاثوليكي الأضواء على (الذبيحة) عند اللاهوتيين ، ووضعها فى العهد القديم والجديد ، فيقول « الذبيحة عقيدة ايجابية عنصرها الأساسى **التقدمة** ، فكل ما يقدم لله من أجل عبادته يقال له ذبيحة ، بل كل ما يقدم لله ليكشف عن العلاقة الموجودة بينه وبين الانسان يقال له ذبيحة وعلى هذا الأساس يتبين التمييز بين الذبيحة الباطنية غير المنظورة وبين الذبيحة الخارجية المنظورة ، فالأولى هى تقدمه الانسان ذاته وعقله وارادته لله تعالى والثانية هى سر ، أى **علاقة حسية مقدسة للذبيحة الباطنية .** **والمحرقات** : هى أكمل الذبائح لأنها تعبر عن ذبيحة الانسان الباطنية أى تقدمه ذاته وكيانه لله تعالى وهذا ما كان يشير اليه احراق الذبائح فى العهد القديم ، وكانت الذبائح تحرق كلها اعترافا من الانسان بالهيته التامة واجلالا لعظمة الله ، واعترافا بسخطه وجوده . **وقد كان لذبائح العهد القديم فائدة مباشرة وهى ابغاد الشعب**

(١) فرانسيس دانيكول : ايمانى - حججه واسانيد (ترجمة جرجس سليمان)

المختار عن عبادة الاوثان ، فكان عليه أن يعرف الله الحقيقي ويمجده عن طريق العلاقات الحسية ، والذبائح الخارجية باطلة ان لم تصحبها الذبيحة الباطنية . ولقد قال بولس « ٠٠٠ لا مغفرة الا بسفك الدم (عبر ٩ : ٢٢) ، والتكفير هو الرجوع الى الله ، وهو يقوم في مفهوم الكتاب المقدس على مغفرة الخطايا أنى وجدت ، والخطيئة في مفهوم الكتاب هي تمرد اسرائيل وتمرد الانسان على الله ، أو كما يقول اللاهوتيون : الانصراف عن الله والابتعاد عنه ، والتكفير يمحو الخطيئة بارجاع حضور الله الى اسرائيل ومعاودة الاتحاد من جديد بين الله والانسان ، ومن هذه الوجهة - وجهة الرجوع الى الله - يتخذ سفك الدم معنى ايجابيا أصليا في كل ذبائح العهد القديم . وقد كانت (الملاشاه) تحتل عادة المركز الأول في ديانات الشرق القديم بينما كان سفك الدم يحتل المركز الأول عند بنى اسرائيل . وكانت الذبائح لا تنحر الا بمعرفة رئيس الكهنة في العيد الكبير Kippur وذبيحة (اتفصح) هي ذكرى لليوم الذى نجى فيه (يهوه) من فرعون وجنوده وخلص بنى اسرائيل من العبودية التى ترمز الى عبودية الخطيئة . وفي ذبيحة (العهد) كان الخدم يقومون بالملاشاة لأنها هنا طقس ثانوى بينما كان موسى يقوم شخصيا برش الدم على المذبح ثم على اليهود بعد تلاوتهم عهد الله اليهم الذين وعدوا بحفظه ، ذلك أن رش الدم في ذبيحة العهد كان هو الطقس الأساسى وكأنه توقيع بالدم على عقد بين طرفين ، فاتصال الدم الواحد - أى الروح الواحدة - بالطرفين (يهوه ممثلا في المذبح ورعاياه) يجعلهما روحا واحدة . والكتاب المقدس يقرر أن العبرانيين كانوا ينسبون الى الدم وظيفة التطهير والتكريس لاعتقادهم أن الدم انما هو حى كما جاء كما كان هناك (كبش الفداء) الذى لا يقدم ذبيحة وانما يطرد فى الصحراء مسكن الشياطين باعتباره يحمل الخطايا فهو غير طاهر بل كل من يقربه يتنجس ، ومن هنا لا يذبح اذ لا تتوافر فيه شروط الذبيحة ، وهذه العادة الشعبية القديمة تعتبر طقسا مغايرا لطقوس المحرقات والذبائح الأخرى . ويذكر أن ذبيحة الفصح كما ترمز للحدث التاريخى وهو تحرير بنى اسرائيل من عبودية فرعون ترمز الى ذبيحة الصليب ، ولذلك كان اليهود يذبحون فى الهيكل حملين واحد فى الصباح وآخر للمساء . وقد كانت كل ذبائح العهد القديم تقدم رمزا للذبيحة التامة الفريدة : ذبيحة المسيح ، وهى أسمى ذبيحة ، ويقول بوسوية : (لا يوجد فى العالم ما هو أسمى من المسيح ، ولا يوجد فى المسيح ما هو أسمى من الذبيحة) وقد حقق بوساطة سفك دمه فداء

نفوسنا وأجسادنا فداء أزليا ، فالذى سفك دمه لم يكن شخصا بشريا بل هو ابن الله ذاته الذى اتخذ طبيعتنا البشرية ومن هنا يتضح قدرة دمه على التطهير ، وبطبيعته الالهية استمدت ذبيحة المسيح قيمة تكفيرية وتعويضية ، فقد صالحنا الله مع نفسه فى المسيح ، وبطبيعته البشرية قدم المسيح نفسه ذبيحة وقربانا من أجلنا ، وهكذا كان المسيح (حمل الله) « (١) » .



وقد صورت الأناجيل المسيح زاهدا فى القضاء والحكم بين الناس ولو على أساس الناموس :

« وقال له واحد من الجمع : يامعلم ، قل لأخى أن يقاسمنى الميراث . . . فقال له : يا انسان من أقامنى عليكما قاضيا ومتسما ؟ » (٢) .

« وقدم اليه الكتبة والفريسيون امرأة أمسكت فى زنا ، ولما أقاموها فى الوسط قالوا له : يا معلم هذه المرأة أمسكت وهى تزنى - فى ذات الفعل ، وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترحم ، فماذا تقول أنت ؟ - قالوا هذا ليجربوه ، لكى يكون لهم ما يشتكون به عليه ! وأما يسوع فانهنى الى أسفل وكان يكتب باصبعه على الأرض ، ولما استمروا يسألونه انتصب وقال لهم : من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر !!

ثم انهنى أيضا الى أسفل وكان يكتب على الأرض ، وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تبكتهم خرجوا واحدا فواحدا - مبتدئين من الشيوخ الى الآخرين ، وبقي يسوع وحده والمرأة واقفة فى الوسط . فلما انتصب يسوع ولم ينظر أحدا سوى المرأة قال لها : يا امرأة أين هم أولئك المشتكون عليك ؟؟ أما دانك أحد ؟ فقالت : لا أحد ياسيد ! فقال لها يسوع : ولا أنا أدينك ، اذهبي ولا تخطئى أيضا . . . أنتم حسب الجسد تدينون ، أما أنا فلست أدين أحد . وان كنت أنا أدين ، فدينونتى حق لأنى لست وحدى - بل أنا والآب الذى أرسلنى » (٣) .

(١) فيليب الثالثى : الفداء - ترجمة لويس أبادير ص ١٣٤ : ١٤٦

(٢) لو ١٢ : ١٣ - ١٤

(٣) لو ٨ : ٣ - ١١ ، ١٥ - ١٦

الدين... والدولة

كان المفروض - وها موقف المسيح - ألا يوجد مايشير أولى السلطان عليه : سلطان الدين أو سلطان الدنيا ، سلطان الهيكل أو سلطان القيصر

فالمسيح - منذ سمع بمقتل يوحنا - باشر رسالته في حذر وحيطة : « فارتد أولا الى القرى الهادئة وتجنب الجدل السياسى . . . لكنه أصبح فى كل يوم أعظم جرأة فى اعلانه انجيل التوبة والايمان والنجاة . حتى ظن بعض أتباعه أن يوحنا قام من بين الموتى !! » (١) . . . « فى ذلك اليوم تقدم بعض الفريسيين قائلين له : اخرج واذهب من ههنا ، لأن هيرودس يريد أن يقتلك . . . فقال لهم : امضوا وقولوا لهذا الثعلب ، ها أنا أخرج شياطين وأشفى اليوم وغدا ، وفى اليوم الثالث أكمل . بل ينبغى أن أسير اليوم وغدا وما يليه ، لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارج أورشليم » (٢) .

ومع هذه الجرأة ضد هيرودس ، فان اجابته فى شأن جزية قيصر - كاجابته فى قضية رجم الزانية - هى اجابة من لا يريد أن يصطدم بسلطان الولاة أو سلطان الكهنة على حد سواء ! . . . لقد أراد خصومه أن (يصطادوه بكلمة) ، وقدموا الفخ بأنه : (صادق ، يعلم طريق الله بالحق ، ولا يبالي بأحد -لأنه لا ينظر الى وجوه الناس) ! . . . لكن اجابته أخرجته من الحبل الذى قذفوه ليطوق عنقه : « أرونى معاملة الجزية . . . فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له : لقيصر . فقال لهم : أعطوا اذن ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (٣) !!

ومع ذلك فقد حاولوا استغلال الاتهام السياسى الشائك عند

(١) ديورانت : قصة الحضارة ج ٣ م ٣ (قيصر والمسيح) - ترجمة بدران ص ٢١٨

(٢) لو ١٣ : ٣١ - ٣٣

(٣) مت ٢٢ : ١٥ - ٢٢ ، مر ١٢ : ١٣ - ١٧ ، لو ٢٠ - ٢٦

بيلاطس حين أراد اطلاق المسيح فى العيد : « ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين : ان اطلقت هذا فلست محبا لقيصر . كل من يجعل نفسه متكما يقاوم قيصر . . . قال لهم بيلاطس : أصلب ملككم ؟ أجاب رؤساء الكهنة : **ليس لنا ملك الا قيصر !** » (١) .

ويتلقى رسل المسيح هذا الدرس من سيرته ، فيلزمون الخذر ويوصون بالطاعة أثناء تجوالهم بين ربوع امبراطورية الرومان . وفى الرسالة الى أهل رومية :

« لتخضع كل نفس للسلطين الفائقة ! لأنه ليس سلطان الا من الله ، والسلطين الكائنة هى مرتبة من الله - حتى ان من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة ، فان الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة . أفتريد أن لا تخاف السلطان ؟ افعل الصلاح - فيكون لك المدح منه ، لأنه خادم الله للصلاح ! ولكن ان فعلت الشر فخف ، لأنه لا يحمل السيف عبثا ، اذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر ! لذلك يلزم أن يخضع له - ليس بسبب الغضب فقط ، بل أيضا بسبب الضمير ! فانكم لأجل هذا توفون الجزية أيضا - اذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه ! فأعظوا الجميع حقوقهم : الجزية لمن له الجزية ، الجباية لمن له الجباية ، والخوف لمن له الخوف ، والاكرام لمن له الاكرام (٢) » .

وفى رسالة بولس الى تيطس : « ذكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلطين ، ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح ، ولا يطعنوا فى أحد ، ويكونوا غير مخاصمين حلماء مظهرين كل وداعة لجميع الناس (٣) » . . .

ونقل عن بطرس فى نفس الاتجاه : « فاخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب . ان كان للملك فكمن هو فوق الكل ، أو للولاء فكم رسلين منه للانتقام من فاعلى الشر والمدح لفاعلى الخير ، لأن هكذا هى مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتسكتوا جهالة الناس الأغبياء . كأحرار - وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر - بل كعبيد الله ! أكرموا الجميع ، أحبوا الاخوة ، خافوا الله ، أكرموا الملك !

(١) يو ١٩ : ١٢ ، ١٥

(٢) تيطس ٢ : ١ - ٢

(٣) رومية ١٣ : ١ - ٧

أيها الخدام كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ، ليس للصالحين
المترفقين فقط - بل للعنفاء أيضا ، لأن هذا فضل - ان كان أحد من أجل
ضمير نحو الله يحتمل أحزانا متألما بالظلم (١) ، !!

ومن هنا استقر في العقل الغربي أخدود غائر يفصل السياسة
عن الدين ...

ولكن الى أي حد تأتى هذا الفصل فى عالم الواقع ؟

ان علم الاجتماع الدينى يؤكد : « أن الوظيفتين الدينية والسياسية
كانتا ممتزجتين فى بادىء الأمر ، فالملك كان الرئيس الدينى قبل كل
شئ ... ثم أمكن أن تنفصل الوظيفة الثانية بالتدرج عن الوظيفة
الأولى . ولكن على الرغم من انفصال هاتين الوظيفتين احدهما عن
الأخرى ، فانهما تظلان مرتبطتين مدة طويلة . ولم يكن الخلاف بين
الاشراف والعامة خلافا بين طبقتين اجتماعيتين فحسب ، بل كان بين
ديانتين ! وقد مهدت الثورة الفرنسية نفسها للتغيرات التى أحدثتها
سنة ١٧٨٩ م باعلان (حقوق الانسان) ، ذلك الاعلان الذى يرتبط
مباشرة عن طريق التصريح الأمريكى بالاعلاح البروتستنتى فى القرن
السادس عشر . وتؤدى المطالب الاشتراكية الى طبع كثير من الاتجاهات
الروحانية المسيحية بطابع مدنى . وفى مقابل ذلك تستعين السلطة
السياسية بكل ما تنطوى عليه العواطف الدينية من قوة قاهرة حتى
تثبت أقدامها ... وحتى اذا تم الانفصال نهائيا بين الدين والدولة ،
فان السلطة السياسية تحتفظ ردحا طويلا من الزمن ببقايا العصر الذى
كانت فيه الملكية مرتبطة بالكهنوت ، فان ملك فرنسا كان هو الذى فى
مقدوره أن يشفى الداء العياء - داء الخنازير ! .. ومن ناحية أخرى
تحلم السلطات الدينية دائما بالاستحواذ على السلطة السياسية ! وقد
كانت الكنيسة الكاثوليكية فى الأصل سلطة روحية محضة ، ولكنها
بدت عقب انهيار الامبراطورية الرومانية القوة الوحيدة التى مازالت
باقية ، فاكسبت سلطة سياسية لم تكن لها فى أول الأمر . وقد
حاول الملوك اخضاعها لسلطانهم ، ولكن البابوية كانت ترفع رأسها دائما
كلما ضعفت الملكية الزمنية وتحاول جهدها أن تصير سلطة زمنية .

ومع ذلك فالتفرقة بين الهيئات الكهنوتية وبين الدولة قانون

(١) ١ بطرس ٢ : ١٣ - ١٩

مطرد : لأن الديانات تصير عالمية فتتجاوز نطاق وطن بعينه ، ولأنه قد توجد في نفس الوقت عدة ديانات مختلفة في وطن واحد ومع هذا فهناك طغيان متبادل بين هاتين السلطتين عندما تكونان منفصلتين .
وهنا يجب علينا أن نفحص ثلاث حالات :

أولا : **طغيان الكنيسة** التي تطالب بنصيب في التشريع وبالحصانة من توقيع العقوبات ، والتي تكرس الملوك وتخلق الأحزاب السياسية .
ثانيا : **طغيان الدولة** التي تحل الهيئات الدينية وتنص على عدم مشروعية نظام الرهبنة .

ثالثا : ويوجد أخيرا طغيان غير شعوري ينجم عن هذا الأمر - وهو أن نفس الأفراد ينتمون في آن واحد الى كلتا الناحيتين ، وانهم يجدون مشقة كبيرة في تقسيم نشاطهم الى قسمين . وهكذا ارتضت الكنيسة الكاثوليكية القانون الروماني ، ولكن فيما بعد اتخذ المجتمع المدني القوانين الدينية مصدر وحى له (١) ، .

والكنيسة في الغرب كثيرا ما تتدخل في شئون السياسة ، وهي ما برحت حتى اليوم ذات تأثير كبير - في بعض الدول على الأقل . وقد تولى أسقف مسيحي أخيرا رئاسة السلطة الزمنية في قبرص دون أن يخلع رداء الكهنوت ، والاتجاه المسيحي يلون النزعة الاشتراكية عند بعض أحزاب ألمانيا وإنجلترا وبلجيكا الاشتراكية والديمقراطية ، ويبدو أثر الدين واضحا في كتابات تشرشل وأتلي ، وأيزنهاور ودالاس .

ومن هنا يحق لنا أن نقول : ان كلمات رسل المسيح لا يمكن أن تنفصل عن العصر الذي كتبت فيه

فليس من الحق أن تحمل كلماتهم على أنها تؤبد الطاعة لكل طغيان ! اذ لا ينسى أحد ثورات الحرية التي قامت بها شعوب الولايات المتحدة ، وفرنسا ، ثم روسيا وكلها شعوب مسيحية ! ولقد يقال ان فلاسفة الثورات لم يكونوا متدينين ، غير أن الجماهير - التي كانت وقود الثورات - سوادها متدينون ، كذلك لم يكن كل القادة في هذه الثورات من الملحدين !!

(١) باسنتيد : Roger Bastide مبادئ علم الاجتماع الديني - (ترجمة دكتور محمود قاسم) ص ١٩٧ : ٢٠٥

ومن المعقول أن يقال : ان كلمات بولس وبطرس صدرت من **تلاميذ تأثروا بدعوة المحبة المسيحية** ، فرغبوا في السلام بقدر الامكان . . .

ومن المعقول أن يقال : ان **دولة الرومان باتساع أرجائها ، وتساعها الكبير ازاء اختلاف القوميات والطوائف والديانات في امبراطوريتها العالمية ، وحرصها الدائم على التفاخر بالسلام الرومانى والعدل الرومانى والقانون الرومانى . . . دولة كهذه قد أطمعت دعاة المسيحية أن يزلفوا رسالتهم بين الناس دون ضجيج أو صدام سيما وقد رأوا أن مطاردة المسيح كانت على أيدي كهنة اليهود لا ولاية الرومان !**

ورسائل بولس وبطرس التى تجعل (السلاطين الكائنة هي مرتبة من الله) - تصورهم عادلين منصفين يحمون الاخيار ولا يهددون غير الأشرار : (فان الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة) - كما يقول بولس ، وهم : (كمرسلين منه للانتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير) - كما يقول بطرس :

لقد انتفع بولس نفسه من قواعد الاجراءات الرومانية مرات - كما تقدم القول . . .

ومن هنا اختارت الرسالة المسيحية أن تحقق التحول بوسائل **تطورية محضة . . .**

وفعلا استطاعت أخيرا أن تصل الى **قلب الامبراطور قسطنطين نفسه** فى خاتمة المطاف . . .

لكنها اجتازت فى الطريق محن الاضطهاد - مما أذاع الرسالة وأشاعها أكثر فأكثر ، ومما كسب لها على مر الأيام مزيدا من الأنصار والأتباع .

ذلك أن الشعور العميق الغامر الذى يستثيره الدين ، لا يمكن أن يفصل عن الانسان أو ينخلع عنه الانسان - وهو يمارس شأننا من مختلف شئون الحياة !

وقد بدا تميز المسيحيين عن سائر الرعايا فى دولة الرومان ، وبدا التأثير الدينى فى مجرى حياتهم ومدى انقيادهم للدولة التى ينضوون تحت لوائها - فيما جاء فى رسالة بولس الرسول الأولى الى أهل كورنثوس : « أيتجاسر منكم أحد له دعوى على آخر ، أن يحاكم عند **الظالمين وليس عند القديسين ؟؟** أستم تعلمون أن القديسين سيدينون

العالم ، فان كان العالم يدان بكم - أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى ؟ أستم تعلمون أننا سندين ملائكة ، فبالأولى أمور هذه الحياة ! فان كان لكم محاكم فى أمور هذه الحياة ، فأجلسوا المحقرين فى الكنيسة قضاة ! لتخجيلكم أقول : أهكذا ليس بينكم حكيم ، ولا واحد يقدر أن يقضى بين اخوته ؟

لكن الأخ يحاكم الأخ - وذلك عند غير المؤمنين ! فالآن فيكم عيب مطلقا ، لأن عندكم محاكمات بعضكم مع بعض . لماذا لا تظلمون بالحرى ؟ لماذا لا تسلبون بالحرى ؟ لكن أنتم تظلمون وتسلبون - وذلك للاخوة ! أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله . لا تضلوا : لا زناة ، ولا عبدة أوثان ، ولا فاسقون ، ولا مأبونون ، ولا مضاجعو ذكور ، ولا سارقون ، ولا طماعون ، ولا سكيرون ولا شتامون ، ولا خاطفون - يرثون ملكوت الله ! وهكذا كان أناس منكم - لكن اغتسلتم ، بل تقدستم ، بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا » (١) .

يقول الدكتور حتى : « وبما أن المسيحيين كانوا موحدين ، فانهم لم يتمكنوا من التساهل ، وكانوا نشيطين متحمسين فى بحثهم عن أتباع جدد لديانتهم ، وامتنعت جماعاتهم الأولى عن الاشتراك فى الاحتفالات الدينية والرسمية فى مدنها . ومثل هذا الموقف تجاه العادات الوثنية ، بالاضافة الى جهدهم المستمر فى كسب الاتباع - كان لابد أن يؤدى الى الاصطدام ! حصل أول اضطهاد عنيف فى عهد نيرون - بمناسبة حدوث حريق عارض دمر قلب مدينة روما سنة ٦٤ م ، وفسر الجمهور الناقم هذا الحريق بأنه حادث آخر من حوادث لهو امبراطورهم الجنونى ! وعندما ارتاع نيرون من ذلك ، حاول أن يلقي التهمة على المسيحيين فى العاصمة وأمر بآبادتهم جميعا . ومع ان هذا الاضطهاد كان محليا ، فقد تلتها حوادث متفرقة ضد المسيحية فى الولايات . ويعتقد انه حكم على بولس بالموت فى روما عام ٦٧ م لكونه مسيحيا ، وذلك وفق القانون الذى أصدره نيرون . ويبدو أن بطرس استشهد بالصلب فى روما حوالى هذا التاريخ الذى استشهد فيه بولس بالسيف ، وقتل كثيرون فى نفس الوقت . وقد أثارت عزلة المسيحيين عن بقية الجماعات الشكوك والأقاويل حولهم ، وكانوا بمثابة كبش الفداء كلما حل بالمدينة أو بالسكان حادث مشنوم ! .. وحدث الاضطهاد العنيف التالى عام ٩٥ م فى عهد دوميتيان .

(١) كورنتوس ٦ : ١ - ١١

وكان أيضا محليا وموجها بصورة خاصة ضد اليهود الذين كان الرومان لا يزالون يخلطون بينهم وبين المسيحيين في كثير من الاحيان ٠٠٠ وفي عام ١١٢ م أصدر تراجان مرسوما ينص على أن المسيحيين الذين يرفضون تقديم مراسم الاحترام لآلهة الدولة وللإمبراطور حين يطلب منهم ذلك في المحكمة يعاقبون كخونة ٠٠٠ وكانوا يلاحقون ويعاقبون بشكل منتظم في مناسبات متعددة ٠٠٠ وفي عام ٢٥٠ - ٢٥١ م أوجب ديكْيوس من جديد معاقبة كل من رفض القيام بالعبادة الرسمية لآلهة الدولة ٠ وفي عام ٢٥٧ - ٢٥٨ م لم يوجب فالريان على المسيحيين أن يقدموا الذبائح علنا فحسب ، بل منعهم من عقد اجتماعاتهم معا ! وكان دقلديانوس هو الذي أمر بالاضطهاد الكبير الذي وقع على المسيحيين في القرن الرابع ، وقد نص مرسومه عام ٣٠٣ م على محو كنائسهم وحرق كتبهم وطرد كل من يشغل منهم وظيفة مدنية وعسكرية من منصبه ، وأمر بفرض جميع أنواع العقوبات - باستثناء الاعدام ، ولكن حتى الاعدام نفسه طبق وعلى مقياس واسع ! وكان غريبا أن يصدر هذا المرسوم عن شخص كان يميل الى المسيحيين علنا ، ويظن ان زوجته وابنته كانتا مسيحيتين !! ويبدو ان الأمن والنجاح اللذين كانا يتمتع بهما المسيحيون في البلاد كلها قد أثارا حسد كبار الموظفين والكهنة الوثنيين ، الذين ملأوا رأس الإمبراطور بتقارير عن مؤامرات وأعمال شغب مزعومة ٠ واستمر الاضطهاد مدة عشر سنوات لا يعدلها شيء ، واستخدمت عبقریات السوء لابتكار وسائل جديدة للتعذيب ٠٠٠

وبعد سنوات قليلة ، أصبحت المسيحية في عهد قسطنطين الديانة الرسمية للدولة !! وكان اضطهاد دقلديانوس آخر اضطهاد في عهد الدولة الرومانية (١) « ٠

فهل يمكن بعد هذا أن يقال ان المسيحية تترك جماعتها تتمتع تحت نير أى سلطة سياسية ؟؟

وهل يمكن أن يقال : ان المسيحية تحض على الاستسلام أبدا وعلى طول الخط ؟؟

لو كان هذا صحيحا لما سمحت المسيحية بأية مقاومة ، ولو كانت سلبية - على طريقة غاندى !!

ولو كان هذا صحيحا لما وجدنا في كلمات بولس الرسول ربطا

(١) حتى : تاريخ سوريا ج ٢ ترجمة دكتور اليازجى ص ٣٦٦ : ٣٦٨

صريحا بين المسألة والطاقة والامكان : « ان كان ممكنا ، فحسب طاقتكم
سالموا جميع الناس » (١)٠٠٠

يقول بترسون سمث :

« ومن أين جاءتنا فكرتنا عن (المسيحية الرخوة) التي تحسب
الغضب خطأ في أية حال ! ان الغضب من صفات الله ويليق بنا أن
نغضب ، وكلما تمكنت فينا صفات النبل والكرامة كثرت حالات غضبنا
٠٠٠ ان الطريقة التي بدأ بها يسوع خطته العامة لم يكن فيها سياسيا
حذرا ، فانه توجد ظروف لا يصلح فيها الا الغضب المتقد كالنار ، لقد
نال من قادة الهيكل وأصاب سلطة الفريسيين في تحد ظاهر أمام الملا
وكشف عورات تجارة الكهنة وجريهم وراء المادة . ونعتقد ان المسيح قد
قضى على نفسه عمليا في اورشليم في ذلك اليوم ، وعرف هو نفسه ذلك ،
وبعد سنتين تأمروا عليه في هذا المكان عينه ليقتلوه ٠٠٠ ان محبة المسيح
هي أساس غضبه فلأنه أحب المظلومين كره الظالمين ! (٢) .

ولقد ورد في البيان الصادر عن مؤتمر تسالونيكي لمجلس الكنائس
العالمى « ينبغى على الكنائس أن تعمل على تقديم ارشاد رعى للمسيحيين
في المواضيع السياسية الهامة بحيث تهيب وعيا حساسا وتنمى ادراكا
مشبعا بالعطف للحقائق المعقدة للحالة التي يواجهها السياسيون وتعمل
على اتاحة وسائل التعليق على موضوع ما أو اتخاذ اجراء بشأنه قبل أن
يبت فيه ، وللقيام بهذا ينبغى ادخال طريقة مستحبة لتعليم القومية ضمن
الاطار النظامى للكنيسة » ويجعل تقرير مؤتمر نيسودلهي من واجب
الكنائس أن « تأمل وتصلى وتعمل لأجل نظام سياسى يعبر ضمن جهازه
الخاص عن الاعتراف بأن الانسان ليس مخلوق الدولة وان الدولة ليست
رب الضمير » .

« وحيث يوجد الظلم والتمييز والعزل العنصرى ، على الكنائس أن
تنضم الى جانب العنصر المضطهد فى صراحة لبلوغ العدالة ، وعلى
المسيحيين أن يكونوا مستعدين لقيادة هذا الصراع (٣) » .

ويقول الأسقف ستيفن نيل :

(١) رومية ١٢ : ١٨

(٢) بينز : الامبراطورية البيزنطية - ترجمة مؤنس وزايد - ص ٨١ ، ١١٧ : ١١٩

(٣) التقرير المرفوع لبابا الاسكندرية وبطريق الكرازة المرقسية من اللجنة المشكلة

بقرار بابوى فى ٧ أغسطس ١٩٦٢ لفحص مانسب الى مجلس الكنائس العالمى

« ان الحاكم الذى يجرى العدل بين رعاياه انما ينفذ ارادة الله ، والدولة جزء من ارادة الله للناس ولا يستطيع المسيحى أن يعطى ولاء كاملا وغير مجزء للدولة الا اذا كان ولاؤه الاول للكون الله . وعليه أن يحتفظ بحرية الانتقاد باسم الله وكلمته حتى ولو كان ذلك للدولة التى هو مخلص موال لها . وقد سبب هذا انزعاجا فى معظم الاوقات لا سيما عندما تتميز الدولة وتضع نفسها مكان الله ولا تعترف بولاء أعلى من الولاء الذى لها وهذا ما جرى أيام هتلر فى ألمانيا النازية فقد بان للمسيحيين المؤمنين ان الطريقة الوحيدة أمامهم هى أن يقاوموا الدولة وكثيرون من هؤلاء تحملوا السجن وذاقوا الموت نتيجة لذلك . وفيما عدا الحالات الشاذة فالمسيحى يجب أن يكون سعيدا فى خدمة الدولة (١) »

ومن المعروف أن الكنيسة الكاثوليكية سلكت سبيل المقاومة بالنسبة للفاشية فى ايطاليا وبالنسبة للشيوعية فى بعض الاقطار .

وعندما أتاحت للمسيحية فرصة الافادة من السلطان لم تتردد... فى الدولة الرومانية الشرقية ، أو فى الدول الأوروبية فى الغرب ويصف جينز Norman Baynes : : كيف تحول الحاكم الرومانى الى حاكم مدنى يعتمد على الدين فى تأييد نفوذه - حتى كان أباطرة بيزنطة جميعا يزعمون لانفسهم قداسة رجال الدين ! يقول : « واذن فمن الجلى أن الاوتوقراطية كهانة ملكية ، وما الامبراطور الا أحد رجال الدين ، حتى اذا قدم ماتلزمه العادة بتقديمه - استطاع أن يدخل المعبد المقدس ويقترب من المذبح حيث لا يسمح لأحد من العلمانيين بالمرور ! وفى مكنته أن يقبل ستار المذبح وأن يتناول بيده الخبز المقدس ، وعهدت له العناية الالهية - كما عهدت لبطرس من قبل - فى رعاية أتباع المسيح . ولكى يظهر هذا الجانب من كهانة الامبراطور فى وضوح أكثر ، أضيف - منذ القرن التاسع على ما يظن - عمل آخر رمزى فى حفل التتويج ، ألا وهو أن يقوم البطريق بمسح الامبراطور بالزيت المقدس ، ولم يكن يعبرون به عن ارادة الدولة بل عن المشيئة الالهية !! »

وقد تحمس الاباطرة البيزنطيون منذ قيام ليو الثالث - رأس الاسرة الايسورية - سنة ٧١٧ م لنزعة فى الدين عرفت باللاصورية Iconoclast ، كانت تعتبر تقديس الصور والايقونات لونا من عبادة الاصنام ! وقد سعى الاباطرة لفرض هذه الفكرة ومحاربة مخالفيها بكل

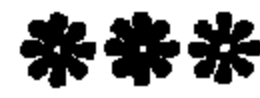
(١) ستيفن نيل : ماهو الانسان ترجمة ابراهيم مطر ص ٧٢ - ٣

سبيل : « واكتسبت معركة اللاصورية طابعا سياسيا ، وقد رأى البعض ان الاضطهاد فى هذه الفترة الاخيرة كان مقصورا على القسطنطينية ، لان الامبراطور ربما سعى عن هذا السبيل لان يكون سيد العاصمة ! ولم يكن الرهبان مجرد مدافعين عن الصور ، يذودون عن تقليد كنسى فحسب ، بل كانوا ثوريين على طريقته الخاصة !!

لقد كانوا ينافحون عن حرية جديدة ، ويجاهدون فى سبيل تحطيم العلاقة بين الكنيسة والدولة - تلك العلاقة التى توطدت منذ زمن طويل فى العالم البيزنطى ، لان امبراطور روما الشرقية لم يكن حامى الدين فحسب ، بل كان رئيس الكنيسة ووريث قسطنطين الكبير ! وكان فى مقدوره وحده أن يدعو المجمع الكنسى - برلمان الامبراطور الدينى - حيث كانت الاجراءات صورة من شبيهاتها فى السناتو الديوى ، وحيث اتخذ الانجيل مكان هيكل النصر الوثنى ! وكان مندوبوه العلمانيون يرأسون اجتماعات المجمع ، وكانت قراراته التى تتخذ لا تفوز بالصيغة التنفيذية حتى يوافق الامبراطور على جعلها سارية المفعول . . . واستطاع الامبراطور الاوتوقراطي أن يحدد عقائد الكنيسة بمنشورات امبراطورية . وكان الامبراطور فى الحقيقة يعين أسقف البلاط الذى كان فى مقدوره أن ينفذ ارادته فى المسائل الدينية عن طريق عزل البطارقة العاصين . ولقد نادى رعايا جستنيان به ملكا كاهنا ، وأوضح أسقفه النظرية القيصرية بقوله : يجب ألا يحدث شئ فى الكنيسة ضد رغبة الامبراطور ! وهذه النظرية عن علاقة الكنيسة بالدولة هاجمها ثيودور - من رجال دير ستودىوس وأحد أنصار عبادة الصور المتأخرين ، فقد كان هؤلاء يمانعون فى اعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله . ويوضح القديس يوحنا الدمشقى وجهة نظر هؤلاء الرهبان فى قوله : (نحن نطيع الامبراطور فيما يتعلق بحياتنا اليومية - أى فى الولاء والضريبة . . . أما فى الحكومة الكنسية ، فلنا القسيسون والمبشرون بالكتاب وشارحو القوانين الكنسية . فالتقدم السياسى من اختصاص الامبراطور ، أما التنظيم الكنسى فهو من اختصاص القسيسين والمعلمين ، وليس تجريدهم منه الا من قبيل اللصوصية) ! ولكن عجز أنصار عبادة الصور عن تحقيق هدفهم هذا ، فقد ظلت النظرية سارية باختلاف واحد - وهو أن الاباطرة كفوا عن السعى فى تغيير العقيدة المسيحية عن طريق المنشورات الامبراطورية ، لان الكنيسة حين خرجت من النزاع حول اللاصورية أصبحت كنيسة ارتدوكسية بصورة أوفى ، وتوقف تطورها اللاهوتى (١) ، .

(١) بينز : الامبراطورية البيزنطية - ترجمة مؤنس وزايد - ص ٨١ ، ١١٧ : ٩ .

وعلى هذا النسخو جرى الصراع بين البابوية وبين بعض رموس السلطات الزمنية فى أوربا ٠٠٠ وكان الفصل الظاهرى الرسمى لسلطتى الدين والسياسة ، يحمل معه أس النزاع حول سيادة أيهما على الاخرى!! وعلى ذلك يمكن القول أن المسيحية لم تتخل عن واقعيتها وموافقاتها لدنيا الناس ، وقيامها باحتياجاتهم المختلفة ، مع السمو بمداركهم وموازينهم وآفاقهم وسلوكهم - بقدر ما يتسع له التطور الانسانى نحو الكمال على تتابع الاجيال ، وما تنفسح له الطاقة البشرية فى مختلف المجالات .



ومن الكتاب المسيحيين من يحاول أن يلقي على بعض المشكلات السياسية والاجتماعية التى تتبارى فى حلها مختلف المذاهب والنظم ، ضوءا مستمدا من دراسة الكتب المقدسة ، وما ورد فيها من نبوءات ، وان كان المسيح قد انصرف عن معالجة التشريع بطريق مباشر !

« فقد خرج الأدفنتست Adventist السبتيون - مثلا - ليعلنوا على مسامع العالم أن المستقبل سيتمخض عن حروب وانقسامات متناهية فى الشدة والقسوة ، مما لم يستسغه العقل فى السنوات السابقة لعام ١٩١٤ م - فى فترة ساد فيها الشعور بالرضا والتفاؤل ٠٠٠

ومما تنبأ بحدوثه المجيئون السبتيون فى الايام الاخيرة مسألة **السلم العالمية** . فقد قالوا : انه فى الايام الاخيرة ستظهر مشروعات عظيمة تهدف الى سيادة السلام على العالم - وهنا نبرز لنا مناقضة من مناقضات النبوات الكتابية التى يتحير فيها أكثر الناس تعبدا وتدينا . ولكن هذه السنوات الاخيرة قد شاهدت فعلا الجمع بين النقيضين فيما يتعلق بتشريعات السلم وتشريعات الحرب ٠٠٠

وتنبأ الادفنتست السبتيون عن المشكلة الخاصة **بالرأسمالية والعمال** ، لانه من دراساتنا للنبوات صرنا نعتقد انه قبل مجيء المسيح ستظهر مشاكل خاصة بتكدس الثروات فى أيدي القلائل والتفاوت العظيم بين الطبقات ، مما جعلنا نخلص بهذه النتيجة المتعلقة بشدة التوتر وزيادة المتاعب التى ستنشأ بين الرأسمالية والعمال . وكانت هناك بعض الدلائل التى تعزز وجهة نظرنا ، ولكن الناس وقتذاك - تحت تأثير الشعور العام بالتفاؤل - اعتقدوا ان تلك المتاعب التى كانت قد أخذت فى الظهور بين العامل وصاحب العمل انما هى متاعب مؤقتة ناشئة عن فترة

الانتقال ، وانه سيأتى الوقت الذى تنتهى فيه الامور الى حالة الاستقرار والتآلف والانسجام ، فيتمتع العالم بالرفاهية الاقتصادية ...

كذلك تنبأ الادفنتست عند فجر نهضتهم بأن الشر سيطغى ، والاباحية ستزداد ، فقليل عنا اننا كمن يندب فى وسط معالم الافراح ! لان الفكرة عن امكانيات التقدم الانسانى كانت مهيمنة على ذلك العصر ، اذ خلط الناس وقت ذلك بين فكرة التقدم المادى والتقدم الادبى ...

وأخيرا : منذ ظهور نهضة الادفنتست فى منتصف القرن التاسع عشر ، وهم يتنبأون بأنه فى آخر الايام سينبذ العالم المبادئ الاسعاسية للحرية ! ولم تقابل أية نبوءة من نبوءاتنا بمثل ما قوبلت به هذه النبوءة من الاحتقار والازدراء (١) !! ...

(١) فرانسيس دانيكول : ايمانى ، حججه واسانيده - ترجمة جرجس سليمان -

فى طرقت الانتشار

أرادت المسيحية اذن أن تمضى فى طريقها بسلام ، تسرق من القلوب الانقياد للهيكىل دون أن تمس الهيكىل ، وتخطف منها الولاء للقيصر دون أن تبارز القيصر بعداء ...

وهكذا يستحيل الهيكىل حجارة بغير عباد أو قصاد ، وتستحيل الامبراطورية - (بيضة فارغة) كما يقولون !!

وأراد الكهان أن يتدركوا مصيرهم بمؤامرة قيافا ، كما أرادت الدولة أن تستنقذ كيائها بمذابح نيرون ... ولكن ذهب قيافا ونيرون مع من ذهب ، وبقيت المسيحية وخلد المسيح !!

وتنصرت الدولة الرومانية فى بيزنطة ، كما تسلم شرلمان تاج الامبراطورية المقدسة من يد البابا ، ولم يفلت من دعسوة المحبة حتى (الشعوب المتبربرة) فى عرف الرومان - وهى التى كانت ترابط على الحدود ، ثم توغلت داخل الحدود ، ثم راحت تتقاسم غرب الامبراطورية قطعاً وأشلاء ...

● ان لوقا يخبرنا عن بداية (الكرازة) من اورشليم ، ثم انتشارها الى الخارج حتى شملت السامريين والامم ، وقد بدأت البعثات الكاملة للامم من انطاكية (أعمال ص ٢٨/١٣) ثم يتوقف لوقا عندما يصل بولس الى (روما) ويبدأ عمله بين الامم .

● وكانت كل جماعة ورد ذكرها فى أعمال الرسل وفى رسائل بولس تشكل (كنيسة) فى البيت ، وانما بدأنا نسمع عن بنايات صغيرة للعبادة بعد عام ٢٠٠ م . وأظهرت الامبراطورية الرومانية استعدادها للتسامح مع المسيحية عام ٢٦١ م ، فظهرت بنايات (الباسليكا) المستطيلة التى تنتهى بشكل مستدير من الشرق حيث كانت مائدة الرب ، وشمل اضطهاد الدولة على المسيحية عام ٣٠٣ م هدم تلك الكنائس أو حرقها . وانتهت هذه الاضطهادات عام ٣١٢ م .

وفى زمن كتابة (العهد الجديد) نشأت كنائس خارج فلسطين ،
فقد ورد ذكر كنيسة أنطاكية ، وبدأ الامتداد الرئيسى للمسيحية من
أنطاكية وسرعان ما برزت الاسكندرية وروما والقسطنطينية كعوازل
مسيحية ، ولكن احتفظت اورشليم بمكانتها بالنظر الى ماضيها . ودعى
الاساقفة الذين تزعموا الدعوة المسيحية فى هذه المدن الخمسة بالبطاركة .

● وكانت كنيسة أنطاكية هى التى بعثت بولس وبرنابا الى الغرب ،
وهى التى نشرت الانجيل فى الشرق حتى بلغ (ادسا) (أورفا - الرها) ،
ومنها ومن آسيا الصغرى بدأت تأثيرات المسيحية تصل ارمينية .
وانتشرت المسيحية التى تكلم أتباعها اللغة السريانية والذين جاء بعضهم
من ادسا الى ما حول دجلة والفرات وشواطئ بحر قزوين . وتأسست
أكثر من ٢٠ أسقفية حوالى عام ٢٢٥م . وفى ذلك الحين نهضت الدولة
الساسانية فى فارس ونهضت الزرادشتية ، وأصاب مسيحي فارس
رشاش من الصراع المستعر بين الفرس والروم .

● ووصلت المسيحية الى اليمن ، وقد ذكر ان « بنتانوس » من
الاسكندرية مر بها فى أثناء رحلته الى الهند سنة ١٨٠ م كما ذكر ان
تيوفيلوس وفق الى تنصير ملكها فى طريقه الى الهند أيضا ، وكان قد
بعثه الامبراطور قسطنطين سنة ٣٥٤م فزار المسيحيين فى بلاد العرب
والحبشة وسومطرة وسيلان والهند .

● ودخلت المسيحية افريقية عن طريق مصر . وذكر المؤرخ
يوسيبوس المتوفى عام ٣١١م رواية تناقلتها الالسن عن تبشير القديس
مرقس بالمسيحية فى مصر وتأسيسه (كنيسة الاسكندرية) . وأول
مخطوطه للعهد الجديد باليونانية وجدت بالاسكندرية وأول مركز للتعليم
المسيحي تأسس هناك عام ١٩٠م ، وقد أسس تلك المدرسة اللاهوتية
بانتابىوس وخلفه كلمنت الاسكندري ثم اوريجنوس . وظهرت كتابة
الانجيل باللغة القبطية فى القرن الثالث ، وكان قد كتب من قبل
بالسريانية لأهل الشرق وباللاتينية لأهل الغرب . وتعرض مسيحيو مصر
لاضطهاد الامبراطورية الرومانية الذى انصب على رؤوس المسيحيين فى
شتى أرجائها ، وكان يوسيبوس شاهد عيان للاضطهادات التى وقعت
عام ٣١١م وعلى الرغم من اعتزال القديس انطونيوس فى مصر العليا عام
٢٧٠م فقد ترك أثرا بالغا على كنيسة القرن الرابع . ولقد جاب شوارع
الاسكندرية يحث المسيحيين على الصمود فى المحنة ، كما اختط طريق

(الرهبنة) التى انتشرت بسرعة وامتدت الى الشرق والغرب ، وأصبح الرهبان رسل المسيحية فى شتى جهات العالم .

● وانتشرت المسيحية على طول ساحل الشمال الافريقى . وأخرجت (تونس) أعظم ثلاثة من آباء الكنيسة اللاتين : ترتيليان المتوفى عام ٢٣٠ م وكبريان المتوفى عام ٢٥٨ م وأوغسطينوس المتوفى عام ٤٣٠ م . كما وصلت المسيحية الحبشة عن طريق البحر الاحمر وغدا فرومنتيوس الذى أقلته الى هناك سفينة عبر هذا البحر مؤسساً للكنيسة الحبشية بتوجيه أثناسيوس أسقف الاسكندرية .

● **أما روما** فنحن نقرأ فى (العهد الجديد) رسالة بولس اليها . ونسمع فى نهاية القرن الاول عن (كنيستها) التى ظلت تهتم بشقيقتها كنيسة كورنثوس . وقد كان كثير من مسيحيى الرومان من أصل شرقى وبقي معظمهم حتى القرن الثالث يتكلم اليونانية . ثم وجدت ترجمة للكتاب المقدس عام ٢٠٠ م ، وتكاثر عدد المسيحيين حتى انقسموا عام ٢٥٠ م بين ٧ مقاطعات ، وكان لهم ٤٦٠ شيخاً ولا يقل عددهم عن ١٥٠٠ شخص . ويذكر ان فى جنوبى ايطاليا كان هناك ما لا يقل عن ١٠٠ أسقف . ويبدو ان الكنيسة تأثرت فى تلك الارحاء بالثقافة الاغريقية وان كانت قد أخذت تميل الى النظام الرومانى . وأخذت المسيحية تنتشر فى بلاد **الغال** (فرنسا) عبر الطرق التجارية وبخاصة فى مدن الجنوب وعلى طول وادى الرون . واننا نجد أسماء لاتينية واغريقية بين شهداء ليون وفيينا عام ١٧٧ م وربما وصلت المسيحية الى المدن الرومانية الواقعة على الشاطئ الشرقى والجنوبى لأسبانيا على يد بولس الذى كان يعتزم أن يسافر اليها .

● على ان الكنيسة فى الغرب قد أخذت وضعها عندما أصدر الامبراطور قسطنطين منشور ميلان فى عام ٣١٣ م يعلن التسامح مع المسيحيين وغيرهم . وبلغت المسيحية ذروتها فى مدينة القسطنطينية التى تأسست فى جو شرقى يملؤه أنفاس المسيحية والمسيحيين ، وغدت عاصمة القسم الشرقى من الامبراطورية الرومانية .

واعلنت المسيحية ديانة رسمية فى أرمينية والحبشة ثم فى الامبراطورية الرومانية عموماً . أما مسيحية أرمينية والحبشة فظلت محصورة فى نطاقهما دون توسع ، وأما المسيحية فى الامبراطورية الرومانية فقد غدت أساساً للحضارة الاوربية . وعندما سقطت روما فى

أيدى القوط عام ٤١٠م قرر القديس أوغسطين في «مدينة الله» : « ان أهوال الحرب ليست بجديدة على مسامع البشر ، انما الجديد أن نرى أكبر الكنائس يقع عليها الاختيار لتكون ملجأ وملأذا للاجئين من النساء والاطفال » ! وقد أخذت المسيحية طريقها الى قلوب البرابرة المهاجمين وهكذا انهارت امبراطورية روما لتكون المسيحية أساسا لحضارة جديدة. ظل صرحها يشيد شيئا فشيئا حتى عام ١٠٠٠م .

● وأخذت المسيحية تنتشر في **شمالى غربى أوروبا** ، فقد توجه أحد الاساقفة الى **ايرلندا** ، ومنها خرج المبشرون الى الاسكتلنديين والبريطانيين ، ثم لم تلبث انجلترا ان صارت قاعدة لتبشير سكان الشمال . وفي عام ٤٩٦م أجرى **تعميد كلوفيس ملك الفرنجة (فرنسا)** وآلاف من أتباعه ، ثم اندفع **شرلمان (٧٦٨ - ٨١٤م)** بعد ذلك في التحمس للمسيحية ونشرها حيثما وصلت فتوحاته .

● واذا كانت الدعوة المسيحية قد تأثر انتشارها بسقوط روما وظهور الاسلام ، فانها قد اختطت لها طريقا في **شرقى أوروبا** ، ووصلت الى السلاف الذين تنازع على تنصيرهم الجرمان والبيزنطيون وتأرجحوا بين اللاتين والاغريق حتى انتصرت بيزنطة في القرن التاسع .

وحين تنصرت **دوقية كييف** التي كانت نواة لدولة روسيا في القرن العاشر اتجهت الكنيسة هناك الى الطابع الاغريقى وكانت بعيدة عن **الكنيسة اللاتينية الغربية ومحوطة بالمسلمين من الشرق والجنوب** .

كما انتشرت المسيحية عبر آسيا عن طريق الكنيسة السريانية وبلغت الصين .

● ومع مطالع القرن السادس قدم **(بندكت)** الى **حركة الرهينة** في أصولها الروحية القبطية تنظيما رومانيا . وأسس دير على جبل كاسينوجنوبى شرقى روما وأخذت الديرية طريقها الى الانتشار . وفي **دير كلونى** الذى تأسس عام ٩١٠م ظهرت حركة اصلاح الديرية والكنيسة . وجاء **فرنسيس** من احدى مدن شمالى ايطاليا فتخلى عن الدنيا وأخذ يجوب البلاد للكراسة والوعظ والتبشير ، مؤسسا بذلك « **أخوة الفرنسيسكان** » التى تشبه الفروسية من بعض الوجوه ، وفى خلال جولاته قصد مصر عام ١٢١٩م . كما ظهرت « **أخوة الدومنيكان** » التى أسسها **دومنيك الاسبانى** .

وهكذا أرادت أن تسلك هذه المنظمات سبيل الحكمة والموعة

الحسنة بعد أن تكسرت السيوف في الحملات الصليبية ، وكان من هؤلاء مبعوثون الى المغول والشرق الاقصى .

● وحمل الاسبان والبرتغاليون الروح الصليبية عندما شرعوا في ارتياد طرق جديدة للالتفاف حول العالم وكان من أهداف جهود (هنرى الملاح) فى الكشف الجغرافى الالتفاف حول الدول الاسلامية والسعى لايجاد حليف مسيحي جنوبى الصحراء والتبشير بالمسيحية . وتتابعتم الكشف الجغرافية والمحاولات الاستعمارية ، وجاءت طرق المواصلات الجديدة مواكبة للانتفاضة التى شهدتها الحقل الدينى ٠٠٠ وانتقلت المسيحية على الطرق الجديدة ، فى مذاهبها التى تمخض عنها الاصلاح الدينى Reformation ، وعلى يد الكنيسة الكاثوليكية أيضا التى انتعشت عن طريق الاصلاح المضاد Counter-Reformation .

والتحق اجناتىوس ليولا الاسبانى الاصل ١٥٢٨ بجامعة باريس ، وبعد اصابته فى الجندية طرح سلاحه ليختل فى كهف حيث وضع كتابه (الرياضيات الروحية) وزار فلسطين ثم عاد الى اسبانيا ففرنسا حيث كون (جماعة المسيح) أو (اليسوعيين Jesuits) التى تعاقدت على الذهاب فى حملة صليبية الى أية بقعة من العالم يأمرهم البابا بالذهاب اليها واعترف البابا بالمنظمة سنة ١٥٤٠ « وسارت هذه المنظمة على تنظيم عسكري بحيث فرضت الطاعة على أعضائها تجاه جميع الرؤساء وعندما أقفل العمل فى البلاد المقدسة فى وجه المرسلين بسبب احتلال العثمانيين لها ٠٠ وجه هؤلاء للممتلكات البرتغالية وأخذ نشاط اليسوعيين يتزايد (١) » .

ويبلغ عدد المسيحيين حوالى ٩٤٠ مليون من بين سكان العالم (حوالى ٣ مليار نسمة) ، ويتضمن عدد المسيحيين حوالى ٥٠٠ مليون كاثوليكى ، ٢٦٥ مليون بروتستانتى و ١٧٥ مليون ارتدوكسى ويمثل الكاثوليك أكثر من ١/٢ المسيحيين و ١٧٥٪ من تعداد العالم كله حوالى نصفهم فى أوروبا و ٤٠٪ فى أمريكا وتأتى بعد ذلك آسيا وأفريقيا ويبلغ تعداد السكان فى أمريكا الجنوبية ١٧٠ مليوناً منهم ١٥٥ مليون مسيحي تغلب عليهم الكاثوليكية وهناك ٤٠٠ مليون مسلم تقريبا (هناك إحصائيات ترفع عدد المسلمين عن هذا الرقم) ، ١٢ مليون يهودى . وقد أورد هذه الأرقام باحث

(١) جون فوستر : من اورشليم - ترجمة ابراهيم مطر ص ١١ : ٨٣ وبخاصة ١١ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ : ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٠ - ١ : ٦٤ : ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ وما بعدها

كاثوليكي ويعلق عليها بقوله «وبذلك نكون مجموعة من المؤمنين الموجودين **والمُنحدرين من ابراهيم** يربو تعدادها على ١٣٣٠ مليون نسمة . ويغلب الاسلام على العالم العربى ويوجد فى ايران والهند ويشغل حيزا فى الصين وهو آخذ فى الانتشار فى افريقية السوداء حيث بلغ أتباعه على اختلاف المذاهب حوالى ٤٥ مليونا . **واليهودية** توجد وفقا للترتيب العددي فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفلسطين المحتلة وبريطانيا وهى تكون جماعات أصغر فى بلاد أخرى وأكبرها فى الأرجنتين (٣٦٠.٠٠٠ نسمة تقريبا) . ويتبع الهندوكية ٣٢٠ مليون معظمهم فى الهند ويتبع **البوذية** ٥٠٠ مليون يعيشون فى الشرق الاقصى (الصين، الهند، اليابان) . وهناك حوالى ١٠٠ مليون افريقي يعتقدون عقائد بدائية . ويذكر الباحث الكاثوليكي ان هناك قرابة ٤٥٠ مليونا لا يدينون بدين ، ويعترف عدد كبير منهم بالاحاد ، ويشير الكاتب صراحة الى الشيوعيين فى هذا المقام .

● **يمضى النشاط التبشيري الكهنوتي والعلماني فى طريقه فى آسيا وافريقية** ويذكر الكاتب الكاثوليكي بالنسبة لبلاد الاسلام : « وفى بلاد الاسلام يقوم التجديد المسيحى اما على الاهتمام بنوثيق الوحدة أكثر فأكثر بين الطوائف المسيحية واما على تقديم دلائل وجود المحبة فى المدارس والمستوصفات ومراكز البحوث الشرقية وسجلت الكاثوليكية تقدما فى افريقية ، فقد زاد عدد أتباعها من ٥ مليون الى ٢٨ مليونا بين عامي ١٩٣١ ، ١٩٥٩ .

ويقول كاتب كاثوليكي « ان الكنيسة الكاثوليكية الافريقية كونت معظم القادة السياسيين الذين حملوا أعباء الاستقلال : نكروما رئيس غانا وتسير ارانا رئيس مدغشقر وقادة الكونغو ليوبولد فيل واليون ديوب صاحب النفوذ الفكرى فى شتى ارجاء القارة الافريقية وياسى فى ساحل العاج وكونومبو واودراجو ونيكيانا فى فولتا العليا وبننتو فى داهومي وسانتوس فى توجو ، وكلهم مدينون للرساليات بتكوينهم الفكرى والاخلاقي والعقيدى »

● **وعدد الشرقيين المتحدين مع الكرسي البابوي يبلغ ١٤ مليونا ،** موزعون بين طقوس هامة لكل منها فرع كاثوليكي وآخر منفصل عن روما - عدا الموارنة الذين يتحد جميعهم مع روما . وطقوس الكنائس الشرقية ولغاتها تدخل ضمن التراث الروحي الثمين للكنيسة الكاثوليكية كالطقس اللاتيني واللغة اللاتينية سواء بسواء . **ويجمع الطقس البيزنطي** غالبية المسيحيين الشرقيين المنفصلين عن روما (أكثر من ١٦٠ مليونا) ،

كما يضم أكبر عدد من الكاثوليك الشرقيين بما فيهم السلافيون (١١ر٥ مليوناً من مجموع ١٤ مليوناً) وعلى ضفاف البحر المتوسط تقام طقوس بالعربية واليونانية كما تقام بلغات أخرى في غير ذلك من الجهات وبخاصة اللغة السلافية . والبيزنطيون (الروم) - كاثوليك أو أرثوذكس - كثيرون في الجمهورية العربية المتحدة ولبنان وفلسطين وتركيا ومعظم البلاد السلافية ، وكثير منهم هاجروا الى أمريكا خلال السنوات العشرين الأخيرة . وفي الشرق الأدنى العربي يغلب **الطقس القبطي** وبخاصة في مصر واثيوبيا ولكن يوجد أيضا في اتحاد جنوبي افريقيا حيث يوجد ١٥ مليوناً من المسيحيين المنفصلين عن روما و ١٢٥٠٠٠٠ كاثوليك تقريبا . ويستخدم هؤلاء القبطية والعربية في الجمهورية العربية المتحدة ولغة محلية في اثيوبيا . **والطقس الماروني** جميع أتباعه من الكاثوليك يبلغون ٨٨٥٠٠٠ وينحدرون من أصل لبناني ويقيمون في البلاد العربية وبعض جهات افريقية السوداء وجزيرة قبرص ومنهم من يعيش في أمريكا ويستخدم هؤلاء العربية والسريانية . **والطقس الكلداني** يتبعه عدد من الكاثوليك يفوق عدد أتباعه من الارثوذكس وهو الطقس الوحيد من طقوس الشرق المزدوجة الاتباع الذي يتفوق فيه الكاثوليك على الارثوذكس عددياً (١٢٢٠٠٠٠ ، ١٤٠٠٠٠٠ على التوالي) ويوجدون في العراق والهند وبين المهاجرين الى أمريكا ويستخدمون العربية والسريانية **والطقس السرياني** يضم ٧٧٥٠٠٠ من غير الكاثوليك ، ١٧٠٠٠٠ من الكاثوليك يعيشون في سوريا ولبنان والعراق والهند ويستخدمون أيضا العربية والسريانية . ويضم **الطقس الأرمني** ٢٥٠٠٠٠٠ مليون مسيحي منفصلين عن روما ، ١٨٠٠٠٠ كاثوليك وينتشر هؤلاء في أرمينية السوفيتية وفي جميع العالم العربي وغيره من البلدان التي هاجر اليها الأرمن وبخاصة الولايات المتحدة وفرنسا واليونان وتركيا . وقد صرح البابا بيوس الحادي عشر في عام ١٩٣٨ « ان الاحبار الرومانيين يقررون ان التنوع في الطقوس الناشء عن عقلية الشعوب الخاصة بعيد عن أن يتعارض والوحدة في الايمان المقدس والعبادة لله ، بل يعد بالعكس سببا لتأييدها وتمجيدها اذ بفضلها يسهل الفهم أن المذهب الكاثوليكى الواحد الوحيد ينطبق تماما على طبيعة جميع الشعوب وعاداتهم المختلفة وينتج ثمارا غزيرة يانعة متنوعة في جمالها(١) » .

(١) موريس يكاريني : الحياة الكاثوليكية في عالمنا المعاصر - ترجمة بطرس كساب .

وعلى هذا المتوال تمضى دعوة المسيحية مع موكب التاريخ :

« انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ، فلا تخشوا الناس واخشون ، ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون . وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن واللسن باللسن والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ، من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون .

وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم - مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين . وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون .

وأنزلنا اليك الكتاب بالحق ، مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن لبلوكم فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات ، الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون(١) . » !

تعالوا... يا جميع المتعبين

« تعالوا الى جميع المتعبين والثقيل
الاحمال ، وانا اريحكم ... احملوا نيري
عليكم وتعلموا مني - لاني وضيع ومتواضع
القلب ... فتجدوا راحة لنفوسكم ، لان
قيري هين وحمل ضعيف »

(مت ١١ : ٢٨ - ٣٠)

من الأعمام

هل كانت رسالة المسيحية ألعانا حلوة النغمات عن المحبة وانكار الذات ، والفناء فى الله وخدمة الناس ٠٠٠ دون أن تتضمن حلولاً مباشرة لمشكلات المغبونين والمقهورين ؟؟

ان المجتمع فى العالم الرومانى - وفى غير العالم الرومانى - كان يشكو فوارق القوميات ، وفوارق الطبقات ، كما تقدم فى فصول هذا الكتاب ٠٠٠ فماذا فعل المسيح تجاه الذين يثنون ويتوجعون من المظلومين ٠٠٠ هل تركهم ومضى مكثفيا بالتبشير بملكوت السموات !!

كان (الايمان) أساسا وقيل كل شىء هو العلاج الجذرى ٠٠٠٠ وهو الذى يبدع فى تصويره الكتاب المحدثون ابداعا يفصح عن مدى احساسهم العميق بالجوعة النفسية والمهلكة والفراغ الروحى الذى يدير رؤوس المفكرين والمصلحين !! .

« لقد كان الناس فى حالة قلق وتعب وارتباك ، ليس من تحريك الايدى والارجل ، بل من الابعاء الفكرية الثقيلين بها ٠٠٠ كانوا يقومون بأداء الاعمال بنفس كسيرة لانهم كانوا يعملونها بدون دافع من الارادة الذاتية ٠٠٠ ولقد قدم لهم يسوع دعوة الراحة، ليس من ظروفهم الخارجية بل من صراعاتهم الداخلى ٠٠٠ بعث فيهم فكرة جديدة ، تقدم اليهم باكليل يضعه على رأس الخدمة ، ليجعل اسم الخادم مرادفا لكل ما هو عظيم (لان ابن الانسان جاء لىخدم) ٠٠٠ لقد أتى لىغير الفكرة لا اثنى، ولكن التغير فى الفكرة قد غير الشىء أيضا . هذه الراحة الفكرية أضحت قوة دافعة ٠٠ والراحة التى بدأت فى النفس اتسعت حتى شملت البدن ٠٠ وهكذا نادى (والحق يحرركم) . ان المسيحية فى عصور متلاحقة لم تحاول أن تمتن القانون الوضعى سواء أكان مخطئا أم مصيبا ولم تحطم أغلال العبيد بالايدي وبالقوة ، وانما بسرمان فكرة جديدة فى نفوس العبد والسيد على السواء ٠٠٠ لقد احتاج هذا الفكر الى وقت طويل لينمو

ويتطور وينضج في تجربة البشر ، لقد كان عليه أن يقتلع من كل مرافق الحياة الافكار القديمة البائدة ، ولكنه وان شق طريقه بصعوبة وببطء الا ان النهاية كانت مضمونة أكيدة . ان انسانية الانسان نحو أخيه قد نبعت من شعور الانسان بمكانة أخيه ، والمحبة العظوفة نبعت من آليمان الذي هو الروح الملهم (١) » .

« اننا عندما نسعى لخير أحد من الناس نجعل الدين عادة في المرتبة الثانية ، لكن يسوع أراد أن يعلم الانسان قبل كل شيء محبة الله ومغفرته ، والشئ الاول والأهم أن نبرىء مرض الظلم في العالم . حسن أن تشيد المنازل الصحية بدل أكواخ الفقراء القذرة ، هذا يأمر به يسوع ولكن أحسن من هذا أن تهىء النفس الصالحة لسكنى هذه المنازل الجديدة . جميل جدا أن توفر السعادة والعزاء للمجاهدين المكافحين ، هذا ما يقول به يسوع ولكن الاجمل أن نجىء اليهم بالله ذاته . يسوع يعطف على أمثال هؤلاء أكثر مما نفعل نحن ، ولكنه يعرف حاجتهم أفضل منا . هذا هو موضع خلاف بيننا وبينه في تقدير الحياة . وكان مثار دهشة القوم أن يفكر المسيح أولا في نفس الانسان العليل المطروح أمامه (ثق يا بنى ، قم وامش . . . مغفورة لك خطاياك) . . . ونحن لا نبخس صاحب (الدين الفردى) الذى يهتم أولا بنفسه وخلصه وحياته الروحية بوتركيسه لله ، فهو أساس كل دين وهو رضى الابطال والقديسين . ولكن متى تدعم الدين وتعق لا يبقى فرديا ، بل تفتتح اكمامه وينساب اليه الكثير ، فتزكو روح المحبة والاشفاق والبر يجمع الناس ، والشعور بالآلم حيال الشرور والمساوىء التى تعيقهم فى مضمار الحياة ، والغضب المقدس أمام المظالم التى يسامونها ، والغيرة المتقدمة لان نبذل ونبذل لأجلهم ، والعمل الصالح المنتج لتهيئة أسباب الحياة النافعة لهم . وعلى (الكنيسة) ألا تكتفى فقط بمواساة البائسين بل يجب أن تنهض جادة لقطع دابر مصادر البؤس والشقاء ولا تكتفى بإصلاح نفر من السكيرين والفاسقين ثم تترك الظروف والبيئات التى تهىء سبيل الادمان والفساد لأمثالهم وأمثالهم ! وعليها أن تهتم بالشئون الاجتماعية المتصلة بأخلاق الشعب وأن تعلم الحكومات وأهل الشورى أن الاخلاق القومية أهم شأنا من الثروة القومية ، وأن تعلم الافراد أن وراء نفوسهم وحياتهم الخاصة مجالا أوسع يجب أن تتجه اليه أفكارهم ، الى اخوة فى الانسانية تاعسين،

(١) جورج مائيسون : دراسات فى صور من حياة المسيح ترجمة دكتور عزت ح ١ ص

مرضى فى المستشفيات يتوجعون ، أحداث فى المصانع ومكدودين ، حانات يهرق فيها الحمقى عافيتهم وحيويتهم وأطفال شاردين أو مشردين ... الى كل هذا يجب أن تتجه الكنيسة • ولسنا ننكر ان مهمتها تخلص النفوس ، ولكن بالطريقة التى انتهجها سيدها ... تمس الناس بلمسة الحياة المضحية الباذلة وتعلمهم محبة الأخ الذى يروونه ليؤمنوا بحجة الله الذى لم يروه » ... « ان العالم فى اعادة تنظيمه الاجتماعى يفتقر فى هذا العصر أشد افتقار الى (المسيح) • وأهل العالم مأخوذون بتعلم القوانين الاقتصادية ومبادئ مذاهب المنفعة وأساليب الحث الاخلاقى لفعل الخير والصالح ، ولكنهم عن المسيح غافلون ولذا هم لا يفلحون ! ويشعر قادتنا فى ميادين السياسة والصناعة والاجتماع بعجزهم وافتقارهم الى وازع روحى قوى لتغيير مشروعاتهم عملياً ، والحاجة هنا ماسة الى الدين(١) • • »

لقد مس المسيح آلام هؤلاء المعذبين مباشرة ، وتابعه فى ذلك تلاميذه •• تحدث عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ...

ولم تهمل المسيحية قضايا المجتمعات : أنصفت الطفولة كما أنصفت الامومة ، وتعرضت لمسألة الرقيق ، كما تناولت مشكلة الاغنياء والفقراء على طريقتهما الخاصة المتميزة •

(١) بنرسون سميث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ١٣٦ ، ١٥١ - ٢ ، ٢٤٨

الطفولة

للمسيح على الاطفال حذب وحنان ٠٠٠ تكلم عنهم ، وردد هذه العبارة الساحرة : « من أفواه الاطفال والرضع هيأت تسبيحا » !!

« فى تلك الساعة تقدم التلاميذ الى يسوع قائلين : فمن هو أعظم فى ملكوت السموات ! فدعا يسوع اليه ولدا وأقامه فى وسطهم وقال : الحق أقول لكم : ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات ! فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم فى ملكوت السموات ، ومن قبل ولدا واحدا مثل هذا باسمى - فقد قبلنى ، ومن أعثر أحد الصغار المؤمنين بى فخير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى ويغرق فى لجة البحر ! ٠٠٠ انظروا ، لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار ، لانى أقول لكم : ان ملائكتهم فى السموات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات » !! (١)

« حينئذ قدم اليه اولاد لكى يضع يديه عليهم ويصلى ، فانتهرهم التلاميذ ! أما يسوع فقال : دعوا الاولاد يأتون ولا تمنعوهم ، لان لمثل هؤلاء ملكوت السموات ! فوضع يديه عليهم ، ومضى من هناك (٢) » .

« فلما رأى رؤساء الكهنة والكتبة العجائب التى صنع ، والاولاد يصرخون فى الهيكل ويقولون : أوصنا يا ابن داود - غضبوا ، وقالوا له أسمع ما يقول هؤلاء ؟ فقال لهم يسوع : نعم ، أما قرأتم قط : من أفواه الاطفال والرضع هيأت تسبيحا (٣) !! »

وفى رواية لانجيلى مرقس ولوقا - يتخذ المسيح من الاطفال موضوعا يلقي منه تلاميذه الدرس الذى لا ينسوه : « وجاء الى كفر ناحوم ، واذ كان فى البيت سألهم : بماذا كنتم تتكالمون فيما بينكم فى الطريق ؟؟

(١) مت ١٨ : ١ - ٥ ، ١٠ ، مر ٩ : ٤٢

(٢) مت ١٩ : ١٣ - ١٥ ، مر ١٠ : ١٣ - ١٦ ، لو ١٨ : ١٥ - ١٧

(٣) مت ٢١ : ١٥ - ١٦

فسكتوا ! لانهم تحاجوا فى الطريق بعضهم مع بعض فيمن هو اعظم !
فجلس ونادى الاثنى عشر . . فأخذ ولدا وأقامه فى وسطهم ثم احتضنه ،
فقال لهم : من قبل واحدا من أولاد مثل هذا باسمى يقبلنى ، ومن قبلنى
فليس يقبلنى أنا - بل الذى أرسلنى (١) .

وقد كتب اكليمندوس الاسكندرى كتاب (المربى) تحدث فيه عن
المسيح كمرب وعن القيم والمثل التى نادى بها وتكريمه للطفولة كما كشف
عن طبيعة العلاقة الروحية بين الانسان والله ، وقرر ان العزوف عن رغبات
الجسد يزيد الرقى الروحى والقرب من الله ومتابعة الصالحات فى صبر
ومثابرة . كذلك تناول الكتاب آداب الطعام والشراب والكلام والضحك
والنوم والملبس والاحتفالات والاعیاد . وينهى (المربى) عن الكلمات البذيئة
والمعاشرات الرديئة . ويذكر الكتاب ان الجمال الحق ليس فى الخلقة أو
اللباس أو الزينة وانما فى الفضيلة ، ويبرز أضرار تمضية الفراغ فى
اللهو ، ويدعو الى الحفاظ على وقت العبادة وغشيان الكنيسة والاعتیاد على
ضبط الحواس والعيون . ثم يتعرض اكليمندوس لروح العلاقات التى
ينبغى أن تسود الأسرة ولا يفوته أن يعرض لمعاملة الخدم معاملة طيبة (٢) .

(١) مر ٩ : ٣٣ - ٣٧ ، لو ٩ : ٤٦ - ٤٨

(٢) سليمان نسيم : أضواء على الشخصية المصرية ، المجلة ع ١٠١ مايو ١٩٦٥ ، للتفصيل
راجع أيضا التربية القبطية

المرأة والأسرة

وللنساء فى (العهد الجديد) مكانة وكرامة ٠٠٠

تحدث المسيح مع امرأة سامرية : « وعند ذلك جاء تلاميذه ، وكانوا يتعجبون انه كان يتكلم مع امرأة (١) !! ٠٠٠ »

فالحديث الى امرأة كان أمرا اذا لا يليق بمقام المرسلين !!

وقد رأى المسيح فى الزوجية عروة وثقى وميثاقا غليظا : « وجاء اليه الفريسيون ليجربوه قائلين له : هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ؟ فأجاب وقال لهم : أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى ٠٠٠ وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ، ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا !! اذن ليسا بعد اثنين ، بل جسد واحد - فالذى جمعه الله ، لا يفرقه انسان(٢) ٠٠٠ »

واذا كانت تكاليف الدعوة وأعباء الرسالة قد شغلت المسيح عن أمه أحيانا ، فما كان ذلك يعنى قط عقوقا للأم أو اهمالا للأسرة ، وانما أراد المسيح أن يقرر مبدأ أو قاعدة : ان قرابة العقيدة مقدمة على كل قرابة : « وفيما هو يكلم الجموع ، اذا أمه واخوته قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه ، فقال له واحد : هو ذا أمك واخوتك واقفون خارجا طالبين أن يكلموك ! فأجاب وقال للقاتل له : من هى أمى ومن هم اخوتى ؟ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال : ها أمى واخوتى ، لان من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى(٣) ٠٠٠ »

وشبيه هذا بما روته سيرة محمد اذ شغلته الشواغل الكبرى عن أهل بيته ، وزهد فى متاع الدنيا ، فلما اضطربت قلوب نساء النبى جاء

(١) يو ٤ : ٢٧

(٢) مت ١٩ : ٣ - ١٢ ، مر ١٠ : ٢ - ١٢ ، لو ١٦ : ١٨ - ١٩

(٣) مت ١٢ : ٤٦ - ٤٩ ، مر ٣ : ٣١ - ٣٥ ، لو ٨ : ١٩ - ٢١

الجواب الربانى الحاسم : « يأيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ، فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة ، فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا ، نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما . يا نساء النبى لستن كأحد من النساء (١) » .

وعلى هذا يفسر قول المسيح : « وأعداء الانسان أهل بيته . من أحب أبا وأما أكثر منى فلا يستحقنى ، ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى ، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى » ، « ان كان أحد يأتى الى ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده واخوته واخواته - حتى نفسه أيضا ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذا » ، « أتظنون انى جئت لأعطى سلاما على الارض ؟ كلا أقول لكم - بل انقساما ! لانه يكون من الآن خمسة فى بيت واحد منقسمين : ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة - ينقسم الاب على الابن ، والابن على الاب ، والام على البنت ، والبنت على الام ، والحماة على كنتها ، والكنة على حماتها(٢) » !!

فطبيعة الدعوات أن يفترديها أصحابها بكل شيء

وطبيعة العقائد أن تصل الى الاعماق فتزيل من طريقها ما دونها من أغيار : « يأيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ، وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم . انما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم » ، « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله - ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » . « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » .

ولا تتعارض روابط الاسرة مع تبعات العقيدة فى كل حين ، واذا اختلفت العقائد فينبغى ألا تتمزق الوشائج - مادامت العقيدة مصونة لم تمتين : « ووصينا الانسان بوالديه . . . أن أشكر لى ولوالديك ، الى المصير . وان جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا (٣) »

(١) الاحزاب ٢٨ : ٣٢

(٢) مت ١٠ : ٣٤ - ٣٨ ، لو ١٤ : ٢٦ ، لو ١٢ : ٥١ - ٥٣

(٣) التغابن ١٤ - ١٥ ، المجادلة ٢٢ : الحديث : رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه ، وصحه السيوطى ، لقمان ١٤ - ١٥

وقد ظلت علاقة المسيح بأمه علاقة البر والرحمة الى آخر يوم :
« وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه ، وأخت مريم زوجة كلوبا ومريم
المجدلية • فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفا قال لأمه :
يا امرأة ، هو ذا ابنك ، ثم قال للتلميذ : هو ذا أمك ••• ومن تلك
الساعة أخذها التلميذ الى خاصته (١) » •

« وبرا بوالدتي ، ولم يجعلنى جبارا شقيا • والسلام على يوم
ولدت ، ويوم أموت ويوم أبعث حيا » ، « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ،
وأزواجه أمهاتهم (٢) » •

وسارت كلمات رسل المسيح فى نفس الاتجاه ، تكرم المرأة وتشد
بنيان الاسرة ، وترسى خطوطا لبعض الآداب والتقاليد : « •• وأريد أن
تعلموا ان رأس كل رجل هو المسيح ، وأما رأس المرأة فهو الرجل ، ورأس
المسيح هو الله ! كل رجل يصلى أو يتنبأ وله على رأسه شئ - يشين
رأسه ، وأما كل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطى - فتشين رأسها ،
لأنها والمحلوقة شئ واحد بعينه !! اذ المرأة ان كانت لا تغطي فليقص
شعرها ، وان كان قبيحا بالمرأة أن تقص أو تحلق فلتتغط ••• لان الرجل
ليس من المرأة ، بل المرأة من الرجل ، ولان الرجل لم يخلق من أجل المرأة
بل المرأة من أجل الرجل • لهذا ينبغى للمرأة أن يكون لها سلطان على
رأسها من أجل الملائكة ، غير ان الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من
دون الرجل فى الرب ، لانه كما ان المرأة هى من الرجل هكذا الرجل أيضا
هو بالمرأة ، ولكن جميع الاشياء هى من الله ••• أم ليست الطبيعة نفسها
تعلمكم ان الرجل ان كان يرخى شعره فهو يحب الله ، وأما المرأة ان
كانت ترخى شعرها فهو مجد لها لان الشعر قد أعطى لها عوض
برقع (٣) ! »

« ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة (٤) » •

ولئن آثر بولس الرسول جانب الترهيب ، الا انه لا يستنكر الزواج
بل يراه حسنا : « •• فحسن للرجل أن لا يمس امرأة ، ولكن لسبب

(١) يو ١٩ ، ٢٥ - ٢٧

(٢) مريم ٣٢ - ٣٣ ، الاحزاب ٦

(٣) كورنثوس ١١ : ٣ - ٥١

(٤) البقرة ٢٢٨

الرنا لىكن لكل واحد امرأته ولىكن لكل واحدة رجلها ! لىوف الرجل المرأة حقها الواجب ، وكذلك المرأة أيضا الرجل ...

ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل : انه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا ، ولكن ان لم يضبطوا أنفسهم فلىتزوجوا ، لان التزوج اصلح من التحرق !!

وأما المتزوجين فأوصيهم - لا أنا بل الرب - أن لا تفارق المرأة رجلها ، وان فارقتة فلتلبث غير متزوجة أر لتصالح رجلها • ولا يترك الرجل امرأته •

وأما الباقيون : فأقول لهم - أنا لا الرب - ان كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها ، والمرأة التى لها رجل غير مؤمن وهو يرتضى أن يسكن معها فلا تتركه ، لان الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل ، والا فأولادكم نجسون ! وأما الآن فهم مقدسون ، ولكن ان فارق غير المؤمن فلىفارق ... لىس الاخ والاخت مستعبدا فى مثل هذه الاحوال ، ولكن الله قد دعانا فى السلام • لانه كيف تعلمين أيتها المرأة هل تخلصين الرجل ، أو كيف تعلم أيها الرجل هل تخلص المرأة ؟؟ غير انه كما قسم الله لكل واحد - كما دعا الرب كل واحد ، هكذا لىسلك ، وهكذا أنا أمر فى جميع الكنائس ...

وأما العذارى : فلىس عندى أمر من الرب فيهن : ولىكننى أعطى رأيا كمن رحمه الرب أن يكون أمينا ، فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر - انه حسن للانسان أن يكون هكذا: أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال ، أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة ! لكنك ان تزوجت لم تخطئ ، وان تزوجت العذراء لم تخطئ ، ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق فى الجسد ، وأما أنا فانى أشفق عليكم ... غير المتزوج يهتم فى ماللرب كيف يرضى الرب ، وأما المتزوج فيهتم فى ماللعالم كيف يرضى امرأته ! ان بين الزوجة والعذراء فرقا : غير المتزوجة تهتم فى ماللرب لتكون مقدسة جسدا وروحا ، وأما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى رجلها ! هذا أقوله لخيركم - لىس لكى ألقى عليكم وهقا - بل لأجل اللياقة والمشاركة للرب من دون ارتباك • ولكن ان كان يظن انه يعمل بدون لياقة نحو عذارائه اذا تجاوزت الوقت - وهكذا لزم أن يصير ،

فليفعل ما يريد ! انه لا يخطيء ، فليتزوجا • وأما من أقام راسخا في قلبه وليس له اضطرار بل له سلطان على ارادته وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراءه فحسنا يفعل • **اذن من زوج فحسنا يفعل ، ومن لا يزوج يفعل أحسن •** المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حيا ، ولكن ان مات رجلها فهي حرة لكى تتزوج من تريد فى الرب فقط – ولكنها أكثر غبطة ان لبثت هكذا بحسب رأى ، وأظن انى أنا أيضا عندى روح الله (١) •

وقد تكررت وصية رسل المسيح للرجال بحسن معاملة النساء ، وللنساء بحسن معاملة الرجال ، فهذا بولس يقول :

« **أيها النساء :** اخضعن لرجالكن كما للرب ، ولأن الرجل هو أساس المرأة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد • ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح ، كذلك النساء لرجالهن فى كل شيء ••• »

أيها الرجال : أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة ، لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة ••• كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم ، من يحب امرأته يحب نفسه ، فانه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه ••• ومن أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا • هذا السر عظيم ، ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة ، وأما أنتم الأفراد : فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه ، وأما المرأة فلتحب رجلها ••• »

« **أيها الأولاد :** أطيعوا والديكم فى الرب لأن هذا حق • أكرم أباك وأمك – التى هى أول وصية بوعد ، لكى يكون لكم خير وتكونوا طوال الأعمال على الأرض • وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم ، بل ربوهم بتأديب الرب وانذاره • »

« **أيها النساء :** اخضعن لرجالكن كما يليق فى الرب ! أيها الرجال : أحبوا نساءكم ، ولا تكونوا قساة عليهن • أيها الأولاد : أطيعوا والديكم فى كل شيء ، لأن هذا مرضى فى الرب • أيها الآباء : لا تغيظوا أولادكم فتفشلوا » (٢) •

وفى رسالة بطرس الأولى :

(١) ١ كورنثوس : ٧ كله

(٢) افسوس ٥ : ٢٢ – ٣٣ ، ٦ : ١ – ٤ ، كولوسى ٣ : ١٨ – ٢١

« كذلك أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن - حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة ، يربحون بسيرة النساء بدون كلمة - ملاحظين سيرتكن الطاهرة بخوف • ولا تكن زينتك الزينة الخارجية - من ضفر الشعر والتحل بالذهب ولبس الثياب ، بل انسان القلب الخفى فى العديمة الفساد ، زينة الروح الوديع الهادى الذى هو قدام الله كثير الثمن ! فانه هكذا كانت قديما النساء سارة تطيع ابراهيم داعية اياه سيدها ، التى صرتن أولادها صانعات خيرا وغير خائفات خوفا البته •

كذلك أيها الرجال : كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الاناء النسائي كالأضعف ، معطين اياهن كرامة كالوارثات أيضا معكم نعمة الحياة لكى لا تعاق صلواتكم » (١) •

والنصوص الواردة فى الاناجيل المتداولة لا تجيز **الطلاق** الا لعة الزنا ، ولا يرتضى الكاثوليك أن يسموا الطلاق فى هذه الحالة طلاقا ، وانما هو افتراق جسمانى فحسب : « ودنا اليه الفريسيون ليـجربوه ، وقالوا : هل يحل للرجل أن يطلق زوجته لكل علة ؟ فأجاب قائلا : أما قرأتم أن الخالق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى ؟ وأنه قال : لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته ويصيران كلاهما جسدا واحدا ، ومن ثم فليسا هما اثنين بعد ، بل جسد واحد - واذن فما جمعه الله فلا يفرقه انسان ! فقالوا له : **لماذا إذن أوصى موسى بأن تعطى كتاب طلاق وتخلى ؟** فقال لهم : انه لقساوة قلوبكم أذن لكم موسى أن تطلقوا نساءكم ، ولكن فى البدء لم يكن الأمر كذلك • وأنا أقول لكم : من طلق امرأته - الا لعة الزنا - وتزوج أخرى فقد زنى ، ومن تزوج مطلقة فقد زنى • فقال له تلاميذه : **ان كانت هذه حال الرجل مع امرأته ، فالأولى له أن لا يتزوج !** فقال لهم : ليس الجميع يفهمون هذا الكلام ، الا الذين وهب لهم أن يفهموا » ! وقد أكد بولس فى رسائله هذا المعنى ، وشرح الأب لويس برسوم الفرنسيسكانى وجهة نظر الكاثوليك بقوله : « لما كان التعليم بأن لا طلاق اطلاقا قد جاء واضحا جليا فى ثلاثة من كتبة العبيد الجديد ممن طرخوا هذا الموضوع - وهم مرقس ولوقا والرسول بولس ، وقد جاء غامضا فى كاتب واحد - ألا وهو البشير متى (الذى أورد استثناء حالة الزنا من حكم منع الطلاق بتاتا) ، فكان لا مناص من تفسير تعليم متى هذا الغامض بتفسير الرسل الثلاثة المذكورين الواضح -

(١) ١ بطرس ٣ : ١ - ٧

(الذى لم يورد استثناء) ، والا وجب القول بأن هناك تضارباً وخلافاً - وهذا محال . . . وعلى ذلك نقول ان المقصود بالطلاق فى حالة الزنا فى نص متى ، لا طلاق بحصر المعنى - الذى فيه يتم فسخ العهد الزوجى ، بل الطلاق باتساع المعنى - أى الافتراق وهجر الزوج الزانى اللذين لا يتم فيهما فسخ عقد الزواج . وأيضا لو كان الطلاق الذى يأذن به السيد المسيح فى حالة الزنا هو نفس الطلاق الذى كان يأذن به موسى - أى الطلاق بحصر المعنى ، لما كان هناك أى فرق جوهري بين الشريعتين الجديدة والعتيقة ولما كان السيد المسيح قد أصلح بهذا الشأن شيئا أو أتى بجديد . ولكن مثل هذا التفسير مناقض لكل القرائن . . . ولما كان من الواضح أن قوله : ومن تزوج مطلقة فقد زنى - يشمل كل مطلقة سواء أكانت زانية أم غير زانية ، أصبح من الواضح أيضا أن سبب ارتكاب الزنا من جهة من يتزوج بمطلقة هو دوام رباط زواج المرأة برجلها الأول وعدم انفساخه بالطلاق « (١) » .

وهكذا تقوم العلاقات بين أفراد الأسرة - رجالا ونساء ، كبارا وصغارا - على التضامن والتراحم والتواصى بالخير والمعروف . . .

« يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا » .

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

« والذين يقولون : ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة عين ، واجعلنا للمتقين إماما » .

« فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى - بعضكم من بعض » .

« الرجال قوامون على النساء - بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » (٢) .

(١) مت ١٩ : ٣ - ١٢ ، مر ١٠ : ٢ - ١٢ ، لو ١٦ : ١٨ ، رو ٧ : ٢ - ٣ ، ١ كور ٧ : ١١ ، لويس برسوم : حياة يسوع المسيح ج ٢ ص ٢٣ : ٢٦

(٢) النساء ١ ، الروم ٢١ ، الفرقان ، ٧٤ ، آل عمران ١٩٥ ، النساء ٣٤

الرق

ويسوق المسيح فى الأناجيل المتداولة ، كثيرا من القصص حول العبيد والسادة ، فما موقف المسيحية تجاه الرق والأرقاء؟؟

« ... يشبه ملكوت السموات انسانا ملكا أراد أن يحاسب عبيده ، فلما ابتدأ فى المحاسبة قدم اليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة ، واذ لم يكن له ما يوفى - أمر سيده أن يباع هو وامراته وأولاده كل ماله ويوفى الدين . فخر العبد وسجد له قائلا : ياسيد تمهل على فأوفيك الجميع ! فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك الدين . ولما خرج ذلك العبد وجد واحدا من العبيد رفقاءه كان مديونا له بمائة دينار ، فأمسكه وأخذ بعنقه قائلا : أوفنى مالى عليك ، فخر العبد رفيقه على قدميه وطلب اليه قائلا : تمهل على فأوفيك الجميع ! فلم يرد ، بل مضى وألقاه فى سجن حتى يوفى الدين . وغضب سيده وسلمه الى المعذبين حتى يوفى كل ما كان عليه . فهكذا أبى السموى يفعل بكم ان لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته » (١) !

« كان انسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج ، وحفر فيه معصرة وبني برجاً ، وسلمه الى كرامين وسافر . ولما قرب وقت الأثمار ، أرسل عبيده الى الكرامين ليأخذ أثماره ، فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا ورجموا بعضا ! ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك ، فأخيرا أرسل اليهم ابنه ... » (٢) !

« ... يشبه ملكوت السموات انسانا ملكا صنع عرسا لابنه ، وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين الى العرس - فلم يريدوا أن يأتوا ، فأرسل أيضا عبيدا آخرين ... ولكنهم تهاونوا ... والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم » (٣) .

(١) مت ١٨ : ٢٣ - ٣٥

(٢) مت ٢١ : ٣٣ - ٣٦ ، لو ٢٠ : ٩ - ١٢

(٣) مت ٢٢ : ٢ - ٦

« وكأنما انسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله ، فأعطى واحد خمس وزنات وآخر وزنيتين وآخر وزنة - كل واحد على قدر طاقته ، وسافر للوقت . فمضى الذى أخذ الخمس وزنات وتاجر بها فربح خمس وزنات آخر ، وهكذا الذى أخذ الوزنتين ربح أيضا وزنيتين أخريين . وأما الذى أخذ الوزنة فمضى وحفر فى الأرض وأخفى فضة سيده وبعد زمان طويل أتى سيد أولئك العبيد وحاسبهم : فجاء الذى أخذ الخمس وزنات وقدم خمس وزنات آخر قائلا : يا سيد خمس وزنات سلمتني - هو ذا خمس وزنات آخر ربحتها فوقها . فقال له : نعم أيها العبد الصالح والأمين ، كنت أميناً فى القليل فأقيمك على الكثير ، ادخل الى فرح سيدك ! ثم جاء الذى أخذ الوزنتين وقال : يا سيد وزنيتين سلمتني - هو ذا وزنيتان أخريان ربحتهما فوقهما . قال له سيده : نعم أيها العبد الصالح والأمين . . . ! ثم جاء أيضا الذى أخذ الوزنة الواحدة وقال : يا سيد عرفت أنك انسان قاس تحصد حيث لم تزرع ، وتجمع من حيث لم تبذر ، فخفت ومضيت وأخفيت وزنيتك فى الأرض - هو ذا الذى لك . فأجاب سيده وقال له : أيها العبد الشرير والكسلان عرفت أنى أحصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبذر فكان ينبغى أن تضع فضتي عند الصيارف فعند مجيئى كنت آخذ الذى لى مع ربا !! فخذوا منه الوزن وأعطوها للذى له العشر وزنات ، لأن كل من له يعطى فيزداد ، ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه ! والعبد البطل اطرحوه الى الظلمة الخارجية . . . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان (١) » ! .

« ومن منكم له عبد يحرث أو يرعى ، ويقول له اذا دخل من الحقل : تقدم سريعا واتكىء ! بل ألا يقول له : أعد ما أتعشى به ، وتمنطق واخدمنى حتى آكل وأشرب ، وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت ! . . . فهل لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أمر به ، لا أظن ! كذلك أنتم أيضا ، متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا : اننا عبيد بطلون ، لأننا عملنا ما كان يجب علينا ! (٢) » .

هل يمكن أن تتخذ هذه الأمثال دلالة على أن المسيح يجيز الرق ، ويقر هذه المعاملة للأرقاء ؟؟

ان دلالة الاستنكار الضمنى لتلك العلاقة بين السادة والعبيد بادية

(١) مت ٢٥ : ١٤ - ٣٠ ، لو ١٩ : ١١ - ٢٧

(٢) لو ١٧ : ٧ - ١٠

فى معظم الأمثال التى يسوقها المسيح من هذا اللون - وخاصة فى المثليين
الآخرين !! وما كانت رسالة المحبة لترضى باستعباد الناس للناس
واستبداد الناس بالناس !

وأعتقد أن المسيح لم يشأ أن يتعرض لهذا الوضع الاجتماعى تعرضا
مباشرا ، فهو وضع تاريخى له مكانه فى التدرج الانسانى الطويل ...
وانما ترك لأصول المسيحية أن تنضج ثمرتها وتنتج أثرها عن طريق
التطور الهادى البطيء ...

ذلك أن الرق يعتبر ركنا لنظام اجتماعى واقتصادى معين ، والأسلم
أن ينهار هذا الركن تلقائيا بعد أن يتم الاعداد للتطور الاجتماعى الجديد !

كذلك كانت سنة الاسلام - مع خطوات أكثر تفصيلا لتحرير الرقيق
القائم ، وتضييق موارد الرق فى المستقبل ، وتهيئة النفوس والأذهان
وأوضاع المجتمع والتشريع لاستقبال المجتمع الحر المتساوى ، المتكافل
المتضامن ، الذى لا يستعبد فيه الانسان بنى الانسان وقد ولدتهم أمهاتهم
أحرارا !! ولا يتأتى أن يؤخذ من مثل يضربه القرآن بعبد مملوك اجازة
الاسلام للرق كمبدأ مقرر ثابت : « ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على
شئ ، ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا - هل
يستوون ؟ الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعلمون » (١) .

وهى نفس القضية بالنسبة للأمثال التى تحدث بها المسيح .

وعلى هذا المنوال ساير رسل المسيح الاوضاع كما هى ، حتى تتغير
من الجذور والأعماق برسالة المحبة المسيحية ، فكتب بولس الرسول :
« أيها العبيد : أطيعوا ساداتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة
قلوبكم كما للمسيح ، لا يخدمة العين كمن يرضى الناس بل كعبيد
المسيح ، عالمين مشيئة الله من القلب ، خادمين بنية صالحة كما للرب ليس
للناس ، عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب - عبدا
كان أم حرا - وأنتم أيها السادة : افعلوا هذه الأمور تاركين التهديد ،
عالمين أن سيديكم أنتم أيضا فى السموات وليس عند محابة » (٢) !

وفى رسالة أخرى كان بولس أصرح فى تقرير العدالة والمساواة
بين السادة والعبيد : « أيها العبيد : أطيعوا فى كل شئ ساداتكم حسب

« (١) النحل ٧٥

« (٢) افسوس ٦ : ٥ - ٩

الجسد ، لا بخدمة العين كمن يرضى الناس بل ببساطة القلب خائفين الرب ، وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب للرب ليس للناس ، عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب المسيح ، وأما الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباة .

أيها السادة : قلموا للعبد العدل والمساواة ، عالمين أن لكم أيضا سيديا في السموات ، « ليس يهودى ولا يونانى ، ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر ولا أنثى – لأنكم جميعا واحد فى المسيح يسوع » (١) .

اذن فقد اختار رسل المسيح ألا يصطدموا بأوضاع المجتمع – كما لم يشاءوا أن يصطدموا بسلطان الحكم – حتى لا يسيء فهم رسالتهم أحد ، ولا تنفر منها نفس ، أو تحاربها سلطة : « جميع الذين هم عبيد تحت نير : فليحسبوا ساداتهم مستحقين كل اكرام ، لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه » . والذين لهم سادة مؤمنون لا يستهينون بهم – لأنهم اخوة ، بل ليخدموهم أكثر ، لأن الذين يتشساركون فى الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون ، « والعبيد أن يخضعوا لساداتهم ويرضوهم فى كل شئ » غير مناقضين ، غير مختلسين بل مقدمين كل أمانة صالحة – لكي يؤثروا **تعليم مخلصنا الله فى كل شئ » (٢) !!**

« يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى ، ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم ، والله غفور رحيم » .

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » (٣) .

(١) كولوسي ٣ : ٢٢ – ٢٥ ، ٤ : ١ ، غلاطية ٣ : ٢٨

(٢) اتيموثاوس ١ : ٦ – ٢ ، تيطس ٢ : ٦ – ١٠

(٣) الانفال : ٧ ، الحجرات ١٣

الفقرة

بقيت المشكلة الدقيقة الخطيرة ... مشكلة الأغنياء والفقراء ،
مشكلة تفاوت الثراء وصراع الطبقات ...
« ودخل يسوع الى هيكل الله ، وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون
ويشترون في الهيكل ، وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام !
وقال لهم : مكتوب : ببيتى بيت الصلاة يدعى - وأنتم جعلتموه مغارة
لصوص !! » ، « لم يدع أحد يجتاز الهيكل بمتاع » ! « ... ووجد في
الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرا وغنما وحماما ، والصيارف جلوسا .
فصنع سوطا من حبال ، وطردهم جميعا من الهيكل : الغنم والبقر ، وكب
دراهم الصيارف وقلب موائدهم ، وقال لباعة الحمام : ارفعوا هذه من
هنا ، ولا تجعلوا بيت أبى تجارة » !! (١) .

ترى هل هذه نظرة المسيح الى المال والتجارة ، والصيارف والدنانير
- فى بيت الله المقدس وحده ... أم هى نظرتة اليها فى كل مكان ؟؟

« لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ ،
وحيث ينقب السارقون ويسرقون ! بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث
لا يفسد سوس ولا صدأ ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون ، لأنه
حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا ! ... »

لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، لأنه اما أن يبغض الواحد ويحب
الآخر ، أو يلزم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدر أن تخدموا الله والمال !
لذلك أقول لكم : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا
لأجسادكم بما تلبسون . أليست الحياة أفضل من الطعام ، والجسد أفضل
من اللباس ؟ انظروا الى طيور السماء : انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع
الى مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها ! أليست أنتم بالحرى أفضل منها ؟

(١) مت ٢١ : ١٢ - ١٣ ، مر ١١ : ١٥ - ١٧ ، لو ١٩ : ٤٥ - ٤٦ ، يو ٢ :

ومن منكم اذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة ؟ ولماذا تهتمون باللباس ؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو - لا تتعب ولا تغزل ، ولكن أقول لكم انه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها ! فان كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غدا فى التنور يلبسه الله هكذا ، أفليس بالحرى جدا يلبسكم أنتم يا قليلي الايمان ؟ فلا تهتموا قائلين : ماذا نأكل ؟ أو ماذا نشرب ؟ أو ماذا نلبس ؟ - فان هذه كلها تطلبها الأمم ، لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون الى هذه كلها ، لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزداد لكم . فلا تهتموا للغد ، لأن الغد يهتم بما لنفسه ، يكفى اليوم شره ! (١) » .

هذه الكلمات دفعت الدكتور شويتزر Schweitzer - ومن ينحى منحاه - أن « يرى أن السيد المسيح أوصى الناس بوصايا لا اعتقاده أن الساعة قريبة ، وأن الدنيا التى يهجرونها مقضى عليها بالفناء فى مدى سنوات ! فكل ما أوصى به الناس فالمفهوم منه أنهم على سفر ، وأن الزاد للعالم الآخر من غير هذا الزاد الذى يدخره المدخرون للدنيا الزائلة !! » . وفى اعتقادنا أنه لا محل للخلاف على الوصايا التى وجهها المسيح لتلاميذه المتجردين لنشر الدعوة ، فان كل دعوة فى عصر المسيح أو فى عصرنا هذا ، وفى جهاد الدين أو جهاد الدنيا - تحتاج من الدعاة الى مثل ذلك التجرد ومثل ذلك الانقطاع عن الشواغل الأخرى انما الخلاف على الوصايا حين تتجه الى غير التلاميذ والرسول لا حاجة بنا الى الفرض والاحتمال ، فان المسيح قد غير المحور حين قبل انفاق الدنانير فى عطر تمسح به قدماه ، وحين قبل أن يشهد الأعراس ويضرب المثل لاتباعه فى أفراح الحياة ، وفى براعة كل فرح يأتى من القلب ويسر الجسد ولا يحزن الروح ، (٢) !

والأستاذ العقاد يشير بهذا الى ما ورد فى الاناجيل المتداولة : « وفيما كان يسوع فى بيت عنيا فى بيت سمعان الأبرص ، تقدمت اليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن ! فسكبته على رأسه وهو متكئ ، فلما رأى تلاميذه ذلك اغتاظوا قائلين : لماذا هذا الاتلاف ؟ لأنه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بكثير ويعطى للفقراء ! فعلم يسوع وقال لهم : لماذا تزعجون المرأة - فانها قد عملت بى عملا حسنا ، لأن الفقراء معكم فى كل

(١) مت ٦ : ١٩ - ٣٤ ، لو ١٢ : ٢٢ - ٣١

(٢) العقاد : عبقرية المسيح - ص ١٤٣ ، ١٤٥

حين وأما أنا فلست معكم فى كل حين ! فانها سبكت هذا الطيب على جسدى ، انما فعلت ذلك لأجل تكفينى ! الحق أقول لكم : حيثما يكرز بهذا الانجيل فى كل العالم ، يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكارا لها ، (١) !!

» وصنع له لاوى ضيافة كبيرة فى بيته ، والذين كانوا متكئين معهم كانوا جمعا كثيرا من عشارين وآخرين » ! « وفيما هو متكئ فى بيته كان كثيرون من العشارين والخطاة يتكثون مع يسوع وتلاميذه ، (١) .

» وفى اليوم الثالث كان عرس فى قانا الجليل ، وكانت أم يسوع هناك ، ودعى أيضا يسوع وتلاميذه الى العرس . ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر . قال يسوع : مالى ولك يا امرأة ، لم تأت ساعتى بعد . قالت أمه للخدام : مهما قال لكم فافعلوه قال لهم يسوع : املأوا الأجران ماء - فملأوها الى فوق ، ثم قال لهم : استقوا الآن وقدموا الى رئيس المتكأ - فقدموا . فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمرًا الخ ، (٢) .

والحق أن الدعوة الى الزهد يستفيد منها الفقراء ، لا الأغنياء - كما يشيع ! اذ أن الزاهد ينبغي أن يملك أولا مايزهد فيه - ثم يزهد ، وحين يملك فلن يكون سبيله الى الزهد أن يلقي ماله فى البحر - وانما سينفقه بما يعود بالنفع على المجموع !

فليس الزهد تخديرا لنفوس المحرومين ، بل هو تنبيه لعواطف القادرين والمالكين !! فلو زهد الجميع لكان رأس المال مشتركا بين الجميع ، ولو أصر قوم على تكديس المال - فهم وحدهم المنهيون عن الكنز والترف ، المأمورون بالزهد والبذل وليس الفقراء الذين لا يجدون مافيه يزهدون !!

وما أكثر ما نعى المسيح على الأغنياء ، وما أكثر ما طيب خواطر الفقراء لينخلع الأولون من فائض ثرواتهم ، وليعتز الآخرون بأنفسهم وإيمانهم - ومن هنا يقترب هؤلاء وهؤلاء !

» واذا واحد تقدم وقال له : أيها المعلم الصالح ، أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ فقال له : لماذا تدعونى صالحا ؟ ليس أحد

(١) لو ٥ : ٢٩ ، الرواية كاملة مت ٩ : ٩ - ١٣ ، مر ٢ : ١٣ - ١٧ ، لو ٥ : ٢٧ - ٣٢

(٢) يو ٢ : ١ - ١١ ٤

صالحا الا واحد - وهو الله ، ولكن ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا . قال له : أية الوصايا ؟ فقال يسوع : لا تقتل ، لا تزني ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك . قال له الشاب : هذه كلها حفظتها منذ حدثتني ، فماذا يعوزني بعد ؟؟ قال له يسوع : ان أردت أن تكون كاملا ، فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني ! . فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا ، لانه كان ذا أموال كثيرة ! فقال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم : انه يعسر أن يدخل غنى الى ملكوت السموات ! وأقول لكم أيضا : ان مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى الى ملكوت الله ! فلما سمع تلاميذه بهتوا جدا قائلين . اذن من يستطيع أن يخلص ؟ فنظر اليهم يسوع وقال لهم : هذا عند الناس غير مستطاع ، ولكن عند الله كل شيء مستطاع ! . . . فقال بطرس : ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك ، فقال لهم : الحق أقول لكم : أن ليس أحد ترك بيتا أو والدين أو اخوة أو امرأة أو أولادا من أجل ملكوت الله ، الا ويأخذ في هذا الزمان أضعافا كثيرة ، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية ، (١) .

» . . . ثم يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا يامباركي أبى ، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم - لأنى جعت فأطعمتمونى ! عطشت فأسقيتمونى ! كنت غريبا فأويتمونى ! عريانا فكسيتمونى ! مريضا فزرتمونى ! محبوسا فأتيتم الى ! فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يارب متى رأيناك جائعا فأطعمناك ! أو عطشانا فأسقيناك ؟ ومتى رأيناك غريبا فأوييناك ؟ أو عريانا فكسوناك ؟ ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتينا اليك ؟ فيجيب الملك ويقول لهم : الحق أقول لكم : بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر - فبى فعلتم !!

ثم يقول أيضا للذين عن اليسار : اذهبوا عنى ياملاعين الى النار الأبدية المنعده لابليس وملائكته - لأنى جعت فلم تطعمونى ! عطشت فلم تسقونى ! كنت غريبا فلم تأوونى ! عريانا فلم تكسونى ! مريضا ومحبوسا فلم تزورونى ! حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين : يارب متى رأيناك جائعا ، أو عطشانا ، أو غريبا ، أو عريانا ، أو مريضا ، أو محبوسا ولم نخدمك ؟؟ فيجيبهم قائلا : الحق أقول لكم : بما أنكم لم تفعلوه بأحد

(١) مت ١٩ : ١٦ - ٢٦ ، مر ١٠ : ١٧ - ٢٧ ، لو ١٨ : ١٨ - ٢٨ .

هؤلاء الأصاغر - فبى لم تفعلوا !! فيمضى هؤلاء الى عذاب أبدي ، والأبرار الى حياة أبدية (١) !! ، •

هكذا يرفع الله جزاء من أدوا حق الفقير والمسكين ...

والقرآن كذلك يجعل كل ما يقدم الانسان من خير واقعا في يد الله العلى الأعلى : « ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم ، والله شكور رحيم (٢) » •

ولا يترك المسيح حق الفقير حتى يوصى به فى موائد الأغنياء وولاثمهم :

« وقال أيضا للذى دعاه : اذا صنعت غداء أو عشاء ، فلا تدع أصدقاءك ولا اخوتك ولا أقربائك ولا الجيران الأغنياء ، لثلا يدعوك هم أيضا فتكون لك مكافأة ! بل اذا صنعت ضيافة ، ادع المساكين الجدد العرج العمى - فيكون لك الطوبى اذ ليس لهم حتى يكافوك ، لأنك تكافى فى قيامة الأبرار » !

فاذا أدى الغنى حق الفقير ، فهو مرضى العمل مبارك المال ، « ثم دخل واجتاز فى أريحا • واذا رجل اسمه زكا - وهو رئيس للعشارين وكان غنيا ، وطلب أن يرى يسوع من هو ، ولم يقدر مع الجمع لأنه كان قصير القامة ، فركض متقدما وصعد الى جميزة لكى يراه ! • فلما جاء يسوع الى المكان ، نظر الى فوق فرآه وقال له : يا زكا أسرع وانزل لأنه ينبغى أن أمكث اليوم فى بيتك ! فأسرع ونزل وقبله فرحا • فلما رأى الجميع ذلك تدمروا قائلين : انه دخل لبيت عند رجل خاطيء ! فوقف زكا وقال للرب : ها أنا يا رب أعطى نصف أموالى للمساكين ، وان كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف !! فقال له يسوع : اليوم حصل خلاص هذا البيت ، اذ هو أيضا ابن ابراهيم ، لأن ابن الانسان قد جاء لكى يطلب يخلص ما قد هلك » (٣) ! •

فالمسيحية تهتف بحق الفقير فى مال الغنى ، وتغري الغنى بإيثار ما عند الله فهو خير أبقى مما يقدمه من ماله للفقير ... ومعنى هذا أن

(١) مت ٢٥ - ٣٤ - ٤٦

(٢) التغبين ١٧

(٣) لو ١٤ : ١٢ - ١٤ ، ١٩ : ١ - ١٠

يلتقى الاغنياء والفقراء عند مستوى من العدالة والتكافل ، ولا تنهشهم
غوارق الترف والحرمان !!

« ورأس المال » الأصيل هو « الطاقة الانسانية » التى ينبغى أن
تبدل فى العمل . وقد كان المسيح يعمل أثناء صباه فى النجارة « يصنع
المحاريث والانيار ، فكان يأتى اليه الفلاحون الذين يريدون الأمانة فى
المعاملة . هنا نراه قد علم البشرية كرامة العامل الأمين فى عين الله .
وقد كان الناس فى عصره - ومنهم شيشرون مثلا - يحتقرون العامل ،
ولقد سخر أهل الناصرة منه قائلين : أليس هذا النجار ؟ وكان فرضا
على يسوع بحكم صنعته أن يتعامل بالنقود ويبتاع الاخشاب ويبيعها بعد
صنعها . وفى هذا علم المسيح الناس أن الحياة العملية قد تكون مقدسة
وأن منضدة البيع والشراء ومنضدة المكتب قد تبقيان سليمتين من الغش
والاثم كمذبح الله » (١) .

فاذا توفر مستوى معيشى مرتفع للجميع : ثمرة انتاج ناجح وتوزيع
عادل ، فهل يرفض الناس نعمة الله بدعوى الزهد ؟؟

ان الدين يأمر بالعمل والنشاط ، وهذا من شأنه أن يزيد الانتاج
والثروة ، ويأمر بالعدل والاحسان وهذا من شأنه أن تصل الأموال الى
مزيد من الأيدى - ومن هنا تظهر نعمة الله على عباد الله .

« ولكن الروح يقول صريحا انه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن
الايمان - تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين ، فى رياء أقوال كاذبة ،
موسومة ضمائرهم ، مانعين عن الزواج ، وآمرين أن يمتنع عن أطعمة
قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفى الحق . لأن كل خليفة
الله جيدة ، ولا يرفض شئ اذا أخذ مع الشكر لأنه يقدس بكلمة الله
والصلاة . ان فكرت الاخوة بهذا تكون خادما صالحا ليسوع المسيح ،
متربيا بكلام الايمان والتعليم الحسن الذى تتبعته . وأما الخرافات
الذنسية العجائزية فارفضها ، وروض نفسك للتقوى لأن الرياضة
الجسدية نافعة لقليل ، ولكن التقوى نافعة لكل شئ : اذ لها موعد الحياة
الحاضرة والعتيدة ، صادقة هى الكلمة ومستحقة كل قبول ! » (٢)

ما أنفسها من كلمات .. فليس الزهد بتحريم الحلال واضاعة
المال ، ولكن أن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يدك ...

(١) بترسون سمث : حياة يسوع - ترجمة حبيب سعيد ص ٤٦

(٢) تيموثاوس ٤ : ١ - ٩

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا ،
ان الله لا يحب المعتدين • وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله
الذى أنتم به مؤمنون ••• ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح
فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ثم
اتقوا وأحسنوا ، والله يحب المحسنين » (١) •

« ••• أنتم تعرفون كيف يجب أن يتمثل بنا ، لأننا لم نسلك
بلا ترتيب بينكم ، ولا أكلنا خبزا مجانا من أحد ، بل كنا نشتغل بتعب
وكد ليلا ونهارا ، لكى لا نثقل على أحد منكم • ليس أن لا سلطان لنا ، بل
لكى نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تتمثلوا بنا ! فاننا أيضا حين كنا عندكم
أوصيناكم بهذا : أنه ان كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضا ،
لأننا نسمع أن قوما يسلكون بينكم بلا ترتيب ، لا يشتغلون شيئا بل
هم فضوليون ! فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن
يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم » (٢) !!

هذه اذن ليست رسالة الحرمان لذات الحرمان ، وليست رسالة
التبطل والقعود •••

انها نور وحياة •••

وهي فى هذه الأضواء جميعا متكاملة ، مفهومة ، بغير انتقاص أو
تشويه •••

دعوة تصرف القلوب والعقول الى ملكوت السموات ، فيتضاءل عندها
متاع الحياة الدنيا - اذ قد تطلعت الى أفق أوسع وهدف أرفع ••• ومن
ثم يتداول الناس المال بينهم ، وقد برئوا من تكالب الذين جعلوا الدنيا
غاية همهم ومبلغ علمهم ومنتهى آمالهم !

ويجتمع الأغنياء والفقراء على رب الأغنياء والفقراء ، ويتقاسمون نعم
الله بالعدل فيما بينهم طلبا لنعيم الله ••• وتكون (القبلة) الواحدة
الجديدة هي أداة تفتيت الثروة ، وادماج الطبقة مع الطبقة :

« وجلس يسوع تجاه الخزانة ، ونظر كيف يلقي نحاسا فى الخزانة ،
وكان أغنياء كثيرون يلقون كثيرا • فجاءت أرملة فقيرة - وألقت فلسين
قيمتها ربع (آس) ! فدعا تلاميذه ، وقال لهم : الحق أقول لكم : ان

(١) المائدة ٨٧ - ٨٨ ، ٩٣

(٢) ٢ تسالونيكي ٣ : ٦ - ١٢

هذه الأرملة الفقيرة قد ألفت أكثر من جميع من ألقوا في الخزان ، لأن الجميع من فضلتهم ألقوا ، وأما هذه فمن اعوازاها ألفت كل ما عندها - كل معيشتها « (١) » .

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض - ان الله لا يحب المفسدين » ثم قفينا على آثارها برسلنا ، وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل ، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة رحمة ورهبانية ابتدعوها - ما كتبناها عليهم ، الا ابتغاء رضوان الله - فما رعوها حق رعايتها (٢) » .

وكان مجتمع التلاميذ ، هو المجتمع المتكافل الذي حقق تطبيق هذه المبادئ ...

أوصى المسيح الاثنى عشر حين أرسلهم : « مجاناً أخذتم ، مجاناً أعطوا ... لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ، ولا مزوداً للطريق ، ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصاً - لأن الفاعل مستحق طعامه » (٣) .
« ولما كانت الساعة اتكأ والاثنى عشر رسولا معه ، وقال لهم : شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم ، لأنى أقول لكم : انى لا آكل منه بعد حتى يكمل فى ملكوت الله ! ثم تناول كأساً وشكر - وقال : خذوا هذه واقتسموها بينكم ... وأخذ خبزاً وشكر - وكسر وأعطاهم قائلاً : هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم ... وقال لهم : حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية ، هل أعوزكم كل شيء ؟ فقالوا : لا . فقال لهم : لكن الآن من له كيس فليأخذه ، ومزود - كذلك ، ومن ليس له فليبع ثوبه ويشتر سيفاً ! لأنى أقول : لكم : انه ينبغى أن يتم فى أيضاً هذا المكتوب : وأحصى مع اثمة - لأن ما هو من جهتى له انقضاء ! فقالوا : ياربى هو ذا هنا سيفان ، فقال لهم : يكفى » (٤) !

لقد اشترك المسيح مع تلاميذه فى لقمة وشربة ، فغدت هذه الشركة من طقوس المسيحية : « وفيما كان يسوع يفيض بشراً وحناناً ، شاء أن

(١) مر ١٢ : ٤١ - ٤٤ ، لو ٢١ : ١ - ٤

(٢) القصص ٧٧ ، الحديد ٢٧

(٣) مت ١٠ : ٨ - ١٠ ، مر ٦ : ٨ - ٩ ، لو ٩ : ٣

(٤) لو ٢٢ : ١٤ - ١٩ ، ٣٥ - ٣٨

يرسم سر القربان آية حبه العجيب ، وذبيحة عهده الجديد . . . هذا هو جسدى ، هذا هو دمي - فما أعظم وأبسط هذه الكلمات ، التى بها صارت وتصير على مبر الأجيال على أيدي الكهنة أعجوبة الاستحالة : استحالة جوهر الخبز الى جسد المسيح ، واستحالة جوهر الخمر الى دم المسيح ! ولا غرو ، فكلمة يسوع هى - أمس واليوم والى مدى الدهور ، كلمة الله الضابطة الكل ، الكلمة التى لا يمكن أن يقف دونها حائل وتنفذ ماتشاء . . . اذن يجب فهم تلك الكلمات : جسدى ودمى بمعناها الحقيقى ، ولاسيما أن ليس هناك مايشير من بعيد أو قريب الى المعنى المجازى المزعوم « (١) !

ومارس تلاميذ المسيح بعد رفع المسيح تجربة المعيشة الجماعية :
« وكانوا يواظبون على تعليم الرسل ، والشركة ، وكسر الخبز ، والصلوات . . . وجميع الذين آمنوا كانوا معا ، وكان عندهم كل شيء مشتركاً . والأملك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع ، كما يكون لكل واحد احتياج . وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة . واذ هم يكسرون الخبز فى البيوت ، كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب . . . » ، « وكان الجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ، ولم يكن أحد يقول : ان شيئاً من أمواله له ، بل كان عندهم كل شيء مشتركاً . . . اذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً ، لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل ، فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج . ويوسف الذى دعى من الرسل برنابا - يترجم ابن الوعظ وهو لاوى قبرسى الجنس - اذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل . »

« وفى تلك الأيام اذ تكاثرت التلاميذ ، حدث تضر من اليونانيين على العبرانيين : أن أراملهم كن يغفل عنهن فى الخدمة اليومية . فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ ، وقالوا : لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد ، فانتخبوا أيها الاخوة سبعة رجال منكم مشهودا لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة - فنقيمهم على هذه الحاجة ، وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة . فحسن هذا القول أمام كل الجمهور ، فاختاروا . . . » (٢)

(١) لويس برسوم : حياة يسوع ج ٢ - (رسم الافخارستيا) ص ١٥٥ : ١٥٨

(٢) أعمال ٢ : ٤٢ - ٦ ، ٤ : ٣٢ ، ٣٤ - ٧ ، ٦ : ١ - ٦

بذلك كان رسل المسيح يقولون ما يفعلون ، يأمرّون الناس بالبر ولا ينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب !

وكما كانوا القدوة الطيبة والأسوة الحسنة في العمل ، واصلوا بالقول والبيان معالجة مشكلة الأغنياء والفقراء من عقدتها النفسية والفلسفية ، يقول بولس الرسول :

« أوصي الأغنياء في الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ، ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى ، بل على الله الحي الذي يمنحنا كل شيء بغنى للتمتع ! وأن يصنعوا صلاحا ، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة ، وأن يكونوا أسخياء في العطاء ، كرماء في التوزيع ، مدخرين أساسا حسنا للمستقبل ، لكي يمسكوا بالحياة الأبدية » .

وفي رسالة يعقوب : « ... وأما الغنى فباتضاعه ، لأنه كزهر العشب يزول ، لأن الشمس أشرقت بالحر فيبست العشب فسقط زهره وفنى جمال منظره ! هكذا يذبل الغنى أيضا في طريقه ! طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة ، لأنه اذا تزكى ينال اكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه ... هلم الآن أيها الأغنياء ، ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة . غناكم قد تهرأ ، وثيابكم قد أكلها العث ! ذهبكم وفضتكم قد صدئا ، وصدأها يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار ! قد كنزتم في الأيام الأخيرة ... هو ذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المنحوسة منكم تصرخ ، وصياح الحصادين قد دخل الى أذنى رب الجنود ! قد ترفهتكم على الأرض وتنعمتم وربيتم قلوبكم كما في يوم الذبح !! حكمتكم على البار ... قتلتموه ... لا يقاومكم » (١) .

صرخة صادقة ... ونذير مبين !!

« آمنوا بالله رسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ... وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ، ولله ميراث السموات والأرض ... من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له ، وله أجر كريم » .

« والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله - فبشرهم بعذاب أليم . يوم تحمى عليها في نار جهنم ، فتكوى بها جباههم

(١) أنيموناوس ٦ : ١٧ - ١٩ ، يعقوب ١ : ١٠ - ١٢ ، ٥ : ١ - ٦

وجنوبهم وظهورهم - هذا ما كنزتم لأنفسكم ، فذوقوا ما كنتم
تكنزون !! ، (١) .

ومن البابوات المتأخرين من أصدر رسائل تبسط وجهة النظر
البابوية في علاج المشكلات المعاصرة على هدى المسيحية ، وإذا كان
لرسالة البابا يوحنا الثالث والعشرون ١٩٦١ دويها المسموع نظرا لقرب
العهد بها ولما تضمنته من آراء محددة في مشكلات قائمة ، فإنه لا ينبغي أن
يغيب عن الذهن أن هذه الرسالة قد صدرت بمناسبة الذكرى السبعينية
لرسالة كان أصدرها البابا ليو الثالث عشر سنة ١٨٩١ تعالج أحوال
العمال القائمة وقتذاك . ومن هنا يشير كاتب كاثوليكي الى « وجود
مذهب مسيحي يحدده البابوات باستمرار مع الأساقفة واللاهوتيين ويلجأ
اليه كل يوم الكثير من قادة النشاط الانساني بل العديد من الحركات
العالمية ذات الصبغة المهنية والسياسية » .

يذكر البابا يوحنا الثالث والعشرون أن أولى مهمات الكنيسة هي
« تقديس النفوس وتبليغها خيرات الحياة الروحية » ، غير أنها « لا يسعها
أن تمكث مكتوفة الأيدي أمام مشاكل الحياة اليومية للبشر » ، فكما أن
المسيح كان يهتم بتخفيف آلام معاصريه فأطعم الجموع الجائعة ، كذلك
الكنيسة تهتم بالأحوال المعيشية والحضارية لبنى البشر حتى تحملهم
على النهوض بدعوتهم على الوجه الأكمل ، دعوة المحبة ، محبة الله ومحبة
الناس . وإذا كان المسيح - كما يقول كاتب كاثوليكي « لم يعطنا قانونا
مدنيا ولا تشريعا تجاريا ولا نظرية للدولة ولا قواعد للصحة ولا تعاليم
للملبس والمأكل والمشرب ولا حتى لاهوتا ولا شعرا ولا نحوا ولا أى
عنصر من عناصر التنظيم الدنيوى للمجتمع اذ ملكوته ليس من هذا
العالم ، فان المسيح وهبنا روح الحق والحرية والعدالة والمحبة ، وهبنا
انجيل الطوباويات (طوبى ٠٠٠) الذى يجب علينا تحقيقه على الارض
حتى نبلغ السعادة العظمى بمشاهدة الله . ولذلك على المسيحي أن يبدل
جهده فى تجنب كل ما يشمل مساسا لروح الانجيل على الأرض ، سواء
اكان ذلك فى نطاق المهنة أو التجارة أو التربية أو الثقافة أو السياسة
أو العلاقات الدولية أو غيرها ، والمسيحي ملزم أيضا ببذل جهده فى
نصرة كل ما من شأنه أن يفسح المجال أمام الطوباويات الانجيلية المبنية
على تخلص الانسان من أهوائه وأنانيته وبخله المقامة على الوداعة والمواساة

(١) التوبة ٣٤ - ٥ ، الحديد ٧ ، ٩ - ١٠ .

والعدالة والرحمة والعفة والسلام . فاذا كان التطور سنة التاريخ فلا بد له من معنى - أى اتجاه ، وهذا الاتجاه فى نظر الكنيسة لا يمكن أن يكون سوى الانسان ، الانسان المطلق الذى يتحقق مليثا فى المسيح . والكنيسة فى وفائها للمسيح لا تقترح على الانسان طرقا ولا وسائل ، ولكنها تقترح روحا ، ومن هنا يتحدد اختصاصها فى المجال الاجتماعى . فالكنيسة تطلب أن تتسم وتتشرّب كافة التنظيمات الاجتماعية ومجموع الواقع الانسانى بروح الحق والحرية والعدالة والمحبة . ولكن عندما يتقدم تنظيم من التنظيمات أو عندما تصبح المفاهيم البشرية لشعب ما غير مناسبة لشعب غيره فالكنيسة تتذكر أن ملكوت المسيح ليس من هذا العالم وأن واجبها عدم التحيز لنظام بعينه دون غيره أو ثقافة أو حضارة بعينها دون غيرها مادام الأساس فى كل حال هو احترام القيم الجوهرية للانسان اذ أن الكنيسة عليها أن تحمل مسئولية البشرية بأسرها فى سر الانسان الاله ، ولذلك فهى تحت المسيحيين على تحمل مسئولية الواقع الانسانى بما يحتويه من ثراء وثقافة وحضارة فى الزمن والبيئة اللذين يعيشون فيهما ليصنعوا من هذه العناصر عوامل تحرير الانسان وخلصه . وهكذا عمدت الكنيسة أولا الى كسب الامبراطورية الرومانية التى نشأت فى أحضانها فلما انهارت أمام ضربات المتبربرين اتجهت الى ادماج هؤلاء فى حياتها وسرها ، وقد تجاوزت الكنيسة مع روح العصور الوسطى وخاضت أعماقها ولكن عندما ذهبت أيامها وانقضت تحول بابواتها ولاهوتيوها ورهبانها الى عالم النهضة والعصر الحديث ، ثم هى تبذل جهودها اليوم فى انقاذ الحضارة الصناعية المزدهرة . . .

ولقد عالجت رسالة البابا ليو الثالث عشر ١٨٩١ مشكلات الواقع السئ للعمال فى ذلك الوقت وكان مما جاء فيها « ان الطفل يجب ألا يدخل المصنع الا بعد أن تكون السنون قد أنمت فيه بدرجة كافية قواه الجسمية والأخلاقية لكيلا يذبله العمل المبكر فتضيع فرصة تكوينه . . . وللنشاط كما للطبيعة حدود ، فعدد ساعات العمل فى اليوم يجب ألا يتجاوز قدرة العمال على الأداء ، كما يجب أن تحسب فترات الراحة وفقا لطبيعة العامل وحالته الصحية وظروف الزمان والمكان ، فان العامل الذى ينتزع من الارض مواردها الخصبة يمارس نشاطا يجب أن يحدد بحيث يضمن تعويضه والضرر الذى يصيب صحته من جرائه . . . »

وبالنسبة لقضية المرأة ذكر الكردينال فردييه حين كان رئيس مجلات الثقافة والكتائب والمسرح . وازافة هذا الكتاب الى المكتبة

أساقفة باريس « ان الكنيسة التي طالما اهتمت فى الماضى بقضية المرأة لا تستطيع أن تنكر عليها تحسين حالتها فى مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع غير أن الامر يقتضى الرجوع الى الطبيعة اذ أن للمرأة مصيرا خاصا يحدده تكوينها الجسدى والروحى من ناحية والرسالة التى يجب أن تؤديها داخل الاسرة بصفقتها زوجة وأما من ناحية أخرى ، وقال البابا بيوس الثانى عشر « لا شك ان الرجل والمرأة متساويان من حيث الشخصية والشرف والكرامة والقيمة والتقدير ، لكنهما ليسا متساويين فى كل شىء اذ ان هناك بعض المواهب والميول والاستعدادات الطبيعية خاصة بالرجل دون المرأة أو العكس ، وليس الامر هنا أمر مقدرات أو استعدادات طبيعية ثانوية كما هو الحال بالنسبة الى الميل نحو الآداب أو الفنون أو العلوم بل المسألة هنا مسألة صفات ومقومات أساسية لها أثرها الجوهرى فى الحياة العائلية وفى المجتمع . وهل من انسان يجهل أن الطبيعة اذا كتبت لابد أن تعود الى الظهور ؟ » وقد طلب البابا بيوس الثانى عشر الى المسئولين فى رسالة الميلاد التى أذاعها عام ١٩٤٢ الحرص على ألا تبعد أماكن العمل عن مساكن العمال حتى لا يصبح رب العائلة ومربى الأولاد وكأنه « غريب فى بيته » ، وكتب الكردينال سوهارد يشير بتفضيل المدن الصغيرة أو المتوسطة لسكنى العمال « حيث تكون المساكن أوسع وأرحب ويكون العمل أقل إرهاقا والحياة العائلية أسلم » .

واقترح البابا بيوس الثانى عشر عام ١٩٤١ التفكير فى تخطيط سياسة للسكان الشعبى قائلا « ألا يجدر قبل كل شىء التفكير فى المكان الحيوى اللازم للأسرة وفى تحرير هذه الأسرة من القيود التى تفرضها عليها ظروف حياة لا تسمح لها حتى بتخيل تملكها منزلا ؟؟ » وللكنيسة الكاثوليكية رأيها الذائع بالنسبة لتحديد النسل « فليس الأمر مجرد كثافة السكان ولكنه مرتبط ارتباطا وثيقا بالانتاج والتوزيع والتربية والصحة والمشروعات الاجتماعية أى بالعمل والادراك والايتار وذلك دون انكار أهمية عنصر الموارد الطبيعية المتوفرة فعلا فى كل بلد والكنيسة بسبب ثقتها فى امكانيات الانسان وفى الموارد التى كلف الخالق عبقرية الانسان باكتشافها واستغلالها متفائلة بالنسبة لمستقبل البشرية تفاؤلا يقوم على العمل الجدى والادراك والمروءة . . . » .

ولقد ظهرت الكنيسة حقوق العمال النقابية ، فلقد صرح البابا بيوس الحادى عشر « كما أن الذين يرتبطون بروابط الجوار ينتهون الى

تكوين جماعات خاصة فيما بينهم ، كذلك تدفع الطبيعة الذين يمارسون مهنة واحدة أيا كانت الى انشاء منظمات جماعية لهم لدرجة أن الكثيرين يعتبرون هذه المنظمات على أنها أعضاء طبيعية للمجتمع ان لم تكن جوهرية ، وأصدر الأساقفة الأسبانيون في نوفمبر عام ١٩٥٩ وثيقة جماعية قرروا فيها تأييد الكنيسة للمنظمات النقابية بشرط أن تهدف الى تحقيق العدالة والصالح العام وفي يونيو ١٩٥٧ ألقى البابا بيوس الثاني عشر خطابا كان مما جاء فيه « اذا درسنا مقومات التسلسل الفنى (للآلية) ، فلا بد لنا أن ندرك أنه يتطلب رأس مال له قدره وموجودات مالية طويلة الأمد ، فضلا عن ضرورة توفر عدد ضخم من الاختصاصيين القادرين على وضع برامج الانتاج المعقدة والاشراف الدقيق على تنفيذها ، ثم لابد أخيرا من تأمين أسواق التصريف اللازمة » ومن هنا استطرد البابا الى تقديم رأيه فى خطط التنمية وفى أزمات البطالة فقال « ان الشعب غير الغنى الذى يواجه التزامات فورية ملحة فى مختلف ميادين الخدمات كالتعليم ووسائل النقل والمواصلات والاصلاح الزراعى واقامة المساكن لابد له من الاكتفاء الذاتى فى نطاق رؤس أموال محدودة ، ومثل هذا الشعب لا يجوز له بآى حال أن يحيا حياة تفوق امكانياته كما يحدث غالبا عندما تسيطر جاذبية التقدم الفنى على المصروفات والاستثمارات . . . وهناك مشكلة (البطالة الفنية) التى قد تظهر غالبا حسب الظروف مع ادخال (الآلية) ، ويعتقد البعض أن هذا الخطر لا يطول أمده لأن أبواب امكانيات أخرى للعمل تفتح مع مرور الزمن لأسباب عدة منها اقامة صناعات جديدة واعادة تأهيل الأيدي العاملة لأعمال أخرى وخفض عدد ساعات العمل مع الاحتفاظ بنفس الاجور ووسيع نطاق العمل ليلا ونهارا من أجل الربح ، ولكن لابد مع ذلك من اعتبار الضرر الذى قد يصيب بعض البلاد من جراء اتساع فجوة بطالة الفنيين ولو لفترة وجيزة ، ولا يجوز التضحية بجيل بأكمله بحجة ما قد تتمتع به أجيال لاحقة من امتيازات » وقد دعا البابا بيوس الثانى عشر أيضا الى الاهتمام بالزراعة والعاملين فيها وقال « ليس هناك خطأ أكثر ضررا من خطأ الاعتقاد بأن (المزارع) لا تحتاج الى تكوين جدى خاص ، اذ أن محبة الارض على ضرورتها لا تكفى » وصرح البابا يوحنا الثالث والعشرون « على كل انسان أولا وعلى السلطات العامة خاصة بذل الجهد اللازم حتى تتوفر لدى البيئات الريفية المرافق الاساسية من طرق ووسائل نقل ومواصلات ومياه صالحة للشرب ومساكن وعلاج طبى وتعليم ابتدائى وتربية مهنية وخدمات مدنية ووسائل لشغل أوقات الفراغ وكل ما يقتضيه البيت الريفى من

ثبات ووسائل حديثة لتأمين الراحة ، فاذا انعدمت هذه الخدمات والمرافق وهي العناصر الجوهرية لتحقيق مستوى معقول للمعيشة في البيئات القروية استحال كل نمو اقتصادي وكل تقدم اجتماعي ونجم خطر متزايد بهجرة القرويين الى المدن ، وقد عرض البابا يوحنا الثالث والعشرون لنظم الضرائب والقروض والتأمينات الاجتماعية وتثبيت الأسعار وانماء الصناعات التحويلية وتطوير المنشآت ، وترتكز توصياته في هذا الصدد الى فكرة رئيسية « ان ايرادات القطاع الزراعي تتكون ببطء وتحقق بها احتمالات الخطر أثناء تكوينها » . وبالنسبة لنظام التملك كتب البابا بيوس الحادي عشر سنة ١٩٣١ في رسالته « ان نظام الملكية أسوة بكافة الانظمة الاجتماعية ليس ثابتا جامدا والتاريخ يشهد بذلك ، فكم من شكل اتخذته الملكية منذ القالب البدائي الى النظم التي كان معمولا بها في عهد الآباء البطارقة وفي عصور الاقطاع والممالك حتى المفاهيم المتعددة لما يحققه العالم الحديث في هذا المضمار » . ونص المذهب التقليدي للكنيسة - كما يقول باحث كاثوليكي - على انه في حالات الضرورة القصوى « عندما تكون الحياة البشرية مهددة - في حالة نقص الغذاء أو الملبس أو المسكن مثلا - يتواري حق الملكية أمام حق أعظم وأسمى هو حق الغير في الحياة » . وأشار البابا يوحنا الثالث والعشرون الى تزايد عدد « الذين ينظرون الى مستقبلهم بطمأنينة نتيجة انتمائهم الى منظمات التأمين الاجتماعي وهي الطمأنينة التي كان مصدرها في الماضي التملك مهما تضاعف الشيء المملوك ... » وبالنسبة لتدخل الدولة في المجالات الاقتصادية ونشاطها الاقتصادي لاحظ البابا أن سير التاريخ يظهر بوضوح يتزايد يوما بعد يوم ان الحياة المشتركة المنظمة الخصبة ليست ممكنة الا بمساهمة الافراد والسلطات العامة على السواء في المجال الاقتصادي وهي مساهمة تحدث في وقت واحد وتتحقق على أساس من التفاهم وفي حدود تتماشى ومقتضيات المصلحة المشتركة » . واستنكر البابوات - وبخاصة بيوس الحادي عشر - تسلط قوى (الرأسمالية) ، التي يمثلها في الاطار القومي أو الدولي على السواء قلة من الافراد ليسوا دائما من ملاك الثروات الضخمة ولكنهم يستطيعون أن يتحكموا ويركزوا تحت أيديهم رؤوس أموال خيالية وينتهى بهم المطاف الى فرض سيطرتهم على الحركة المالية لدول بأسرها بل على الاسواق العالمية .

ومن هنا جاءت كلمات البابا بيوس الحادي عشر تصف هؤلاء بانهم « يوزعون الدم على المنظمة الاقتصادية التي يتحكمون في حياتها لدرجة لا يعود معها أحد يستطيع أن يتنفس بغير رضاهم » وبصل البابا الى

القول « ان هناك أنواعا من الاموال يمكن أن تقول عنها بحق انها ينبغي أن تثول اجباريا للمجموع ما دامت مصدرا لقوة اقتصادية لا يمكن معها تركها بين أيدي الأفراد دون أن تعرض المصلحة العامة للخطر ، • و يتعلق باحث كاثوليكي على هذا المبدأ فيراه ينطبق بوضوح على انتاج الاسلحة ، « كما انه من الطبيعي بالنسبة لكل مرفق عام سبق أن منح امتيازه لشركة خاصة أن يثول الى الدولة اذا اقتضت الظروف ذلك ، • وقد طالب البابا بيوس الثاني عشر ب « تعبئة الجهود لتخفيض كمية الاموال التي يكسبها الرأسماليون بين أيديهم الى حدود العدالة مستقبلا ، حتى تبعث الرخاء بدرجة كافية في صفوف العمال، وأعلن البابا يوحنا الثالث والعشرون انه « يجب بذل الاهتمام والجهد من أجل منع تزايد الاختلال في الموازين الاقتصادية الاجتماعية ، ويجب العمل على الحد من هذا الاختلال بقدر المستطاع ، وفي هذا الصدد دعا البابا الى « وجوب الاسراع في نشر الملكيات الصغيرة - في قطاعات الزراعة والصناعة والتجارة - ولا سيما في عصرنا الحاضر حيث يتزايد عدد البلدان النامية اقتصاديا تزايداً سريعاً • وباستخدام الوسائل الفعالة يحذر لن يكون من العسير أن تستثار روح المبادرة وأن توضع قواعد سياسية اجتماعية واقتصادية تشجع وتيسر التوسع في نشر الملكية الخاصة للاموال الثابتة مثل مسكن أو قطعة أرض أو أدوات صناعة يدوية أو أجهزة استغلال عقار للأسرة أو بعض أسهم في مؤسسات متوسطة أو كبيرة ، وقد أجرت بعض البلدان المتقدمة اقتصاديا واجتماعيا هذه التجربة بنجاح ، • وعلى الرغم من اتجاه العصر نحو تكوين المؤسسات الكبيرة وتعميم الملكية العامة فان الكنيسة تحبذ بصفة خاصة المشروعات الزراعية والحرف اليدوية ذات الطابع العائلي ، وترى الكنيسة انه يمكن التوفيق بين ذلك وبين روح العصر عن طريق الجمعيات التعاونية حتى لا يحدث تصادم مع حركة التاريخ على أن يحصل المزارعون وذوو الحرف اليدوية على تكوين فني وانساني يؤهلهم لمجاراة التقدم العلمي والفني وبالنسبة لروح المبادرة في النشاط الاقتصادي ومبدأ تدخل الدولة يقرر البابا يوحنا الثالث والعشرون انه « حيث تنعدم روح المبادرة تتباطأ حياة القطاعات الاقتصادية اذ تتركز بوجه خاص في انتاج سلع استهلاكية وتقديم خدمات دون الاحتياجات المادية الاخرى والمقتضيات الروحية ••••• ولكن حيث ينعدم تدخل الدولة الضروري تظهر فوضى لا علاج لها وينجم استغلال الأقوياء للضعفاء وهي عناصر تنمو في كل أرض وفي كل زمن كما ينمو الزوان في الحنطة ، • والبابا لا يفوته أن يشير الى وجوب تخطيط التعاون الاقتصادي على مستوى

عالمى يقول « ان التقدم العلمى والفنى فى كافة ميادين الحياة الاجتماعية قد ضاعف العلاقات بين الامم ووثقها ، وأصبحت المجتمعات السياسية اذا أخذت على انفراد عاجزة عن حل أهم مشكلاتها بنفسها وفى حدود قوتها مهما امتازت بثقافة عالية واسعة الانتشار او بكثرة عدد رعاياها وأوجه نشاطهم او بفاعلية أنظمتها الاقتصادية أو باتساع أراضيها ومواردها . ان كل أمة تنمو بإسهامها فى تنمية الامم الاخرى وبالتالي فلا بد أن يسود بينها التفاهم والتعاون . وأهم مشكلات عصرنا هى علاقة المجتمعات السياسية المتقدمة اقتصاديا بالبلدان النامية ، فالاولى تتمتع بمستوى عال للمعيشة فى حين تعاني الاخرى من حرمان يكون فى الغالب خطرا . - والتضامن الذى يربط بين البشر جميعا بحيث يكونون أسرة واحدة يحتم على الامم التى توفرت لها سبل الرخاء ألا تقف موقفا سلبيا ازاء البلدان التى تكافح الفقر والجوع ولن يتحقق سلام وطيء الاركان طيب الثمار بين الدول اذا اتسعت ثغرة الفوارق بين مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية . ولا نستطيع أن نتجاهل ان التعاون بين المجتمعات السياسية المتقدمة والبلدان النامية فى المجالات العلمية والفنية الاقتصادية يحتاج الى توسع غير الذى نشهده اليوم . وان المساعدات الاولى السريعة لا تكفى لازالة أسباب الفقر والجوع التى تشيع فى بلدان كثيرة ولا حتى لتخفيف حدتها ، فان مصدرها الاصيل هو قبل كل شئ النظام الاقتصادى البدائى أو التخلف ، فلا بد من منظمات تعاونية توفر للسكان التأهيل والخبرة فى مجال المهنة والاتقان الفنى والعلمى وتضع هذه المنظمات تحت تصرف الشعوب رؤوس الاموال الضرورية لدفع النمو الاقتصادى وفقا للأصول والاساليب الحديثة . ان زيادة الانتاج واثقانه ضرورة لا غنى عنها ، على أن توزع الثروة المنتجة توزيعا عادلا بين كافة أعضاء الجماعة الانسانية بحكم الضرورة والعدالة . فينبغى الحرص على أن يسير الانماء الاقتصادى والتقدم الاجتماعى جنبا الى جنب ، وأن يستوعب الانماء بقدر المستطاع القطاعات الزراعية والصناعية والمرافق بصورة متناسبة » . ولا يغفل البابا يوحنا الثالث والعشرون أن يحذر فى مجال التعاون الاقتصادى الدولى من استهداف البلدان المتقدمة تحقيق امتيازات سياسية فان ذلك لا يعدو أن يكون « ارساء لاستعمار من نوع جديد مقنع لكنه لا يقل تسلطا عن الاستعمار الذى تخلصت من نيره أخيراً مجتمعات سياسية عديدة ، وسيترتب على هذا الاستعمار الجديد اضطراب فى العلائق الدولية وخطر على السلام العالمى (١) » .

(١) موريس يكارينى . الكنيسة أمام المشاكل الاجتماعية - ترجمة أنطون مطر .

واذ كان هذا هو موقف القيادة المسيحية الروحية العليا من مشكلات العصر في مختلف المجالات ، فمن الطبيعي أن يسير كل مسيحي على هذا الهدى في مجتمعه الذي يعيش فيه ، وبخاصة اذا كان كاثوليكيًا !!

وهكذا تعدد النشاط المسيحي في مجالات : التعليم والتربية والصحة والبر ورعاية الصغار والشباب والنساء والتوجيه لشغل أوقات الفراغ ، والأدب والفن والصحافة والنشر ، بل والسياسة أيضا في معناها المباشر الصريح !!

ليس هناك دولة في أمريكا اللاتينية لا توجد فيها جامعة كاثوليكية على الأقل ، وفي البرازيل ٦ جامعات • وأنشأ الكاثوليك هناك أحزابا ديمقراطية مسيحية تعمل - كما يقول كتاب كاثوليكي - على رفع مستوى المعيشة ومناهضة الدكتاتورية وبخاصة عندما يحاول دعايتها الاحتماء وراء تسميات كاثوليكية ، كما تعمل الأحزاب الديمقراطية المسيحية على مقاومة الاستعمار في شتى صورته •

ويقاوم الكاثوليك في الولايات المتحدة على حد قول المصدر نفسه - التعصب اللوني ، حتى انهم يصلون الى توقيع عقوبة الحرمان على البيض الذين يرفضون كاهنا اسود واعترف لاهوتى بروتستنتى بتفوق الكاثوليك في هذا المضمار كذلك يقاوم الكاثوليك أية نزعة للعزلة في الولايات المتحدة •

وفي أوروبا نجد الكاثوليك يشاركون في الحكم في النمسا وألمانيا (الحزب الديمقراطي المسيحي) وهولندا (الحزب الشعبى الكاثوليكي) • ومن بين اللاجئين الى ألمانيا الغربية ٦ مليون كاثوليكي ، هذا عن أوروبا الجرمانية أما أوروبا اللاتينية (فرنسا ، بلجيكا ، إيطاليا ، أسبانيا ، البرتغال) فيمثل فيها الكاثوليك أغلبية السكان ويشارك الحزب الديمقراطي المسيحي في إيطاليا والحزب الاشتراكي المسيحي في بلجيكا في أعباء الحكم • وللكاثوليك رأيهم الصريح في أن يكون لهم حق انشاء مدارسهم الخاصة التي تعان من ميزانية الدولة ، « فما دامت الوحدة السياسية لا يمكن أن تقوم على وحدة العقائد الدينية المتعددة حسب الواقع ، فانه يجب البحث عن تحقيقها في صورة من الايمان الدنيوى الذى يتضمن معتقدات عملية محضة (كحق الحياة والعمل وضمان حد أدنى للأجر وكفالة المعاونة الاجتماعية وحق تولى الوظائف العامة والحرية والمساواة ... الخ)

ويضيف الكاثوليك ان تعداد الحقوق والواجبات دون تعميق ديني أو فلسفي لا يوجد الا اطارا فارغا ، وهذا التأصيل الفكري أو الروحي ليس للدولة أن تفرضها من لديها مادامت في خدمة الخير العام بالنسبة لجميع المواطنين ومن ثم تقدمها العائلات الروحية التي يتكون منها جسم الامة السياسي التي تتفق على الحقوق والواجبات لكن لا تتفق على مبرراتها ، وعلى هذا الايمان المدني المشترك الذي تبرره مبادئ دينية وأخلاقية متباينة تقوم حرية التعليم والتربية في أساسها وتتضح حدودها .

ففيما عدا مقررات مشتركة لدراسة اللغة الوطنية والتربية الوطنية والمبادئ الأساسية في التاريخ والجغرافيا - وهي المقررات التي تعتبر أصولا لتكوين عقلية مشتركة ومن الطبيعي أن تشرف عليها الدولة فيما عدا هذه المقررات المشتركة يؤدي تنوع المدارس مع التثبت من كفايتها ومستواها التربوي والتعليمي والصحي الى زيادة الثقافة والتربية في البلاد ثراء . وكثيرا ما كان مرجع أساليب تربوية متقدمة في بلدان العالم الى مبتكرات معاهد التعليم الحر ، ولما كان الكاثوليك يدفعون ضرائب بصفتهم مواطنين أسوة بالكافة ، فان الدولة اذ تحبس عن مدارسهم الحرية المعونة اللازمة تجبر المواطنين الذين يختارونها على الدفع مرتين : مرة عن أولادهم خاصة ومرة بشكل ضرائب عن أولاد الآخرين الذين يلتحقون بالمدارس الحكومية ! وقد استقر قبول الدولة لاعانة هذه المدارس الكاثوليكية الحرة في أوروبا الغربية . على ان المسيحيين لا يغفلون عن أن وجود (المدرسة المسيحية) شيء وكفالة (التربية المسيحية) في شتى مدارس الدولة وفي شتى مجالات المجتمع شيء آخر وقد أجريت تجارب لكهنة عمال ومرسلين الى القرى ومرشدين في العمل فضلا عن جمعيات العلمانيين المتخصصة حسب البيئات والمنظمات النقابية المسيحية . . .

وتحاول الاحزاب الديمقراطية المسيحية الاسهام في كفالة حرية التعلم وحل أزمة البطالة ورفع مستوى العمال بتحديد الحد الأدنى للاجور وتشجيع ابرام عقود العمل الجماعية والمعاونة في تقدم جماعات الفلاحين باعادة توزيع الاراضي وانشاء صناديق الاعانة والاعارة وتشجيع الانماء الاقتصادي وتعجيل الاندماج الاوربي وتحرير البلدان غير المستقلة .

وتشع الكاثوليكية اشعاعا عالميا في مجالات الفكر والفن : « يكفينا أن نذكر الاسماء اللامعة الفرنسية بيجي وبلوا ولاجرانج وسير تيلانج وتياردي شاردين وبرنانوس ومونييه وردولت وكلوديل ومارتيان وجيلسون وموريالك ودانيال روبس ودون بروجلي وليبرتس رينجيه وفي مجال المؤسسات الجامعية هذه روما بجامعةاتها الجريجورية والملائكية

وغيرها ولوفان حيث تختلط المدينة بالجامعة وميلانو وجامعة القلب
الاقديس فيها ، وباريس وليون وليل سنراسبورج ونيميج وكبريات
الجامعات الالمانية ٠٠٠ وهذه دور النشر الكبرى : هرذر في فريبورج
بريسجو ، ويسكلي في بروفير في بلجيكا وفرنسا ولا بون بريس في
فرنسا (وتصدر مجلة لي بليزان التي تطبع حوالى ٦٠٠٠٠٠ نسخة غير
القصص والتراجم والكتب المبسطة) وكاسترمان في بلجيكا ، ونشرات
دار سيرف وبلود وجاي ، ولامور تشيليانا في ايطاليا ٠٠٠ ثم المجلات
المتخصصة والعمامة : الحضارة الكاثوليكية بالاطالية (لا تشيفلتا
كاتوليكا) ، البحوث (اتودا) ، الحياة الروحية ، مراسلات هرذر ،
وورت ، دواهريت ، نونا دفتيرا (في فريبورج بسويسرا) ٠٠٠ ثم
المنظمات الاجتماعية : مثل الاسابيع الاجتماعية في فرنسا التي امتدت الى
أكثر من ٢٠ دولة والاقتصاد والانسانية والحركة الشعبية في فرنسا ٠٠٠
ودراسات البولاندست وقاموس هرذر وقاموس اللاهوت الكاثوليكي
وتاريخ الكنيسة لفليش ومارتان والكتاب المقدس من القدس ٠٠٠ الخ » .
والكاثوليك صرحاء في حديثهم عن محاولاتهم لسيطرة الدين على
شتى مجالات الحياة « فالانسان بسيطرته على المادة - أى بفنه الصناعي
ونشاطه وعمله - يرمى الى أن ينتزع من الشيطان عالمه ، أى الى أن ينشر
في كل مكان الحرية والعدالة والمحبة والجمال ودعوته على الارض تقوم على
أن يعيد بناء الانسجام في العالم ليس فقط بين الآدميين بل خلال الطبيعة
بأسرها ، بمد طابع الفكر الى أن يصل الى مملكة الحيوان والى المواد غير
المتحركة . فالعالم يحتاج الى الانسان حتى يقوم بهذا العمل القائم على
الذكاء - ولذلك فان العامل ورجل الفن يحققان أعظم تحقيق صورة
(الله الخالق) ٠٠٠ **فالعامل يعيد بذلك تكوين الطبيعة بتضمينها كلها**
في مقدمة كهنوتية الى الله ، وتلك المقدمة لا تكون مكتملة ما لم يأخذها
على عاتقه ذلك الذى أزال الهوة بين الانسان وخالقه السيد المسيح
الانسان الاله . وسر الانسان الاله كما يظهر هو محور التفكير الكاثوليكي
في أيامنا وهو الذى سيسمح بتوجيه حركة الاشتراكية في العالم توجيهها
مسيحيا ويحول دون تحقيقها جو البغض والاستعباد الذى يسود
المجتمعات الخاضعة للنظام الديكتاتورى فالمطلوب التوفيق بين أوسع
حرية للانسان وبين ارتباطه العميق بخدمة اخوته . وحتى يرفع المسيح
الانسان نحو الله ، يسبغ عليه كرامة تتجاوز كل نظام زمنى أرضى ،
ولكن المسيح في الوقت نفسه نظرا لانه يلبس كل ما في الانسان من
طبيعة ومن انسانية - يصبح نواة الاندماج الاكثر عملا في التاريخ ٠٠٠

ان معنى التاريخ ، وسيطرة الانسان على المادة ، وتوحيد الانسانية من جديد - هذه المميزات الثلاث قد يخشى أن يتركز التفكير العصري فيها ، وأن يتوقف عندها التفكير المسيحي على ما فيه من الخصب والانتاج العجيب ، .

وكان البابا الراحل بيوس الثانى عشر يوجه نشاط العلمانيين المسيحيين فى شتى المجالات العالمية ، وهكذا نشطت ٤٠ منظمة دولية كاثوليكية مثل الاتحاد العالمى للمنظمات النسائية الكاثوليكية الذى يضم ٣٦ مليون امرأة من ٧٠ دولة ، والشبيبة العاملة الكاثوليكية الدولية التى تضم أكثر من ٢ مليون عامل من ٩٠ دولة ، والاتحاد الدولى لهيئة الشباب الكاثوليكية الذى يجمع ١٠ مليون عضو ويشع نشاطه فى حوالى ١٠٠ دولة الى جانب نشاط المكتب الكاثولىكى الدولى للطفولة فى ٤٢ دولة وحركة باكس كريستى (سلام المسيح) التى تعمل من أجل السلام والتربية الدولية ، وحركة باكس رومانا التى تضم مفكرين من ٣٩ دولة وطلبة جامعيين من ٧٩ دولة والمكتب الكاثولىكى الدولى للسينما الذى يضم ٣٦ مركزا وطنيا فى أنحاء العالم . وثبتت المنظمات الدولية الكاثوليكية فى مجال النشاط الكاثولىكى بصفة خاصة أو فى مجال تحقيق أهداف معينة كمكافحة الخمر أو حماية الشباب أو معونة المهاجرين أو القيام بحركات فكرية أو تربوية . وتتمتع تسعة من هذه المنظمات بالعضوية الاستشارية للمجلس الاقتصادى والاجتماعى لهيئة الامم المتحدة. ولتسعة أخرى مثل هذه العضوية فى اليونسكو ولأربعة عضوية المؤسسة الدولية للامم المتحدة لمعونة الطفولة واثنتان منها عضوان استشاريان فى منظمة الامم المتحدة للأغذية والزراعة وواحدة لها صفة العضوية الاستشارية فى المنظمة الدولية للصحة . وهذه الصفة تخول للمنظمات الكاثوليكية حق ابداء الرأى فى ما يطرح للبحث أمام هذه المنظمات الدولية . وقد اتفقت ٣٣ منظمة دولية كاثوليكية على تكوين (هيئة جامعة) لتحقيق التعاون فى التخطيط والتنفيذ . وقد نسقت الهيئة (حركة المفكرين) التى تنظم (دراسات تكوينية) على مستوى دولى أو اقليمى لفرع الطلبة الجامعيين التابعين لها (مثل حلقات باوراس وجنيف وسنغافورة وبوستون وأكرا ومانىلا) . كما نسقت كذلك (حركة الشبيبة العاملة الدولية) التى أوفدت منذ عام ١٩٥٧ ستا وخمسين من القادة الاوربيين الى افريقية وآسيا لتكوين القادة المحليين . وفى افريقية الاستوائية أنشئت ١٠٠ مجموعة فى بحر ٤ سنوات . وفى خلال صيف ١٩٥٩ تقابل فى فرنسا ١٨٠ شابا حضروا من أوربا وافريقية وأمريكا

الجنوبية والشرق الاوسط . وقد انشئ في فرنسا مؤخرا (مركز دولي لتكوين القادة الاجانب) . وضم المؤتمر العالمى الكبير للشبيبة العاملة المسيحية في روما في أغسطس ١٩٥٧ أكثر من ٣٠٠٠٠٠ عامل حضروا من ٨٠ دولة مختلفة . ونظم المؤتمر العالمى الاول نشاط العلمانيين سنة ١٩٥١ والثانى سنة ١٩٥٧ وانشئ للمؤتمر مكتب دائم ، وكان يديره فيثورينو فيرونيزى الذى غدا المدير العام لهيئة اليونسكو . وقد أسهم المكتب في تنظيم عدة مؤتمرات اقليمية للنشاط الكاثوليكي وبخاصة مؤتمري اوغندا ومانيلالا (١) .



ولعل من الطريف أن يكون (الفاتيكان) اليوم من أعظم القوى الاقتصادية المعاصرة بجانب نفوذه الروحي وثقله السياسى . وطبقا لاحصاءات هيئة الامم المتحدة ، يملك الفاتيكان ثروة تبلغ مائة ألف مليون دولار ويأتى فى المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة وروسيا ، وقد بنى الاحصاء على الظاهر من ممتلكات الفاتيكان ونشاطه مما قد لا يصور الحقيقة الكاملة التى لا يعرفها سوى ستة أشخاص : البابا والكردينال القائم على وزارة الدولة وأربعة كرادلة يؤلفون اللجنة التى تدير هذه الممتلكات . ويشرف الفاتيكان على مليون من رجال الدين الكاثوليك موزعين على (الابروشيات) الى جانب مئات الالوف من المستشفيات ودور الأيتام والعجزة والشيخوخ والامراض المستعصية والمدارس من دور الحضانة الى ما بعد الجامعة ، ومنها معاهد عليا للتخصص والابحاث فى مختلف مجالات العلم من لاهوت وفلك وفلسفة وذرة وكيمياء وطبيعة وتربية وطب وغيرها ، الى جانب الجامعات لتخريج الرهبان والمعاهد لاعداد المبشرين والأديرة للمنقطعين للعبادة ، وكلها تحكم وتوجه وتدار من روما «بواسطة أكبر وأدق منظمة فى عصرنا الحديث » - على حد تعبير الدكتور الطاهر أحمد مكى .

واذا كانت كل (أبروشية) ينفق عليها من دخل أتباعها ، وهى تتولى المستشفيات والمعاهد والاديرة الواقعة فى دائرة اختصاصها ، الا أن الأبروشيات بالنسبة الى الفاتيكان ليست سوى أقاليم داخل دولة واسعة شاسعة ، ولا بد لأية حكومة مركزية من التدخل لاصلاح مالية أى اقليم اذا اختلت . وبعض القطاعات فى الكنيسة الكاثوليكية تتبع روما مباشرة وتكلف باهظا من النفقات مثل البعثات التبشيرية التى تتبع « ادارة نشر

(١) موريس يكارينى - الحياة الكاثوليكية فى عالمنا الحاضر - ترجمة بطرس كساب .

العقيدة الكاثوليكية ، وقد اتسع نشاطها في ربع القرن الاخير وتضاعف بعد الحرب العالمية الثانية لأجل مقاومة الشيوعية ، ومن هذه الاموال ما ينفق لمعاونة أية هيئة في أية دولة وأيا كانت عقيدتها ما دامت تعمل على مقاومة الشيوعية . كما يضطلع الفاتيكان بالانفاق على مبانيه وموظفيه وحرسه فضلا عن رجال الدين « الذين يعيشون على مستوى أهميتهم في العالم » . والى جانب مصارف الانفاق هناك موارد الدخل السنوي لاستثمارات الفاتيكان ، وتقدر الميزانية الرسمية بما يتجاوز بضع مئات من ملايين الدولارات يضاف اليها خمسون مليون دولار تقريبا في كل سنة يوضع تحت تصرف البابا للنفقات الطارئة ، ولا تعيش الفاتيكان على الضرائب بل على المنح والهدايا ، ثم على ايراد دار (نشر الفاتيكان) التي تحتكر طبع الكتب الدينية بمختلف اللغات ، وايراد المتاحف والمقابر والآثار ذات الاهمية الدينية الواقعة تحت اشراف الكنيسة . ويصدر الفاتيكان عملة وطوابع تتداول داخل حدوده ، ويتلقى أرباح الاستثمارات التي يستغل فيها رؤوس أمواله في مختلف أنحاء العالم . ففي ايطاليا مثلا يعود الفضل الى أموال الفاتيكان في قيام شركة (العقارات) الضخمة وشركة السكك الحديدية لجنوبي ايطاليا ، وشركة (ادرياتيك) للملاحة في البندقية الى جانب بيوت مالية أخرى تعد من أقوى وأضخم رؤوس الاموال في ايطاليا . وفي سويسرا يملك الفاتيكان الشركة الايطالية السويسرية للاشغال العامة وشركة الكهرباء في زيورخ ، بينما يملك في هولندا (الشركة الهولندية للأزوت) ، وله في فرنسا (البنك الايطالي الفرنسي للقروض) وفروعه في كل أمريكا اللاتينية ، ويمسك كذلك (شركة نسيج الشمال) و (بنك جاليزين مينان) و (شركة المباني الخاصة) كذلك يملك الفاتيكان مطبعة وصحيفة (الاسبوع الاجتماعي) . كما يملك هناك مجموعة طيبة من أسهم (بنك مورجان) ، (انترناشيونال بوركومباني) فضلا عن شركات أخرى نمسوية وكندية وانجليزية وألمانية . وفي أسبانيا يملك الفاتيكان أراضى شاسعة معفى معظمها من الضرائب ومعظم أسهم (بنك بسكاي) وجزءا كبيرا من صناعة النسيج في برشلونة والحديد في بلباو . وفي أمريكا اللاتينية يسيطر بالتعاون مع رأس المال الوافد من الولايات المتحدة على أغلب المصانع والبنوك والشركات الكبرى الى جانب أراض واسعة معفاة من الضرائب . ولكن هذا النشاط الاقتصادي للفاتيكان لم يمتد الى المكسيك بعد ثورتها ١٩١١ ولا الى كوبا بعد ثورة كاسترو ١٩٥٩ . وتدير أموال الفاتيكان ٣ منظمات : (ادارة ممتلكات الفاتيكان) وقد أنشأها البابا اليو الثالث عشر عام ١٨٧٨ لادارة

الممتلكات التي تنازلت عنها إيطاليا للكنيسة عام ١٨٧٠ فضلا عن ممتلكات الكنيسة بالخارج وأملاك الكنائس من أرض ومنقولات (سجاد ، تحف ، أثاث ٠٠٠) ٠ وفي عام ١٩٢٩ أنشأ البابا بيوس الحادي عشر (الادارة الخاصة للفاتيكان) لتدير الملايين التي حصل عليها الفاتيكان من الحكومة الإيطالية بمقتضى معاهدة لوزان تعويضا عما تعرضت له الكنيسة من استيلاء على ممتلكاتها بعد ٢٠ سبتمبر ١٨٧٠م ٠ وهناك أيضا (منظمة الاعمال الدينية) وهي بنك كامل وقد أنشأها بيوس الثاني عشر سنة ١٩٤٧ ولها شخصية معنوية وقانونية تميزها عن بقية أقسام الفاتيكان وتضطلع بإدارة الاموال المخصصة للمشروعات الدينية واليها تحول الاعتمادات المرصودة للدفاع عن الكاثوليكية أو نشرها ويمكن لأي شخص أن يفتح حسابا في هذا البنك أو فرعه في روما بشرط أن يوافق على ترك نسبة من أمواله تخصص لنشر الكاثوليكية ٠ وكل العاملين في هذه المنظمة كسائر منظمات الكنيسة من رجال الدين ، ويعتمد الفاتيكان في عملياته المالية في الخارج على (بنك مورجان) بنيويورك و (بنك هامبر) في لندن و (بنك الكريدي) في زيورخ ٠ ويملك الفاتيكان رصيدا كبيرا من الذهب يحتفظ به في بنوك متعددة في كندا والولايات المتحدة أهمها بنك ريزرف (١) ٠

(١) دكتور الطاهر مكي : الفاتيكان قوة اقتصادية في العالم - الاهرام الاقتصادي
ع ٢٢٩ أول مارس ١٩٦٥

الملوك المنسود

هذه هي تعاليم المسيحية ازاء المرأة والطفل ، ازاء العبيد والفقراء .
فكيف ينظر المفكرون اليوم فى عصر الديمقراطية والاشتراكية الى
هذه التعاليم ؟؟

« قد فهم الكثيرون ملكوت الله ، بأنه (طوبى utopia) جماعية ،
وحسبوا المسيح ثائرا اجتماعيا ! وانا لنرى فى الاناجيل بعض الشواهد
التي تؤيد هذا الرأى ويبدو ان الرسل كانوا يفسرون الملكوت بأنه
انقلاب ثورى للعلاقات القائمة بين الاغنياء والفقراء . . . (وجميع الذين
آمنوا كانوا معا ، وكان عندهم كل شىء مشتركاً) . . . وكانت التهمة التي
أدانت عيسى انه (ملك اليهود) !! . . . »

لكن فى وسع المحافظ أن يجد فى العهد الجديد شواهد تؤيد رأيه!
منها أن متى ظل عاملا للرومان ، ومنها أن المسيح لم يطعن على الحكومة
المدنية ، ولم يكن له - فيما نعلم - نصيب فى الحركة اليهودية للحرية
القومية ، وكان ينصح بالكياسة البعيدة أشد البعد عن الثورة السياسية!!
ولسنا نجد فى قصة الرجل الذى (دعا عبده) قبل سفره (وسلمه أمواله)
أى شكوى من الربا أو الاسترقاق !! ويبدو انه يقر ما فعله العبد الذى
استثمر العشر الميقات فصارت عشرين ، ولا يقر عمل العبد الذى حبس
الواحدة فلم يستثمرها ! وينطق السيد : (ان كل من له يعطى فيزداد ،
ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه) - وهى خير ما تلخص به أعمال
السوق التجارية ! بل خير خلاصة لتاريخ العالم !! وفى قصة رمزية أخرى
نرى العمال غاضبين على صاحب العمل الذى يأجر عن عمل ساعة بقدر
الذين كدحوا طول اليوم ، فينطق المسيح صاحب العمل : (أو ما يحل لى
أن أفعل ما أريد بمالى !) . . ويبدو انه لم يفكر فى القضاء على الفقر ، لان
الفقراء كانوا دائما معه !!

ويرى أن يخدم العبد سيده على خير وجه ، وهو لا يرى من شأنه

أن يهاجم النظم الاقتصادية أو السياسية القائمة فى وقته ، بل يهاجم
ذوى النفوس الثائرة المتحمسة الذين يغتصبون ملكوت السموات !!!

أما الثورة التى فكر فيها فأعمق وأبعد أثرا ، فهى ثورة اذا لم تحدث
كانت كل الاصلاحات سطحية سريعة الزوال ! فاذا استطاع أن يظهر
قلوب الناس من الأنانية والقسوة والفجور فان (الطوبى) تحل ، ولا يبقى
أثر لتلك النظم التى تنشأ من شره الانسان وعنفه ، وما تستتبعه الحاجة
للقوانين ! وهذا - اذ تم - أعمق الثورات ، اذا قيست اليه جميعا كانت
تغيرا موقوتا يضع طبقة مكان طبقة ، فتظل الطبقة الغالبة تستغل الناس
كما كانت تستغلهم الطبقة المغلوبة ! وبهذا المعنى كان المسيح أعظم
الثائرين - أى محدثى الانقلابات - فى تاريخ العالم . وليست أهم أعماله
انه يبشر بدولة جديدة ، بل يضع الخطوط الرئيسية لمبادئ أخلاقية
مثالية !» (١) .

هذا ما يرتثيه ديورانت فى تاريخه للحضارة ٠٠٠ ويقول جورج
ماتيسون :

« ان يسوع لم يأل جهدا فى التصريح بأن (ملكوته داخلى) لا يتوقف
على الظروف الخارجية هذه الحقيقة نراها وراء كل مثل نطق به : وراء
مثل الزارع ومثل الخميرة والعجين ومثل حبة الخردل ومثل اللآلىء .
ومجىء ملكوت الله لن ينتظر موآاة لأية ظروف ، ان علامة مجيئه انه
سيأتى (بلا مراقبة) ، وهكذا نرى انه مستقل عن كل الظروف الخارجية!!
ولكن هل ملكوت الله غير متوقف أيضا على الامور الداخلية ؟ كلا ٠٠٠ ان
ملكوت الله ليس معاديا لفكرة استمرار (التعب الجسدى) ، ولكنه يناقض
استمرار (الخطايا الجسدية) . وما هو هذا الملكوت ؟ ملكى، جمهورى،
ديمقراطى؟؟ لم يكن هذا أو ذاك ، لانه كان جميعها معا ! كان نظاما يبدأ
فيه الناس سواسية بدون استناد الى أى أساس من فروق التمييز الاولى،
ولكن شيئا فشيئا يتقدم المثال الاخلاقى الاعظم ويبرز الى المقدمة ويسيطر
على كل شىء آخر بالسلطان الادبى فقط . انه يبدأ بديمقراطية روحية
تتنافس فيها القوى الروحية فترتفع الى القمة وتسيطر على ماعداها وتكون
سيطرتها متناسبة مع مجدها الروحى ٠٠ انى أدعو مثال الملكوت (خط
التحول) بين المسيح الذى أطعم الجماهير فى البرية وبين المسيح المعلق

(١) ديورانت : قصة الحضارة ج ٣ م ٣ (قبصر والمسيح) - ترجمة بدران ص ٢٢٦ :
ملخصا ٢٢٨

على الصليب ! لقد كان يسعى للكموت يصبح فيه البر القوة الغالبة والشر القوة المغلوبة ، فماذا لو تكاثر الشر وطفى على البر ؟ لقد كان يسوع من هذه اللحظة وحيدا في أعماق نفسه ولكنه كان متفائلا بمستقبل مدينة الله ومتعزيا بأصدااء تتجاوب مع صوته لقد تناول الجمهور في البرية الطعام بين يدي يسوع ، وهكذا رأوا فيه مصلحا اجتماعيا ، ونتيجة لمعجزة الشركة امتلأت صدورهم حماسا واقترحوا أن يقوموا بثورة عامة ويتوجوا يسوع ملكا عليهم ويجلسوه على عرش داود أبيه ويعيدوا أمجاد الأمة اليهودية القديمة ! وفي لحظة نظر يسوع الى الجمهور ، واذا الكل قد تفرقوا عنه وانقطعت الشركة الفكرية ! لقد كان مثال الجمهور بعيدا عن مثاله « (١) » .

« ان ملكوت المسيح لا يتطلب تحطيما للامبراطورية الرومانية وانقلابا سريعا للأوضاع الكائنة ، انه ملكوت يستطيع أن يتسلل الى داخل الدار دون أن يحطم الأبواب ، فهو سيأتي في هدوء ، بلا مراقبة ! انه لا يتطلب افساح مكان له ، لانه سيعمل في المكان الحالي كما تعمل الحميرة عملها في العجين » (٢) .

« لم يكن (ملكوت الله) في عرف المسيح مجرد حياة مستقبلية في السماء نترقبها بفارغ الصبر بعد الموت كان ذلك الملكوت مختصا بالزمن الحاضر ومتعلقا بالأرض قبل كل شيء ، فيها يبدأ وينمو وينتشر ليكون خيرا وبركة على الساكنين فيها . والصورة التي رسمتها أمثاله تؤيد ذلك ، فملكوت السموات أشبه بحبة صغيرة تغرس في بطن الثرى لتنبت دوحة كبيرة وارفة الظلال ، وأشبه بخميرة تتفاعل في العجين كله حتى تختمر ، وأشبه بحبة حنطة تنبت نباتا فسنبلا ثم قمحا يملأ السنبيل انه شيء حي متحرك قابل للنماء والتقدم التدريجي في الأرض لحيرها وبركتها ، مشروع جميل ليخلق عالما جميلا ، رؤيا محبة عن انسانية نبيلة تسودها الشجاعة والبطولة والبر والحق ! عصر ذهبي على الأرض ، يعيش فيه البشر يخدم بعضهم بعضا في تواد ومحبة وكان المسيح أراد أن ينشئ على الأرض مستعمرة على نسق ذلك الملكوت الأعلى في السماء كذلك على الأرض) ! وهذه هي الفكرة التي أراد بولس الرسول

(١) جورج مائيسون : دراسات في صور من حياة المسيح ترجمة دكتور عزت زكي ج ١ ص ١٨١ - أنظر أيضا في النزوع للملك الأرضي بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ٢٨٧ : ٩ ، ستيفن نبل : من هو المسيح ص ٢٠
(٢) جورج مائيسون : دراسات في صور من حياة المسيح ترجمة حبيب سعيد ج ٢ ص ١٠

أن ينقلها الى أهل فيليبى (ان رعويتنا نحن هي فى السموات) ! ٠٠٠ وهذه هي الفكرة الحية المثيرة التى تحمل بين ثناياها الرجاء والشجاعة فى أيام اليأس والبؤس فكرة قد افتقر اليها المسيحيون قديما ابان الاضطرابات والاضطهادات ، ويفتقر اليها المسيحيون فى هذا العصر فى الأيام العصيبة القاسية ٠٠٠ ولعل فى هذا الشعور التعليل الصحيح للثقة الكاملة والطمأنينة الهادفة والتفاؤل السعيد الذى بدا على المسيح فى السنوات الثلاث التى لاقى فيها من عوامل التشييط ما لاقى وهو يؤسس مملكته هذه ٠٠٠ انه لم يكن فى عجلة ، لأن الزمن ممتد أمامه ، ومحال أن يكون الفشل مصيره ٠٠٠ « (١)

« لقد آمن المسيحى فى قرارة نفسه أن روما العظيمة ستدمر وأن امبراطوريتها بل العالم كله سيزول ، وآمن بأن المملكة الوحيدة الخالدة هي (مملكة المسيح : ملكوت الله) ! والحق ان الكنيسة الاولى آمنت بأن نهاية العالم قريبة على الابواب ، فان التلاميذ الاول رأوا المسيح الذى قام من الاموات واقتنعوا بانهم سيرونه فى حياتهم الارضية مرة ثانية فى مجد وجلال ليدمر نظام الاشياء الارضية ويدين الاحياء والاموات وقد تآقت نفوسهم الى هذا اليوم وتوقعوا سقوط مملكة رومية ليقوم على أنقاضها ملكوت الله . ومن هنا كانت كراهيتهم للامبراطورية الرومانية التى اعتبرتهم خائنين » (٢) .

ويلج بعض كتاب المسيحية على التأكيد بأنه « من الامور البديهية فى المسيحية أن السيد المسيح له المجد لم يأت الى العالم ليؤسس مملكة أرضية يحكمها هو ويخلفه فى حكمها كنيسته ورؤساؤها » « وكل مسيحى يعرف المعنى الروحى لتسمية المسيح (ملك) وكيف أنه قال (مملكتى ليست من هذا العالم) » (٣) .

وتقرأ (لمجلس الكنائس العالمى) - ويضم مجموعة من الكنائس تقوم على أساس قانون المسيح وترغب فى التعارف والتآلف والتعاون فى المهام المشتركة والواجبات العامة - فى نشرته العربية الصادرة فى أغسطس ١٩٦٢ وجهة نظره فى الموقف المسيحى من الاصلاح الاجتماعى اذ يقول :

(١) بترسون سمث . حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ١٧١ - ٢

(٢) حبيب سعيد : عشرون قرنا ص ٦

(٣) مجلس الكنائس العالمى من واقع رد مثليه ، التقرير المرفوع الى قداسة بابا الاسكندرية وبطريق الكرازة المرقسية من اللجنة المشكلة بقرار بابوى فى ٧ أغسطس ١٩٦٢ لفحص مانسب لمجلس الكنائس العالمى

« يستند الموقف المسيحي ازاء التغير الاجتماعى الى المفهوم المسيحى للانسان والجماعة الراسخ فى المسيح وقرار سيادته على العالم وفى الخليقة وفى موته وبعثه . ان مصير الانسان المحتوم يقوده الى ماوراء جميع أشكال المجتمع البشرى ، بجعله وارثا لملكوت الله . وهكذا فان الانسان الذى فى المسيح ينال (حرية أولاد الله) ويعلم كيف ينظر فى جميع التفاعلات الاجتماعية باعتبارها نسبية لا نهائية ، وهذا يعطيها فى الحقيقة معنى مطلقا ، لأن الله لا يحب المسيحيين فحسب ولكن العالم كله ! وجميع ثورات هذا العالم تحدث فى أسلوب ما تحت العناية الالهية لتخدم الاهداف النهائية لارادة المحبة الالهية اننا كبشر مدعوون لان نكون أعضاء مسئولين فى المجتمع ، وكمسيحيين أعضاء محبين . ان محبة الله للعالم هى التى تربط الكنيسة والعالم كل منهما بالآخر ، وتدعو الكنيسة لأن تكون فى خدمة المجتمع نحن نؤمن بأن الله يعمل فى التغير الاجتماعى السريع موفيا أغراض ملكوته ، وهذا لا يعنى أن كل ما يحدث فى التغير الاجتماعى السريع هو حسن ، وانما يعنى أن الله يهتم بهؤلاء الذين فى حاجة وأنه يوفر لهم عدالة ومساواة أكثر ، وأنه ينهض الجموع الكبيرة من الناس لتحدى ما هم فيه من ركود اجتماعى ويفتح لهم امكانيات جديدة لأجل تقدم الحياة الشخصية والاجتماعية » . ومجلس الكنائس العالمى يلقي على كنائس افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية عبء محاولة « تخلص نفسها من التشبه الكاذب بالثقافة والسياسة الغربية واتخاذ موقف ايجابى ازاء الصراع لأجل الحرية وبناء الوطن » . وهو يقرر أن على الكنيسة أن تتبين وتبين معالم الصراع بين المسيحية والرأسمالية وتطورات الرأسمالية تختلف من بلد لآخر فاستغلال العمال الذى كان خاصة الرأسمالية القديمة كثيرا ما تناوله الاصلاح الى حد كبير تحت تأثير النقابات والتشريع الاجتماعى والادارة المسئولة ، ولكن الرأسمالية تجنح لجعل مايلزم أن يكون الواجب الأساسى لآئى اقتصاد - وهو مواجهة الحاجات الانسانية - ذا أهمية ثانوية بالنسبة للمنافع الاقتصادية لهؤلاء الذين بيدهم أكثر السلطة على نظم الرأسمالية ، كما تجنح الى ايجاد ضروب من عدم المساواة البالغة ، وقد كشفت عن شكل عملى من المادية فى الدول الغربية بالرغم من التاريخ المسيحى لتلك الدول ، لأن الرأسمالية قد ركزت كل همها فى جمع المال ، ثم أنها أبقت شعوب الدول الرأسمالية خاضعة لمصير أخذ شكل نكبات اجتماعية كالتعطل الجماعى ،

وهكذا يسترشد المسيحيون فى كل زمان ومكان بتعاليم المسيح

وفلسفة المسيحية في تخطيط العالم الأرضي ... مادام (ملكوت الله)
الذي يعلنه المسيح فكرة هادفة قبل كل شيء ...

« اننا نخدم حكم الله حينما نجاهد لبلوغ أهداف معينة من العدالة
والحرية والسلام » ولأجل بلوغ هذا الهدف لا بأس من سلوك أى سبيل
مشروع « ان الكنيسة مدعوة لأن تكافح بنشاط في سبيل العدالة
الاجتماعية . ولا ينبغي أن يتقيد المسيحيون في ذلك بخطة واحدة ، بل
عليهم أن يستخدموا استخداما بناء عدة وسائل : التوفيق ، المقاضاة ،
التشريع ، الوساطة ، الاعتراض ، العقوبات الاقتصادية والاعمال غير
العنيفة ، بما في ذلك التعاون مع (الجماعات المدنية) التي تجاهد لأجل
الاهداف نفسها . وعلى الكنائس أن تسعى كي تؤمن عدم قيام قوانين
الهجرة على أساس التمييز العنصري . ان المسيحي لا يخشى التغيير لأنه
يعرف كم هي ثقيلة احمال الفاقة والحرمان التي يقع عبؤها الآن على غالبية
الجنس البشرى . وهو مستعد لأن يبدع تغيرات ويقدم اصلاحات تخدم
أهداف العدالة والحرية وأن يحطم سلاسل الفقر . وهو راغب كل الرغبة
في أن يتعاون مع كل من يشاركه هذا الاهتمام بخير الجنس البشرى »

« وعلى المسيحيين الذين يعيشون في أحوال اقتصادية واجتماعية
مواتية أن يعبروا عمليا عن انسانياتهم التي يتساوون فيها مع جميع
الشعوب المظلومة المعذبة فيجب مثلا أن يرتضوا دفع ضرائب أعلى حتى
تستطيع حكوماتهم أن تقوم عن طريق القروض والمنح بمساهمتها المنصفة
في سبيل التقدم الاقتصادي لبلد آخر ، وهذه الأعمال يجب أن تؤدي
وبشعور من التضامن في عالم قد أصبح واحدا . . . ويجب أيضا على
المسيحيين أن يحثوا حكوماتهم على القيام بهذه الاعمال والتعاون في ذلك
مع الحكومات الأخرى وبوساطة الأمم المتحدة والمؤسسات الدولية
الأخرى مما يمكن أن يؤدي الى عمل مشترك يشمل العالم كله . ويجب
على المسيحيين أن يحثوا على اعطاء مثل هذه المساعدة دون اشتراطات » (١)



أما من ناحية أسلوب العمل لتحقيق (الملكوت المنشود) على
الأرض أو (المجتمع المسيحي) فقد اختار المسيح منذ البداية سبيل علاج
القلوب بالتوجيه على سبيل التشريع المباشر ... ولكن ليس معنى هذا

(١) تقرير المرفوع لبابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية من اللجنة المشكلة
بقرار بدوى في ٧ أغسطس ١٩٦٢ لفحص التهم المنسوبة لمجلس الكنائس العالمي .

أن وصايا المسيحية غامضة مبهمة الى حد اقرار الرق والربا - كما يشير ديورانت ، فان أمثال الأناجيل لا تخفى دلالاتها الاستنكارية لأوضاع الظلم والعدوان في معظم الأحيان ! ولم تكن جموع المستضعفين والمضطهدين التي أقبلت على المسيحية تسير الى متاهة أو تتلهى عن آلامها بخيالات ... والقول بأن المسيح لم يفكر في القضاء على الفقر لأن صحبه كانوا من الفقراء دعاية ممجوجة مردودة !

والمولعون في عصرنا (بالتفسير المذهبي للتاريخ) - أو التفسير (الواحدى) للتاريخ - حيث يتجه التفسير الى انتقاء علة واحدة تهيمن على مجرى الحوادث التاريخية كلها - هؤلاء الواحديون يرغبون أن يدخلوا المسيحية في مجال انتصارهم لمذهبهم وتبديلهم على صوابه : « لما كان (المذهب التاريخى المادى) الذى قال به كارل ماركس Karl Marx وانجلز F. Engels - يفسر دائما الناحية المعنوية في المجتمعات بأنها تقوم على أساس تركيبها المادى ، ولما كان يجعل الحاجة الحيوانية محورا للتطور الانسانى ، فقد كان هذا هو السبب نفسه في تفسيره الدين بأنه مجرد ظاهرة عرضية لا أهمية لها من الوجهة الاجتماعية . وقد كتب أحد أتباع ماركس فقال : (ما كان للدين والفلسفة أن يوجدوا دون الشروط الاقتصادية التي تجعل ظهورهما أمرا ممكنا) ! فما كان للمسيحية أن توجد دون الانقلاب الذى صحب الفتوح الرومانية ، وما كان للمذهب البروتستنتى أن يوجد دون نشأة الطبقة المتوسطة ! ويرى هذا المذهب - بصفة خاصة جدا - أن نظام توزيع الأراضى يلعب دورا هاما ، ويفسر على هذا النحو بعض الظواهر التي يبدو عليها غلبة الطابع الصوفى لأول وهلة مثل النبوات لدى اليهود أو مجيء المنقذ لدى المسيحيين ! وهكذا لا تعكس أصول العقيدة والمعتقدات سوى المصالح الحيوية للطبقات الاجتماعية ، وسوى المنازعات الدينية والصراع بين هذه المصالح أو بين هذه الطبقات !!

والى جانب هذا التفسير المادى للعلاقات بين المذاهب الدينية والنظم الاقتصادية ، يوجد تفسير آخر : وهو التفسير السيكلوجى (النفسى) كما يسميه ماكس فيبر Max Weber . وقد جاء نيتشه بهذا التفسير ، فالمسيحية ديانة الجماعة المضطهدة ، لأنها تعبر عن عواطف الكراهية التي يشعر بها الأرقاء تجاه أسيادهم ، ولأنها تستخدم فى الوقت نفسه الايمان بوجود الفردوس لتخفف آلام الحاجة الى التحرر والراحة التي يضطرب لها تفكير هؤلاء البؤساء ! ولما ترك المذهب الكاثوليكي نفسه فريسة لعدوى وثنية عصر النهضة وأصبح مذهبا ارسطوقراطيا ، أخذ المذهب

البروتستانتى على نفسه مهمة المطالبة بحقوق الطبقات العاملة !! ٠٠٠
وليس أساس هذا التفسير شديد الاختلاف عن أساس التفسير « (١) » !!
والتفسير الواحدى - ماديا كان أو نفسيا أو غير ذلك - لا يتأنى
له أن يغنى ويشفى ازاء مختلف ظواهر التاريخ المعقدة ! ومع اعترافنا
بوجاهة هذه الملاحظات التى يبدوها المنتصرون لهذا المذهب أو ذاك - اذ
الانسان له مطالب وحاجات لابد من العمل لاشباعها ، فان البعض يرى أن
الظاهرة المضادة هى التى تحدث فى أكثر الأحيان من قديم : « فتطور
الدين هو الذى يغير النظام الاقتصادى لدى الشعوب ٠٠٠ وقد بين كثير
من الاقتصاديين - مثل دولافيللى - أن رخاء الشعوب يتوقف على عقائدها .
وبعد أن قرر ماكس فيبر - على خلاف المذهب المادى التاريخى - أن
الاصلاح البروتستانتى لم يكن ظلا لظهور الطبقة الوسطى ، أبرز على ضوء
الاحصاءات وجود علاقة بين المذهب البروتستانتى والنظام الرأسمالى فى
أسمى درجاته ، وهكذا من الأخرى أن يقال ان النظام الرأسمالى كان
احدى نتائج المذهب البروتستانتى ! وليس معنى هذا أن البروتستانتى
يفوق الكاثوليكي فى اتجاهه المادى ، فان للمتطهرين Puritans فكرة
تقوم على التشاؤم من العالم والزهد فيه ! لكن لما كان الزهد يحفز على
الاقتصاد ، فقد ساعد على تركيز رؤوس الأموال - وهكذا استخدم على
نحو غريب كدعامة للنظام الرأسمالى ! أضف الى هذا أن البروتستانتى لما
كان يتخذ عمله سبيلا الى تحقيق سعادته الأخروية ، فانه يؤدى عمله على
أكمل وجه طبقا لما يوحى به اليه ضميره - وهكذا يصبح مديرا صناعيا
ممتازا ! وفيما عدا هذا فان بعض البحوث الأخرى - وبخاصة فيما يتعلق
بالاقتصاد الهندى والصينى - أكدت لماكس فيبر وجهة نظره الخاصة :
وهى أن النظام الرأسمالى الذى يبدو للوهلة الأولى أنه لا يرجع الا الى
أصول مادية ، يحتاج فى نشأته ونموه الى بيئات دينية ملائمة (٢) » ٠٠٠
ونحن اذ لا نقبل أى تفسير واحدى ، نعرف أن الدين ليس (مقدوفا)
ينطلق على الناس مباغتا من عل دون أن يتحرى موافقة احتياجاتهم وتلبية
رغباتهم ! ٠٠٠ فمن اعجاز الرسالات أن يرسلها الله فى وقتها المناسب
لتعمل عملها المنتظر ، ولكن لا يعنى هذا أنها اصطنعت اصطناعا من لدن

(١) باستيد Bastide : مبادئ علم الاجتماع الدينى - (ترجمة دكتور محمود قاسم)
ص ٢٠٥ - ٢٠٦
(٢) باستيد Bastide : مبادئ علم الاجتماع الدينى - (ترجمة دكتور محمود
قاسم) - مبحث الدين والحياة الاقتصادية ص ٢٠٥ - ٢١٢

القوم لعلاج أدوائهم ، لأن مستوى الرسالة يكون دائما أرفع وأسمى من
أى جهد بشرى للاصلاح .

وغريب أن يقال : ان المسيحية - على حد قول نيتشه والتفسير
السيكولوجى - هى دين الجماعات المضطهدة ! فاليهود وقت الرسالة
المسيحية - كما يدل التاريخ وتشهد الأناجيل نفسها - لم يكونوا
مضطهدين الى هذا الحد كانت تطوف حول طائفهم شكوك ، وربما
حاتت حول بعض أفرادهم شبهات ، وقد قام الغلاة الجليليون بثورات ،
لكننا لا نستطيع أن نقول : ان اليهود كطائفة كانوا محل اضطهاد عام
شامل فى امبراطورية الرومان وقت مبعث المسيح . بل على العكس كانت
لهم امتيازاتهم الدينية والطائفية ، وببلاطس الوالى الرومانى أراد أن يدع
المسيح لليهود لينفذوا فيه حكم التوراة : « فقال لهم ببلاطس خذوه
أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم ! فقال له اليهود لا يجوز لنا أن
نقتل أحدا ، ! (١)

والمسيح لم يؤت من قبل الدولة ، بل من قبل اليهود واقبال
المضطهدين والمستضعفين على المسيحية بهذا المعنى المقصود قد يكون بعد
أن عبرت الرسالة طريقها الى أوربا ، وهذا اذا فسر نجاحها فى الانتشار
هناك فلا يفسر قيامها بفلسطين فى البداية .

أما أن نقول ان الله يرسل رسله وينزل كتبه لصالح الخلق - فهذا
بديهى مسلم ، اذ أنه سبحانه لن يزيد ملكه بطاعة الطائعين ، ولن ينتقص
منه بمعصية العاصين ! وانما يريد الله أن يحرر عباده من سيطرة الأهواء
والأفراد والجماعات بتوجيههم اليه جل وعلا ، ليأووا الى ركن شديد ،
وينقادوا للقوة الكبرى التى لا تحابى ولا تتحامل . .

« تعالوا الى يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم . . .
احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى - لأنى وضيع ومتواضع القلب ، فتجدوا
راحة لنفوسكم . . . لأن نيرى هين وحملى ضعيف » (٢) .

« وقام ليقرأ . . . روح الرب على ، لانه مسحنى لأبشر المساكين ،
أرسلنى لأشفي المتكسرى القلوب ، لأنادى للمأسورين بالاطلاق ، وللعمى
بالبصر ، وأرسل المنسحقين فى الحرية » .

« . . . الذين يتبعون الرسول النبى الامى - الذى يجدونه مكتوبا

(١) يو ١٨ : ٣١

(٢) مت ١١ : ٢٨ - ٣٠

عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه - أولئك هم المفلحون » ، « واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض ، تخافون أن يتخطفكم الناس - فأواكم ، وأيدكم بنصره ، وورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » (١) .

وجماع القول فى الاتجاهات المختلفة لتفسير المسيحية واتجاهاتها الاجتماعية ، ما أجمله الكاتب الأمريكى جون هرمان راندال اذ يقول : « ورث التقليد المسيحى من الشعب العبرى الاعتقاد الأساسى فى أن الله أعطى الانسان عن طريق الوحي السماوى شريعة أبان له فيها واجباته ، فما أوصت به الشريعة فهو خير وما نهت عنه فهو شر ، وتقوم الأخلاق على أساس من العدل والطاعة لهذه الشريعة الالهية العليا . . . وتتضمن كتب العبرانيين المقدسة نزعتين متباينتين : الأولى - تذهب فى تفسير هذه الشريعة الى أنها مجموعة كاملة ثابتة من الطقوس والاحتفالات ، وسنة اجتماعية تلائم بيئة فلسطين الزراعية البسيطة نمت وتطورت على أيدي طبقة من الكهنة ونفذت بحرفيتها لأنها كانت تمثل آرادة الله ، والثانية - تذهب الى ما وراء هذه الشريعة اللاوية (لاويين الكتاب الثالث من التوراة ، وهو مجموعة قوانين العبادات) الى مبادئ الخير والحق والشفقة التى أعرب الأنبياء عنها فى دعواتهم الشاملة والبسيطة . فالنزعة الأولى تنتهى الى نظام شكلى ثابت محدد يقوم على المحافظة الدقيقة على الطقوس ، بينما تنتهى الثانية الى كراهية ملتزمة للظلم وحماس ثورى للمظلومين يصبح أحيانا عنيفا شرسا قاسيا متعصبا غير متسامح ، ويكون أحيانا أخرى شفوفا متعقلا كليا فى عواطفه واتساعه . . . »

ومع أن القرون الوسطى لم تحافظ على قانون الطقوس القديم ، أو على العرف الاجتماعى - بسبب تشديد بطرس الرسول على أن مجيء المسيح نقض القانون القديم ، وبسبب عادة اللاهوتيين المسيحيين من البحث عن المعانى الروحية الخفية لا عن المعانى الحرفية فى ظاهر النصوص - مع ذلك فقد بقيت تلك الفكرة قوية ، وانتهت الى الواجب الأخلاقى القائل بضرورة المحافظة على العبادات كما توصى بها الكنيسة .

(١) الاعراف ١٥٧ ، الانفال ٢٦

ولم يناد سوى البسطاء - وخاصة فرق المنتهزين Puritans المتشددين
فى الأخذ بحرفية النص فى حركة الإصلاح الدينى - بتوطيد الحياة على
أساس الحكومة الدينية التى عرفها قدماء العبرانيين ! ...

تلقت المسيحية من الأناجيل تيارا جديدا كاملا من المحبة ، ويعتبر
يسوع الناصرى من نواح كثيرة - وخاصة من حيث تعاليمه الأخلاقية -
فى عداد الأنبياء . وترن كلماته بنبرات الغضب الشديد على قانون الكتب
والفريسيين الشكلى ، كما تعكس مواعظه الشفقة على الفقراء والمنبوذين ،
والاعتقاد بالأبوة الالهية الشاملة والاخاء الانسانى ، والتشديد على اطاعة
الأوامر الالهية - كما فعل الأنبياء تماما قبله . ولكن جوهر الأناجيل هو
تشديد جديد على محبة الله الشاملة للانسان ، ومحبة الانسان للانسان
فى الله ... وليس اتباع وصايا الله فى الصلاة والصوم ، وانما فى
طهارة القلب - تلك الطهارة التى ترفض عمل الشر وفكرته ، وتسعى
لأن تولد حسن النية ازاء جميع الناس ...

وواقع الأمر أنه وجدت أنوار وحى والهام مشرق مشع ! وفى هذه
الرسالة بذور ثورة قوية : لأنه ان كان ملكوت الله سيصبح حقيقة واضحة
حية على الارض ، واذا كان الأقوياء سيهبطون والضعفاء سيرتفعون ، واذا
امحت الثورة وتلاشت الأنانية - فلا بد للانسان أن يحقق سماء جديدة
وأرضا جديدة ! ولقد حاول الناس مرة بعد أخرى أن يفسروا الانجيل
بهذا الاتجاه ...

على أننا لا نعدم أن نجد اتجاها معاكسا فى الأناجيل ، وأن نجد
ما يؤيده ! فاذا كان ملكوت الله قبل كل شيء فينا - وليس فى العالم
الخارجى ، واذا كان من واجبنا أن نعطي ما لقيصر لقيصر وأن نشغل
أنفسنا بالامور الالهية دون سواها ، واذا كانت الحكومات القائمة من أمر
الله وبمشيئته حتى اذا قاومها الانسان قاوم أوامر ربه واستحق نقمته :
اذن فالنظام القائم نظام مقدس ! وطريق المحبة - وان كان طريقا قاسيا -
فهو الطريق الذى مشاه القديس فرنسوا الهادى المسالم ، لا طريق الثائر
الاجتماعى ! ومن الطبيعى أن يؤيد الملوك والأساقفة وأصحاب الأملاك
الكبيرة والمصالح القائمة مثل هذا التأويل !! أما اذا كان ملكوت الله
ليس على الأرض وانما هو فى العالم الثانى ، اذن فطريق الكنيسة لابد
وأن توصل اليها . وفى الأناجيل مصادر لجميع هذه الآراء دخلت كلها
فى التقليد المسيحى !

وكان بولس هو الذى طبع المثل الأعلى المسيحى بطابع المحافظة ...

ولكن تحذر من بولس أيضا التشديد على الواجبات المتقابلة بين جميع الطبقات ، والتذكير بأن القوى الحاكمة هي خادمة لله ومسئولة تجاهه ، وأن الثروة مجرد وسيلة لخدمة الاخاء الانساني . ولقد جذبت هذه الناحية من نظرية بولس مجتمع القرون الوسطى الطبقي بصفة خاصة ، بمثل ما ألهم تشديده على الناحية الشخصية في الدين أصحاب النزعة الفردية في حركة الاصلاح الديني « (١) .

« ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون . ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم . فاختلف الأحزاب من بينهم ، فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم « (٢) . »

(١) جون هرمان راندال John Herman Randall : تكوين العقل الحديث (ترجمة

دكتور جورج طعمة) ج ١١ ص ٨٠ - ٨١ ، ٨٤ : ٨٦

(٢) الزخرف ٦٣ : ٥

الحق ... أقول لكم

« فتقدم التلاميذ وقالوا :
لماذا تكلمهم بأمثال ؟ فأجاب
وقال لهم : لأنه قد أعطى لكم
أن تعرفوا أسرار ملكوت
السموات ، وأما لأولئك فلم
يعط . فان من له سيعطى
فالذى عنده سيؤخذ منه ..
ويزاد ، وأما من ليس له
من أجل هذا أكلمهم
بأمثال »

(مت ١٣ : ١٠ - ١٣)

أمثال ... وقصص

فى الأناجيل المتداولة أمثال سائرة موجزة من محكم القول ...
وفى الأناجيل المتداولة أمثال قصصية يستعمل فيها أسلوب التصوير
والتمثيل للتعبير عن المعنى المقصود . وفى هذه وتلك من الجوانب الفنية
ما يستحق التأمل ...

« فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه : لماذا يأكل معلمكم مع
العشارين والخطاة ؟

فلما سمع يسوع قال لهم :

لا يحتاج الأصحاء الى طبيب ... بل المرضى ...

انى أريد رحمة ... لا ذبيحة ...

لم آت لأدعو أبرارا ... بل خطاة - الى التوبة ... » (١)

وكل كلمة من كلمات المسيح الثلاثة ، شعار جميل لرسالته ، يحمل
فى طيات كلماته القليلة ، الكثير ...

« وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم فى مجامعها ، ويكرز
ببشارة الملكوت ، ويشفى كل مرض وضعف فى الشعب . ولما رأى
الجموع تحزن عليهم ، اذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها .
حينئذ قال لتلاميذه :

الحصاد كثير ، ولكن الفعلة قليلون ... فاطلبوا من رب الحصاد
أن يرسل فعلة الى حصاده ، (٢) !!

مثل مستمد من بيئة زراعية ، يصور قلة الصالحين - (وقليل من

(١) مت ٩ : ١١ - ١٣ ، مر ٢ : ١٦ - ١٧ ، لو ٥ : ٣٠ - ٣٢

(٢) مت ٩ : ٣٥ - ٣٨ ، لو ١٠ : ٢

عبادى الشكور) ! وقرينه فى بيئة الابل عند نبي العرب : (انما الناس كابل مائة : لا يكاد تجد فيها راحلة) ! (١) .

والمثل السائر : لا كرامة لنبي فى وطنه - له رواية فى الانجيل : « ولما جاء الى وطنه كان يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا وقالوا : من أين لهذا هذه الحكمة والقوات ؟ أليس هذا ابن النجار ؟ » وأما يسوع فقال لهم : ليس نبي بلا كرامة الا فى وطنه وفى بيته . . . ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم ايمانهم » ، « ليس لنبي كرامة فى وطنه » (٢) .

وعبر المسيح عن قرابة الروح بين أبناء العقيدة الواحدة : « من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى » ، « أمى وأخوتى الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها » (٣) .

كذلك عبر عن نداء السلام فى رسالته فى حكمة تناقلتها الألسنة من بعده : « وفيما هو يتكلم ، اذ يهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ومعه كثير بسيف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب . . . واذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه ، وضرب عبد رئيس الكهنة - فقطع أذنه . فقال له يسوع : رد سيفك الى مكانه . . . كل الذين يأخذون السيف ، بالسيف يهلكون » (٤) !

ورد المسيح على من زعم أنه يستعين على معجزاته برئيس الشياطين : « فعلم يسوع أفكارهم ، وقال لهم : كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب . . . وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت . فان كان الشيطان يخرج الشيطان - فقد انقسم الشيطان على ذاته ، فكيف تثبت مملكته ؟ » (٥) .

وردد المسيح فى الهيكل تلك الشهادة الجميلة فى حق الاطفال - وهو يحاج اليهود : « أما قرأتهم قط : من أفواه الاطفال والرضع هيات تسبيحا » (٦) !

كما صور رسول الروح وداعية المحبة غاية الدين - وكل رسالة

(١) الحديث لاحمد والبخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه وصححه السيوطى

(٢) مت ١٣ : ٥٤ - ٥٨ ، مر ٦ : ٢ - ٦ ، لو ٤ : ٢٤ ، يو ٤ : ٤٤

(٣) مت ١٢ : ٤٩ : ٤٩ ، مر ٣ : ٣٥ ، لو ٨ : ٢١

(٤) مت ٢٦ : ٤٧ - ٥٢

(٥) مت ١٢ : ٢٥ - ٢٧ ، مر ٣ : ٢٣ - ٢٦ ، لو ١١ : ١٧ - ١٨

(٦) مت ٢١ : ١٦

خلقية أو أدبية ، وحدد الفارق بين التقدم المادى والأدبى فى هذه الكلمة :
« **ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟** » . . . ومن هنا
قال : « من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجل
يُجدها » (١) . وفى كتاب الصلاة العامة وردت العبارة التالية « ان خدمة
الله هى الحرية التامة » (٢) .

وقريب من هذا فى الأدب الاسلامى (احرص على الموت توهب لك
الحياة) !! وعند الصوفية : أعبد العبودية هى أقصى درجات الحرية !!
ويقول ابن عطاء الله السكندرى مناجيا ربه رمولاه : (ماذا فقد من وجدك ؟
وماذا وجد من فقدك ؟)

ولا ننسى أن نشير الى ذلك النشيد السماوى الذى يجمل رسالة
المسيحية : « وظهر بفترة مع الملاك جمهور من الجند السموى مسبحين
الله وقائلين : المجد لله فى الأعالي ، وعلى الأرض السلام ، وبالناس
المسرة » (٣) .

وللمسيح كذلك اشارات بيانية بارعة : « واذا كان يسوع ماشيا
عند بحر الجليل ، أبصر أخوين : سمعان - الذى يقال له بطرس -
وأندراوس أخاه يلقيان شبكة فى البحر ، فانهما كانا صيادين . فقال
لهما : **هلم ورائى فأجعلكما صيادى الناس** » (٤) ! .

« ولما رأى يسوع جموعا كثيرة حوله ، أمر بالذهاب الى العبر .
فتقدم كاتب وقال له : يا معلم أتبعك أينما تمضى . . . فقال له يسوع :
للتعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار ، وأما ابن الانسان فليس له أين
يسند رأسه !

وقال له آخر من تلاميذه : يا سيد ، ائذن لى أن أمضى أولا وأدفن
أبى ؟ فقال له يسوع : **اتبعنى ، ودع الموتى يدفنون موتاهم** ! « وقال
آخر أيضا : أتبعك ياسيد ، ولكن ائذن لى أولا أن أودع الذين فى بيتى .
فقال له يسوع : ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر الى الوراء يصلح
لملكوت الله » (٥) .

(١) مت ١٦ : ٢٥ - ٢٦ ، مر ٨ : ٣٥ - ٣٦ ، لو ٩ : ٢٤ - ٢٥

(٢) ستيفن نيل : ماهو الانسان ترجمة ابراهيم مطر ص ٢٨

(٣) لو ٢ : ١٤

(٤) مت ٤ : ١٨ - ١٩ ، مر ١ : ١٦ - ١٧

(٥) مت ٨ : ١٨ - ٢٢ ، لو ٩ : ٥٧ - ٦٢

وفيما سلف من فصول كلمات للمسيح محكمة : ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ... لا تجرب الرب الهك ... للرب الهك تسجد ، واياه وحده تعبد ... كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع !

ومن هذه الكلمات ما كان يردد به المسيح كلمات العهد القديم ... ومنها ما كان ثمرة بيانه وبلاغته .

أما الأمثال القصصية فهي كثيرة متعددة في الأناجيل المتداولة ، وهي تجميل طابع البيئة المحلية التي أجملنا وصفها (في الاطار التاريخي) لهذا الكتاب ...

فكثيرا ما ترد الأمثال ومدارها حول الزرع أو المرعى ، وأحيانا تعرض للتجارة أو الصيد .

» ... وقالوا له : لماذا تكلمهم بأمثال ؟

فأجاب وقال لهم : لأنه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات ، وأما لأولئك فلم يعط . فان من له سيعطى ويزاد ، وأما من ليس له فالذى عنده سيؤخذ منه ! من أجل هذا أكلمهم بأمثال - لأنهم مبصرين لا يبصرون ، وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون ! فقد تمت فيهم نبوة أشعيا القائلة : تسمعون سمعا ولا تفهمون ، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون ، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ ، وآذانهم قد ثقل سماعها ، وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم ! ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر ، ولآذانكم لأنها تسمع . فاني أقول لكم : ان أنبياء وأبرارا كثيرين اشتبهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا ، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا » (١) .

» ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس : لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها - أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ، ! » ومنهم من يستمعون إليك ، أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ؟ ومنهم من ينظر إليك ،

(١) مت ١٣ : ١٠ - ١٧ ، مر ٤ : ١ - ١٢

أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون ؟ ان الله لا يظلم الناس شيئا ،
ولكن الناس أنفسهم يظلمون » (١) .

وقد تساءل بطرس يوما : هل يقصد التلاميذ أيضا بالأمثال في
الخطاب ؟؟ « فقال له بطرس : يارب ألنا تقول هذا المثل ، أم للجميع
أيضا ؟ » ، « وبأمثال كثيرة مثل هذه كان يكلمهم - حسبما كانوا
يستطيعون أن يسمعوا ، وبدون مثل لم يكن يكلمهم ، وأما على انفراد
فكان يفسر لتلاميذه كل شيء » (٢) .

ولنتجول مع المسيح قليلا في حديقة الأمثال ...

سأله تلاميذ يوحنا : لماذا لا يشترك أتباعه معهم ومع الفريسيين
في الصيام ؟ « فقال لهم يسوع : هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا
مادام العريس معهم ؟ ... ليس أحد يجعل رقعة من قطعة جديدة على
ثوب عتيق ، لأن الملء يأخذ الثوب فيصير الحرق أردأ ! ولا يجعلون خمرًا
جديدة في زقاق عتيقة ، لئلا تنشق الزقاق فالخمر تنصب والزقاق
تتلف ، بل يجعلون خمرًا جديدة في زقاق جديدة فتحفظ جميعا » (٣) .

وفي هذا المعنى ورد في القرآن : « لكل أمة منسكا هم
ناسكوه ، فلا ينازعنك في الأمر ، وادع الى ربك ، انك لعلى هدى
مستقيم » (٤) .

« في ذلك اليوم خرج يسوع من البيت وجلس عند البحر ...
فكلمهم كثيرا بأمثال قائلا : هوذا الزارع قد خرج ليزرع ، وفيما هو
يزرع سقط بعض على الطريق - فجاءت الطيور وأكلته ، وسقط آخر
على الأماكن المحجرة حيث لم تكن له تربة كثيرا - فنبت حالا اذ لم يكن
له عمق أرض ، ولكن لما أشرقت الشمس احترق واذ لم يكن له أصل
جف ، وسقط آخر على الشوك - فطلع الشوك وخنقه ، وسقط آخر على
الأرض الجيدة - فأعطى ثمرا : بعض مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين !!
... من له أذنان للسمع فليسمع ...

فاسمعوا أنتم مثل الزارع ... كل من يسمع كلمة الملكوت ولا

(١) الاعراف ١٧٩ ، يونس ٤٢ - ٤٤

(٢) لو ١٢ : ٤١ ، مر ٤ : ٣٣ - ٣٤

(٣) مت : ٩ : ١٤ - ١٧ ، مر ٢ : ١٨ - ٢٢ ، لو ٨ : ٩ - ١٠

(٤) الحج ٦٧

يفهم ، فيأتى الشرير ويخطف ما زرع فى قلبه - هذا هو المزرع على الطريق ! والمزرع على الأماكن المحجرة - هو الى حين ، فاذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالا يعثر ! والمزرع بين الشوك - هو الذى يسمع الكلمة ، وهم هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر ! وأما المزرع على الأرض الجيدة - فهو الذى يسمع الكلمة ويفهم ، وهو الذى يأتى بثمر فيصنع بعض مائة وآخر ستين وآخر ثلاثين ، (١) ٠٠

وتشبيهه الايمان بالزرع ، وتشبيهه القلب بالتربة التى يستنبت فيها الزرع - تشبيه جميل بليغ ٠٠٠

وقد ورد فى القرآن : « يأيتها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر - فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرُونَ على شيء مما كسبوا ، والله لا يهدى القوم الكافرين ٠٠٠ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم - كمثل جنة بربوة أصابها وابل ، فآتت أكلها ضعفين ، فان لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير » ٠٠٠

وفى الحديث النبوى ، شبه رسول الاسلام قلوب من يعرض عليهم الهدى بأنواع التربة المتباينة :

« ان مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم ، كمثل غيث أصاب أرضا : فكان منها طائفة قبلت الماء - فأنبتت الكلاً والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء - فنفع الله بها الناس فشربوا وورعوا وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان - لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً ٠٠٠ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه الله بما بعثنى ونفع به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » (٢) ٠

« قدم لهم مثلاً آخر قائلا : يشبه ملكوت السموات انسانا زرع جيداً فى حقله ، وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زواناً فى وسط الحنطة ومضى ! فلما طلع النبات وصنع ثمر ، حينئذ ظهر الزوان أيضاً ٠٠٠ فقال له العبيد : أتريد أن نذهب ونجمعه ؟ فقال : لا ، لئلا تقطعوا الحنطة

(١) مت ١٣ : ١ - ٩ ، ١٨ - ٢٣ ، مر ٤ : ٢ - ٩ ، ١٣ - ٢٠ ، لو ٨ : ٤ - ٨ ،

١٢ - ١٥

(٢) البقرة ٢٦٤ - ٢٦٥ ، الحديث رواه البخارى ومسلم

مع الزوان وأنتم تجمعونه ! دعوها ينميان كلاهما معا الى الحصاد ، وفي وقت الحصاد أقول للحصادين : اجمعوا أولا الزوان واحزموه حزما ليحرق ، وأما الحنطة فاجمعوها الى مخزني ... فتقدم اليه تلاميذه قائلين : فسر لنا مثل زوان الحقل . فأجاب وقال لهم : الزارع الزرع الجيد هو ابن الانسان ، والحقل هو العالم ، والزرع الجيد هو بنو الملكوت ، والزوان هو بنو الشرير ، والعدو الذي زرعه هو ابليس ، والحصاد هو انقضاء العالم ، والحصادون هم الملائكة - فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون في انقضاء هذا العالم ، يرسل ابن الانسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاصر وفاعلي الاثم ويطرحونهم في أتون النار ! هناك يكون البكاء وصرير الأسنان !! حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم . من له أذنان للسمع فليسمع » (١) .

« ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويجعل الخبيث بعضه على بعض - فيركمه جميعا ، فيجعله في جهنم - أولئك هم الخاسرون » .

« أنزل من السماء ماء ... فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبدا رابيا ، ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع - زبد مثله ... كذلك يضرب الله الحق والباطل - فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال » (٢) !!

ويضرب المسيح أمثاله أحيانا بأسلوب أكثر ايجازا ...

« قدم لهم مثلا آخر قائلا : يشبه ملكوت السموات حبة خردل ، أخذها انسان وزرعها في حقله وهي أصغر جميع البذور ، ولكن متى نمت فهي أكبر البقول ! وتصير شجرة ، حتى ان طيور السماء تأتي وتتأوى في أغصانها ...

قال لهم مثلا آخر : يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاث أكيال دقيق حتى اختمر الجميع ... هذا كله كلم به يسوع الجموع بأمثال ، وبدون مثل لم يكن يكلمهم - لكي يتم ما قيل بالنبي القائل : سافتح بامثال فمي ، وانطلق بمكتومات منذ تأسيس العالم ...

(١) مت ١٣ : ٢٤ - ٣٠ ، ٣٦ - ٤٣

(٢) الأنفال ٣٧ ، الرعد ١٧

أيضا : يشبه ملكوت السموات كنزا مخفى فى حقل ، وجده
انسان فأخفاه ، ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك
الحقل ...

أيضا : يشبه ملكوت السموات انسانا تاجرا يطلب لآلىء حسنة ،
فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان له واشتراها .

أيضا : يشبه ملكوت السموات شبكة مطروحة فى البحر وجامعة
من كل نوع ، فلما امتلأت أضعدها على المشاطىء ، وجلسوا وجمعوا
الحياد الى أوعية ، وأما الأرياء فطرحوها خارجا ! هكذا يكون فى انقضاء
العالم - يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار ، ويطرحونهم فى
أتون النار ! هناك يكون البكاء وصرير الأسنان !! ...

قال لهم يسوع : أفهتتم هذا كله ؟؟ ... فقالوا : نعم ياسيد .
فقال لهم : من أجل ذلك ، كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات -
يشبه رجلا رب بيت يخرج من كنزه جددا وعتقاء !

ولما أكمل يسوع هذه الأمثال ... انتقل من هناك (١) ،

أمثلة حول الزرع ، والتجارة ، والصيد ...

ان المسيح يتكلم بلسان قومه ، ليبين لهم مايتقون ، بالأسلوب
الذى به يفهمون ! .

والكروم أيضا مألوفة فى بيئة الرسالة المسيحية ، وصالحة كى
تستمد منها الأمثال :

« فان ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح
ليستأجر فعلة لكرمه ، فاتفق مع الفعلة على دينار فى اليوم وأرسلهم الى
كرمه . ثم خرج نحو الساعة الثالثة ، ورأى آخرين قياما فى السوق
بطالين فقال لهم : اذهبوا أنتم أيضا الى الكرم فأعطيكم مايحق لكم -
فمضوا ، وخرج أيضا نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك ،
ثم نحو الساعة الحادية عشرة ... »

فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله : ادع الفعلة وأعطهم

(١) مت ١٣ : ٣١ - ٣٥ ، ٤٤ - ٥٣ ، مر ٤ : ٣٠ - ٣٢ ، لو ١٣ : ١٨ - ٢١

الأجرة - مبتدئا من الآخرين الى الأولين ! فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة - وأخذوا دينارا دينارا ، فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر - فأخذوا هم أيضا دينارا دينارا ! وفيما هم يأخذون تدمروا على رب البيت قائلين : هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة ، وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر !! فأجاب وقال لواحد منهم : يا صاحب ما ظلمتك ، أما اتفقت معي على دينار ؟ فخذ الذي لك واذهب ، فاني أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك ! أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي ؟ أم عينك شريرة لأنى أنا صالح ؟ هكذا يكون الآخرون أولين والأولين آخرين ، لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون ! » (١)

وهذا المثل هو الذى ارتأى فيه الأستاذ ديورانت - اقرارا من المسيح للتفاوت فى المعاملة ، ولحرية الفرد المطلقة فى التصرف فى ماله : (أو ما يحل لي أن أفعل ما أريد بمالي ؟) . . .

وظاهر من القصة أن صاحب الكرم قد أعطى كل أجير حقه المقرر المفروض ، وشاء أن يزيد منحة وهبة لمن يختار - لأن هذا فضل منه يزيد عما التزم به ، فهر حر فى توجيهه الوجهة التى يرتضيها ! وظاهر كذلك أن القصة تريد أن تشير الى اصطفاء الله لمن يشاء من العباد ، فربما يعمل الانسان عملا يسيرا يأتى فى وقته المناسب فيثمر ثمرات وافرة تبارك جزاءه ، ولربما يعمل المرء عملا يستوى فيه مع آخر أو يقل عنه لكنه يفترق حسب النية . والله سبحانه وتعالى يقدر الأجر حسب النية ، وحسب الطاقة والوسع ، وحسب العلم والمعرفة ، وحسب الثمرة والنتيجة . . .

وهكذا لا يتخلف عدل الله ولا فضل الله ، ولا رحمة الله - فى جزاء العباد .

» . . . ويأتون من المشارق ومن المغارب ومن الشمال والجنوب ، ويتكثون فى ملكوت الله . وهو ذا آخرون يكونون أولين وأولون يكونون آخرين » (٢) .

وقد سبق أن عرضنا من قبل لمثلين آخرين ورد فيهما ذكر الكرم : « كان لانسان ابنتان ، فجاء الى الاول وقال يا ابنى : اذهب اليوم اعمل

(١) مت ٢٠ : ١ - ١٦

(٢) لو ١٣ : ٢٩ - ٣٠

فى كرمى ، فأجاب وقال : ما أريد . . . وجاء الى الثانى ، فأجاب وقال :
ها أنا يا سيد . . . » ، « كان انسان رب بيت غرس كرما . . وسافر ،
ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيدة الى الكرامين ليأخذ أثماره . . » الخ .

ويسوق المسيح للملكوت السموات مثالا من الأعراس والولائم :
« وجعل يسوع يكلمهم أيضا بأمثال قائلا : يشبه ملكوت السموات
انسانا صنع عرسا لابنه ، وأرسل عبيده ليدعوا الى العرس ، فلم يريدوا
أن يأتوا . فأرسل أيضا عبيدا آخرين قائلا : قولوا للمدعوين : هوذا
غذائى أعددت ، ثيرانى ومسمناتى قد ذبحت ، وكل شىء معد - تعالوا
الى العرس ! ولكنهم تهاونوا ومضوا - واحد الى حقلة وآخر الى تجارته ،
والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم ! فلما سمع الملك غضب ،
وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم ، ثم قال لعبيده :
أما العرس فمستعد ، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين ! فاذهبوا الى
مفارق الطرق ، وكل من وجدتموه فادعوه الى العرس ! فخرج أولئك
العبيد الى الطرق ، وجمعوا كل الذين وجدوهم أشرارا وصالحين ، فامتلا
العرس من المتكئين ! فلما دخل الملك لينظر المتكئين ، رأى هناك انسانا
لم يكن لابسا لباس العرس ، فقال له : يا صاحب كيف دخلت الى هنا
ونئس عليك لباس العرس ؟ فسكت . حينئذ قال الملك للخدام : أربطوا
رجليه ويديه وخذوه واطرحوه فى الظلمة الخارجية ! هناك يكون البكاء
وصرير الأسنان ، لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون » (١) !!

ونبى الاسلام يشبه كتابه أيضا بالمأدبة : « ان هذا القرآن مأدبة
الله ، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم » (٢) .

وهذا مثل يحذر به المسيح أتباعه من أن يعيشوا فى سكرة فيؤخذوا
على غرة :

« فمن هو العبد الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه ، ليعطيهم
الطعام فى حينه ! . . . طوبى لذلك العبد الذى اذا جاء سيده يفعل
هكذا . الحق أقول لكم : انه يقيمه على جميع أمواله . . . ولكن ان قال
ذلك العبد الردى فى قلبه : سيدى يبطئ قدومه ، فيبتدىء يضرب العبيد

(١) مت ٢٢ : ١ - ١٤

(٢) رواء الحاكم فى المستدرک - وضعه السيوطى

رفقاءه ، ويأكل ويشرب مع السكارى ! يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره ، وفى ساعة لا يعرفها ، فيقطعه ويجعل نصيبه مع المراثين !! .. هناك يكون البكاء وصرير الاسنان !!

حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس ، وكان خمس منهن حكيماً وخمس جاهلات . أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتا ! وأما الحكيمات فأخذن زيتا فى آنيتهن مع مصابيحهن . وفيما أبطأ العريس نعنسن جميعا ونمن . وفى نصف الليل صار صراخ : هو ذا العريس مقبل فاخرجن للقاءه !! فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن . فقالت الجاهلات للحكيما : أعطيننا من زيتكن ، فان مصابيحنا تنطفئ ! فأجابتهن الحكيمات قائلات : لعله لا يكفى لنا ، ولكن بل اذهبن للباعة وابتعن لكم . وفيما هن ذاهبات ليبتن ، جاء العريس ، والمستعدات دخلن معه الى العرس ، وأغلق الباب ! أخيرا جاءت بقية العذارى أيضا قائلات : ياسيد ياسيد افتح لنا ، فأجاب وقال : الحق أقول لكم انى ما أعرفكن ! فاسهروا اذن ، لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الانسان (١) » !

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، واتقوا الله ، ان الله خير بما تعملون . ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون . لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون » ! « ويوم يعرض الظالم على يديه ، يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا » !!

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم : لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتىكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم ، من قبل أن يأتىكم العذاب بغتة - وأنتم لا تشعرون ! أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله ، وان كنت لمن الساخرين . أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين ! أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين ! بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين . ويوم القيامة ترى الذين

(١) مت ٢٤ : ٤٥ - ٥١ ، ٢٥ : ١ - ١٣ ، مر ١٣ : ٣٤ - ٣٧ ، لو ١٢ : ٣٦ - ٤٨

كذبوا على الله وجوههم مسودة ، أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ؟ وينجى
الله الذين اتقوا بمفازتهم ، لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ، (١) •

وكما أرسل المسيح الى (الحرفيين الطقوسيين) قوارع الكلم صريحة
سافرة ، فقد أدار عليهم أمثاله وقصصه الرمزية :

«واذا ناموسى قام قائلا : يامعلم ، ماذا أعمل لأرث الحياة الابدية ؟
فقال له : ما هو مكتوب فى الناموس - كيف تقرأ ؟ فأجاب وقال : تحب
الله من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك ،
وقريبك مثل نفسك • فقال له : بالصواب أجبت ، افعل هذا فتحيا ...
وأما هو فاذا أراد أن يبرر نفسه قال ليسوع : ومن قريبي ؟ فأجاب يسوع
وقال :

انسان كان نازلا من اورشليم الى أريحا ، فوقع بين لصوص فعروه
وجرحوه ، ومضوا وتركوه بين حى وميت ، فعرض أن كاهنا نزل فى تلك
الطريق ، فرآه وجاز مقابلة ! وكذلك لاوى أيضا ، اذ صار عند المكان جاء
ونظر وجاز مقابلة ! ولكن سامريا مسافرا جاء اليه ، ولما رآه تحنن فتقدم
وضمد جراحاته وصب عليها زيتا وخمرا وأركبه على دابته ، وأتى به الى
فندق واعتنى به ، وفى الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب
الفندق وقال له : اعتن به مهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك ... فأى
هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبا للذى وقع بين اللصوص ؟ فقال : الذى صنع
الرحمة ! فقال له يسوع : اذهب أنت أيضا واصنع هذا » !! •

« وكان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه • فتذمر
الفريسيون والكتبة قائلين : هذا يقبل خطاة فيأكل معهم ! فكلمهم بهذا
المثل قائلا :

أى انسان منكم له مائة خروف وأضاع واحدا منها، ألايترك التسعة
والتسعين فى البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده ! واذا وجده يضعه
على منكبيه فرحا ، ويأتى الى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلا لهم :
افرحوا معى لانى وجدت خروفي الضال ! أقول لكم : انه هكذا يكون
فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب ، أكثر من تسعة وتسعين بارا
لا يحتاجون الى توبة !! وأية امرأة لها عشرة دراهم ان أضاعت درهما

(١) الحشر ١٨ : ٢٠ ، الفرقان ٢٧ ، الزمر ٥٣ : ٦١

بواحدة ، ألا توقد سراجا وتكنس البيت وتفتش باجتهاد حتى تجده ؟ وإذا وجدته تدعو الصديقات والجارات قائلة : افرحن معي ، لاني وجدت الدرهم الذي أضعته .. هكذا أقول لكم : يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطيء واحد يتوب !!

وقال : انسان كان له ابنان ، فقال أصغرهما لأبيه : يا أبى أعطني القسم الذى يصيبني من المال ! فقسم لهما معيشته ، وبعد أيام ليست بكثيرة جمع الابن الاصغر كل شيء وسافر الى كورة بعيدة ، وهناك بذر ماله بعيش مسرف . فلما أنفق كل شيء ، حدث جوع شديد فى تلك الكورة - فابتدأ يحتاج ! فمضى والتصق بواحد من أهل تلك الكورة ، فأرسله الى حقوله ليرعى خنازير . وكان يشتهى أن يمسأ بطنه من الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله ، فلم يعطه أحد ! فرجع الى نفسه وقال : كم من أجير لأبى يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعا ! أقوم وأذهب الى أبى وأقول له : يا أبى أخطأت الى السماء وقدامك ، ولست مستحقا بعد أن أدعى لك ابنا ، اجعلنى كأحد أجراك ! .. فقام وجاء الى أبيه . واذا كان لم يزل بعيدا رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله ... فقال الأب لعبيده : أخرجوا الحلة الاولى وألبسوه ، واجعلوا خاتما فى يده وحذاء فى رجلية ، وقدموا العجل المسمن واذبحوه فناول ونفرح ، لان ابنى هذا كان ميتا فعاش ، وكان ضالا فوجد - فابتدأوا يفرحون ! ... وكان ابنه الاكبر فى الحقل ، فلما جاء وقرب من البيت سمع صوت آلات طرب ورقصا - فدعا واحدا من الغلمان وسأله .. فغضب ولم يرد أن يدخل ، فخرج أبوه يطلب اليه ، فأجاب وقال لأبيه : ها أنا أخدمك سنين هذا عددها ، وقط لم أتجاوز وصيتك ، وجديا لم تعطني قط لأفرح مع أصدقائى ! .. فقال له يا بنى أنت معى فى كل حين ، وكل مالى فهو لك . ولكن كان ينبغى أن نفرح ونسر ، لان أخاك هذا كان ميتا فعاش ، وكان ضالا فوجد ! » (١)

وهكذا نجد أنفسنا مع المسيح دائما فى (فلسطين !) ..

تارة فى أرض الكروم أو الحنطة ، وأخرى فى مرعى الخراف أو الخنازير !

وكثير من أحاديث نبي الاسلام تصور أفراح السماء بتوبة المذنبين،

(١) لو ١٠ : ٢٥ - ٣٧ ، ١٥ : ١ - ٣٢ ، مت ١٨ : ١٢ - ١٣

ومن أوجزها : « لله أشد فرحا بتوبة عبده ، من أحدكم - اذا سقط عليه بعيره وقد أضله بأرض فلاة (١) » !!

وقد صور المسيح تكالب الفريسيين على المال ، ولو أتى من الحرام .
« وقال أيضا لتلاميذه كان انسان غنى له وكيل ، فوشى به اليه بأنه يبذر أمواله - فدعاه وقال له : ماهذا الذى أسمع عنك ؟ أعط حساب وكالتك ، لانك لا تقدر أن تكون وكيلًا بعد ! فقال الوكيل فى نفسه : ماذا أفعل ؟ لان سيدى يأخذ منى الوكالة ، لست أستطيع أن أنقب وأستحي أن أستعطى ! » قد علمت ماذا أفعل ، حتى اذا عزلت عن وكالة يقبلونى فى بيوتهم ! فدعا كل واحد من مديونى سيده ، وقال للأول : كم عليك لسيدى ؟ فقال : مائة بٲ زيت ، فقال له : خذ صكك واجلس عاجلا واكتب خمسين . ثم قال لآخر : وانت كم عليك ؟ فقال : مائة كر قمح ، فقال له : خذ صكك واكتب ثمانين !! فمدح السيد وكيل الظلم - اذ بحكمة فعل ، لان أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور فى جيلهم . وأنا أقول لكم : اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم ، حتى اذا فنيتم يقبلونكم فى المظال الابدية !! » الامين فى القليل أمين أيضا فى الكثير ، والظالم فى القليل ظالم أيضا فى الكثير . فان لم تكونوا أمناء فى مال الظلم ، فمن يآتمنكم على الحق ؟ وان لم تكونوا أمناء فى ما هو للغير ، فمن يعطيكم ما هو لكم ؟ لا يقدر خادم أن يخدم سيدين . . . لا تقدرّون أن تخدموا الله والمال !!

وكان الفريسيون أيضا يسمعون هذا كله - وهم محبوبون للمال - فاستهزأوا به ! فقال لهم : انتم الذين تبرزون أنفسكم قدام الناس ، ولكن الله يعرف قلوبكم ، ان المستعلى عند الناس هورجس عند الله . . .

كان انسان غنى وكان يلبس الارجوان والبز وهو يتنعم كل يوم مترفها ، وكان مسكين اسمه لعازر الذى طرح عند بابيه مضروبا بالقروح ، ويشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغنى ، بل كانت الكلاب تأتى وتلحس قروحه . . . فمات المسكين وحملته الملائكة الى حضن ابراهيم ، ومات الغنى أيضا ودفن . فرفع عينيه فى الهاوية - وهو فى العذاب - ورأى ابراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه . . . فنادى وقال :

(١) البخارى ومسلم

يا أبى ابراهيم ارحمنى ، فأرسل لعازر ليبل طرف اصبعه بماء ويبرد لسانى ، لانى معذب فى هذا اللهيب !! فقال ابراهيم : يا ابنى اذكر أنك استوفيت خيراتك فى حياتك ، وكذلك لعازر البلايا ، والآن هو يتعزى وأنت تتعذب ! وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أثبتت ، حتى ان الذين يريدون العبور من ههنا اليكم لا يقدرُونَ ، ولا الذين من هناك يجتازُونَ الينا ... فقال : أسألك اذن يا أبت أن ترسله الى بيت أبى ، لأن لى خمسة اخوة حتى يشهد لهم لكيلا يأتوا هم أيضا الى موضع العذاب . هذا !! ... قال له ابراهيم : عندهم موسى والانبياء ليسمعوا منهم ! فقال : لا يا أبى ابراهيم ، بل اذا مضى اليهم واحد من الاموات يتوبون . فقال له : ان كانوا لا يسمعون من موسى والانبياء ، ولا ان قام واحد من الاموات يصدقون!!!» (١) .

« ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ قالوا . نعم : فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين . الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً ، وهم بالآخرة كافرون . وبينهما حجاب ، وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ، ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم - لم يدخلوها وهم يطمعون . واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم ، قالوا : ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ! أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ؟ ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ! ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة : أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ... قالوا : ان الله حرمهما على الكافرين ! الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعباً ، وغرتهم الحياة الدنيا ، فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا ، وما كانوا بآياتنا يجحدون (٢) » !!

« تمتاز **القصة** بأنها تصور نواحي الحياة ... فتعرض لك الاشخاص وحركاتهم وأخلاقهم ، وأفكارهم واتجاهات نفوسهم ، وبيئتهم الطبيعية والزمنية ، فتعرضها عليك بعرض أعمالهم وتصرفاتهم ونقاشهم . فاذا رأيت هذه التصرفات والأعمال ، ومضيت مع الحوار والنقاش -

(١) لو ١٦ : ١ - ١٥ ، ١٩ - ٣١

(٢) الأعراف ٤٤ - ٥١

عرفت ما يستكن في النفوس من طباع ، وما يهيجس فيها من الخواطر ،
وانشرح صدرك لأهل الخير منهم ، وضقت ذرعا بذوى النفوس المظلمة
والوسائل الملتوية ، حتى لكأنك تراهم رأى العين وتسمع منهم سمع الأذن
وتعاشرهم وتحيا بينهم . . .

وتمتاز القصة كذلك بأن النفس تميل اليها، فغريزة حب الاستطلاع
تعلق عين السامع وأذنه وانتباهه بشفتي القصصى البارع استشرافا لمعرفة
ما خفى من بقية الأنباء . . .

والقصة - بهاتين الميزتين - من خير الوسائل التى يتوسل بها
الداعية لبلاغ تعاليمه الى أعماق القلوب ، فهى بالميزة الاولى تعرض هذه
التعاليم فى صورة عملية حية تحرك الوجدان وترفع نبض المشاعر ، وهى
بالميزة الثانية - ميزة التنبيه والتقبل - تجعل النفوس أوعية مفتوحة
يصب فيها الداعية ما يشاء ، فيبلغ القرار !

والناس فى قديم الزمان يجدون فى طبائعهم الميل الى الاستشهاد
بالمثل ، والمثل قول واضح موجز حكيم ، ينتصب صدقه فى القول فيألفه
الناس ويجرى بينهم ويشيع فى أحاديثهم . فقد يكون أحدهم بصدد حال
يحكيها أو يسمعها فيحضره مثل يشابهها فى المعنى فيستشهد به - لا لان
الكلام يزيد به صدقا ، بل لأن النفس تستأنس بالمثل ، ويلتمع فى
جوانبها ضوء من وضوحه وجمال حكمته فما أسرع ما تنفرج جوانب
النفس عن ثغرة يتعانق فيها معنى المثل ومعنى الحديث ثم تنطبق عليها
فى تزاوج ووثام ، فاذا بالحال التى كانت تحكى قد استقرت لدى السامعين
فى رضا وقبول واطمئنان !! ومن ضرب الامثال أن تشبه أمرا دقيقا خفيا
- أو به بعض الخفاء - بأمر حسى مما يعهده الناس فى حياتهم اليومية . . .

ومن قبيل ضرب الأمثال القصص الرمزية : وهى قصص يضعها
مؤلفها ولا يريد ظاهر معناها ، بل يريد معنى مستورا يكشفه بعد الانتهاء
منها أو يشير اليه قبل البدء فيه . . . فقد يكون الداعية فى مقام لا يحسن
فيه التصريح ، فيسمعه مثله القصصى الرمزى بهراده ، هذا الى أن فيه
طرافة وتجديدا للنشاط النفسى . فقد يغرب المؤلف قليلا ويطالعك فى
قصته بشيء من الاوضاع الشاذة غير المعقولة ، فتعذب القصة وتفيض
طرافتها حلاوة ، فتقبل عليك العقول بأزماتها ، فاذا انتهى وشرع يحل
العقدة ويوضح الرموز ، لمعت الانوار فى العقول والقلوب ، واستفاض
الرضا عن معناه فى النفوس !! « (١) »

(١) البهى الحولى . تذكرة الدعاة (الطبعة الاولى ١٩٤٥) ص ٣٩ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٧٥

ولقد اتبع المسيح فى تعليمه للجماهير « طريقة الأم فى تربية طفلها » انه يستثير العجب والاعجاب . فالمثل عنده يهدف قبل كل شئ الى ايقاظ روح الدهشة . « لقد قصد أن يريهم انه حتى فى الامور الدنيا هناك أشياء تحير الناظر المتأمل ، فاذا أخذهم معه الى نيران المدفأة فلكى يريهم جمال الذرات المتوهجة وهى تصعد الى أعلى ، وان سار معهم فى طريق معروف فذلك ليقودهم الى بوابة موصدة ، وان اقتادهم فى العالم الطبيعى فذلك ليجدوا فيه ناموسا روحيا . ان هدفه هو اثارة الاحساس بالغموض ، الاحساسى بأن هناك شيئا أعمق . ان يسوع يرى انه فى مرئياتنا العادية البسيطة يختفى شئ لا تدركه العين ، وأعظم اعلان عنده هو اكتشاف هذا الشئ المختفى ان المسيح قد عرف ان التعليم الالهى للانسان يبدأ بنداء وعلان للطفولة (انى أحمدك أيها الآب لانك أعلنت هذا للأطفال) ! ولكى ندرب العين والأذن واليد فى الطفل علينا أن نربى ملكة التعجب وكان التلاميذ يتصورون أن (المثل) لا يناسب حالة الجمهور الفكرية ، ولكن يسوع كان يقدر الطاقة الكامنة فى الجمهور لانه كان يعرف تماما الطاقة الكامنة فى الطفولة ، وكان يسوع يرى الاجنحة الجبارة المستترة فى أعماق الطفل» (١) !!

والمسلمون يقرأون كثيرا من القصص والأمثال فى كتاب ربهم وحديث نبيهم . .

فالتصوير هو الاداة المفضلة فى أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المجسمة المتخيلة عن الواقعة الملموسة المباشرة أو المعنى الذهنى ، أو الحالة النفسية ، ثم يمنح تلك الصورة الحركة والحياة فى بيان رائع مشرق فوار بالحياة !! تأمل هذه الصور مما جاء فى القرآن: « ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ، لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ! » . . . « له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ - الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين الا فى ضلال ! » « ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير ، أو تهوى به الريح فى مكان سحيق » ! . .

حقا كان بيان المسيح من رصيد النجاح لدعوته
وكانت شخصيته كلها شخصية الداعية الموفق ، والمعلم الملهم ،
والمؤمن المبارك . . .

(١) جورج هائيسون . دراسات فى صور من حياة المسيح ترجمة دكتور عزت زكى.

ج ١ ص ١٧٣ - ٤ ، ص ١٧٦

بيات المسج

« ولم يكن احتياج العالم للعقيدة ولا استعداده لسماعها مغنيا للعقيدة عن أدوات النجاح والفلاح : وأولها قدرة الداعى على كسب النفوس واجتذاب الأسماع ، والغلبة على ما يقاومه من المكابرة والعناد . وقد كانت هذه القدرة موفورة فى معلم المسيحية ، وبحق سمي المعلم - عند تلاميذه وخصومه - ونودى به فى مختلف المجامع المحافل ، لأن مهمته الكبرى كانت مهمة تعليم وإحياء روحى حيوى من طريق التعليم وكان نداؤهم له بهذا اللقب ، لأنهم يجدون فى كلامه علما واسعا بالكتب والأسفار ، وبديهة حاضرة فى الاستشهاد بها والتعقيب عليها ، ويكفى ما بين أيدينا من الأناجيل للجزم بأنه كان يزل المزامير ، وكان يحفظ كتب أرميا وأشعيا وحزقيال ، فضلا عن الكتب الخمسة التى نسبت الى موسى عليه السلام ، وفضلا عن اختلاف المذاهب فى تطبيق الوصايا والأحكام ! ويرجح بعض المؤرخين أنه كان يعرف اليونانية ، وأن الحديث الذى دار بينه وبين بيلاطس كان بهذه اللغة ، لان اليونانية كانت شائعة فى عصره بين أبناء الجليل ! ولكن المحقق أنه كان يعرف العبرية الفصحى التى تدرس بها كتب موسى والأنبياء ، وأنه كان يعرف الآرامية التى كان يتكلمها كلام البلغاء فيها على أن هذا العلم كله بالثقافة الموسوية الاسرائيلية لم يكن فريدا بين أحبار اليهود فى تلك الآونة ، ولم تكن لواحد منهم كفاية المعلم الذى يبت الحياة الروحانية فى النفوس ، وينفث فى الخواطر تلك الراحة التى كانت تشبه راحة السريرة - حين تتناسق فيها الأنغام التى كانت متنافرة قبل أن تجمع وتصاغ ! لقد كانت اللغة التى حملت بشائر الدعوة الأولى لغة صاحبها ، بغير مشابهة ولا مناظرة فى القوة والنفاز كانت لغة فذة فى تركيب كلماتها ومفرداتها ، فذة فى بلاغتها وتصريف معانيها ، فذة فى طابعها الذى لا يشبهه طابع آخر فى الكلام المسموع أو المكتوب ، ولولا ذلك لما أخذ السامعون بها ذلك المآخذ المحبوب ، مع غلبته القوية على الأذهان والقلوب كانت فى تركيبها نمطا بين النثر المرسل والشعر المنظوم ،

كانت فنا خاصا ملائما لدروس التعليم والتشويق وحفز الذاكرة والخيال .
وهو نمط من النظم لا يشبه نظم الأعارىض والتفعيلات التى نعرفها فى
اللغة العربية ، لأن هذا النمط من النظم غير معروف فى اللغة الآرامية
ولا فى اللغة العبرية ، ولكنه أشبه ما يكون بأسلوب الفواصل المتقابلة
والتفريعات المرددة التى ينتظرها السامع انتظاره للقافية ، وان كانت
لا تتكرر بلفظها المعاد !

كان أسلوبه فى إيقاع الكلام أسلوبا يكثر فيه الترويد والتقرير ،
وليس فى الترجمة العربية ما يدل عليه من قريب ، ولكنها مع التأمل
تدل عليه من بعيد - كما فى هذا المثال : (اسألوا تعطوا . . . اطلبوا
تجدوا . . . اقرعوا يفتح لكم . . . لأن من يسأل يأخذ ، ومن يطلب يجد ،
ومن يقرع يفتح له الباب . . . من منكم يسأل ابنه خبزا فيعطيه حجرا ،
أو يسأله سمكة فيعطيه حية ، أو يسأله بيضة فيعطيه عقربا ؟؟؟ فإذا
كنتم - وأنتم أشرار - تحسنون العطاء للآبناء ، فكيف بالآب الذى فى
السماء ، يعطى الروح القدس لمن يسألون !) . . . وقريب من هذا نذيره
لأورشليم : (يا أورشليم ! يا أورشليم ! يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة
المرسلين ! . . . كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها
تحت جناحيها - ولم تريدوا . . . هو ذا بيتكم رهين بالحراب) ! وقريب
منه نذيره لبناات أورشليم : (يابناات أورشليم ! لا تبكين على ، وعلى
أنفسكم وأولادكم فابكين ! . . . أيام يقولون : طوبى للعواقر ، والبطون
التي لم تلد ، والشدى التي لم ترضع . . . أيام ينادون الجبال أن تسقط
عليهم ، والآكام أن تكون غطاء لهم . . . ان كان بالغصن الرطب يصنع
هذا ، فباليابس ماذا يصنعون ؟؟) ! أما أسلوب المعنى فقد اشتهر منه
نمط الأمثال ، فى كل قالب من قوالب الأمثال : ومنه القالب الذى يعول
على الرمز ، والقالب الذى يعول على الحكمة ، والقالب الذى يعول على
التشبيهات . . . ومعظم هذه الأمثلة تأتى فى مناسباتها عفو الخاطر ،
جوابا على سؤال أو تعقبا على حادث عارض أو تقريرا لمكابر ، ولهذا
يرجح بعض الشراح المحدثين أن الأمثلة المتوالية فى المقاصد المختلفة لم
تصدر عنه فى سباق واحد أو جلسة واحدة . . . لم يكن محضرا قبل
ساعته ، وغاية ما يعرض له التحضير أن الفكر الذى وجود به لم يخل
قط من التفكير فيه ، وأنه تعود التفكير فى المواقف المتشابهة فانسكبت
قوالب التعبير فى بواطن قريحته - غير مقصودة ولا متكلفة ، وهى عادة
يعرفها من تعودوا التفكير والتعبير وحضور الشعور بينهم وبين الجماهير !

ومن البيان ما يروع ويهول ، ويخيل الى سامعه أنه يبتعد من مصدره .
كلما أصغى اليه ! ومنه ما يجذب ويقرب ، ويخيل الى سامعيه أن كل كلمة
منه ترفع حاجزا أو تدنى مسافة وتزيل وحشة بين القائل والسميع !
من هذا البيان كان بيان المعلم المحبوب ، القدير على تقريب سامعيه
بالعطف والافهام - فمن فهم قريب ، ومن لم يفهم غير بعيد ! ... وفي
وسعنا أن نتخيل أولئك المستمعين البسطاء يقبلون على الاستماع وهم في
ظلام الجهالة لا يدرون ماذا سيسمعون ، ثم تتفتح في أذهانهم الخواطر
وتتفتح فيها الأشياء وتتبين الفوارق بين الأضداد ، فينجاب الظلام سدفة
بعد سدفة ويعقبه النور قبسا وراء قبس ، ويدخلهم على مهل شعور
الأعمى الذى يسترد بصره - مشدوها بالرؤية لأول مرة ! أو شعور المدلج
الذى يصحب الليل من السحر الى الفجر الى الصباح .. هداية في رفق
ورحمة ، واقترب في غير عناء واقتحام « (١) !!

هكذا يحكم على أسلوب الأنجيل أديب العربية ومفكرها الكبير
العقاد ، وكفى به خيرا ..

والمسيح يسير في التصوير أحيانا على طريقة المتوازيات ، وحين
ترجم حكمه التي تجرى على هذا الأسلوب الى الآرامية لغة المسيح تبدو
شعرا ذا موسيقى ووزن وأبيات . وطريقة تقديم الحكمة على هذه الصورة
كانت من أدق خصائص تعاليم المسيح لتلاميذه فهو يؤثر الرباعيات
والترجيع الموسيقى والأوزان الشرقية - على حد قول يواقيم أرميا . حتى
أن هذا الطابع للأسلوب يتخذ معيارا للحكم على مدى صحة نسبة أقوال
معينة للمسيح . ومن هنا قبل البعض مثلا القول الذى روى أوريجانوس
أنه قرأه منسوباً للمسيح :

الغريب منى ... قريب من النار

والبعيد عنى ... بعيد عن الملكوت (٢) .

(١) العقاد : عبقرية المسيح ص ١٦٦ : ١٧٤

(٢) يواقيم أرميا . أقوال المسيح غير المدونة في بشائر الانجيل ص ٦٧ - ٨

صاعب النقل

ويأتى الحكم على أسلوب المسيح كما ورد فى الاناجيل المتداولة ،
مؤسسا على ما وصل الينا وقرأنا من أساليب ، نالت منها ولا شكه
متاعب النقل والترجمة ٠٠٠

« ليست لدينا معلومات وثيقة عن الترجمة السريانية للعهد القديم ،
ولا عن أصلها ٠٠٠ ومهما يكن من أمرها فقد وصلنا - الى جانب النص
الذى تمثله أغلب المخطوطات التى يرجع تاريخ كتابه بعضها الى القرن
السادس - نص آخر يشتمل على سفرى التكوين والخروج فى مخطوط
محفوظ بالمتحف البريطانى يرجع تاريخه الى سنة ٤٦٤ م - وهو أقدم
مخطوط مؤرخ للكتاب المقدس عرف حتى اليوم ، وهو يتفق مع النص
العبرى بوجه عام ٠٠٠ هذه الترجمة اليهودية لبعض أسفار العهد القديم ،
هى التى أخذتها الكنيسة المسيحية ، فأتمتها وهذبت أسلوبها ، واتخذت
من هذا النص الموسع نموذجا مثاليا نقلت عنه أكثر مخطوطات العهد
القديم ٠٠٠

ثم رأينا المبشرين المسيحيين قد استقروا فى بلاد آشور قبيل نهاية
القرن الأول ٠٠٠ فأى نصوص العهد الجديد كانت تستعملها هذه الجاليات
المسيحية ؟

هناك نظريتان : أما أصحاب النظرية الأولى فيرون أن طاطيان - الذى
جاء من آشور ويرجح أنه ولد حوالى سنة ١١٠ م ، وكانت لغته السريانية
وتثقف فى المراكز الكبرى ودرس فلسفة اليونان - لما عاد من روما رأى
أن المسيحيين محتاجون الى نص سريانى للكتاب المقدس ، فوضع كتابه
(الديايطرون) - أى مضمون الاناجيل الاربعة ، ولكن هذا الكتاب لم
يعجب رجال الكنيسة فيما بعد ، فترجموا الاناجيل من اليونانية الى
السريانية ترجمة كاملة !

وأما أصحاب الرأى الثانى فيرون أن المسيحيين فى حذيب كانت

لديهم ترجمة سريانية كاملة للأنجيل ، الى جانب الترجمة السريانية التي كانت عندهم للعهد القديم والتي ورثوها عن العصر اليهودي الذي أظلم بلادهم حيناً . ويرى أصحاب هذا الرأي أن طاطيان نفسه قد استخدم هذه الترجمة السريانية القديمة للأنجيل في تصنيف كتابه (الديايطرون) !

•• ونستطيع اذن أن نقول : ان أقدم ترجمة سريانية كاملة للأنجيل قد وضعت قبل تأليف الديايطرون ، ولكن لم تصل اليها ترجمة مؤرخة ترجع الى ذلك العهد ، وأقدم ما وصل اليها من نصوص الترجمة السريانية للأنجيل مخطوطتان : احدهما الكيوريثانية - (نسبة الى وليم كيوريثون المستشرق الانجليزى) ويرجح أنها كتبت فى القرن الخامس ، والثانية ممحوة دير طورسينا - والممحوة Polimpsest كتابة دونت على الجلد أو الورق ثم محيت وكتب مكانها غيرها ، ولكن تمكن العلماء حديثا من اظهار الكتابة المحوة بطريقة خاصة - وتشتمل الكتابة الظاهرة فيها على قصص للقديسين كتبها الراهب يوحنا فى دير (معرة مصرين) بين أنطاكية وحلب وفرغ من كتابتها حوالى سنة ٧٧٨ م ، وربما كانت الكتابة المحوة قد كتبت حوالى القرن الرابع .

هذه قصة الترجمة السريانية ، وهى أقرب الترجمات الى اللغة الأصلية للكتاب المقدس : « فاللغة السريانية احدى اللهجات الآرامية ، والآرامية لغة من مجموعة اللغات التى اتفق العلماء على أن يطلقوا عليها اللغات السامية ٠٠٠ وآرامية الكتاب المقدس ، كتب بها بعض أجزاء من أسفار عزرا ودانيال ، وهى تدل على مدى انتشار الآرامية بين اليهود فى عصر الفرس حتى أصبحت عندهم لغة دينية مقدسة » .

بل ان متاعب النقل والترجمة قد استهلكت فى عصر المسيح نفسه ، ولم تنقطع حتى ظهرت الترجمات السريانية واليونانية :

« ٠٠٠ كانت العسامة فى فلسطين قد نسيت العبرية فى زمان المسيح ، واتخذت لها لهجة آرامية غربية ، وكان المسيح يحدث تلاميذه ويخاطب العامة (باللهجة اليهودية الغربية المقدسية والجليلية) ، مع أننا نعرف من الانجيل انه كان يعرف العبرية . ولم يكن الكتاب المقدس قد ترجم الى هذه اللهجة فى أول الأمر ، فكان الأحبار يقرأون التوراة فى الصلاة بالعبرية ، ثم يترجمون الى الآرامية على السامعين - حتى أصبحت الترجمة قسما من الصلاة عند اليهود ! ثم كتبوا التراجم مع شروح

وانتهوا من جمعها وتصحيحها فى القرن الرابع الميلادى (ترجموم) ، وكذلك كتب بها المدراشيم والتلمود الفلسطينى أو المقدسى - وتحتوى على شرائع ونبذ أحبارهم المشهورين

واستعمل السامريون لهجة آرامية غربية ، ترجموا اليها التوراة وألفوا فيها طقوسا وأشعارا وأدعية خاصة بالصلاة وهى قريبة من اللهجة اليهودية الفلسطينية ، لكنها مضطربة

وقد أثبت البحث كذلك أن بعض الأناجيل قد كتب أولا باللهجة الآرامية الغربية - اللهجة التى كان يخاطب بها المسيح تلاميذه ، ثم نقل بعد ذلك الى اللغة اليونانية . ولكن الترجمة كانت مع ذلك تشتمل على كلمات آرامية بحروف يونانية ، ولكن هذه النسخ من الأناجيل لم تصل إلينا ، ولم يصل إلينا غير النسخة اليونانية - وعننا ترجم ثانية الى الآرامية والسريانية .

وأما كتابات بولس الرسول فقد كتبت باليونانية مباشرة وقد أخذ نصارى فلسطين وسوريا هذه الترجمة السريانية للعهد الجديد فاستعملوها فى كنائسهم ، مع بعدها عن لغة العامة . ثم حدث بعد ذلك أن انقسم النصارى الى نساطرة ويعاقبة وملكية ، وكان الملكية يخالفون أكثر النصارى الآراميين فعدلوا عن كتابة لهجتهم بالخط السريانى - واستبدلوا به خطا الى حد ما مزيج من الخطوط السريانية جميعها . وكان من أهل فلسطين ملكية ، فترجموا الكتاب المقدس الى لهجتهم وكانت ترجمتهم حرفية لم يراعوا فيها المعانى ولا ترتيب الكلمات فى الجملة على قواعد اللغة الآرامية ، وكان املاؤهم غير واضح وغير مشكل فيمكن الاختلاف فى نطق كلماته - لذا لم تلق (اللهجة الآرامية الفلسطينية المسيحية أو الملكية) عناية كافية

وكان يهود العراق الساكنون فى بابل وما حولها يستعملون (اللهجة الآرامية اليهودية البابلية) فى كتب الدين بين القرنين الثانى والسابع الميلادى ، وتأثرت كغيرها من اللهجات الآرامية اليهودية باللغة العبرية . أما (اللهجة المندعية) فاسمها مشتق من كلمة آرامية معناها المعرفة ويسمى أصحابها بالصابئين أو المندعيين - طائفة من القبائل الآرامية كانت تسكن منطقة نهر الأردن ثم هاجرت منها الى العراق ، وكانت أهل حران منهم يسمون أنفسهم ناصريين ، وخلطوا فى تعاليمهم بين مذاهب اليهود والنصارى ووثنية البابليين وأثينية الفرس وأدخلوا

عليها أخيرا بعض تعاليم الاسلام - وهم يدعون أنهم على مذهب يحيى ابن زكريا (يوحنا المعمدان) !

ولما ظهرت المسيحية وانتشرت في اقليم الرها ، اتخذت اللهجة الآرامية هناك لغة أدبية لها ، وكره أصحابها أن يطلق عليهم اسم الآراميين ، ورأوا في هذه التسمية مرادفا للوثنية والالحاد ، فعدلوا عنه الى الاسم الذى أطلقه عليهم اليونان - وهو (السريان) ، وسموا لغتهم السريانية . وليس من شك في أن السريانية قد استفادت كثيرا من اتخاذ المسيحية لها لغة أدبية ، فانتشرت فيما بين النهرين أما عن أسلوب الكتابة السريانية فقد كان المؤلفون متأثرين بأسلوب الكتاب المقدس ، وكثرت في كتاباتهم الاصطلاحات والاستعارات المستقاة منه « (١) » .

ولا يفوتنا أن نلاحظ أن لكل لغة بيانا ، وأن ترجمة القرآن المعجز لغير العربية لن تكون في اشراق الأصل العربى ، فلا يستغرب على الأناجيل في هذه الظروف أن تتشنى لغتها أحيانا أمام متاعب التنقل بين اللهجات الآرامية ، والتأثيرات العبرية ، والترجمة اليونانية - ثم بقية الترجمات الى مختلف اللغات !!

» . . . ويرجع المؤرخون المختصون أن الأناجيل جميعا تعتمد على نسخة آرامية مفقودة . . . أما الأناجيل الموجودة الآن فقد كتبت جميعا باليونانية العامة ، ولوحظ في ترجمتها أنها تعتمد على نصوص آرامية وتحافظ على ما فيها من الجناس وترادف المعانى والمفردات . وتتفق الآراء على أن هذه الأناجيل لا تحتوى كل ما فاه به السيد المسيح ، اذ جاءت في أعمال الرسل التى تضمنها العهد الجديد كلمة منسوبة الى السيد المسيح لم ترد في الأناجيل وهى : (تذكروا كلمات المسيح أن العطاء مغبوط أكثر من الأخذ) ، وجاء في الأناجيل الأخرى التى لم تعتمد كلمات من هذا القبيل، وكشفت أوراق بردية في مصر ترجع الى منتصف القرن الثانى لا تشبه الأناجيل المعتمدة فى نصوصها . وتتفق الآراء أيضا على أن نسختين من الأناجيل كتبهما مسيحيان لم يجتمعا بالسيد المسيح ولم يسمعه : وهما نسخة مرقس التى دون فيها ماسمعه من بطرس الرسول بغير ترتيب - وقد كتبها فى روما بعد مقتل الرسول.

(١) دكتور مراد كامل ودكتور محمد حمدى البكرى : تاريخ الأدب- السريانى ص

وليس معه أحد من التلاميذ ، ويتراوح تاريخ كتابتها بين سنتي ٦٧ ، ٧٠ م والنسخة الأخرى هي نسخة لوقا صاحب بولس الرسول دون غيرها ما سمعه منه ، ولعله أضاف إليها جزءا من النسخة المفقودة ثم جزءا من انجيل مرقس بعد اطلاعه عليه - وكانت كتابتها على الأرجح سنة ٨٠ م . أما انجيل يوحنا فهو آخر الأناجيل كتابة ومراجعة ، وأكثر النقاد على أنه مكتوب بقلم يوحنا تلميذ المسيح ، وآخرون يعتقدون أنه بقلم يوحنا آخر كان في افسس ولم ير المسيح ، لأن يوحنا التلميذ هو صاحب سفر الرؤيا المؤلف على أصح الأقوال سنة ٩٦ م ، ولا يظن أن مؤلفا واحدا يكتب في وقت واحد كتابين بينهما مثل ذلك التباين في المنهج والفحوى . على أن الأب فرارفتون مترجم الانجيل (طبعة أكسفورد) يعن له أن انجيل يوحنا هو أقدم الأناجيل ، وأنه كتبه أولا بالعربية بين سنتي ٣٠ ٤٠ م ثم نقله الى اليونانية . ولكن تأخر الزمن الذي كتب فيه هذا الانجيل ثابت من تفصيله بعض ما أجملته الأناجيل ، وزيادته في التعبيرات الفلسفية ، وتوسعه في شرح العقائد التي أثرت عن بولس الرسول . (١) .

ومن بين آلاف المخطوطات القديمة المتضمنة أجزاء من (الكتاب المقدس) نعرف أربع نسخ هي أكمل المخطوطات وأقدمها وأهمها . .

*** نسخة الفاتيكان :** (كودكس فاتيكانس) Codex Vaticanus ملك مكتبة الفاتيكان بروما وقيمت هناك مدة طويلة وسجلت ضمن محتوياتها سنة ١٤٧٥ ثم نقلت لباريس على أثر حملة بونابرت على إيطاليا وقام بدراستها أحد العلماء من سنة ١٨٠٩ الى ١٨١٥ . وصورت سنة ١٨٩٠ وبيعت النسخ المصورة للجامعات والمتاحف . وهي في ٨٢٠ صحيفة والكتابة في الصحيفة على ٣ أعمدة كل منها يحتوى ٤٢ سطرا ويرجح الخبراء أنها كتبت في تاريخ لا يتعدى منتصف القرن ٤ م .

*** نسخة سينا :** واكتشفت في (دير سان كاترين) بسفح جبل سيناء الذي بنى سنة ٣٧٢ م بأمر الملكة هيكلانة والدة الامبراطور قسطنطين وأطلق عليه اسم الشهيدة التي استشهدت في حكم الامبراطور هكسمليان (٣٠٥ : ٣١٣) وأدت حصانة بناء الدير الى حفظه وبقائه

(١)العقاد عبقرية المسيح ص ١٩٢ - ١٩٣

وحماية ما به من تراث . واكتشف نسخة الانجيل فيه العالم الألماني قسطنطين تشندورف الذي زار الدير عام ١٨٤٢ بحثا عنها فوجدها في ٤٥ رقا تحوى أجزاء من الأسفار المقدسة وكرر الزيارة ١٨٥٣ ، ١٨٥٩ فوجد الأجزاء الناقصة . واكمل تحت يده (العهد الجديد) كما عثر على أجزاء من القديم مع رسالة برنابا ورسالة بعنوان راعي هرماس وقد نقلها الى بتروغراد حيث صورت ثم اشترائها المتحف البريطاني . ويقدر عدد صفحات نسخة سيناء الأصلية بـ ٧٣٠ صفحة. أحرق الرهبان منها ٣٤٠ صفحة لجهلهم بها ، ويظن أن تاريخ كتابتها يرجع الى تاريخ كتابة نسخة الفاتيكان والبعض يظن أنها إحدى النسخ الخمسين التي أمر قسطنطين بنسخها لاستخدامها في كنائس العاصمة . وبعض العلماء يرجح بأنها لم تكتب قبل القرن ٦ م .

وهكذا تختلف الآراء حول تاريخ نسخة سيناء وهي منقولة عن ترجمة للبشائر حدثت في القرن ٢ م ومن هنا تعد أقدم النسخ المعروفة للانجيل والبشائر فيها تنقص ٨ صفحات ، لكن النسخة تتضمن الى جانبها كتابا متأخرا في سير بعض القديسات .

✧ **نسخة الاسكندرية :** ولا تبلغ قدم النسختين السابقتين ، وقد قدمها بطريرك القسطنطينية عام ١٦٢٤ هدية للسفير البريطاني في تركيا ويعتقد البعض أنها من كتابة (القديس ت كلا) معاصر الرسول بولس ولكن هذا القول محل نظر . وقد نقلت من الاسكندرية حينما كان البطريرك اثناسيوس على كرسيها وقبل تنصيبه على كرسي القسطنطينية ويعتقد أن ذلك كان عام ١٣٠٨ . وتحوى النسخة ٨٢٠ صفحة بقي منها ٧٧٣ صفحة يرجح أنها كتبت في القرن ٥ م .

✧ **نسخة افرايم :** (كودكس افرايم رسـكربتوس) Codex Ephraïm Spiritus وترجع الى القرن ٥ م وكانت رقوقها قد استخدمت في القرن ال ١٢م لكتابة مصنف اللاهوتي افرايم السرياني الذي عاش في القرن ٤م بعد أن بهتت سطور الكتاب المقدس المدونة عليها أولا . وكانت ملك أسرة مديشى في فلورنسا ونقلتها كاترين الى باريس في القرن ٦ م وقرأها تشندورف ومعظم صحائف (العهد الجديد) فيها مكتوبة في عمود واحد بلا فواصل .

وهكذا لم تكن معظم النسخ الاثرية موجودة حين قام العلماء بترجمة الكتاب المقدس الى الانجليزية عام ١٦١١ م وهي الترجمة المعروفة بترجمة الملك جيمس .

وهناك نسخ أخرى لأجزاء من الكتاب المقدس ترجع لعصور متباينة -
وهناك نسخة واحدة ترجع الى القرن الأول أو الثاني للميلاد .

*** وقد اكتشفت مخطوطات في كهف قديم قرب البحر الميت »**
ظهر بفحصها أن احداها نسخة كاملة من (سفر أشعياء) يرجع تاريخها الى العام المائة قبل مولد المسيح وهي تعد أقدم نسخة لسفر موجود من التوراة . واكتشفت قرب المكان خرائب معبد لليهود وتقود يرجع تداولها الى الفترة بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعده . وتتابع اكتشافات الرقوق والمخطوطات لأسفار العهد القديم عدا (سفر استير) .

*** وفي عام ١٩٤٥ اكتشف قرب نجع حمادى فى صعيد مصر عدد من مخطوطات البردى ترجع الى القرن ٤ م ، وتحتوى على دراسات فى اللغة القبطية ومجموعة أخرى من كتابات تعرف (بانجيل توما) وهو لا يحوى تاريخا مفصلا لحياة المسيح بل مجموعة من الأقوال المنسوبة اليه يبدأ بعضها بكلمة (قال يسوع) وهي ليست مرتبة ترتيبا تاريخيا ويمكن تقسيمها الى فئات أربع : الأولى ما يوجد فى البشائر وهو أكثرها والثانية منها تحوى نفس المعانى الموجودة بالبشائر وتختلف عنها لفظا ، والثالثة ما اقتبسه آباء الكنيسة فى كتاباتهم وتعتبر تأييدا لصحة ما أوردوه ، والرابعة تنفرد بها هذه الأقوال منها « يقول يسوع ان كان من يرشد فيكم يقولون لكم هو ذا الملكوت فى السموات فالطيور ستقبلكم ، ولو قالوا لكم هو ذا الملكوت فى البحر فالاسماك ستقبلكم ولكن الملكوت داخلكم كما هو خارجكم » وقال له تلاميذه هل الختان نافع أم لا ؟ فأجابهم لو كان نافعا لولدتم مختونين من أمهاتكم ، ولكن الختان الحقيقى الوحيد النافع هو ختان الروح » وقالت مريم ليسوع بماذا تشبه تلاميذك ؟ فأجاب يشبهون أطفالا صغارا استقروا فى حقل آخرين فاذا جاء أصحابه قالوا اتركوا لنا حقلنا فيتركوا الحقل ويمضون » وقال يسوع ويل للفريسيين لانهم مثل كلب يرقد فى مذود القطيع لا يأكل ولا يدع القطيع يأكل » . ويلاحظ أن يوحنا قد كتب فى ختام بشارته « وأشياء أخرى كثيرة صنع يسوع ان كتبت واحدة فواحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة » ويذكر لوقا فى مستهل بشارته أن كثيرين قد أخذوا فى كتابة قصة المسيح غير أصحاب الاناجيل الاربعة .**

*** واكثر ما انتهى اليها من كتابات العهد الجديد وصل اليها**

ضمن مجموعة شستريتى البردية وهو انجليزى اشتراها من أسواق مصر وبيع جزء آخر منها لجامعة متشجن بالولايات المتحدة . وتتكون المجموعة من ١١ ملفا تحوى مقتبسات من ٩ أسفار من العهد القديم ومعظم أسفار العهد الجديد عدا الرسائل الصغرى . أما الجزء الذى يحوى رسائل بولس فيرجع الى سنة ٢٠٠ م ولقد كتب بولس رسائله للكنيسة ما بين عامى ٥٠ ، ٦٠ م وأقدم نسخة لدينا من أسفار العهد الجديد قبل اكتشاف هذه المجموعة كانت هي (نسخة الفاتيكان) وقد كتبت فى منتصف القرن ٤ م . وهكذا تأتى هذه المجموعة فى منتصف التاريخ ما بين كتابة هذه الرسائل وبين أقدم اكتشاف لدينا . وترتيب الاسفار فى مجموعة بتى يختلف قليلا عن ترتيبها فى العهد الجديد الذى بين أيدينا فالرسالة الى افسوس تأتى قبل غلاطية والرسالة الى العبرانيين تأتى بين رومية وكورنثوس الأولى . وبمقارنة هذه الأسفار مع أسفار العهد الجديد التى بين أيدينا لا نرى الفارق فى اللفظ ولا فى المعنى .

*** وفى عام ١٨٨١ اكتشف الديايطرون أو الرباعى وقد كتبه**

طاطيان السريانى فى شمالى العراق بالسريانية واستخدم نصوص الأناجيل الأربعة مدمجة فى انجيل واحد اغفل منه المكرر ، وقد اشتهر هذا المصنف واستخدمه المسيحيون الأوائل حتى أبطلته الكنيسة خوفا من أن يأخذ مكان الأناجيل . واكتشفت فى السنوات الأخيرة مخطوطات عدة من الديايطرون بلغات مختلفة فى خرائب دورا على الفرات ، منها ورقة من الاصل اليونانى لعلها ترجع الى الفترة بين عامى ٢٥٤ - ٢٥٧ ، ومنها ترجمة أخرى بالعربية فى مكتبة الفاتيكان ترجع للقرن ١٠ ونسخة بالفارسية ترجع للقرن ١٣ . وتضافر هذه الاكتشافات على اثبات شيوع الديايطرون فى القرن الثانى وهذا مما يرد به على ما يثار من شبهات حول انجيل يوحنا وتأخر كتابته (١) .



كل هذه مصاعب اجتازتها الأناجيل المتداولة وترجماتها حتى وصلت اليها باللسان العربى

ومع هذه المصاعب كلها . . . وصل اليها ما وصل فى الأناجيل المتداولة يشرق منه النور :

(١) دكتور جون الدر : الاحجار تتكلم ترجمة دكتور عزت زكى ص ١٢٦ : ١٢٤ .

- « طوبى للمساكين بالروح ... لأن لهم ملكوت السموات »
 - « طوبى للحزانى ... لأنهم يتعزون »
 - « طوبى للودعاء ... لأنهم يرثون الارض »
 - « طوبى للجوع والعطاش الى البر ... لانهم يشبعون »
 - « طوبى للرحماء ... لانهم يرحمون »
 - « طوبى للأنقياء القلب ... لأنهم يعاينون الله »
 - « طوبى لصانعى السلام ... لأنهم أبناء الله يدعون »
 - « طوبى للمطرودين من أجل البر ... لأن لهم ملكوت السموات »
- يقول ديورانت عن المسيح :

« كان يعلم الناس بالبساطة التى يتطلبها حال مستمعيه ، ويمزج التعاليم بالقصص الطريفة لتنفذ دروسه للأذهان ، وبالحكم والأمثال القوية - بدل الحجج العقلية ، وبلاستعارات والمجازات التى لا تقل روعة عن أمثالها فى آداب العالم » .

ويشير ديورانت الى أن القصص الرمزية كان مألوفاً فى الشرق وقد استعمله أنبياء بنى اسرائيل والمزامير وأخبار اليهود ، كما يقرر أن خطب المسيح كانت واضحة تتجه الى هدفها مباشرة ، وهى تنبىء بروعة خيال صاحبها وقوته وإخلاصه العظيم مما رفعها الى مستوى الشعر الملهم .

وقد تقدمت مناقشة رأى ديورانت فى « غموضها ، ومجافاتها العدالة لأول وهلة » ! وهو يزيد أن فى بعضها « سخرية وحقدا » !! وهو يعقب أخيراً : « وتصعب علينا النظرة الموضوعية المجردة ، ومن أكبر أسبابها أن تراثنا الأخلاقى ومثلنا العليا وثيقة الصلة به ، تكونا على منواله ، ولهذا فانا نحس بما يصيبنا من أذى اذا وجدنا عيباً فى أخلاقه ! لقد بلغ شعوره الأخلاقى حدا جعله يندد أشد التنديد بمن لا يشاركونه فى آرائه ، ويعفو عن كل الأغلاط الا عدم الايمان ، وان الانسان ليجد فقرات قاسية مريرة لا توائم قط ما يقال لنا عن المسيح فى مواضع أخرى منها !! ... كانت عقائده القوية تملأ قلبه ، كما كان غضبه للحق يطمس من حين الى حين معالم انسانيته العميقة ... أما فيما عدا هذا فقد كان أحب الناس الى القلوب » !!! وفى خاتمة المطاف

يجمل ديورانت وصف كلمات المسيح بأنها : « نماذج فى الایجاز ،
والوضوح ، والقوة » (١) ٠٠

وأنا - كمسلم - لا أرى فيما أشار اليه ديورانت ثلثة فى رسالة
المسيح ، أو مثلبة فى سيرته ٠٠٠

فهو عندى انسان ، ينفعل بانفعالات الانسان ٠٠٠
ورسالته دعوة متطورة نامية ، لها مراحل ، ولها غايات عامة شاملة
ومواقف جزئية محددة ، ولكل من هذه وتلك - فلسفتها ومطالبها ٠٠٠

والمسيحية دين واقعى ، نزل ليلائم الانسان بكل أحواله ، والمجتمع
بكل ظروفه ٠٠٠

تارة يجيب المسيح حين يقول يوحنا : « يا معلم رأينا واحدا يخرج
الشياطين باسمك ، فمنعناه لأنه ليس يتبع معنا » فقال له يسوع :
لا تمنعوه ، لأن من ليس علينا فهو معنا » ٠٠٠

وتارة أخرى يقول المسيح : « من ليس معى فهو على ، ومن لا يجمع
معى فهو يفرق » (٢) ٠

وهذا وذاك موقفان مفهومان ٠٠٠ لأن الدعوات والمبادئ تجتاز
فترة تجميع وتأليف فى بدايتها وبعد غلبتها ، وتجتاز فترة تمييز
وتصفية فى مرحلة كفاحها ٠

أما قول المسيح : « لذلك أقول لكم كل خطيئة وتجديف يغفر
للناس ، وأما التجديف على الروح القدس فلن يغفر للناس ! ومن قال
كلمة على بن الانسان يغفر له ، وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر
له ، لا فى هذا العالم ولا فى الآتى » (٣) - فهو قول لا يقصد به طبعاً
الا الذين يتعرضون للمسيح ورسالته مكابرة ومعاندة ، لا عن رأى برىء
واقتناع !! ٠ وكل مبدأ يواجه المعارضين بحسن نية ويواجه المعارضين
بسوء نية ، والأخرون من العدل والمنطق أن ينالوا جزاءهم وقد ركبت
أهواؤهم عقول رؤوسهم وعطلوا نعمة الله فيهم : « وجحدوا بها ،

(١) ديورانت : قصة الحضارة ج ٣ م ٣ (قيصر والمسيح) ترجمة بدران ص ٢١٨ -

٢١٩ ، ٢٢٤

(٢) لو ٩ : ٤٩ - ٥٠ ، مت ١٢ : ٣٠

(٣) مت ١٢ : ٣٢

واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ، فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين « (١) !!

هؤلاء المكابرون المتمردون على الحق والعقل هم الذين يعينهم
المسيح ، أما غيرهم فيفتح لهم كل باب مهما أخطأوا : « وقال لقوم واثقين
بأنفسهم أنهم أبرار ويحتقرون الآخرين هذا المثل : انسانان صعدا الى
الهيكل ليصليا ، واحد فريسي والآخر عشار . . . أما الفريسي فوقف
يصلى فى نفسه هكذا : اللهم أنا أشكرك انى لست مثل باقى الناس
الخاطفين الظالمين الزناة ، ولا مثل هذا العشار ! أصوم مرتين فى
الأسبوع ، وأعشر كل ما أقتنيه !! . . . وأما العشار فوقف من بعيد
لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء بل قرع على صدره قائلا : اللهم
ارحمنى أنا الخاطيء ! . . . أقول لكم : ان هذا نزل الى بيته مبررا دون
ذاك ، لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع » (٢) .

« ومن يشاقق الرسول - من بعدما تبين له الهدى - ويتبع غير
سبيل المؤمنين نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيرا . ان الله
لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله
فقد ضل ضلالا بعيدا » (٢) .



ولا أختتم هذا الفصل - قبل الإشارة الى طاقة المناقشة التى أوتيتها
المسيح ، والتى تجلت فى ثنايا ردوده الخطابية على الكتبة والفريسيين،
فقد ضل ضلالا بعيدا » (٣) .

« . . . جاءوا يسوقونه الى حيث أبى أن يساق ، وكان همهم
الأكبر أن يشبتوا عليه أنه يبطل شريعة ، أو يتصدى لتنفيذ ذريعة !!

وتعمدوا وهو فى الهيكل أن يضطروه الى موقف الحكم أو انكار
الشريعة ، فاقترح عليه الكتبة والفريسيون درسه ومعهم امرأة يدفعونها
الى وسط الحلقة وراحوا يتصايحون : أيها المعلم هذه امرأة أخذت وهى
تزننى ، وقد أوصانا موسى أن نرجم الزانية ، فماذا تقول أنت ؟؟ . . .

(١) النمل ١٤

(٢) لو ١٨ : ٩ - ١٤

(٣) النساء ١١٥ - ١١٦

ماذا يقول هو ؟ ... ما بالهم يسألونه ويستأذنونهم ، وهو لا يملك أن يمنعهم لو ذهبوا بها الى قضاتها ؟

ان الشرك مكشوف : ان قال ارجموها - فذلك حق الولاية يدعيه ، وان قال أطلقوها - فتلك شريعة موسى ينكرها في قلب الهيكل !! •
فوقف قائما ، ورد عليهم رياءهم في وجوههم ، وكسر الشرك بقدميه من كلا طرفيه وهو يقول لهم : (من كان منكم بلا خطيئة فليتقدم وليرمها بحجر) !

لا ينقض شريعة موسى ، ولا يدعى تنفيذها ، ولا يجاهر رياءهم ، بل يدعمهم هم يحاولون الخلاص من الحيرة والخجل بالروغان !! ••

ولم تحدث مناوشة قط من هذا القبيل بينه وبين المتفهمين من متخذي العلم صناعة وأحبولة الا ارتدوا منها مفحمين ، وخرج منها مجيبا أحسن جواب ، بل أكرم جواب !

فلم يصعب عليه أن يحطم (الشرك السياسي) الذي نصبوه له ليسمعوا منه اشارة باعطاء الجزية أو بعصيان الدولة ، وأراهم أنهم يتعاملون بنقود ويكنزون منها الثروة والمال ، فلماذا لا يعطون ما لقيصر لقيصر وما لله لله ؟ ولم يصعب عليه أن يسكت الصدوقين والفريسيين معا ...

والحق أن قدرة السيد المسيح على الردود السريعة والأجوبة المسكتة ، لهي دليل آخر الى جانب أدلة كثيرة على (الشخصية) التاريخية والدعوة المتناسقة ، لأنها قدرة من وراء طاقة التلاميذ والمستمعين ، بل هم يروونها ولا يفتنون الى أهم البواعث عليها في سياسة الرسالة المسيحية ، فان هذه الرسالة قائمة على اجتناب التشريع واجتناب التعرض له بالابطال أو الابدال ... وعلى ذلك جرى أسلوبه في كل أمر وفي كل موعظة ، فهو أسلوب الآداب والمثل العليا ، وليس بأسلوب النصوص والقوانين » (١) •

(١) العقاد : عبقرية المسيح - ص ١٢٤ : ١٢٦

... وعلى الأرض سلام

« وظهر بغتة مع الملاك ،
جمهور من الجند السموى
مسبحين الله وقائلين :
المجد لله فى الأعالى ...
وعلى الأرض السلام ...
وبالناس المسرة ... »
(لو ٢ : ١٣ - ١٤)

شقاء ... في طلب السعادة

ماذا ينشد الناس من وراء العقائد والأفكار ؟؟

سعادة الجنس البشري ... دون جدال .

سعادة النفس والروح ، سعادة العقل والفكر ، سعادة الفرد والمجموع ... فمن عجب أن يحطم الناس السعادة وهم يبحثون عن السعادة ، يحطمون سعادتهم الحاضرة المقررة ، من أجل سعادة مستقبلية مرغوبة !

يختلفون ويصطرون ... وهم يطلبون الراحة والهناء !

آلهة شتى : قد تكون هي الذات أو الأسرة أو الأرض أو الدولة أو الطبقة !! وقد يؤمن الناس بالله الذي له مافى السموات وما فى الأرض وما بينهما واليه المصير ، ثم لا يعصمهم الايمان من الشقاق فى تصور الاله بين مذاهب شتى !!

ما أحكم الكلمات المنيرة التى أرسلها فيلسوف التاريخ والحضارات الكبير أرنولد توينبى : « ... ان التائهن فى ببداء المجتمع الغربى ، قد انحرفوا عن طريق الرب الواحد الحق الذى آمن به أجدادهم - أولئك الذين علمتهم التجربة الواقعية بأن الدول الاقليمية مثل الكنائس الطائفية أو ثان نجلب عبادتها الحرب لا السلام . وهذا ما يجعل التائهن يندفعون صوب التعلق بهدف بديل - هو النظم السياسية الشاذة » (١) .

والسعادة البشرية قبلة الجميع ، وانما الخلاف فى مجال السعادة والطريق اليها ...

وينصف الناس لو بدأوا السعادة من نقطة البدء الصحيحة : من حاضريهم وواقعهم ، من اليوم قبل الغد !!

(١) فؤاد شبل : فلسفة التاريخ عند توينبى - (المجلة) ع ٥٨ نوفمبر ١٩٦١

ما لهم لا يتفقون على أن يخلوا بين الناس وبين عقولهم - يفكرون دون تشويش ، ويقارنون ويوازنون دون شغب أو فتنة !

ما لهم لا يقصرون خلافهم على ميدان الكلمة والبيان ، فيكون أسلوب البحث عن السعادة هو خير بشارة بالمجتمع السعيد - المجتمع الذى يكون فيه الاحتكام للعقل والبرهان !

ما لهم لا يتفقون على احترام العقل أساسا قبل الدعوة لأى مبدأ ، وتقديس الحرية فى نفس كل فرد بدل انقياد التقليد وولاء العصبية ، وتذكير الناس (بالحياد العلمى) عند التفكير والتقدير !!



واذا تنكب دعاة أى مبدأ هذا السبيل القويم ، فما أنكر أن يقترب نفس الخطأ هداة الدين . . .

يتشاحنون على الدين ، وهم يبشرون بوحدة الديان . . .

المسيح : اله أم نبى ؟

له طبيعة واحدة (مونوفيزيت) ، أو طبيعتان (ديوفيزيت) ؟

وفى لجاج الجدل ، ينسى الدعاة الهداة الغيورون - أن الأرض تفص بالذين ينكرون النبوة والألوهية معا ، ويكفرون بالمسيح وبالله والمرسلين!!

كتب ابن تيمية (٦٦١ : ٧٢٨ هـ) كتابا أفرده لمناقشة عقائد المسيحية هو « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » قال فى مقدمته :

« وكان من أسباب نصر الدين وظهره أن كتابا ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملتهم قديما وحديثا من الحجج السمعية والعقلية فاقتضى أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب وبيان الخطأ من الصواب لينتفع بذلك أولو الألباب ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب . وأنا أذكر ما ذكره بالفاظهم بأعيانها فصلا فصلا ، واتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعا وأصلا ، وعقدا وحلا . وما ذكره فى هذا الكتاب هو عمدتهم التى يعتمد عليها علماءهم فى مثل هذا الزمان وقبل هذا الزمان ، وإن كان قد يزيد بعضهم على بعض بحسب الأحوال . فإن هذه الرسالة وجدناها يعتمدون عليها قبل ذلك ويتناقلها علماءهم بينهم ، والنسخ بها موجودة قديمة ، وهى مضافة الى بولس الراهب أسقف صيدا الانطاكى

كتبها الى بعض أصدقائه وله مصنفات فى بصر النصرانية ، وذكر أنه لما سافر الى بلاد الروم والقسطنطينية وبلاد الملافطة وبعض أعمال الافرنج ورومية ، اجتمع باجلاء أهل تلك الناحية وفارض أفاضلهم وعلماءهم ، وقد عظم هذه الرسالة وسماها « الكتاب المنطيقى الدولتخانى المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأى المستقيم » ومضمون ذلك ستة فصول :

الفصل الأول : دعواهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث اليهم بل الى أهل الجاهلية من العرب ودعواهم أن فى القرآن ما يدل على ذلك والعقل يدل على ذلك .

الفصل الثانى : دعواهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى فى الزبور والانجيل ، وغير ذلك من النبوات - تشهد لدينهم الذى هم عليه

الفصل الثالث : دعواهم أن نبوات الأنبياء المتقدمين - كالتوراة والزبور والانجيل ، وغير ذلك من النبوات - تشهد لدينهم الذى هم عليه من الاقانيم والتثليث والاتحاد وغير ذلك بأنه حق وصواب ، فيجب التمسك به ولا يجوز العدول عنه اذ لم يعارضه شرع يرفعه ولا عقل يدفعه .

الفصل الرابع : منه تقرير ذلك بالمعقول وأن ما هم عليه من التثليث ثابت بالنظر المعقول والشرع المنقول موافق للأصول .

الفصل الخامس : دعواهم أنهم موحدون ، والاعتذار عما يقولونه من ألفاظ يظهر منها تعدد الآلهة - كالألفاظ الاقانيم - بأن ذلك من جنس ما عند المسلمين من النصوص التى يظهر منها التشبيه والتجسيم .

الفصل السادس : ان المسيح عليه السلام جاء بعد موسى عليه السلام بغاية الكمال فلا حاجة بعد النهاية الى شرع مزيد على الغاية ، بل يكون ما بعد ذلك شرعا غير مقبول .

« ونحن - والله الحمد والمنة - نبين أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية من القرآن أو من الكتب المتقدمة على القرآن ، أو عقلية ، فلا حجة لهم فى شئ منها بل الكتب كلها مع القرآن ، والعقل حجة عليهم لا لهم بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء ومن المعقول فهو نفسه حجة عليهم ... وذلك أن دين النصارى الباطل انما هو دين مبتدع ابتدعوه بعد المسيح عليه السلام ، وغيروا به دين المسيح ، فضل منهم من عدل عن شريعة المسيح الى ما ابتدعوه . ثم لما بعث الله تعالى محمدا عليه أفضل

الصلاة والسلام كفروا به ، فصار كفرهم وضلالهم من هذين الوجهين :
تبديل دين الرسول الأول ، وتكذيب الرسول الثاني ، كما كان كفر
اليهود بتبديلهم أحكام التوراة قبل مبعث المسيح ثم تكذيبهم المسيح عليه
السلام . ونبين ان شاء الله تعالى أن ما عليه النصارى من التثليث والاتحاد
لم يدل عليه شيء من كتب الله ، لا الانجيل ولا غيره ، بل دلت على نقيض
ذلك . بل وكذلك عامة شائع دينهم محدثة مبتدعة لم يشرعها المسيح عليه
السلام . ثم التكذيب لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو كفرهم المعلوم
لكل مسلم ، مثل كفر اليهود بالمسيح عليه السلام وأبلغ ٠٠٠ « (١)

ومن الجانب الآخر نجد نيكيثاس البيزنطى يكتب فى النصف الثانى
من القرن التاسع ليخطئ بعض ما ورد فى كتاب المسلمين « لا بوساطة
النقد التاريخى - كما يقول جرونباوم Gustave E. Von Grunebaum
Medical Islam بل بمقارنة ما ورد فى القرآن بما ورد فى التوراة » !!
من ذلك مثلا قول نيكيثاس : كيف يصح نسبة بناء الكعبة الى ابراهيم
الخليل وابنه اسماعيل كما يزعم القرآن مع أن مؤرخ سفر التكوين
الشديد التدقيق لا يذكر أى شيء مطلقا عن اقامة ذلك الأب الكبير لهذا
البيت ؟ ولطالما حاول الآباء المسيحيون أن يثبتوا بالبرهان صحة رسالة
المسيح مستنديين الى نبوءات العهد القديم ، ويقرر يوحنا الدمشقى (المتوفى
حوالى ٧٤٩ م) أن المسلمين كلما طولبوا بأن يقدموا ما يثبت رسالة نبيهم
من الكتب المقدسة « أصابهم الخزي واحتواهم الصمت » !! ومع هذا لم
يمض وقت حتى شرع المسلمون فى تأويل نفس تلك الفقرات من العهد
القديم بأنها تنبأ بظهور محمد ، بل لقد وجدوا عدا ذلك من آيات العهد
الجديد تظاهر قضيتهم . مثلا ورد فى أشعيا ٢١ : ٥ - ٧ « قوموا أيها
الرؤساء امسحوا المحن ، لأنه هكذا قال لى الرب : اذهب أقم الحارس
ليخبر بما يرى ، فرأى ركابا أزواج فرسان ، ركاب حمير ، ركاب جمال ،
فأصغى اصغاء شديدا » فكتب عن ذلك على بن ربان الطبرى قرابة عام ٨٥٥م
وكان حديث عهد بالاسلام « نبوة مفصحة مصرحة لا يدفعها الا من غش
نفسه ونبذ رشده ، فكما أنه ليس لقائل عاقل أن يتجاسر ويتجاهل
فيقول أنه قد كان فى الدنيا راكب حمار أولى بهذه النبوة من المسيح ،
فكذلك ليس لذى ورع أو لب أن يقول انه قد كان فى الدنيا راكب جمل
أولى بهذه النبوة من النبى - محمد - ومن أمته » وقد كتب ليو الثالث

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - مطبعة المدنى - المقدمة

وبخاصة ص ١٩ : ٢٤

ألى عمر بن عبد العزيز حوالى سنة ٩٠٠ م رسالة أعدها ليونتيوس (جيفوند) وفيها جهد كبير لدحض هذا التأويل لرؤيا أشعيا . ويعرض يوحنا الدمشقى لظهور الاسلام على أنه دعوى متنبىء psuedo-prophetes على العهدين القديم والجديد ، ثم اتصل براهب من أتباع آريوس فأسس نحلته وما لبث أن اكتسب قلوب قومه لتظاهره بالتقوى !! وعالج المؤرخ البيزنطى ثيوفانىس Theophanes (المتوفى سنة ٨١٧ م) خبر محمد على هذا النحو « وفى هذه السنة - عام ٦١٢٢ من بدء الخليقة المقابل لعام ٦٣٢ من ميلاد المسيح - توفى محمد حاكم العرب ونبىهم بعد أن عين قريبه أبا بكر خليفة له ، وكان الخوف وقتذاك مستوليا على الجميع ! وعند بدء ظهوره ظن العبرانيون الضالون أنه المسيح الذى كانوا يتوقعونه فانضم اليه كبارهم وكان عدتهم عشرة وقد لازموه حتى لقي نهايته ثم عدلوا عن رأيهم عندما رأوه يأكل لحم الجمل وخاف التعساء من الارتداد عن دينه ولما كان محمد المذكور فقيرا ویتيما فانه قرر أن يربط نفسه بامرأة ثرية من ذوى قرباه هى خديجة ، وبذلك حصل على ابلها وسائر ممتلكاتها ، وقد اختلط فى فلسطين باليهود والمسيحيين وبواسطتهم حصل على بعض الكتب المنزلة ، وأصيب كذلك بمرض عصبى ! » وهذا بارتلوميو الرهاوى Barrhlomen of Edessa يخاطب المسلم فى القرن عشر « قل لى بربك ماذا تعنى بالنبوة والرسالة ! والله يعلم أنكم ما كنتم تستطيعوا أن تعرفوا لو لم يعلمكم المسيحى ! اذا كنت تنكر بتمام الجدة أن شيئا قد حصل بوساطة محمد ابان السنوات الاثنتين والثلاثين الاولى من حياته ، فكيف لا ينبغى لى أنا المسيحى أن أنكر أحداث السنوات الخمس عشرة التالية ؟ كيف استطاع أن يعرف الله ؟ واذا كنتم تسمونه نبيا فأرونى ماذا تنبأ به وبأى لفظ تنبأ وما هى وصاياه وما هى الآيات والعجائب التى صنع ؟ . . . » ويمضى فى الطريق يولوجيوس القرطبى Eulogius of Cordova المتوفى سنة ٨٥٩ م) فيورد عن محمد « أكاذيب وتخرصات عجبية عن السر فى كراهية الاسلام للكلاب » - على حد تعبير جرونباوم الذى يعقب على ذلك بقوله « والشئ الذى يحير اللب فى كلام هذا القسيس هو اعترافه الصريح بأنه لم يبذل أية محاولة لتحقيق ما وصله من معلومات عن طريق مخطوط لاتينى تصادف أن وقع فى يده ، وذلك عن طريق الرجوع الى مواطنيه المسلمين أو تصفح مؤلفاتهم التاريخية » !! ونيكىتاس مثلا أخذ من آية البقرة « يأياها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين » ان محمد يسمى الشيطان بالفصل الذى يفرق الحبيث من الطيب ويدعوه

ربا !! ونجد كثيرا من الدعاوى والمزاعم عند جيبرت النوجنتى (المتوفى ١١٢٤ م) رغم اعترافه بعدم كفاية مصادره لشفوية البحتة والمسيحية الصرفة ، وعند هلدبرت الليمانزى Heldbert of Lemans (المتوفى ١٣٥٤ م) وكان رئيس أساقفة تور ، وعند أندريا داندولو دوق البندقية (المتوفى سنة ١٣٥٤ م) ، وكذلك بطرس بلومان ووليم دنبار (المتوفى حوالى ١٥٢٠ م) ولعل الحروب الصليبية أدت فى نتائجها الى التماس المسيحيين صورة أدق لرسول الاسلام ، ويظهر هذا فى كتابات وليم الطرابلسى سنة ١٢٧٣ م وريكولدوس دى سانتا كروس Ricoldus de Santa Cruce وان كان قد ذهب الى أن جمال أسلوب القرآن دليل على وبفضل بطرس الكولونى (المتوفى ١١٥٦ م) تمت أول ترجمة للقرآن سنة ١١٤١ م ، وارتأى رامون لل القطلونى أمام مجلس فيينا (١٣١١ - ٢ م) وجوب دراسة المبشرين بالانجيل للغات الشعوب كافة وتكون نظام لجميع الفرسان المسيحيين من أجل الجهاد لفتح الاراضى المقدسة ثم الرد على ابن رشد الذى حاول فى كثير من المواضع الاعتراض على العقيدة الكاثوليكية . وكان من ثمار مقترحات بطرس الكولونى اصدار قرار بانشاء كليات تعلم العبرية والعربية والكلدانية فى روما وبولونيا وباريس واكسفورد وسلامنكا ، وكان هذا استهلالا للاستشراق المنظم فى الغرب (١) .



ان الخلاف ليتبدد - أو يتخفف - بالبحث والعلم ، ويتجمد ويتأبد بالشحناء والخصام !!

● **تكاد ترتكز الأديان كلها على (الايمان بالله واليوم الآخر) . . .**
وهو (الايمان بالغيب) الذى يمتحن فى عصرنا ، بعد أن ثبت العلم الاتجاه الى الحس والاعتماد فقط على التجريب !

● **والغاية من الايمان بالله هى سعادة الخلق ، ومن الايمان بالآخرة هى عمارة الدنيا . . .** فالله تعالى غنى عن طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، وانما يريد لعباده اجتماعا عليه ليتحابوا ويتناصفوا !

لقد خلق الله الانسان ويعلم ماتوسوس به نفسه : يعلم أشواقه (للغيب) وتطلعه لما وراء الحس . . . يعلم نزوعه الى الخضوع لقوة مهيبة

(١) جرونيباوم : حضارة الاسلام - ترجمة جاويد ص ٣٠ ، ٣٢ : ٣٤ ، ٦٥ : ٧٥

تتملاً عليه نفسه وعقله وحواسه ، وتكون أكبر من كل ما يعرفه ويلمسه - بل ويتصوره ويعلم أن دافع الخضوع لهذه القوة الكبرى هو الذى يهدد دافع التسلط والسيطرة من الانسان على الانسان ويعلم أن قاعدة (الجزء) هى العقدة التى تحكم ضوابط النفس وتعين الضمير على الرعاية والرقابة فلا عجب أن يوجه الله عباده الى الايمان بالاله والجزاء ، ليعمق فى النفوس جذور العدل والاحسان ، ويعين الناس على مجاهدة أنانية النفس بطاعة الرب ، وعلى الجدة فى تعمير الدنيا ابتغاء الآخرة

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١) .
ومن هنا تثرى المثل الانسانية من المسيحية ثراء عظيماً
فالله محبة ، وكفى !!!

● **وشعائر العبادة فى أى دين من الأديان وسائل - لا غايات ،**
وهى مدرسة للطاعة وطابع للجماعة ، لكنها لا تقصد لذاتها وانما لما تطبع عليه النفوس : « رب قائم حظه من قيامه السهر ، ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ! » (٢) .

وللمسيح هجمات بارعة لاذعة موفقة على الشكول والطقوس !!
والحق أن (الفريسيين) ليسوا اسماً لطائفة بقدر ما هم علم على نوع ، وهؤلاء المظهريون الجامدون يصدون الناس عن الدين ، فلا يستفيدون منه ولا يفيدون ! .

● **وشرائع الدين لا تركز على الحروف بل على الضمير**
والحق أن أزمة البشرية دوماً ليست فى (المقدرة التشريعية) ، لكنها فى الأعماق النفسية للمشرع والمنفذ والقاضى والمتقاضى - على السواء !

ولقد كان المسيح مكملًا للناموس حقا اذ دفع البشرية الى أفق أرحب من التعامل مع النصوص والألفاظ وحدها لقد أعطى قوالب التشريع حرارة الضمير ، وسما بالناس الى أن يكون الواحد منهم قاضى نفسه - حسب رقابة الله الذى فى الخفاء ! .

(١) رواه أحمد والبخارى فى المستدرک والبيهقى فى السنن ، ورواية أخرى لابن الصغير .

(٢) الطبرانى وأحمد والحاكم فى المستدرک والبيهقى فى السنن ، ورواية أخرى لابن ماجه - صحيحها السيوطى فى الجامع الصغير .

● وأديان الله كلها دفعة للحياة ... وليست (قوالب مجمدة) !!

انها أصول وجذور ، تتفاعل مع نفس الفرد وروح العصر ، فتنبثق عنها حضارات متباينة ، وأفكار متطورة ...

فليس غريبا أن يصدر عن روح المسيحية ألوان من الفكر الديمقراطي بعد استشارتها للايمان بالله ، وهو الذى يستوى الخلق أمام جلاله ...

« ... وقام ليقرأ ، فدفع اليه سفر اشعيا النبي ولما فتح السفر وجد الموضوع الذى كان مكتوبا فيه : روح الرب على ، لأنه مسحني لأبشر المساكين ، أرسلني لأشفي المنكسرى القلوب ، لأنادى للمأسورين بالاطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين فى الحرية !! » (١) •

وليس غريبا أن يصدر عن روح المسيحية ألوان من الفكر الاشتراكي ، بعد أن صورت كلماتها الملتهبة الثروات المكدسة أغلالا يجرجرها الأغنياء فتثقل خطوهم نحو الخلاص ، وأغرتهم أن يتملصوا من هذه الأعباء : فيرتد الفائض عن الفرد عائدا على المجموع : « هلم الآن أيها الأغنياء ، ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة ! غناكم قد تهرأ ، وثيابكم قد أكلها العث ! ذهبكم وفضتكم قد صدئا ، وصدأهما يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار ! قد كنزتم فى الأيام الأخيرة - هو ذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المنحوسة منكم تصرخ ، وصياح الحصادين قد دخل الى أذنى رب الجنود ! قد ترفهتكم على الأرض وتنعمتم وربيتكم قلوبكم كما فى يوم الذبح ! حكمتكم على البار ... قتلتموه ... لا يقاومكم » (٢) •

صرخة مخلصة من أجل العامل ضد طغيان رأس المال !

حسب الأديان أن تسكب فى النفوس هذه الروح الحية ، ليحيلها الفكر الانسانى - فى مراحل تطوره - فلسفات محددة ، وتشريعات مقننة ...

وتمضى الاطوار ... وتفسح فلسفة مكانها لآخرى ، ويحل تشريع محل تشريع ، ويبقى الدين الخالد روحا ملهمة ، ونورا هاديا ...

(١) لو ٤ : ١٦ - ١٨

(٢) يعقوب ٥ : ١ - ٦

وهكذا يدأب الفكر فى كل جيل على أن يصل الى ما يظن أنه مفهوم الدين ، فاذا بالجيل التالى يرى غير رأى سلفه ويجد أمامه شوطا وأشواطاً فى مجالات النظر والعمل ، ولا يلبث أن يجد أزياء الفكر الماضى لم تعد تتسع لمفهوم الدين فى العصر الجديد !!

ان أرسطو قد أجاز الرق ، فما كان ليستطيع أن يتصور علاقة اجتماعية اقتصادية غير هذه العلاقة ...

ثم جاء المجتمع الاقطاعى ، وأصبح أقنان الأرض sefdom صورة جديدة تسعف وتغنى فى تنظيم العلاقات الاجتماعية الاقتصادية ...

وجاءت الآلة ... فزالت الحاجة للرقيق والأقنان ، وأصبحت الحاجة أمس لأن تنقل السفن المواد الخام والوقود من المستعمرات وتنقل المصنوعات الى الأسواق - بدلا من أن تنقل جحافل العبيد ! واحتاجت المصانع الى العمال ، لا الى الرقيق أو الأقنان !!

فهل كان ينتظر من المسيحية - أو من أى دين طويل العمر - أن يتعرض لهذه الصور المتعددة ، التى حدثت عبر الأجيال المتطاولة ، بالنص والحرف ووضع النقط فوق الحروف ؟؟

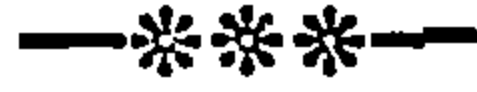
ان الدين يجمد نفسه حين يحصر نفسه فى حد لا يتعداه ، ويصبح كأى نص تشريعى معرض للإبطال بذهاب مقتضاه !! لكنه يخلد ، مادام ينفث فى النفس روح الانسانية والحياة ، ويقيم مزاجا ينفر من الجور - اذ يؤمن بالله ...

ومن انعكاسات (الدين) فى أغوار الضمير ، يأتى استنكار العقل الانسانى للرق فى وقت ، واستنكاره للاقطاع فى وقت ، واستنكاره لطغيان الرأسمالية على حقوق العمال وأهل المستعمرات !

ولا يتطلب من الدين أن ينص على استنكار علاقة بذاتها ، بقدر ما يتطلب ذلك من (الفكر المتدين) ... فالمؤمنون بالدين هم الذين عليهم أن يفتنوا الى التناقض القائم بين واقع مجتمعاتهم وأصول عقائدهم . ومن الانصاف ألا ننتظر منهم ذلك قبل أن ينضج مفهوم الدين فى رؤوسهم ، ويتحرروا من شتى الضغوط على عقولهم ، ويستطيعوا أن يخططوا مستقبلا أفضل - يرون فى طاقتهم أن يصنعوه .

ولا تنكشف هذه الغشائات الا على مراحل من عمر البشرية ، تسليخها الأجيال - مؤمنوها وكافروها - حتى تستبين للناس الظلمات

من النور • وحين تنكشف هذه الغشاوات ، يكون المؤمنون المتدينون
أسرع الى الخير ، وأخلص للحق ، وأصبر على الكفاح ، وأحرص على التقدم
نحو الكمال •



والاسلام والمسيحية يتفان فيما قدمناه كله ...

فأين يختلفان؟؟

- يختلفان في علاقة المسيح بالله - أو فكرة التثليث !
- ويختلفان في واقعة صلب المسيح - أو فكرة الخلاص !
- ويختلفان - طبعاً - في الحكم على نبوة محمد ودين الاسلام •

والخلاف بين المسيحية والاسلام خلاف حقيقى قائم ، ليس الصواب
أن تصطنع له المسوح والدهون لتغطى الشق وترأب الصدع !!

وانما أريد أن أقول :

- ان قضية الخلاف يجب أن تعرض أولاً على العقل ، لا أن تركد تحت
ضغط التقاليد •

- ان العقل المتحرر اذا انتهى الى الاقتناع برأى ، فلا ينبغي أن يفسد
اختلاف الرأى للود قضية •

- ان الدين الخالص أزهد المبادئ فى اضطراع الانسان مع الانسان ،
أو تأييد الفرقة والشقاق ••

والكفر - فى نظر الدين - خطأ ناشئ عن تعمد الانكار مع سبق
الاصرار ، لأن معنى الكفر (ستر الحق) ... وهذا موقف مخالف لموقف
كثير ممن يوصفون (بالكفار !) •

المسيح ... عند المسلمين

ولنبداً بالخلاف حول ألوهية المسيح ...

المسيح عند المسلمين نبي ، أى شخص غير عادى ، (تعرض لنفحات من روح الله فى أصل الخلق) ثم فى (سر الوحي) : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه (١) » .

والمسلمون يقرأون فى كتابهم ثناء الله على المسيح ، وعلى مريم ، وعلى الحواريين ... وهم لا يذكرون المسيح - شأنهم مع كل الانبياء - الا بالصلاة والتسليم !!

والمسلمون يتفقون مع المسيحيين فى الايمان بالله - عموماً - واليوم الآخر ،

ويتفقون معهم فى أن الدين دعوة للحياة بالمثل العليا الفاضلة فى كل مكان ... وليس مجرد طقوس مطبوعة فى زوايا المعابد ...

والمسلمون يتفقون مع المسيحيين على أن هدف الدين تقرير الاخاء للبشرى ، وتحقيق التقدم الانسانى .

فهل الذين يتفقون فى هذا كله - يعز عليهم أن يتعاونوا على اقامة المجتمع المتدين الفاضل ، والدفاع عن (التدين) كقضية فكرية انسانية كبرى ؟؟

ان المسلمين الذين يكرمون المسيح (نبي الله) ، أقرب للمسيحيين من الذين ينكرون الالهية والنبوة على الاطلاق ، ويحاربون المسيحية والاسلام وكل الاديان !! والمسيح نفسه يقرر ذلك :

« اقول لكم : كل خطية وتجديف يغفر للناس ، وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس ! ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له ، وأما

(١) النساء ١٧١

من قال على الروح القدس فلن يغفر له - لا فى هذا العالم ولا فى الآتى (١) » .

ونحن نعرف عن مذهب أريوس مثلاً رأيه فى « ان الاله الحقيقى . والكامل هو الآب ، اله قصى لا يدركه العقل البشرى ولا يمكن أن يتوصل اليه نظير اله الافلاطونيين ، وهذا الاله لا يصدر من أحد ، وبما أن الكلمة صادرة من الآب فلا يمكن بالتالى أن يكون الها حقيقيا ، فصدوره من الآب يتطلب أن يكون ضرورة مخلوقا فى الزمن ، ثم بالكلمة خلق الله العالم وبالتالى ليس الكلمة أزليا ولا مساويا للآب فى الجوهر . ومن هذا ينتج حتما أن المسيح ليس ابن الله بالمعنى الحصرى ، **أى ليس ابنا طبيعيا وانما هو ابن بالتبنى فقط وبالتالى أقل مرتبة من الآب . وهكذا أنكر أريوس** ألوهية السيد المسيح وبدعة أريوس لا تمس ألوهية المسيح الا عن طريق غير مباشر وانما هى أولا بدعة موجهة ضد عقيدة الثالوث» وكانت المدرسة الانطاكية التى أسسها لوسيانوس فى بداية الجيل الرابع تنزع الى فلسفة أرسطو وتؤثر المعانى الحرفية على الرمزية فى شرح الكتاب المقدس «وفيما يتعلق بشخصية المسيح كان أتباع هذه المدرسة يؤثرون الوقوف الى جانب العنصر البشرى ويظهرون المسيح انسانا كاملا مستقلا مستضيفا عنده . الكلمة الالهى . وكانوا يرون فى المسيح شخصين مختلفين متميزين تماما الواحد عن الآخر . وأنصار هذه المدرسة هم ديودور الطرسوسى وتيودور أسقف المصيصة ونسطور والقديس يوحنا فم الذهب - الا ان الاخير لم يشايعهم آراءهم . وأخذوا يعلمون بأن لاهوت الكلمة فى المسيح اتحد بانسان دون أن يحدث فى هذا الانسان تغييرا . لقد حل الكلمة فى هذا الانسان واتحد به دون اختلاط . وفسروا الاتحاد على هذا النحو : **فاما ان الكلمة حل فى المسيح يسوع الانسان كحلول الروح القدس على الأنبياء ،** واما أن الكلمة يسكن فى يسوع الانسان بحيث انه بعد الاتحاد لا يوجد الا شخص واحد أو مركز واحد لكل ما ينسب اليه . والتفسير الاخير أقرب الى العقيدة الصحيحة ، ولكنه يختلف مع مدرسة الاسكندرية . عندما تثار مسألة الكيفية التى تم بها اتحاد الطبيعتين فى شخص واحد . وبدأت المشكلة يوم أحضر نسطور أحد كهنته المدعو انستازيوس من أنطاكية الى القسطنطينية ليعظ الشعب أمامه فقال : ان مريم العذراء هى مخلوقة من الجنس البشرى ولما كان من المستحيل أن يلد البشر الها فلا

(١) مت ١٢ : ٣١ - ٣٢ ، مر ٣ : ٢٨ - ٢٩ .

ينبغي أن تدعى (أم الله) • وامتنع البطريك نسطور نفسه عن تسمية العذراء بوالدة الاله Theatokos « (١) »

ويصدر الأب لويس فرييه مشكلة التعبير والتفسير فى النصوص المقدسة فيقول « ان المعانى العبرية كان يعبر عنها بألفاظ تنزع نحو التصوير المبني على الحس ، فالتجريد فى المعانى العبرية نادر ، وهذا أمر طبيعى عند شعب فقير تكونت أفرادهم من طبقة الرعاة الرحل أو الفلاحين الملازمين لأرضهم ••• وحين أخذ الناس يشرحون العقائد ويفسرونها وجدوا أنفسهم أمام خطر التعبير ومحنة اللغة • فقد حاول سيرنث Cerenthe أن يتكلم عن اللاهوت ، كما حاول نسطور أن يتحدث فى الناس ، وأوطيخا عن الاقنوم ، فمروا بتجربة قاسية • لقد بدأوا يصطنعون لهم تعبيرا فسقطوا فى الهرطقات (٢) ! » •

ويشير أوجان جولى الى انه قد اتفق على تحديد تاريخ كتابة نصوص الاناجيل بحوالى سنة ٦٠ م أى قبل سنة ٧٠ م ، وقد كان بولس فى ذلك التاريخ قد كتب رسائله التى قرئت فى الكنائس والتى كرر فيها القول بشأن ألوهية المسيح « فكيف أن نصوصا وقد كتبت فى هذا الجو لا تتضمن ذكرا ظاهرا لألوهية يسوع ؟ وكيف ان لوقا الذى كان أمين سر بولس لم يتحدث عن ألوهية يسوع ؟ واذا قرأتم بدقة كل آيات أناجيلنا الازائية لن تجدوا اثباتا صريحا لألوهية المسيح لا من المعلم ولا من قلم الكتاب • بل بالعكس تجدون تأكيدات حائرة مثل (قال يسوع : لماذا تدعوننى صالحا ولا صالح الا الله ؟ ••• ثم بكى يسوع على قبر أليعازار وشكا الى الآب انه تركه) ••• أذن اما أن الكتاب لم يؤمنوا بأن يسوع هو الله ، واما انهم لم يريدوا أن يضيفوا الى الوقائع والكلمات شيئا لانهم كانوا شهودا لها • وعلى كل فلنا فى ذلك ضمانه عظيمة لأصل الاناجيل التاريخى (٣) » •

والمسلمون الذين يرون أن المسيحية قد دخلت عليها أفكار غريبة عنها ، لا يذهبون فى هذا أبعد مما ذهب اليه فلاسفة مسيحيون كبار •••

(١) فرنسيس فرييه . التجسد تعريب لويس أبادير ص ٣١ - ٣٢ ، ٢٨ - ٩

(٢) لويس فرييه : التجسد - تعريب لويس أبادير ص ١٢ ، ٦٨

(٣) أوجان جولى : ماهو الايمان - الترجمة العربية - مطبوعات دار السلام ص ٤٠

تقرأ للفيلسوف الانجليزى العظيم برتراند رسل Bertrand Russel
فى كتابه عن تاريخ الفلسفة الغربية History of Western Philosophy

« ٠٠٠ وأخيرا أرسل الاله الأسمى ابنه ليسجل مؤقتا فى جسم
(يسوع) الانسان ، كى يحرر العالم من تعاليم موسى الخاطئة . (!!؟) وان
من يعتنقون هذا الرأى أو ما يشبهه ، ليدمجونه - عادة - فى فلسفة
تسودها الصبغة الافلاطونية !! وقد مر بنا أن افلوطين قد وجد شيئا من
العصر فى هذا الرأى . وان الغنوسطية لتقع فى مكان وسط بين
الوثنية الفلسفية وبين المسيحية ، لانها بينا هى تكرم المسيح من جهة
تراها تسيء الظن باليهود من جهة أخرى ويصدق هذا نفسه - فيما بعد -
على المذهب (المانوى) الذى كان وسيلة القديس أوغسطين للوصول الى
العقيدة الكاثوليكية ، وكان المذهب المانوى يجمع بين عناصر مسيحية
وعناصر زرادشتية ٠٠٠ وقد ساعدت أمثال هذه المذاهب المتوسطة مساعدة
كبرى فى تحول المثقفين الذين يتكلمون اليونانية تحولا تدريجيا الى الدين
المسيحى ، غير أن العهد الجديد يحذر المؤمنين الصادقين من أمثال هذه
المذاهب ٠٠٠

وظلت الغنوسطية (١) والمانوية تزدهران حتى أصبح الحكم فى أيدي
المسيحيين ، وبعدئذ انتهى بهما الأمر الى اخفاء عقائدهما ، وان يكن قد
بقى لهما تأثير تسرى عوامله فى الخفاء . واصطنع (محمد) مذهب شعبة
من الشعب الغنوسطية - وأنصار هذه الشعبة يقولون : ان (يسوع) مجرد
انسان من البشر ، وان (ابن الله) قد هبط عليه عند تعميده ثم تركه
ساعة العذاب (!!؟) وهم فى تأييدهم لهذا الرأى يرجعون الى النص :
(يا الهى لماذا تركتنى) !! ولا بد من الاعتراف بأن المسيحيين قد وجنوا
صعوبة فى تفسير هذا النص دائما ! أما الغنوسطيون فقد رأوا أنه مما
لا يجوز (لابن الله) أن يولد وأن يكون رضيعا ، ثم لا يليق به فوق ذلك
كله أن يموت على الصليب ، وقالوا : ان هذه الاشياء انما حدثت ليسوع

(١) الغنوصية Gnosticism نزعة من نزعات التوفيق syncretism فى مجال
الدين ، تستهدف صهر معتقدات كان لكل منها قبلا طابعها المتميز الخاص ، وكانت قد اختطت
مجرها جنبا الى جنب مع المسيحية الاصيلية التى أخذت تتبلور بالتدريج فى الكنيسة الكاثوليكية
خلال عصورها الاولى ، وقد حملت الغنوصية ملامح قوية من المؤثرات المسيحية واصطلاح
(غنوص) Gnosis فى الكتابات الهيلنستية يقترن بالمعرفة التى يحصل عليها بوسائل
تفوق الوسائل الطبيعية ، وان كانت المعرفة بهذه السبل ضرورية للخلاص الذى لا يغنى فيه
التسليم أو العمل الصالح . والغنوصية تقول بالثنائية أى باعتبار الخير والشر عنصرين
أساسيين فى الوجود وتدمج الى ذلك شيئا من السحر والشعوذة . وتأثرت بالغنوصية بعض

الانسان لا (لابن الله) السماوى !! وقد اعترف محمد بنبوة يسوع لكنه لم يعترف بالهيته ، وكان متأثرا بصالح طبقته (طبقة الانبياء) حين قال

الفرق اليهودية مثل الاسينيين الذين استبدلوا بفكرة (الاله العادل) (الحكمة الالهية) . وقد نبذت الغنوسية المسيحية الاولى الاسس اليهودية للمسيحية وكذلك العهد القديم ونادت بان الخلاص يتم عن طريق الحكمة (صوفيا) وقسمت الناس مراتب ثلاثة : مسيحيون . غنوصيون وخلاصهم مضمون ومسيحيون غير غنوصيين يمكن أن يخلصوا بالايمان ومن عدا هؤلاء وأولئك هالكون وقد كان للنزعة الغنوسية أثرها فى تحديد العقيدة المسيحية ومحاربة الهرطقة والالحاد كما حملت هى بدورها ملامح قوية من المؤثرات المسيحية ومعلوماتنا عن الغنوسية مستمدة فى أغلبها من نصوص فبطية وجدت بنجع حمادى وبعض كتب الحكمة الأخرى . وقد أخذت هذه النزعة طريقها الى البروز فى مستهل أعوام القرن الثانى الميلادى ، وبلغت ذروتها فى الربع الثالث من ذلك القرن ثم ما لبثت أن أخذت فى الانحدار لتفسح الطريق لنزعات أخرى ، مثل المانوية التى ظهرت فى بابل وانتشرت بسرعة حتى شرعت تشغل مكان الغنوسية منذ النصف الأخير من القرن الثالث . على أن بعض روافد تيار الغنوسية قد استمرت خلال القرنين الرابع والخامس ، وواصل كثير من أفكارها الحياة فى ثنايا نزعات التصوف المتأخرة وكلمة غنوص **Gnosis** قد تؤدي الى كثير من الخلط فى تحديدها وتحديد ما يوصف بها ، فتحت هذا الاسم ينطوى العديد من مذاهب الاعتقاد التى سادت فى القرنين الاول والثانى ، والتى نزعته الى ربط تعاليم المسيحية بالمعرفة الرفيعة الراقية . وعلى ذلك لا يدل اللفظ على تخطيط محدد من التفكير بقدر ما يشير الى نزعة كبيرة متعددة الجوانب تعرضت للكثير من التغيرات . ولقد غدا من المسلم به أن الغنوصيين كانوا الفريق الذهنى المستنير أو اهل الراى فى الكنيسة الذين يهدفون الى أن يعرضوا الرسالة المسيحية كفلسفة مقبولة لدى كل العقول المستنيرة . وهذا التحديد للنزعة الغنوسية ليس خاطئا كل الخطأ كما أنه ليس مصيبا كل الصواب فمن الخطأ أن يعتبر الغنوصيون وكأنهم ممثلو الفكر المستنير بصفة أساسية بين المسيحيين وأن تعتبر الغنوسية نزعة عقلية تعنى أكثر ما تعنى بالجدل الفلسفى وإعادة الوفاق بين الدين والفلسفة واللاهوت . ومن الحق أن الغنوسية فى أوجها قد تعدد بين اتباعها فقهاء اللاهوت ورجال العلم . ولكن هذا ليس طابعها الرئيسى ، فان الغنوسية كانت تفهم بين سواد اتباعها لا على أنها تعنى المعرفة أو الفهم كما تعنى الكتمان عندنا وانما كانت تعنى الالهام **revelation** ولقد عاشت الطوائف والجماعات الغنوسية الصغيرة مقتنعة انها تمتلك معرفة مكنونة خبيثة ليست بحال فى متناول من هم خارجها ، وهى معرفة لم تناسس على التأمل أو البحث والتدليل العلمى . ولكن على الالهام ، انها مستمدة بصفة مباشرة من عهد المسيحية المبكر ، من المخلص نفسه ومن حواريه وصحابته عن طريق آثار مكتومة زعم الغنوصيون انها تربطهم بأولئك السابقين . وعندما عمد المفكرون الغنوصيون الى نشر معتقداتهم انساقوا الى بناء مذاهب جدلية الى حد بعيد ترمى الى ايضاح أصل الشر وطبيعة الكائن الالهى وفى العلاقات المتبادلة بين ماهو روحى وما هو مادى وينقل عن كلمنت الاسكندرى القول ان (الغنوص) **Gnosis** يعنى « معرفة من كنا وماذا صرنا ، أين كنا والى أين ألقى بنا ، والى أين نتعجل المسير والمصير ، وأنى يكون الخلاص ، ماهو المولد وماهو المبعث » . وهذا التعريف على أية حال يرجع الى المرحلة المتأخرة للغنوسية ، تلك المرحلة التى يبرز فيها الطابع الجدلى بصورة أكبر ، ولكن مهما يكن الأمر فهى تبين فكرة المعرفة التى لا يتسنى الحصول عليها بالوسائل العقلية المعتادة والتى لا تكتسب الا بالاشراق الصوفى .

انه لا يجوز للانبياء أن ينتهوا الى خاتمة سيئة (١١٩) ، ولذا اعتنق رأى فرقة غنوسية يذهب الى أن الذى صلب مجرد شبح !

وبمقدار ما اصطبغت المسيحية بالصبغة الهيلينية باتت لاهوتية . ذلك أن اللاهوت اليهودى كان دائما بسيطا . . . ولا تزال هذه البساطة اليهودية تميز بصفة عامة الأناجيل المختصرة (أنجيل متى ومرقس ولوقا) ، لكنها زالت بالفعل عن انجيل القديس يوحنا حيث اتحد المسيح (بالكلمة) - كما وردت فى أفلاطون وعند الرواقيين ، فلم يعد الم بشر الرابع من مبشرى الاناجيل يهتم (بالمسيح الانسان) بقدر اهتمامه بالمسيح الذى هو شخصية لاهوتية ، وهذا الكلام أكثر انطباقا على (الآباء) . . . وكذلك تشتمل رسائل بولس على كثير من اللاهوت خصوصا فيما يتعلق بالخلاص ، وتدل تلك الرسائل كذلك على المام واسع بالثقافة اليونانية . . .

ولبت التأليف بين الفلسفة اليونانية والكتب المقدسة يحدث متفرقا وكما اتفق ، حتى جاء (أوريجين ١٨٥ : ٢٥٤ م) ، وقد عاش - مثل فيلون - فى الاسكندرية التى ظلت منذ نشأتها الى سقوطها المركز الرئيسى للعلماء الذين يحاولون التوفيق بين مختلف المذاهب . . . وعلى الرغم من أن أوريجين قد اعترف به أبا من الآباء ، الا انه فيما بعد ذلك قد اتهم بالخروج على الدين فى أربعة أشياء :

١ - فى اعتقاده وجود الارواح قبل مولد أصحابها وهو رأى أفلاطون .

٢ - وفى اعتقاده أن الطبيعة البشرية للمسيح قد كانت قائمة قبل حلوله فى الجسد ، وليس الامر فى ذلك بمقتصر على طبيعته الالهية .

٣ - وفى اعتقاده أن أجسادنا عند البعث ستتحول الى أجساد أثرية خالصة .

٤ - وفى اعتقاده أن الناس جميعا - بل والشياطين كذلك - سيصيبها الخلاص فى آخر الامر (١) ! ، .

فالفيلسوف رسل لا يستبعد تسرب مؤثرات فلسفية الى العقيدة المسيحية ، والى الاسلام أيضا فى رأيه .

والفيلسوف الفرنسى Leon Gauthier أكثر تصريحا فى أثر تلك المؤثرات على فكرة التثليث :

(١) برتراند رسل . تاريخ الفلسفة الغربية - (الترجمة العربية للدكتور زكى نجيب محمود) - ج ٢ ص ٣٧ : ٤٢

« كان أفلاطون أول من أدرك المشكلة ، وأول من أدرك الحل الذي
وجب على العقل الاغريقي - بعد انضاجه طويلا - أن يجتمع نهائيا عليه
... أعنى عقيدة الثلاثة أقانيم أو التثليث ... »

ومن السهل ادراك الغرض منها : فلاحفاظ الله بالكمال المطلق
والبراءة من التغير ، وضع بينه وبين العالم وسيطين دونه ، وخارجين عنه
على نحو ما ، داخلين فيه أى تتضمنهما ذاته ، صادرين عنه ، دونه فى
الكمال ، ويجعلان ممكنا أن يصدر عن الله العالم الكثير التغير ... أول
الوسيطين العقل ، وثانیهما الروح الالهية ... »

وهكذا لم ينتج التزاوج بين العقيدة اليهودية والفلسفة الاغريقية ،
فلسفة فقط بل ديناً - أعنى المسيحية التى تشربت كثيرا من الآراء
والافكار الفلسفية عن اليونان ! ذلك أن اللاهوت المسيحى مقتبس من
نفس المعين الذى استمدت منه الأفلاطونية الحديثة ، ولذا نجد بينهما
مشابهات كبيرة وان اختلفا فى التفاصيل ! فيرتكزان على عقيدة التثليث،
والثلاثة أقانيم واحدة فيهما . أول الاقانيم : الله مصدر كل كمال وفى
وحدته كل الكمالات - ودعاه المسيحيون الآب ، والثانى : الابن وهو
الكلمة ، والثالث : هو دائما الروح القدس . على انه يجب أن يلاحظ -
وهذا بعض ما يفرق اللاهوت المسيحى عن الافلاطونية الحديثة أن الاقانيم
الثلاثة ليست فى نظر المذهب متساوية فى الجوهر والرتبة ، بينما هى
متساوية عند المسيحية (١) » .

ولست حين أورد هذه الكلمات أنتصر لكل ما جاء فيها ، بل حسبى
أن أخرج منها بأنها لم تبغض (رسل) Russel أو (جوتيه) Gauthier
الى قلوب المسيحيين ، فهل يكون بدعا أن نرى أنفسنا - نحن المسلمين
المؤمنين بنبوة المسيح - أولى بالالفة والمودة !

ويقرر توكارو فى « دائرة المعارف الفلسفية ٣ : ٤٩٢ » لقد أخذت
المسيحية عقيدة الاله الاعظم ولكنها أضافت الى ذلك عقيدة الاله الابن
الذى يتجسد فى المسيح الاله الانسان ، كما أضافت عقيدة الافلاطونية
الحديثة من الايمان بروح العالم (الروح القدس) ولهذا ليست المسيحية
ان أردنا الدقة دين توحيد (٢) » .

(١) لبون جوتيه . فقرة من كتابه : المدخل الى الفلسفة الاسلاميه ترجمها الدكتور
محمد يوسف موسى وألحقها الشيخ محمد أبو زهرة بهامش كتابه محاضرات فى النصرانية
ص ٣٣ - ٣٥

(٢) خطاب الكردينال كونج فى جامعة الازهر فى ٣١ مارس ١٩٦٥

ويشير الاستاذ فريد كامل فى مقاله (الفن فى خدمة الدين) الى
 التأثيرات (المصرية) على (المسيحية) ، فيقول : « تميزت الديانة المصرية
 الاسكندرية بظهور التأثير الفينيقي فيها ٠٠٠ اتخذت فى الاسكندرية الالهة
 ايزيس زوجة اله المدينة سيرايبس - أى أوزيريس - وكذلك ابنها حورس
 دورا جديدا ليخففا من حدة التوتر ويكونا سفيعى الانسان عند الاله
 وليكونا أيضا محبوبين عند الانسان ومحبين له وبذا يعوضانه عن الخوف
 الذى يشعر به نحو عدالة الاله الصارمة ٠ ووضعت ايقونات كثيرة تمثل
 (ايزيس الام) ترضع (حورس الطفل) وتجلسه على ركبتيها ولا يظهر ممثلا
 فيها الاب الصارم الذى يخافه الناس واعتاد الاسكندريون على التحلى بتلك
 الايقونات التى يوجد منها المئات فى قاعة أنطونيادس بمتحف الاسكندرية
 اليوم ٠ (وظهر قبل الاتجاه الفينيقي اتجاه مضاد لتعدد الالهة اعتبر ان
 الصور الالهية المختلفة ما هى الا نواح مختلفة من شخصية وصفات الاله
 الواحد الذى لا يمكن فهمه أو استيعابه فى صورة واحدة معتادة ويسمى
 هذا الاتجاه : الوحدة فى التعدد) ٠٠٠ ومع ان الرومان هم الذين غزوا
 مصر الا أن حضارة مصر - أو بالاخري الاسكندرية - ودينها غزوا
 الامبراطورية الرومانية بسرعة هائلة حتى ان شحاذاى طرقات روما كانوا
 يطلبون الصدقة حبا وكرامة فى الاله ايزيس ، واضطر الامبراطور
 اغسطس الى اصدار قانون يحرم اقامة احتفالات مصرية فى روما
 وضواحيها ٠٠٠ لهذا لم يكن من الغريب أن توجه روما عينها الى مصر
 عند ظهور المسيحية لتنقل عنها العقيدة الدينية الجديدة ، وان لا تنتشر
 المسيحية فى العالم الا بعد انتشارها فى مصر واكتسابها الطابع المصرى
 حتى انه يمكننا أن نقول ان **المسيحية التى نعرفها اليوم هى فى الواقع
 المسيحية التى حوت وطورت فى مصر** وهكذا أخذت عن رسوم ايزيس
 والطفل حورس طريقة رسم العذراء والمسيح الطفل - الذى كان فى أول
 الامر يضع اصبعه فى فمه مثل حورس ، وأخذت صورة صعود العذراء الى
 السماء فوق الهلال عن صعود ايزيس فوق سفينة الشمس ، ورسم الله
 ينظر الى أسفل من أعلى الصورة مثل رسوم حورس فى أوراق البردى ،
 واتخذ الصليب القبطى الاول شكله عن مفتاح الحياة المصرى القديم
 (الابح) ٠ كذلك أخذ الاعتقاد أن كل شئ كامل له ثلاثة نواح عن المصريين،
 وكان لكل مدينة مصرية ثالوثها وكان الثالوث الاسكندري قبل المسيحية
 مباشرة هو الاله والحكمة والكلمة ٠ والتزاوج الالهى أصله مصرى ،
 وكذلك تفاصيله كلها من بشارة وحمل بدون اثم وولادة وتعبد واهداء
 هدايا ، وظهور الاله فى جسد بشرى وقتله وقيامه من الموت توجد كلها

فى قصة أوزيريس ، والفداء أصله مصرى فالآلهة الأربعة الثانوية : أمست وهيبى وسموتيف وسنوف الذين كانوا يتوسطون روح الميت ويدافعون عنه كانوا يقدمون أنفسهم أيضا كفداء للميت والاعتراف بالخطايا ابتدعه الملك أمازيس آخر ملوك الأسرة ٢٦ وكان واجبا على كل فرد مرة كل سنة ، كذلك وجود شجرة حياة بالجنة وحراس الجنة الذين يحملون سيوفا من لهب ووصف الجنة بأنها تروى بلا مطر واغراء المرأة عن طريق الثعبان كل هذه عناصر مصرية قديمة . كذلك أخذت عمارة الكنيسة (طراز البازيليكا الرومانى) عن المعابد السكندرية التى اختلفت عن المعابد المصرية القديمة فى انها كانت مركزا للكهنة لا مسكنا للالهة وبتركيزها على داخلها بدلا من خارجها ، وجاءت العمارة البيزنطية لتضيف القبة أو التاج رمز السلطة الى الكنيسة ، وفى نفس الوقت تغلبت مثاليات الفن الاغريقى فالرومانى على الفن المصرى القديم ذى الصلابة الشديدة فى الاسكندرية ٠٠٠ وظهرت فى الفيوم (بورتريهات) الموميات والأقنعة المليئة بالواقعية والحياة بعيونها الواسعة وتقاطيعها المصرية وتفصيلها الدقيقة ، وهى التى يدعوها أندريه مالرو (الفن المسيحى لما قبل المسيحية) ٠٠٠ وانتشرت المسيحية بسرعة بين اغريق الاسكندرية باعتبارها حركة مقاومة وتمرد ضد الرومان (وكان أول بطريك مسيحى لكرسى الاسكندرية عينه القديس مرقس يهودى الاصل ، وتلاه بطاركة اغريق ٠٠٠) وعمل الاغريق على تقريب المسيحية من فهم المصريين فقاموا بدراسات فى سحر الارقام والمعانى الخفية فى الانجيل ، وتقبل المصريون الدين الجديد بسرعة ولكن على أساس ان المسيحية تقدم أسماء جديدة للآلهة المعروفة والمتعارف عليها كما تحمل بعض التغيرات الاسطورية الأخرى . وهكذا حل المسيح فى المسيحية المصرية محل حورس والعذراء محل ايزيس والله محل سيرابيس (أوزيريس) واعتبر المسيح والعذراء شفيعين عند الله (القاضى الصارم) وأحب المسيحيون المصريون المسيح وصلوا له أكثر من الله نفسه ، كذلك تحول المسيح عن كونه معلما لدين جديد كما هو فى الرسائل والبشارات ليصير وسيطا ومدافعا أمام القاضى ٠٠٠ وكان المصريون السكندريون قد اعتبروا ان الاله لا يمكنه أن يخلق أو يقر الشر والخطيئة وبذلك أعلنوا عن وجود الهين خالقين أزليين متداخلين للخير والشر (أوزيريس ثم حورس للخير وست للشر فى الديانة المصرية القديمة ، فنشو وشينا ويعلوها براهما فى الديانة الهندية ، أهرمزدا وأهرمن فى الديانة الفارسية ، واعتبر الاغريق وجود مبدأ الخلق ومبدأ الفناء مع وجود منظم لهما على شكل مبدأ ثالث) . وقد أضاف المصريون فكرة الالهين الخالقين - أى

تعدد الالهة - الى الديانة المسيحية . كذلك أضاف المصريون للمسيحية المخلوقات الروحانية أى تجسيدات الاله أو المخلوقات التى عاش فيها الاله وتجسد فى صورها وهى انعكاس لفكرة تناسخ الأرواح الموجودة فى أغلب الديانات الشرقية ، وكانت هذه التجسيدات سبعة أحدها هو المسيح (اذ ان علوم الأرقام اعتبرت الاله كالأسرة ثالث من ٣ عناصر والعالم مكون من ٤ مواد أو أبعاد ورمز لعملية الخلق بالسبعة أى اتحاد الاله والعالم معا) . ومن المعتقد أيضا أن الاصحاحين الأولين فى انجيل متى والأولين فى انجيل لوقا - وهى الأجزاء الوحيدة فى الانجيل التى تذكر مولد المسيح عن طريق التزاوج الالهى (المعروف فى الديانة المصرية القديمة) قد أضيفت الى الانجيل فى مصر . ونسخ الانجيل القديمة التى يرجع اليها دائما كتبت فى مصر فى الاسكندرية وسيناء ، وهى الاناجيل المحفوظة فى باريس والفاتيكان وكامبريدج والمتحف البريطانى ومتحف موسكو والنسخ القديمة بالحشية واللاتينية والسريانية . . . وفى (مجمع نيقية) انتصرت وجهة النظر المصرية التى آزرها اثناسيوس الاسقف الاغريقى بالاسكندرية وقد كتبت عقيدة اثناسيوس القائلة بأن (الاب اله والابن اله والروح القدس اله ولكنهم اله واحد لا ثلاثة) - أى مذهب (الوحدة فى التعدد) بعد موت اثناسيوس بقرنين أو ثلاثة قرون . . . هكذا تحددت الاسكندرية كقاعدة للعالم المسيحى وقبله لفلاسفة ومفكرى المسيحية فى القرن ٤ م ، كما هاجر اليها الرهبان الرومان ليتعلموا على أيدي المصريين . (وكان أثر العبادة المصرية القديمة ما زال باقيا فى الاسماء حتى أسماء الرهبان المسيحيين أنفسهم وكان أشهرهم باشمسيوس أى كاهن الاله شم وحورسيس أى ابن ايزيس فكلمة قبط أصلها هاكوبتاح أى موضع روح بتاح وهو من أسماء مدينة ممفيس حورها الاغريق الى كوبتو وجيبتو . وبلغ من شهرة المسيحية المصرية أن طلبت كنائس القسطنطينية فى القرن الرابع أيضا بعض عظام الشهداء المصريين لتوضع بها . . . وحينما وصلت هذه العظام وقف أسقف القسطنطينية كريستوسوم يقول : أشكر الله لان مصر التى أرسلت قمحها لتطعم جيرانها الجوعى ، أمكنها أن ترسل لهم أيضا عددا كبيرا من الشهداء لتطهر كنائسهم !! وقام الصراع بين الاسكندرية والقسطنطينية حينما صارت عاصمة الامبراطورية الشرقية حول القيادة الدينية، وانضمت الكنيسة الاغريقية للقسطنطينية والكنيسة الرومانية للاسكندرية وبالتدريج انفصلت الكنيسة الاغريقية عن القسطنطينية وضاعت سلطة الامبراطورية الشرقية فى أوربا وانفصلت الكنيسة القبطية عن الرومانية سنة ٤٥١ م وهى التى ورثت العقائد

«المصرية المسيحية لتبشر بها ، وبدأت تجدد القيود والرموز والتقاليد ، وجاء الفتح الاسلامي سنة ٦٤٠ م فزاد القبطية المصرية تقاليدا ورمزية ٠٠٠ » (١)

وهذا اميل لودفيج يقول عن المسيح :

« ويعد الجميع المعلم الجديد نبيا ، ويبدو المعلم الجديد نبيا ، ولم يفكر يسوع في انه أكثر من نبى ، وليسى بقليل أن يرى نفسه فى بعض الاحيان دون النبى ! ولم يحدث أبدا من يسوع ما يخيل به الى انسامع أن له خواطر وآمالا فوق خواطر البشر وآمالهم ، وما كان يسوع ليذهب الى أبعد من ذلك فيدعى انه المنقذ المنتظر ! فاذا ما قال الناس انه أحد قدماء الانبياء راقه ذلك ، موجهها أفكارهم الى ملكوت السموات ، واذا ما قال انه ابن الرب كان ذلك محمولا على انه ابن الرب كجميع الذين يشعرون بانطواء أنفسهم على القوى المبدعة التى يشتق منها وجودنا ! والآن يجد يسوع كلمة جديدة صالحة للتعبير عن تواضعه بقوله عن نفسه : انه ابن الانسان ! وقديما أراد الانبياء أن يلفتوا الانظار الى الهوة الواسعة التى تفصلهم عن الله ، فكانوا يسمون أنفسهم بأبناء الانسان ، ومن هؤلاء دانيال وحزقيال - اللذان أظهرنا الرب مخاطبا كل واحد منها بابن الانسان ، أى بآدمى ضعيف هالك ولد ليفنى بعد ألم ، ولكن مع استعداد لنيل عفو الرب (٢) » .

والدكتور بترسون سمث صاحب الكتاب الذى حقق درجة كبيرة من الرواج والشعبية عن سيرة المسيح People Life of Christ يقول يعزب عن البال أن التلاميذ قبلوا المسيح فى بادئ الأمر كإنسان ، وقد كان هذا هو القصد الالهى الذى أراده المسيح ، فانه كانسان اكتسب عطفهم واعجابهم : وتدريجا أخذت أحاسيسهم تتعمق وتزداد دهشة ورهبة وحيرة وترددا ٠٠٠ ولم يبدأ باعلان ذاته الا قبيل نهاية حياته ، ولم يشرق عليهم فجر هذا الاعلان الهائل الا بعد القيامة والاربعين يوما التى قضاها مترددا عليهم والصعود فى السماء ونزول الروح القدس وبعد هذا أدركوا فى رهبة وخشوع من كان ذلك الشخص العجيب الذى قضى معهم ثلاث سنوات فى فلسطين فكتب أحدهم (الكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده ، مجدا كما لوحيده من الآب) تم هذا كله دون أن

(١) فريد كامل . الفن فى خدمة الدين - مجلة الطليعة ع ٦ السنة الأولى يونية ١٩٦٥

(٢) لودفيج : ابن الانسان - ترجمة عادل زعير ص ٩٥

يفطن أحد الى ميلاده العذراوي ، وأغلبهم لم يكن قد عرف شيئا عن تلك الحادثة العجيبة وبالطبع قد أذيع هذا السر عن طريق العذراء أو بواسطة أخصائها ، ونحن لا نعرف شيئا عن كيفية ذبوع هذا السر ولا الدليل الذي أقنع الكنيسة بصدق تلك الحادثة ، ولكننا نعلم أن السر قد ذاع فعلا خلال سنوات قليلة في أرجاء فلسطين وتناقلته الألسنة كحديث متواتر دونه البشير متى وفصله البشير لوقا وأدمجت هذه العقيدة في أول قوانينها . أما البشير مرقس فقد بدأ بشارته بمعمودية المسيح ، ويوحنا لم يشر اليها الا أنها يمكن أن تفهم ضمنا من كلامه عن تجسد الكلمة . واذا كان لم يشر الى ذلك فان لوقا كان تلميذه اللصيق به ، وقد كان لبولس تصويره وتعبيره عن سيرة المسيح مما يشير اليه في أحد رسائله بقوله (انجيلي) الا أنه لم يصلنا . على أن العذراء نفسها لم تفكر في ولدها (كاله) رغم مولده الاعجازي الفريد ، (١) .

وقد تربي المسيح كصبي عادي « وكان يتقدم في الحكمة والقامة . والنعمة عند الله والناس ، وكانت أمه توجهه وتؤنبه وهو لها مطيع . ومن حواربي المسيح انفسهم من أمضى وقتا طويلا وهو لا يؤمن بأن للمسيح شخصية الهية : فيلبس ، وثثنائيل وبرثلماوس ومتى وتوما ، ويرى بترسون سمث أن هذا « ليس عيبا فهكذا ركبت نفوسهم وطبائعهم . . . فيلبس يقول : ياسيد آرتا الأب وكفانا ، وتوما يرفض الايمان بالقيامة بشهادة زملائه الرسل ، (٢) ! »

ويشهد الكتاب المسيحيون المخلصون أنفسهم بصعوبة تفهم عقيدة التثليث بالنسبة لعامة الناس تقرأ لواحد منهم مثلا « وان كان قد تعذر على البعض فهم هذه العقيدة فليس معناها أنها غير صحيحة أو غير حقيقية ، والكنيسة منذ البداية توصلت الى هذه العقيدة بأن الله هو ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة ، مع العلم بأن الآباء المسيحيين الذين انتهوا الى هذه العقيدة كانوا من أعظم المفكرين . ولولا تأكدهم من أن هذه هي أفضل طريقة للتعبير عن هذه الحقيقة لما التجأوا اليها ، وهي بلا مرأى مستقاة من تعاليم الكتاب ومن اختبارات الذين يحلو لهم اتباع يسوع المسيح والايمان به كابن لله » « ولا يعتقد جميع الذين يسمون أنفسهم مسيحيين أنه عن طريق المسيح جاء الله بنفسه الى العالم ليعيش عيشة

(١) دكتور بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ٢٥ : ٢٨ ، ٣١ : ٣٢ ،

٤٢ : ٤٣

(٢) بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ١٨٥ - ١٨٦

بنى البشر ، فهناك فرق تدعى بأن المسيح كان نبيا عظيما وانسانا كاملا
وان الله سكن فيه ولم يسكن فى أحد سواه وأنه عن طريق تعاليمه أعطانا
صورة حقيقية عن الله ، بيد أن هؤلاء يقولون بأنه ضلال أن يتحدث أحد
عن المسيح كاله ، فهؤلاء لا يعترفون بالمسيح سيدا ومخلصا مثلما يعترف
به باقى المسيحيين والذين يقولون بمثل هذا هم أتباع المذهب التوحيدي
Unitarians وفى الوسع أن نقول بأن هؤلاء يحيون حياة روحية عالية
ربما فاقت فى كثير من الحالات حياة المسيحيين غير أن ذلك لا يغير الواقع
الليم بأنهم ينكرون حقيقة عاشت الكنيسة بروحها على مدى الأجيال
والسنين ٠٠٠٠ » وأهم ما وضعت الكنيسة الأولى بعد قانون إيمان
الرسول : قانون الإيمان المنسوب لمجمع نيقية وقانون إيمان اثناسيوس
والذين وضعوا قوانين الإيمان لم يقولوا جديدا من عندياتهم ولكنهم فى
محاولتهم الإفصاح عن الإيمان بدقة وعناية اضطروا أحيانا للذهاب إلى
ما هو أبعد من الفاظ الكتاب المقدس واستخدام مصطلحات مستمدة من
الفلسفة اليونانية فى ذلك العصر . وبعض تلك المصطلحات لا يسهل على
الإنسان العادى فهمها ، وحتى اليوم حين تتضام عدة كنائس لتكون واحدة
كما حدث فى جنوبى الهند يرون ضروريا أن يصيغوا قانونا لإيمانهم لايضاح
موقفهم حيال الماضى وحيال الكنائس الأخرى وربما حيال الأديان غير
المسيحية المحيطة بهم . وتكون هذه القوانين عادة أكثر اسهابا من قوانين
الإيمان المعروفة . وليس من الغريب أن يشعر المسيحيون العاديون بشيء
من الحرج اذ يلقون نظرات إلى هذه الوثائق التاريخية ويحارون فى فهم
عباراتها ويجدون صعوبة فى شرحها لغير المسيحيين « وقد عدلت الكنيسة
كلية عن استعمال لقب (العبد) بانسبة للمسيح بعد أن بدأت به فى
أول العهد فلماذا ؟ لعل الاجابة نجدها فى حقيقة القيامة كما فهمتها
الكنيسة بعد اذ توثقت صلتها بالمسيح (المقام) ، فيسوع الذى عرفته
« الكنيسة وأحبته هو بعينه يسوع الإنسان الذى عاش وتآلم ، أما الآن
فإن حياة الكنيسة قد اقترنت بصلة مع المسيح (المقام) وفازت بنصيب
من مجده فلم تعد ثمة حاجة للعودة للاختبار القديم الذى عرفه التلاميذ
الأولون قبل القيامة . ولعلمهم أحسوا أن لقب (العبد) كان ملائما للفترة
« الأولى من حياة السيد على الأرض ولكنه لم يعد لائقا لمن هو الآن رب
المسيحية . وانا لواجدون هذا اللقب أحيانا فى المؤلفات والصلوات

المسيحية التي كتبت بعد عصر العهد الجديد ولكن اللقب يظل استعماله بصفة عامة ، (١) .

أما بالنسبة لاستعمال لفظ (رب) « فان الكلمة اليونانية الأصلية التي معناها رب **Kyrios** يمكن استعمالها كصيغة للتأدب في المخاطبة . فسجان فيليبى يخاطب بولس وسيلا بكلمة **Kyrios** (سيدى) (اعمال ١٦ : ٣٠) . وتكن يمكن أن تستعمل بمعنى أرفع وأرقى ، وكانت تستعمل وصفا للامبراطور في كل أنحاء الامبراطورية الرومانية كما كانت تستعمل أيضا للملوك اتيهود . وكانت اللفظة لقبا من ألقاب الكرامة خلع على كثير من الآلهة الوثنية وخاصة آلهة أديان الأسرار . ولهذا السبب ذهب بعض العلماء الى أن لفظ (اثرَب) أطلق أولا على يسوع في الجماعات الاممية الناطقة باليونانية وذلك لانه هو الوصف الذى خلعه على آلهتهم قبل أن يعتنقوا المسيحية وكان من الهين على أولئك الامم أن يقبلوا هذا اللقب الذى كان مألوفاً لديهم . على ان الكلمة (ماران انا) توحى الى الذهن بأن الامم ليسوا أول من استعمالها وأن يسوع كان (ربا) للمسيحيين الناطقين بالآرامية . ومما هو جدير بالمراعاة انه عقيب القيامة مباشرة أطلق اليهود اليونانيين الذين اعتنقوا المسيحية على يسوع الكلمة عينها التي ألفوا استعمالها عن الله الآب ، وقد مهد هذا بلا شك الطريق الذى أدى بالكنيسة الى أن تعترف بيسوع (اله من اله ... اله حق من اله حق) (٢) « ولقب (ابن الله) لم يكن شائعا فى أسفار العهد الجديد ففى بعض الاسفار مثل رسالة يعقوب ورسالة بطرس الاولى لم يرد اطلاقا ولم يرد فى سفر الرؤيا الا مرة واحدة (٢ : ١٨) وفى سفر الاعمال ورد مرتين احدهما جاء اقتباسا عن مزمور (٢ : ٧) ولم يرد مطلقا فى العظات الاولى من هذا السفر التى يحاول لوقا أن يرسم لنا فيها صورة للرسول وهم يجتهدون فى ادراك معنى المسيح المقام فى حياة الناس . **أنا بولس فهو الذى نادى بعد اهتدائه فى المجمع قائلا: هو ابن الله (اعمال ٩ : ٢٠) ويميز كاتب سفر العبرانيين تميزا صارخا بين الانبياء وبين الابن الذى هو أعلى من الملائكة (الله بعد ما علم الآباء والانبيا قديما ... كلمنا فى هذه الايام الاخيرة فى ابنه) (عبرانيين ١ : ٢) لكن بولس هو الذى يقتادنا أكثر من أى كاتب آخر الى الايمان بيسوع ابن الله وقد استند**

(١) ستيفن نيل : الله فى المسيحية ترجمة ابراهيم مطر ص ١٠٦ - ١٠٩ ، ١٠ - ١١ .

(٢) ستيفن نيل : من هو المسيح ترجمة حبيب سعيد ص ٤٩ : ٥٠ .

ايمانه هو شخصيا الى (ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلي) ،
 (غلاطية ٢ : ٢٩) ، (ابن الله يسوع المسيح الذى كرز به بينكم)
 (٢ كورنثوس ١ : ١٩) وهو الذى قال ان الهدف هو (أن نكون مشابهين
 صورة ابنه ليكون هو بكرا بين اخوة كثيرين) (رومية ٨ : ٢٩) على ان هذا
 اللقب لم يكن كافيا للتعبير تعبيرا وافيا عن كل ما أرادت الكنيسة أن
 تقوله عن يسوع ، ذلك لأن المسيحيين وجدوا لقب (ابن الله) فى العهد
 القديم ، وكان طبيعيا أن يطبقوا على يسوع مثل العبارة الواردة فى مزمور
 ٢ : ٧ (انت ابنى أنا اليوم ولدتك) اذ تومىء الى ملك الهى آت أرفع من
 كل ملك أرضى ، ولكن اللقب نفسه أطلق فى العهد القديم على أشخاص
 كثيرين : اسرائيل (اسرائيل ابنى البكر) (حز ٤ : ٢٢) وملك اسرائيل
 (أنا أكون له أبا وهو يكون لى ابنا) (٢ صم ٧ : ١٤) والملائكة (ترنمت
 كواكب الصبح معا وهتف جميع بنى الله) (ايوب ٣٨ : ٧) ٠٠٠ ترى
 ما العلاقة بين الابن وبين أبناء الله الآخرين ؟ ومتى صار يسوع ابن الله ؟
 أكان هذا عند مولده أم معموديته حين هبط صوت السماء (انت ابنى
 الحبيب) (مرقس ١ : ١١) أم كان عند القيامة يوم تعين من كان من
 نسل داود (ابن الله بقوة) (رو ١ : ٥) أم ترجع بنوته الى زمن أبعد؟؟
 لعل هذه الأسئلة هى التى حملت أحد مفكرى العهد الجديد على استعمال
 لفظ (الكلمة) (١) « ٠ » على ان الكلمة Logos لها تاريخ طويل بين
 اليونان وبين اليهود على السواء ، فلم يكن معناها الكلمة المنطوقة فقط ،
 بل أيضا مبدأ العقل فى الانسان ومبدأ النظام والتناسب فى الكون الذى
 يحفظه كلا متوازنا ٠ والارجح أن هاتين الفكرتين كانتا فى عقل كاتب
 البشارة - يوحنا - وهو يكتب لليونان واليهود على السواء (٢) « ٠ »
 لا عجب اذن أن يكون الامر محتاجا الى تقليب وجهات النظر ، وتبسيط
 مزيد من الاضواء !! وموقف المسلمين ازاء ألوهية المسيح قد تار بين
 المسيحيين أنفسهم قديما وحديثا « فالابونيون قد زعموا أن يسوع الذى
 تألم لم يكن الهيا وأكثرهم من المسيحيين اليهود فى فلسطين وسوريا
 وظلوا طائفة مستقلة عدة قرون ٠٠٠ وزعم الدوكيون (من دوكى اليونانية
 بمعنى ظهور) أن جسد يسوع البشرى لم يكن جسدا حقيقيا - حتى
 لا يقال ان يسوع الالهى تألم - بل كان مجرد ظهور ٠٠٠ ولويس
 السمسطائى اسقف انطاكية سنة ٢٦٠م علم الناس ان يسوع كان فى

(١) ستيفن نيل : من هو المسيح ترجمة حبيب سعيد ص ٥٤ - ٥٥

(٢) ستيفن نيل : من هو المسيح ترجمة حبيب سعيد ص ٥٦

أول الامر انسانا لا غير ولكن كلمة الله ونعمة الله استقرتا فيه بطريقة فريدة وأخذت قوة الله الساكنة فيه تعظم شيئا فشيئا حتى رفع أخيرا ليكون هو الله ، وعلى مقتضى هذا الزعم لم يكن ابن الله هو الذى نزل من السماء وصار جسدا بل ابن انسان هو الذى تسلق المرقى وصار الها... وأريوس الاسقف الاسكندري يعلم الناس ان ابن الله هو فقط بكر الخلاق وأرقاها وأرفعها مقاما وليس أزليا كما ان الاب أزلى ففي البدء كان الله وحده بدون الكلمة ثم كان الها بكلمته وهو يقول (حتى ان دعى الله فهو ليس الها حقا ولكنه شريك فى نعمة الله فقط شأنه شأن الآخرين) ... ونسطوريوس الذى اعتلى كرسى القسطنطينية سنة ٤٥٨م تفى أن تكون العذراء أم الاله Theotckos وانما هى أم المسيح ، أما (الكلمة) فليس لها بداية ولا يمكن أن يتألم أو يموت ... وأبوليناريوس أسقف لاودكيا بآسيا الصغرى فى النصف الثانى من القرن الرابع حاول كذلك تفهم علاقة اللاهوت والانسوت فى المسيح وكذلك فعل يوتيوخوس « ...

ومن أجل حل هذه المضلات تتابعت اجتماعات المجامع المسيحية: وثمن نقرأ فى قرار مجمع خليكدونية سنة ٤٥١ م « نعترف ونعلم كلنا معا بالابن الواحد الوحيد ربنا يسوع المسيح الكامل فى لاهوته والكامل فى انسوته اله حق وانسان حق مسيح واحد الابن الرب الابن الوحيد المعلن فى طبيعتين بدون امتزاج وبدون تغيير وبدون انقسام وبدون انفصال . واختلاف الطبيعتين لا يفسد هذا الاتحاد بل الاخرى تحتفظ كل طبيعة بخواصها المعينة ليس كأنه مجزأ أو منقسم الى شخصين بل هو واحد ابن الله اللوغوس (الكلمة) والرب يسوع المسيح (١) » ولكن المجمع عبثا حاول أن يقطع الجدل فى شأن طبيعة المسيح هل هى طبيعة واحدة (مونوفيزيت) أو طبيعتان (ديوفيزيت) ومن أجل التوحيد ثار جدل جديد حول مشيئة واحدة للمسيح (مونوثليت) لم يرض بها القائلون بالطبيعة الواحدة ولا القائلون بالطبيعتين ... ولقد سلفت الاشارة الى أصحاب مذهب التوحيد المحدثين unirarians الذين يرون عظمة المسيح لكن لا يعتقدون ألوهيته ...

أفلا تتسع الصدور والعقول فى قضايا لا تحسم بطبيعتها فى كلمة أو صيغة أو حتى ضربة ... ولقد اتسعت للنقاش القرون تلو القرون ، بين أتباع المسيح أنفسهم !!

الصليب... والخلع

ثم نأتى لفكرة الخلاص...

انها فكرة فلسفية تجعل عمل المسيح مكفرا لخطيئة آدم ، مطهرا
للبشرية من وزرها ...

« هل كان من الممكن أن يتجسد الكلمة الالهى حتى ولو افترضنا ان
آدم لم يسقط الخطيئة ؟ أجاب القديس توما ومعظم كبار اللاهوتيين
مستنديين الى نصوص الوحي والتقليد : بانه لولا خطيئة آدم لما تجسد
الكلمة الالهى . وقد أجاب دون سكوت يقول : ان التجسد كان لا بد من
تحقيقه سواء أخطأ آدم أم لم يخطئ ، لان الخطيئة لا يمكن أن تكون
سببا يدفع الى تجسد ابن الله . وقد أدلى دون سكوت بأدلة لياقية وجهية
ولكنها لا تعتمد على نصوص الكتاب المقدس أو الآباء . ولم تظهر نظرية
أتباعه الا فى الجيل الثانى عشر ، وكان أول من نادى بها هونوريوس
Honorius diuton وتسربت النظرية الى المدرسة اللاهوتية بفضل
الكسندر هالس وألبرت الكبير ، الا أن اثنين من ألمع تلاميذهما هما
القديسان توما الاكوينى وبوناغنتورا نبذا رأى معلميهما وان لم ينعتها
بنعوت قاسية احتراما لهما . وجاء أخيرا دون سكوت وتناول النظرية
ودافع عنهما وأصبح اماما لكل من اعتنقها بعده ونخص بالذكر سوارز
والقديس فرنسيس سالس ولاهوتيو سلمنك والفرنسيسكان عموما...
والتجسد عمل ثمين وغنى تصدر عنه نتائج كثيرة : فالتجسد يظهر مجد
الله ، والتجسد يظهر للبسر الله الحق الكامل والخير المطلق ، والتجسد
يعطى الانسان المثل الأعلى - وانما هذه النتائج كلها أو هذه الغايات هي
ثانوية ، ويقول الراى العام ان الغاية الرئيسية هي **التعويض عن الخطيئة**
وفداء الجنس البشرى وتجديده وليس تتويج الخليقة وأسعادها ، لانه لولا
خطيئة آدم لما تجسد ابن الله ...

قال توما الاكوينى فى رصانة واتزان وتواضع : توجد آراء مختلفة،
فيزعم البعض أن ابن الله كان يتجسد حتى ولو لم يخطئ آدم ، ويرى
البعض الآخر خلاف ذلك ، ويبدو أنه من الاصوب الانتماء الى الراى

الثانى ، فان ما هو متعلق بارادة الله وحدها ليس لنا أن نعرفه الا بالمقدار الذى يكشفه لنا الله بواسطة كتبه المقدسة ، والحال أن الكتاب يقول لنا دائما ان خطيئة الانسان الاول هى الدافع لتجسد ابن الله ، وعليه يظهر أن هذا السر انما رتبته الله كدواء للخطيئة بحيث انه لولا الخطيئة لما كان التجسد . . . وقال أغسطين : لولا هلاك الانسان لما جاء ابن الانسان (١) »

والقرآن يقرر مغفرة الله لهذه الخطيئة منذ أيام آدم : « وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغدا حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين . فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا : اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين . فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم . قلنا : اهبطوا منها جميعا ، فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . . . » (٢) .

والاسلام لم يرفض واقعة الصلب لأنها (خاتمة سيئة لطبقة الانبياء !!) - كما يظن الفيلسوف العظيم رسل ! . . . فالأنبياء ان صبح أن يقال عنهم انهم (طبقة) فهى طبقة دائبة على التضحية بالنفس فى سبيل الحق الذى تؤمن به : « لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا ، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » (٣) !! والقرآن مليء بمثل هذه الاشارات الى قتل الأنبياء !

ومن هنا لا يستغرب الاسلام أن يسعى بالمسيح ليصلب ويقتل ، والاتفاق تام مع المسيحية حتى بدء حدوث الواقعة نفسها ، وقد يستمر الاتفاق بعد حدوث الواقعة على تأويل بعيد - لا يخرج صاحبه عن نطاق الاسلام على أى حال - ونعنى القول الذى يأخذ من آيات القرآن الدلالة على انتفاء حدوث الموت نتيجة الصلب ، لا انتفاء حدوث الصلب نفسه : « وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه - ما لهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما » (٤) .

(١) فرنسيس فرييه : التجسد - تعريب لويس أبادير ص ١٣٤ : ٦ ، ١٣٨ - ٩

(٢) البقرة ٣٥ : ٣٨

(٣) المائدة ٧٠

(٤) النساء ١٥٧ - ١٥٨

وثمة مسيحيون آمنوا بلاهوت المسيح وناسوته هم أصحاب نزعة الدوسيت ، ومع ذلك ارتأوا « ان سمعان القيرواني هو الذى صلب عوضا عن المسيح الذى رفع الى السماء » • وارتأى آخرون تأويلا فلسفيا يذهب الى « أن المسيح الروحاني انفصل عن المسيح النفساني ليس قبيل الموت وحسب ، وانما منذ بداية الآلام بحيث ان الذى تألم ومات ليس هو المسيح الحقيقى ، وانما شبيه له فقط (١) »

والعبرة فى الصلب ليست فى مجرد حدوث واقعة من الوجهة التاريخية على صورة معينة أو حدوثها على صورة مغايرة !! وانما العبرة بالنتيجة المستخلصة من وراء الحادثة ، ونعنى بها فكرة الخلاص ...

ويرى جورج مائيسون أن اعتراض اليهود على المسيح فى حياته لم يكن لأنه جعل نفسه (المسيا) فهذه دعوى تناقش بالدليل ، والمسيح لم يتعد على ناموس أو تقليد ، فى حين أنكر الصدوقيون مثلا قيامة الأموات ولكن لم ينفصلوا عن بقية طوائف الأمة ، وانما جاء اعتراض اليهود على المسيح بسبب سلطان مغفرة الخطايا « لقد تعدى حدود العهد القديم • لقد أثبت (للمسيا) ما لم يجرؤ كتبة الأسفار المقدسة فى أمتة أن يصفوه به ! لقد أضفى على نفسه سلطانا خصصه أبناء اسرائيل لله وحده ، فلا مشرع ولا نبي ولا كاهن فى الأمة اليهودية نسب مثل هذه القوة للمسيح الآتى ! لقد كان (أشعيا) هو النبي الوحيد الذى اقترب من هذه الفكرة فقد رأى فى (المسيا) كفارة عن خطايا البشرية : قدوس الله الوحيد الذى سيكفر بحياته وموته عن خطايا العالم والذى ستشفع امكانياته واختبارات الانسانية فى ضعف البشرية وسقوطها ! ولكن حتى فى هذا رأى القريب اتسعت الفجوة بين الحق الذى أثبته أشعيا للمسيا والحق الذى ادعاه يسوع لنفسه ! فان تعوض بحياتك وموتك عن خطيئة الانسان شئ وان تغفر بنفسك خطيئته شئ آخر ... ان الأخير حق أكيد للسلطان الالهى ! وحادثة (كفر ناحوم) التى يقوم فيها المفلوج للمسيح فيقول له : **ثق يا بنى مغفورة لك خطاياك** ، هى البداية المميزة للمسيحية عن اليهودية • وكثيرون تقدموا للإجابة عن السؤال : متى انفصلت المسيحية عن المحراب الأول ؟ باحثين عن النقط الواضحة التى يفترق فيها العهد الجديد عن العهد القديم • البعض رأى هذا الانفصال فى حادثة سقوط اورشليم ، والبعض رآه فى معارضة التلاميذ لفكرة الختان ،

(١) فرنسيس فرييه : التجسد تعريب لويس أبادير ص ٤٤ - ٥

والبعض لاحظته في حادثة تجديد شائل الطرسوسي ، والبعض قال انه في حادثة انسكاب الروح القدس في يوم الخمسين ، وكاتب سفر أعمال الرسل قال (ودعى التلاميذ مسيحيين أولا في أنطاكية) ولكن حسبما اعتقد هذه كلها ظواهر خارجية سطحية ٠٠٠ ان النعمة المميزة للإنجيل الجديد ليست هي التي نادى بها يسوع بأنه المسيح فهذه كانت نعمة أبواق العهد القديم ، ولكن الحق الذي أعلنه يسوع لنفسه في عليه كفر ناحوم كان حقا جديدا فريدا لم يسمع به موسى ولم يعرفه الأنبياء ، (١) .

وهناك من يقولون ان القسول (بالخطيئة الأصلية) كان اعتذارا وتبريرا ساقه المؤمنون بالمسيح كي يدفعوا عن أنفسهم وزر التخلي عن المسيح عند اعتقاله وليأذهم بالفرار ، ويمكن أن يسار بفكرة (الخلاص) هذا المسار ، سيما ولقب (الفادي) لم يرد في الأناجيل بل جرى عليه العرف بين المسيحيين ، ولقب (المخلص) يحتمل معاني أخرى غير التخليص بالدم والفداء وهو لم يخلع على المسيح الا نادرا في العهد الجديد وقيل ان ذلك كان لأن اللقب خلع على آلهة وثنية وبخاصة على الامبراطور الروماني (٢) .

ونحن لا يهمنا أن نناقش الفكرة من الوجهة الفلسفية أو الدينية ، وانما يهمنا أن نناقش مداها ، والى أي حد يصل هذا المدى في التفريق بين المسلمين وبين المسيحيين ٠٠٠

فكرة الخلاص في المسيحية لا تذهب الى تقرير (امتيازات) لطائفة من الخلق لمجرد أنهم مسيحيون ، ولمجرد أن المسيح قد كفر عن الخطيئة الأصلية ٠٠٠ بل لابد من أن يعمل المسيحي بتعاليم المسيحية كي يحقق لنفسه الخلاص : « ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات ! بل الذي يفعل ارادة أبي الذي في السموات ٠٠٠ كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم : يارب يارب ، أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم : اني لم أعرفكم قط ؟ اذهبوا عني يا فاعلي الاثم !! » (٣) .

(١) جورج مائيسون : دراسات في صور من حياة المسيح ترجمة دكتور عزت زكي

ج ١ ص ١١٣ وج ٢ ص ٩٠

(٢) ستيفن نيل : من هو المسيح ترجمة حبيب سعيد ص ٤٠

(٣) مت ٧ : ٢١ - ٢٣ ، لو ١٣ : ٢٥ - ٢٧

ولقد رفض المسيح أن يجيب أم تلميذه الى طلبها بأن يجلس ابنها عن يمينه ويساره في ملكوته : « ٠٠٠ وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه الا للذين أعد لهم من أبي » (١) ٠٠

كذلك قطع بولس الطريق على كل من يتعلل بالخلاص ثم لا يعمل : « أيها الاخوة : ان انسب انسان فأخذ في زلة ما ، فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ، ناظرا الى نفسك لئلا تجرب أنت أيضا . احملوا بعضكم أثقال بعض ، وهكذا تمموا ناموس المسيح ، لأنه ان ظن أحدا أنه شيء وهو ليس شيئا فانه يغش نفسه ! ولكن ليمتحن كل واحد عمله ، وحينئذ يكون له الفخر من جهة نفسه فقط لا من جهة غيره ، لأن كل واحد سيحمل حمل نفسه » (٢) !!

« نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة ٠٠٠ فبعد ما قدم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس الى الأبد عن يمين الله ٠٠٠ فانه ان أخطانا باختيارنا بعد ما أخذنا معرفة الحق ، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف ، وغيرة نار عتيدة التي تاكل المضادين » (٣) ٠

ويعقوب يلح في أن العمل الصالح هو ثمرة الايمان الصحيح :

« ما المنفعة يا اخوتي ان قال أحد أن له ايمانا ولكن ليس له أعمال ؟ هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟ ان كان أخ وأخت عريانين ومعنازين للقتات اليومى ، فقال لهما أحدهم : أمضيا استدفئا واشبعا ، ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد - فما المنفعة ؟ هكذا الايمان أيضا ، ان لم يكن له أعمال - ميت في ذاته ٠ لكن يقول قائل : أنت لك ايمان وأنا لى أعمال ، أرني ايمانك بدون أعمالك ، وأنا أريك بأعمالى ايمانى ٠ أنت تؤمن أن الله واحد - حسنا تفعل ، والشياطين يؤمنون ويقشعرون ! ولكن هل تريد أن تعلم أيها الانسان الباطل أن الايمان بدون أعمال ميت ؟ ألم يتبرر ابراهيم أبونا بالأعمال اذ قدم اسحق ابنه على المذبح ؟؟ فترى أن الايمان عمل مع أعماله ، وبالأعمال أكمل الايمان ، وتم الكتاب القائل : فآمن ابراهيم بالله ، فحسب له برا ودعى خليل الله ٠ ترون اذن أنه بالأعمال يتبرر الانسان لا بالايمان وحده ٠ كذلك راحاب الزانية أيضا ، أما تبررت-

(١) مت ٢٠ : ٢٣ ، مر ١ : ٤٠

(٢) غلاطية ٦ : ١ - ٥

(٣) عبرانيين ١٠

بالأعمال اذ قبلت الرسل وأخرجتهم في طريق آخر ! لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت ، هكذا الايمان أيضا بدون أعمال ميت » (١) !! •

ومن هنا لا يكون الخلاص فلسفة تبريرية تفاؤلية وحسب ! ...
ان المسيح كم ذكر الناس بملكوت الله وملكوت السموات ، ولم يتركهم للأمانى العريضة بل وضع أيديهم على الباب والطريق : « ولما سأله الفريسيون : متى يأتى ملكوت الله ؟؟ أجابهم وقال : لا يأتى ملكوت الله بمراقبة ، ولا يقوتون هو ذا ههنا أو هو ذا هناك ، لأن ها ملكوت الله ... داخلكم » (٢) •

والمسلمون عندهم فكرة شفاعة رسول الاسلام فيهم يوم القيامة ...
ففى الحديث « ... وأعطيت الشفاعة ... » (٣) •

غير أن لهذه الشفاعة فى الاسلام حدودا لا تتعداها : « لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون • يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يشفعون الا لمن ارتضى » وهم من خشيته مشفقون ، « ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ، حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلى الكبير » ، « وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » (٤) ...

وحديث الشفاعة فى هذا المعنى صريح : « يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا على ربنا ليريحنا من مكاننا ... الخ » ، « آتى تحت العرش فأخر ساجدا ، فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ، ثم يقال : ارفع رأسك واشفع تشفع ... قال : فيحذلى حذا ، فادخلهم الجنة » (٥) ...

غير أن هذه الشفاعة لها أثرها وقدرها فى مغفرة الله للخطايا والذنوب • يقول ابن حزم فى مقدمة التوحيد لكتابه المحلى : « وأن شفاعة رسول الله فى أهل الكبائر من أمته حق ، فيخرجون من النار ويدخلون الجنة ... عن أنيس بن مالك أن نبى الله قال : (لك لنبى دعوة دعاها

(١) يعقوب ٢ : ١٤ - ٢٦

(٢) لو ١٧ : ٢٠ - ٢١

(٣) البخارى ومسلم والنسائى وصححه السيوطى فى الجامع الصغير : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء ... الخ »

(٤) الأنبياء ٢٧ - ٢٨ ، سبأ ٢٣ ، النجم ٢٦

(٥) ابن كثير فى سياق تفسير آية ٢٥٥ من سورة البقرة •

لأمته ، واني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة) • وعن أبي سعيد لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم – أو قال الحدرى قال : قال رسول الله : (أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم يخطاياهم – فأماتهم الله اماتة ، حتى اذا كانوا فحما أذن بالشفاعة ، فجاء بهم ٠٠٠ الخ) ، (١) •

وتختلف فكرة الشفاعة عند المسلمين عن فكرة الخلاص عند المسيحيين ، من الناحية الفلسفية ومن ناحية النتيجة الأخروية • ولكن تضيق بينهما شقة الخلاف في المجال العملي في الحياة الدنيا !

فالمسلمون والمسيحيون ينبغي عليهم أن يعملوا ولا يتواكلوا ، وفكرة الشفاعة أو فكرة الخلاص لن تغني عنهم من الله شيئا ان اجتروحوا السيئات وأصروا على ما فعلوا وهم يعلمون !

والمسلمون والمسيحيون لهم يقين في رجاء مغفرة الله ورحمته ، الا أن للمغفرة والرحمة مجالا لا يخدش عدل الله من أجل تكريم محمد أو المسيح !! ••• فلا يشمل هذا المجال الانحراف الجوهرى الأصيل ، الثابت المطرد ، في الفكر والعمل ! ولا خطر بعد ذلك أن تبقى فكرة الشفاعة وفكرة الخلاص على تمايزهما وتباينهما : في الأساس والمدى ••

« ولئن كانت فكرة افتداء المسيح بدمه خطايا اخوته بنى الانسان جميلة لاريب ، وتستحق ما كتب فيها دراسة من نواحيها الشعرية والخلقية والفلسفية ، فان المبدأ الذى قرره الاسلام من أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن كل امرئ يوم القيامة مجزى بأعماله – ان خيرا فخير وان شرا فشر ، يجعل التقريب المنطقى بين العقيدتين غير ممكن ••• » (٢) •

(١) المحلى ج ١ (طبعة المنيرة) ص ١٦ – ١٧ – في مفتاح كنوز السنة : أن الاحاديث حول الشفاعة في الكبائر مروية في الترمذى وأبى داود ومسنند الطيالسى •
(٢) دكتور هيكل : حياة محمد – المقدمة •

المسجون... ومحمد

واذا كان المسلمون يكرمون المسيح كنبي من أنبياء الله ، فليس في وسع المسيحيين أن يتخذوا نفس الموقف من محمد رسول الاسلام ...

ومع تسليمي بهذه العقدة القائمة ، فانها لا تسوغ أى قطيعة فكرية أو نفسية أو اجتماعية بين المسلمين والمسيحيين .

ان الأناجيل تورد فى ثنايا نبوءات المسيح : « ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين » ، « لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات وعجائب لكى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا » ، « فقال انظروا ولا تضلوا ، فان كثيرين سيأتون باسمى قائلين انى أنا هو والزمان قد قرب ، فلا تذهبوا وراءهم » (١) !!

والقول بقيام أنبياء كذبة بعد المسيح لا يمنع من (البحث الموضوعى الأمين) فى دعاوى الرسائل بعد المسيح ، حتى يتبين الصادق من الكاذب والصحيح من الزائف ! فالمسيح قد تكلم عن جأءوا قبله ، فوصف بعضهم بأنهم سراق ولصوص ، ولا يعنى هذا طبعاً خلو الزمان قبله من النبوات الصادقة الصحيحة : « الحق الحق أقول لكم : ان الذى لا يدخل من الباب الى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص ، وأما الذى يدخل من الباب فهو راعى الخراف ، لهذا يفتح البواب والخراف تسمع صوته فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها ، ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته ، وأما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغرباء !! » هذا المثل قاله لهم يسوع ، وأما هم فلم يفهموا ما هو الذى يكلمهم به ، فقال لهم يسوع أيضاً : الحق الحق أقول لكم : انى باب الخراف ، جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص ، ولكن الخراف لم تسمع لهم ! أنا هو الباب ، ان دخل بى أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى . السارق لا يأتى

(١) مت ٢٤ : ١١ ، مر ١٣ : ٢١ - ٢٢ ، لو ٢١ : ٨

الا ليسرق ويذبح ويهلك ، وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل . أنا هو الراعى الصالح ، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف ، وأما الذى هو أجير وليس راعيا ، الذى ليست الخراف له فى الذئب مقبلا ويترك الخراف ويبدها أما أنا فانى الراعى الصالح ، وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى ، كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب ، وأنا أضع نفسى عن الخراف » (١) .

وما أدقه من ميزان ذلك الذى نصبه المسيح ليفرق بين الأدعياء والأصلاء : « السارق لا يأتى الا ليسرق ويذبح ويهلك ، وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف ، وأما الذى هو أجير وليس راعيا الذى ليست الخراف له فى الذئب مقبلا ويترك الخراف » **والمسلمون يرحبون بهذا الميزان لتعرض عليه سيرة نبيهم ورسالته !**

وقد ألمعنا فى تقديم هذا الكتاب الى اشارة المسيح التى تستحق التأمل : « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا اطلب من الآب فيعطىكم معزيا آخر ليملك معكم الى الأبد - روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه ، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكن معكم ويكون فيكم وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته ومتى جاء المعزى الذى سارسله أنا اليكم من الآب روح الحق من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون انتم أيضا لأنكم معى فى الابتداء لكنى أقول لكم الحق : انه خير لكم أن أنطلق ، لأنه ان لم أنطلق لا يأتىكم المعزى ، ولكن ان ذهبت أرسله اليكم ، ومتى جاء ذاك يبكى العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة » (٢) !!

والاختلاف حول الأنبياء ، وتمحيص شخصياتهم ورسالاتهم ، أمر واجب فى كل حين ، وقد تعرض لذلك المسيح نفسه : « ولما جاء يسوع الى نواحي قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلا : من يقول الناس انى أنا ابن الانسان ؟ فقالوا : قوم - يوحنا المعمدان ، وآخرون - ايليا ، وآخرون - أرميا ، أو واحد من الأنبياء . قال لهم : وأنتم من تقولون انى أنا ؟ فأجاب سمعان بطرس وقال : أنت هو المسيح » ، « وخرج هذا

(١) لو ١٠ : ١ - ١٥

(٢) يو ١٤ : ١٥ - ١٧ ، ٢٦ ، ١٥ : ٢٦ - ٢٧ ، ١٦ : ٧ - ٨

الخبر عنه فى كل اليهودية وفى جميع الكورة المحيطة ، فأخبر يوحنا تلاميذه بهذا كله . فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل الى يسوع قائلاً : أنت هو الآتى أم ننتظر الآخر ؟ ، « فقال قوم من أهل أورشليم : ليس هذا هو الذين يطلبون أن يقتلوه ؟ وها هو يتكلم جهاراً ولا يقولون له شيئاً ، أعل الرؤساء عرفوا يقيناً أن هذا هو المسيح حقاً ، ولكن هذا نعلم من أين هو ، وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو » ، « فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا : هذا بالحقيقة هو النبى ، آخرون قالوا : هذا هو المسيح ، وآخرون قالوا : أعل المسيح من الجليل يأتى ؟ ألم يقل الكتاب انه من نسل داود من بيت لحم - القرية التى كان داود فيها - يأتى المسيح ؟ فحدث انشقاق فى الجمع لسببه » (١) !!

وقد كتب الأستاذ عبد الوهاب النجار فى كتابه (قصص الأنبياء) : « جاء المسيح عليه السلام ليبشر بهذا النبى الكريم (محمد) ٠٠٠ كان يعبر عن المبشر به بلفظ النبى ، وبلفظ فارقليط - وهو تعريب لفظ (بيريكلتوس) اليونانية ٠٠٠ قلت للدكتور كارلو نللينو المستشرق التليانى وأنا أعلم أنه حاصل على شهادة الدكتوراه فى آداب اللغة اليونانية القديمة : ما معنى بيريكلتوس ؟ فأجابنى بقوله : ان القسس يقولون ان هذه الكلمة معناها (المعزى) ! فقلت : انى أسأل الدكتور كارلونلينو الحاصل على الدكتوراه فى آداب اللغة اليونانية القديمة ٠٠٠ فقال : ان معناه (الذى له حمد كثير) . فقلت : هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد ؟ فقال نعم !! فقلت : ان رسول الله من أسمائه أحمد ٠٠٠ » (٢)

وكتب الأب لويس برسوم الفرنسيسكانى : « البارقليط كلمة يونانية معناها المحامى والشفيع والوسيطى والمعزى ، هو الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس ، روح الحق - بل الحق بالذات ، مساو للآب والابن فى الجوهر ٠٠٠ يعلن يسوع الرسل بأنهم لن يكونوا وحدهم فى تأدية الشهادة له ، اذ يكون بجانبهم يؤدى ذات الشهادة وعن طريقهم من هو أقوى منهم : الروح القدس ٠٠٠ غير أن يسوع يذهب أيضاً ليرسل لهم الروح القدس - المعزى الذى وعدهم ، والذى من اختصاصه تأهيلهم للرسالة الشاقة التى أناطها بهم ٠٠٠ لن يرشدهم روح الحق الى جميع التعاليم التى علمهم آياها يسوع ابان حياته الأرضية فحسب ، بل والى

(١) مت ١٦ : ١٣ - ١٦ ، مر ٨ : ٢٧ - ٢٩ ، لو ٧ : ١٧ - ١٨ ، ٩ : ١٨ - ٢٠ ،

يو ٧ : ٢٥ - ٢٧ ، ٤٠ - ٤٢

(٢) عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء (الطبعة الثالثة) ص ٣٩٧ - ٣٩٨ والهامش

جميع التعاليم التي لم يعلمهم اياها ، حيث أنه سيرشدهم الى معرفة الحق جميعه ويخبرهم بالمستقبلات أيضا • ومن هذه الحقائق ولاشك تلك التي تتعلق بالأسرار وارتداد الأمم وتأسيس الكنيسة وادارتها ••• ان الروح القدس لا يتكلم من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع من الآب والابن - بسبب وحدة الطبيعة الالهية بين الأقانيم الثلاثة ، ! على أن الارثوذكس يعتقدون أن الروح القدس ينبثق عن الآب وحده، لا الآب والابن ، ويخالفهم الكاثوليك في ذلك ويحاجونهم : « بأى سلطان اذن يرسل يسوع الروح القدس ؟؟ » (١) •

بوسع المنصف أولا أن يبحث البحث الجاد في حقيقة الاسلام ، فليس من دين يصد أهله عن البحث والنظر •••

وبوسع المنصف أخيرا أن يعتبر محمدا داعية خير ورشاد - ان لم يعتبره نبيا مرسلا ، يؤكد أساس الايمان بالله واليوم الآخر ، ويدعو لمكارم الأخلاق ، ويقيم شريعة لا تتنكر لأصل من أصول الشرائع الالهية ، ولا لمبدأ استقام أمام الفكر الانسانى •



ولقد سجل التاريخ بأصرح عبارة ، تقدير المسيحيين في مصر والشام للمسلمين ، واشارهم لهم على الروم البيزنطيين المسيحيين •••

فلنقرأ ما كتبه مؤرخ انجليزى مسيحي هو الدكتور ألفرد • ج • بتلر في كتابه (فتح العرب لمصر) ، وهو يورد فيما كتبه نصوصا نقلها من المؤرخ المسيحي أبى الفرج (١٢٢٦ - ١٢٨٦ م) - وهو مسيحي يعقوبى صار أسقفًا فبطريقًا لطائفته وله (تاريخ الدول) بالعربية و (تاريخ الكنائس) بالسريانية :

« ••• في سنة ٦٣١ هـ ذهب الامبراطور (هرقل) الى هيرابوليس ، وبدأ فيها تحقيق ما كان يرجو انفاذه من توحيد الكنيسة ، واختار أثناسيوس ، رئيسا لأساقفة أنطاكية وجعل قيرس رئيسا لأساقفة الاسكندرية •••

وكان الأمر في بلاد الشام على ما كان عليه في مصر ، اذ أخفق سعى الامبراطور هناك فأراد حمل الناس على ما أراد بالاضطهاد •••

١٠ (٦) لويس برسوم : حياة يسوع المسيح ج ٢ ص ١٦٦ ، ١٧٤ - ٥ ، ١٧٦ : ١٧٨

قال أبو الفرج : (ولما شكوا الناس الى هرقل لم يجب جوابا ، ولهذا
أنجانا الله المنتقم من الروم على يد العرب ، فعظمت نعمته لدينا أن أخرجنا
من ظلم الروم وخلصنا من كراهيتهم الشديدة وعداوتهم المرة • على أن
كنائسنا لم ترجع اليها ، لأن العرب أبقوا كل طائفة من المسيحيين على
ما كان في أيديها عند فتحهم للبلاد) ! وانه لمن المحزن أن يقرأ الانسان
مثل هذا الترحيب من قوم مسيحيين بحكم العرب ، وزعمهم أن ذلك كان
تخليصا لهم ساقه الله اليهم ليخرجهم به من حكم اخوان لهم في المسيحية !
وهكذا نجد أيضا مطرانا نسطوريا - بعد أخذ دمشق بخمسة عشر
عاما - يقول في كتابه : (وهؤلاء العرب الذين أعطاهم الله السلطان في
إيماننا لا يحاربون دين المسيح ، بل هم يدافعون عن ديننا ويجلون
قسوسنا وقديسينا ويهبون الهبات لكنائسنا وأديرتنا) ! • • »

أما الدولة البيزنطية فقد ذاق المسيحيون المخالفين لمذهبيها ألوان
الاضطهاد المرير على أيدي رجالها :

« وأبتدأ الاضطهاد الأعظم بعد مجمع الاسكندرية الذي عقده قيرس
في أكتوبر سنة ٦٣١ ٠٠٠ جاء في كتاب ساويرس : (لقد كانت هذه
السنون هي المدة التي ضُك فيها هرقل والمقوقس ، بلاد مصر ، وقد فتن
في أثنائها كثير من الناس لما نالهم من عسف الاضطهاد والظلم ، ومن
شدة العذاب الذي كان يوقعه هرقل بهم لكي يحولهم على رغبتهم عن
مذهبهم الى مذهب خلقيدونية ، فكان يعذب بعضهم ويعد البعض أحسن
الجزاء ، ويمكر بالبعض ويخدعهم) ! • • كان أخو بنيامين - البطريق -
ممن عذبوا ثم قتل غرقا ، وكان تعذيبه بأن أوقدت المشاعل وسلطت
نارها على جسمه فأخذ يحترق (حتى سأل دهنه من جاتبيه على الأرض)
- كما يقول ساويرس أسقف الأشمونين القبطي الذي كتب تاريخ حياة
البطارقة - ولكنه لم يتزعزع عن إيمانه ، فخلعت أسنانه ثم وضع في
كيس مملوء من الرمل ، وحمل في البحر حتى صار على قيد سبع غلوات
من الشاطئ ، ثم عرضوا عليه الحياة اذ هو آمن بما أقره مجلس
خلقيدونية !! • • فعلوا ذلك ثلاثا - وهو يرفض في كل مرة ، فرموا
به في البحر فمات غرقا !

ووضعت على مصر حماية الاسلام • • • تعلوا أحزابها جميعا ، فأدى
ذلك الى تنفس الناس في عباداتهم واختيار ما يشاءونه في تدينهم • • •

وأصبح القبط فى مأمن من الخوف الذى كان يلجئهم الى انكار عقيدتهم أو اخفائها تقية ومدارة ، فعادت الحياة الى مذهب القبط فى هذا الجو الجديد - جو الحرية الدينية • وما لبث أن صار مذهب الكثرة الذى يحق له أن يكون مذهب الأمة السائد وقد قضى عمرو بن العاص بأنه كذلك ، وأنفذ قضاءه بأن كتب أمانا لبنيامين - البطريق - وأقر عودته • وقيل ان الذى حدا بعمرو الى المبادرة بهذا الأمر ما أبلغه اياه رجل اسمه سنويتوس (أو هو شنوده) ••• ولكن الموضع الذى كان به بنيامين كان مجهولا لا يعلم به أحد ، ولا يعرفه شنوده نفسه ، وعلى ذلك كان لابد من كتابة أمر الأمان على هيئة كتاب لا تخصيص فيه - وكانت صورته كما يلى : (أينما كان بطريق القبط بنيامين - نعمة الحماية والأمان وعهد الله ، فليأت البطريق الى ها هنا فى أمان واطمئنان ، ليلى أمر ديانته ويرعى أهل ملته) •••

اذن فما كان أعظم ابتهاج القبط بخلاصهم مما كانوا فيه ، فقد خرجوا من عهد ظلم وعسف تطاول بهم ، وهوت بهم اليه حماقة البيزنطيين ، وآل أمرهم بعد خروجهم منه الى عهد من السلام والاطمئنان • وكانوا من قبل تحت نيرين من ظلم حكام الدنيا واضطهاد أهل الدين ، فأصبحوا وقد فك من قيدهم فى أمور الدنيا وأرخى من عنانهم ، وأما دينهم فقد صاروا فيه الى تنفس حر وأمر طليق •

وقد يقال : ان حكامهم الجديدين قد أدخلوا الى الأرض دينا غريبا غير دين المسيح ! وهذا حق ، غير أنهم لم يروا فى ذلك الا عدلا من الله ، اذ أجمع الناس على قول واحد فقالوا : (ما خرج الروم من الأرض وانتصر عليهم المسلمون ، الا لما ارتكبه هرقل من الكبائر وما أنزله بالقبط وملتهم على يد قيرس ، فقد كان هذا سبب ضياع أمر الروم وفتح المسلمين لبلاد مصر) - هكذا كان الناس يرون ، وهكذا كانوا يحكمون ، !! (١) •

وحول المعنى نفسه كتب باحث انجليزى آخر هو الأستاذ توماس أرنولد Thomas Arnold ، فى كتابه (الدعوة الى الاسلام) : The Preaching of Islam

« وقد استطاع ميخائيل الاكبر Michael the Elder بطريق أنطاكية اليعقوبى أن يحبذ - فيما كتبه فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر -

(١) بتلر : فتح العرب لمصر - (ترجمة فريد أبو حديد) - ص ١٣٨ : ١٤٢ ، ١٥٣ : ١٥٦ ، ١٦٣ ، ٣٨١ - ٣٨٢ ، ٣٨٧

ما كان قد كتبه اخوانه فى الدين ، وأن يرى اصبح الله فى الفتوح العربية ، حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الاسلامى خمسة قرون !!!

ان الجيش الاسلامى حين بلغ وادى الأردن وعسكر أبو عبيدة فى فجل ، كتب الأهالى المسيحيون فى هذه البلاد الى العرب يقولون : (يا معشر المسلمين : انتم احب الينا من الروم وان كانوا على ديننا ! انتم اوفى الينا وأداف بنا ، واكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا ، ولكنهم غلبونا على امرنا وعلى منازلنا !! وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل ، وابلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم احب اليهم من ظلم الاغريق وعسفهم !!!

لقد كان خوف الناس من أن يكرههم الامبراطور على اتباع مذهبه ، يجعل الوعد الذى قطعه المسلمون على أنفسهم بالحرية الدينية أحب الى نفوسهم من ارتباطهم بالدولة الرومانية وبأية حكومة مسيحية ! ولم تكد المخاوف الأولى التى أثارها نزول جيش فاتح فى بلادهم تتبدد ، حتى أعقبها تحمس قوى لمصلحة العرب الفاتحين !

أما ولايات الدولة البيزنطية التى سرعان ما استولى عليها المسلمون ببسالتهم ، فقد وجدت أنها تنعم بحالة من التسامح لم تعرفها طوال قرون كثيرة !! اللهم الا اذا استثنينا بعض القيود التى فرضت عليهم منعا لاثارة أى احتكاك بين أتباع الديانات المتنافسة ، أو اثارة أى تعصب ينشأ عن اظهار الطقوس الدينية فى مظهر المفاخرة ، حتى لا يؤذى ذلك الشعور الاسلامى . ويمكن الحكم على مدى هذا التسامح - الذى يلفت النظر فى تاريخ القرن السابع (!) - من هذه العهود التى أعطاها العرب لأهالى المدن التى استولوا عليها ٠٠٠ ، (١) .

هكذا استقبل المسيحيون الاسلام والمسلمين فى ديار مصر والشام ٠٠٠

وعاش المسلمون والمسيحيون معا ٠٠٠

امتزجوا وتفاعلوا ، وصهرتهم الأحداث ٠٠٠

(١) أرنولد : الدعوة الى الاسلام - (ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن وعابدين والنحراوى) - ص ٥٣ وما بعدها .

● امتزاجا لا يهمل قدر الدين ، فهؤلاء وهؤلاء متدينون ...
ولا يقوم على النفاق والمداينة ، فهذا ما لا يرتضيه الاسلام ولا
ترتضيه المسيحية ...

● وانما يأتى التجاوب من أعماق النفس ...
ويأتى التفاهم من الأصول الفكرية التى قررهما المسيح ومحمد -
اللذان أبلغا رسالة الله الى الناس كي يسعدوا دنياهم بهدى دينهم ...
لا ليشقوا أنفسهم بالفرقة والشقاق !

« ان الدين والتدين لأحوج الى السلام الدينى فى حياة الأديان
ذاتها منهما الى أشياء أخرى ، تثبت بهما معالمهما فى الوجود .

وأما حاجة الحياة الى السلام الدينى فعلى قدر ما تعاني من آثار
الحرب المدنية ، على اختلاف صنوفها وميادينها ، ثم ما عانت فى تاريخها
الطويل من الحرب الدينية - سافرة حيناً ، ومقنعة تارة ، ومؤجبة
لأسباب الحرب المدنية ...

لا أحسب أن قسوة التجارب الماضية تبعد هذا السلام الى حد
الاستحالة - بل هو ممكن - وان أعوزه غير قليل من الشجاعة : شجاعة
القوى المتكتلة فردية واجتماعية ، ومثل هذه القوى الشجاعة - شجاعة
النفوس فى مقاومة أهوائها وأخطائها ... » (١)

تلك كلمة مخصصة ، من أديب مبرز بين المسلمين ...

وفى « قاعة الامام محمد عبده » بجامعة الأزهر ألقى نيافة الكردينال
كوننج رئيس أساقفة النمسا بحثه القيم عن « التوحيد فى العالم المعاصر »
وذلك فى ٣١ مارس ١٩٦٥ ، كان مما جاء فيها :

« وبدافع من مصادر القوة فى كل منهما ومن آيمان أتباعهما يتوجه
كل من الدينين الى الناس ، كل منها يدعو الى اعتناقه والدخول فيه ،
وبهذه الدعوة المعلنة يبدأ الحوار بين المسيحية والاسلام . وحين يتجه
الدينان الى الناس بالدعوة لله الحق الصمد ، وكل منها يستلهم وحياً
منزلاً تختلف صورته فى كل منهما اختلافاً يصل حد التناقض ، لا بد أن
يتساءل الناس عن وجه الحق فى كل منهما ، ولا نستطيع أن ننكر أن

(١) أمين الحولى : مقال (سلام دينى يحتاج اليه الدين والحياة) - العدد الخامس من
المجلة مايو ١٩٥٧

حماس دعاة كل من الدينين يقوم عند اتباع أحد الدينين على الايمان العميق بصدق الرسالة ، ولكن هذا الايمان العميق لا يجيب عن تساؤل المتسائلين عن معنى الدين الآخر ومكانته عند الله . والى هذا يشير القرآن الكريم (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا) . هذا هو موقف التوحيد اليوم وهذه هى قضيته الرئيسية الكبرى . واذا كنا نقرر ايماننا وقدسيته واذا كنا جادين فى دعوة غيرنا اليه فلن نستطيع بحال أن ننسى هذه القضية الكبرى أو نغفل عنها . ونحن نعلم جميعا أن (لاهوت المسيحية) يختلف عن (علم الكلام) عند المسلمين ، ولو أن اللاهوت وعلم الكلام يواجهان نفس الموقف اليوم وفى عالمنا المعاصر لا تكون مهمة اللاهوت المسيحى وعلم الكلام عند المسلمين حل الصغير من القضايا بل لابد لنا جميعا أن نشغل أنفسنا ببقاء الفكر الذى لا يرتكز على عقيدة التوحيد . ويتوقف امكان المجابهة المتبادلة لقضايانا المشتركة على التسليم بأمور منها : الأساس المشترك للتوحيد والرابطة المشتركة التى تربط بين الدينين لأن كلا منهما دين كتاب ، واحترام اتباع كل دين للآخر باعتباره سبيلا يسره الله للانسان ليبلغ غايته على أنه ليس فى هذا الاحترام ما يتطلب تخلى صاحب الدين عن دينه أو ما ينقض ايمانه بأن دينه هو وحده الحق المطلق ، ثم هناك المبدأ الذى يؤمن به المسيحيون والمسلمون على السواء وتنادى به الآية الكريمة (لا اكراه فى الدين) ولا يجرح هذا المبدأ ما شجر بينهم من خلافات فى عصور التاريخ هذا بعض ما عن لى من آراء حاولت بها أن أحدد موقف التوحيد فى عالم اليوم ، ولم أرد أن أحدد بها الوسائل العملية التى نستطيع أن نعد بها للقاءات بين أبناء الدينين ولكننى قصدت من ورائها أن أبرز القضية الكبرى وما يتطلبه الاعداد للقاءات مخلصه صادقة بينهما

... ونظرة سريعة الى الموقف العالمى اليوم توضح أن الانسان لا ينتقص من حريته الا بقدر تحرره من عبوديته لله ، لأن مثل هذا التحرر هو فى ذاته عبودية من وجوه كثيرة ، لأنه يمنح كل صاحب سلطان قدرة لا تحد على من هم تحت يده . فاذا استبعدنا من أى نظام انسانى مسئولية الانسان أمام خالقه فاننا نستبعد فى نفس الوقت كل حائل بين الانسان وبين التردى فى مهاوى الاستعباد بصورة المختلفة . نحن لا ندعو الى خضوع البشر للبشر ولكننا ندعو الى كرامة الانسان التى لا تقوم الا بفضل الله ورحمته . وكل سلطة للبشر لابد أن تقف عند حدود مسئوليتها أمام الله ، والتوحيد عدو لكل من نصب نفسه معيارا للحياة الانسانية فى هذه الأرض ، فلسنا نحن الذين نقوم على أمر تنظيماتنا الاجتماعية والدينية

فإن لها كلها ربا يحميها هو رب العالمين . وليكن همنا أن نعين الناس على أن يستجيبوا لأمر الله فيقيموا حياتهم وفق أمره ومشيئته ولعل السبب الرئيسي لهجوم المادية الملحدة على التوحيد هو أنها تعتبر الانسان وحده ربا لهذا العالم والصلات بين الاسلام والمسيحية قديمة ولا بد لنا من أن نعترف بأنها لم تكن دائما ودية . ولكن لعل مما يسرى عنا في هذا الصدد ما نراه في كتابات العالم المسيحي يوحنا الدمشقي مثلا وما يبرز في نظامها العام من صلات بعلم الكلام عند المسلمين أو ثق من صلاتها بعلم اللاهوت في الغرب . ونستطيع أن نتبين في هذا المقام أن علماءنا وعلماءكم يستطيعون في لقائنا مع الاتحاد أن يتبادلوا من الخبرات ما يعينهم على هذه الحرب التي يخوضها التوحيد اليوم فيتعلم علماء المسيحيين من علماء الاسلام واقعية العرض ووضوحه كما يتعلم علماء الاسلام من علماء المسيحية دقة الشكل ومنطقيته . وينبغي علينا جميعا الى جانب ذلك كله أن نكون على حذر من الجهود السائدة التي تدعو الى الوحدة حتى لا يغرر بنا الى رقة في العقيدة لا نكتثر معها الى أى دين ننتمى وحتى لا نسهم في دعم قضية الاتحاد لأن الاتحاد المتحرر ينادى بأن الأديان كلها متشابهة وهو يعنى بذلك أن الأديان كلها باطلة . وعلى المسئولين بيننا في نفس الوقت أن يعززوا وسائل الفهم والادراك والتسامح فيما بيننا دون أن يسمحوا للحدود الفاصلة أن تزول أو تنهدم . وأقصد بالتسامح لا أن لا يبادىء أحدا الآخر أو يلقاه بعدوان فحسب ولكن أن نتعلم كيف نتعاون في قضايا الدين وآخلاق عامة وفي القضايا الاجتماعية بوجه خاص حتى لا نلام على تجاهل المتطلبات المادية التي لا بد أن تقتضيها الكرامة الانسانية التي ندعو اليها ، (١) .

والقرآن يرسى القواعد الفكرية والعملية للسلام الديني المنشود :

● « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم » . . .

● « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » . . .

● « قل أتتجادلوننا في الله وهو ربنا وربكم ، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم . . . ونحن له مخلصون ؟ ؟ »

(١) خطاب الكردينال كوننج في جامعة الأزهر - ٣١ مارس ١٩٦٥

● « فلذلك فادع ... واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ،
وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ... »

الله ربنا وربكم ...
لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ...

لا حجة بيننا وبينكم ...

الله يجمع بيننا ، واليه المصير «

● « ... ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا
نصارى ... »

ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا ، وانهم لا يستكبرون .

واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ، ترى أعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا من الحق ، يقولون : ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين . وما لنا
لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ، ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم
الصالحين !

فأثابهم الله بما قالوا ... جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين
فيها - وذلك جزاء المحسنين ، (١) !!

(١) المائدة ٦٨ ، البقرة ١٢٩ ، الشورى ١٥ ، المائدة ٨٢ - ٨٥

وبعد :

فلقد وعى التاريخ صورة نفسية معبرة ، لمسلم لو وزن ايمانه بايمان
أمته لرجحها - كما شهد له نبي الاسلام ...

هذا المسلم المؤمن الصادق الغيور ، قد اتسع أفقه فعرف أن قضية
(التدين) عموما قضيته ... فاندفعت عواطفه تظاهر المسيحيين الروم ،
فى صراعهم مع الفرس المجوس عباد النار ، فى الديار المقدسة من أرض
الشام ...

كان يتابع جهادهم ، ويشد على أيديهم ، ويفرح لانتصاراتهم ، على
تنائى الديار ...

حتى اذا ربح الفرس الجولة وخسرها الروم ، أبت مشاعره الملهمة
التسليم بالهزيمة ... فاندفع يراهن على أن الروم سوف ينتصرون ،
ولو بعد حين !!

وينتظر المسلم المؤمن الصادق الغيور على أحر من الجمر ، مترقبا
تحقق نبوءته وكسب رهانه ...

ويسجل القرآن هذا الموقف الكريم ، ويبشر نبي الاسلام المؤمنين
بفرحة النصر للمتدينين - عن قريب :

« غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم - سيغلبون
فى بضع سنين • لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر
الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم • وعد الله لا يخلف الله وعده ،
ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (١) ...

وبطل القصة ... هو المؤمن الأول ، والخليفة الأول : أبو بكر
الصديق -ضى الله : .

ان حدينين جميعا ، يحسنون للانسانية ويكسبون كثيرا للايمان
لو بذلوا كل جهودهم لاقرار (الحقيقة) فى العقيدة دون اعتساف ،
و (الفضيلة) فى الدين - دون تزمت ! •

(١) سورة الروم ٢

ويوم يبدأ الانتصار للدين بأهواء العصبية ، فقد بدأ العمل للدين
من طريق (اللادين) !!!

والدين لا يأتى ليرفع عن الناس حواجز وسدودا من نوع ، ليقيم
حواجز وسدودا من نوع جديد ٠٠٠ انه لا يرفع حواجز الطبقة والسطوة
والعصبية ، ليشقى الناس بحواجز أخرى من حزازات الدين والمذهب
والطائفة !!

ويوم ينصف المتدينون فى فهم (الدين) والدعوة له ، يسخر
المسيحيون من استغلال المسيحية السمحاء لخدمة مصالح الرجل الأبيض
فى أفريقيا وآسيا ، ويسخر المسلمون من تستر الاستعمار وراء الاسلام
فى بعض الأحيان !!

ويومها يسر المسلمون لو انتشرت المسيحية انتشارا نزيها سليما
بريثا فى أية بقعة من بقاع الأرض ، لأنها ستحمل معها نور الحياة وأمل
الراحة لجميع المتعبين !

كذلك يسر المسيحيون لو جدد المسلمون فهمهم لدينهم وعملهم
بتعاليمه ، ولا يرون فى هذا خطرا الا على سراق الشعوب !!

لنبدا من ديارنا ، مهد النبوات والديانات ٠٠٠

الشرق البرىء من المطامع ، المتطلع للنهوض ٠٠٠

● « فاعبد الله مخلصا له الدين .

ألا لله ٠٠٠ الدين الخالص ٠٠٠ »

● « قل يا قوم اعملوا على مكانتكم ٠٠٠ انى عامل ، فسوف
تعلمون ٠٠٠ »

● « ٠٠٠ فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ..
وما أنت عليهم بوكيل . »

● « قل اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة
٠٠٠ أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا يختلفون . »

● « ٠٠٠ وانا أو اياكم لعلى هدى ٠٠٠ أو فى ضلال مبين !!

قل لا تسئلون عما أجرمنا ! ٠٠٠ ولا نسئل عما تعملون !

قل يجمع بيننا ربنا ٠٠٠ ثم يفتح بيننا بالحق - وهو الفتاح
العليم « (١) .

(١) الآيات من سورة الزمر ٢ - ٣ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٦ ، سبا ٢٤ : ٢٦

تصويب

● يرجى استكمال الهوامش المبينة بعد على النحو التالي :

— يضاف للهامش رقم (١) من ص ١٨ (السطر ٢٨) ما يلي :

على أن هذا لا يفض من قدر ابن حزم في منهجيته العلمية أو منطقته الجمدلي .
« وحسبنا أن نحيل القارئ الى الجزئين ١ ، ٢ من كتاب (الفصل في الملل والأهواء والنحل) فانهما ملينان بالكثير من المناقشات الدقيقة لنصوص التوراه والانجيل ، لا من وجهة نظر عقلية فحسب وانما من وجهة نظر تاريخية أيضا . وقد كان ابن حزم اسبق من الكثير من علماء الأديان ورجال النقد التاريخي الى دراسة التوراة والانجيل بروح الفيلسوف المتعمق والمؤرخ الفاحص المدقق ، حتى اننا لنجد في تضاعيف كتبه الكثير من الآراء التي سوف يرددها من بعد خصوم المسيحية من أمثال دافيد شتراوس وبرونوبوم ورينان وغيرهم . وقد يكون من الطريف أن يعمد الباحث الى القيام بدراسة مقارنة لكتب ابن حزم في نقد الديانتين اليهودية والمسيحية ومؤلفات أنصار الفكر الحر من رجالات المدرسة الانجليزية المعاصرة فانه واجد بلا شك لدى فيلسوفنا العربي الكثير من الآراء المطابقة لما انتهى اليه أولئك (المفكرون الأحرار) — د . زكريا ابراهيم : ابن حزم الاندلسي — اعلام العرب ع ٥٦ » .

— يوضع رقم (١) في آخر السطر ١٢ من ص ٣١٤ . وفي آخر الصفحة يوضع هامش برقم (١) أمامه ما يلي :

تعددت اتصالات الفاتيكان أخيرا بدول الكتلة الشرقية (المجر ، يوغوسلافيا ، الاتحاد السوفيتي ، تشيكوسلوفاكيا ...) وقد استقبل البابا بول السادس جروميكو وزير الخارجية السوفيتي ، وقد أوصى تولياتي الزعيم الشيوعي الايطالي الراحل بضرورة مراعاة الطابع الكاثوليكي في الواقع الايطالي .

— يضاف للهامش رقم (٤) من ص ٣٤٢ (السطر ٣٠) ما يلي :

والفصح كلمة عبرية معناها الاجتياز والعبور ، وعيد الفصح ذكرى لخروج بني اسرائيل من دار العبودية ونجاة أبكارهم عندما أرسل الله ملكا ليسيد أبكار المصريين جميعا ، فلما مر ببيوت العبرانيين ورأى على أبوابها دم (الحمل الفصحى) جاز عنها وعبر . وكان الله قد أمرهم أن يأخذوا في اليوم العاشر من شهر أبيب (نيسان) حملا ذكرا صحيحا حوليا من الضأن أو المعز ، فيحفظ الى اليوم الرابع عشر منه — فيلذبحه رب البيت بين

بعد الغروب وتماحه ويأكله مع ذويه مشويا بخبز من الفطير مع أعشاب مرة ، فان كان عدد أفراد الأسرة اقل من العشرة فعلى رب البيت أن يشرك فيه جاره ولا يتبقى منه شيء للغد « سبعة أيام تاكلون فطيرا ، فى اليوم الاول تخلون منازلكم من الخمر ، فان كل من اكل خميرا من اليوم الاول الى اليوم السابع تنقرض تلك النفس من اسرائيل . ويكون لكم فى اليوم الاول احتفال مقدس ، وفى اليوم السابع احتفال مقدس لا يعمل فيه عمل الا ما يؤكل ... واحفظوا هذا اليوم مدى اجيالكم فريضة أبدية فى الشهر الاول ، وفى اليوم الرابع عشر منه بالعشى . كلوا فطرا الى اليوم الحادى والعشرين من الشهر بالعشى ... واذا قال لكم بنوكم : ما هذه العبادة ؟ فقولوا : هى ذبيحة فصيح للرب الذى عبر عن بيوت اسرائيل بمصر ، اذ ضرب المصريين وخلص بيوتنا » « خروج ١٢ : ١٥ - ٢٧ » وكان عيد الفصح أكبر أعياد اليهود وسمى أيضا بعيد الفطير وقد تطور الاحتفال به على مر السنين وأهم الطقوس الجديدة فى العشاء الفصحى على عهد المسيح : ان تدار على المتكئين أربع كنوس خمر ويدار طست ماء لغسل الأيدي بعد الكأس الأولى تذكارا لعبور البحر الاحمر . ويرمز الحمل الفصحى عند المسيحيين الى حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم - أى المسيح ، أما الفصح فهو تجديد وانتقال من حال الى حال « اذن نقوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجينا جديدا كما أنكم فطير ، لان فصحننا أيضا المسيح قد ذبح لاجلنا . اذن لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الاخلاص والحق » (١ كور ٥ : ٧ - ٨) لويس برسوم حياة يسوع المسيح ح ٢ ص ١٣٦ - ٧ ، ١٤٢ : ٥ .

— يضاف للهامش رقم (١) ص ٤٢١ (بعد السطر ٢٩) ما يلى :

مادة Gnosticism فى :

Encyclopaedia of Religions, Ethies

Encyclopaedia Britannica

Encyclopaedia of Colombia

وأىضا : الموسوعة العربية الميسرة .

ويقول يوسف كرم أن مبدأ الغنوصية أن العرفان الحق ليس العلم بوساطة المعانى المجردة والاستدلال كالفلسفة وانما هو العرفان الحدسى التجريدى الحاصل عن اتحاد العارف بالمرئوف « فالغنوصية دسوفية تزعم انها المثل الاعلى للمعرفة وترجع بأصلها الى وحى أنزله الله منذ البدء وتناقله المريدون سرا ... وكانت الغنوصية تعدو على الادباز والملاهب بالتأويل والتحوير ، وما كادت المسيحية تظهر حتى تناولتها الغنوصية فتزيت بزيتها ونافستها منافسة قوية - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤٤ و ٢٥٥ »

ويقول الاب فرنسيس فرييه « الغنوصية مزيج من آراء فلسفية واساطير دينية وحيث بالثنائية الفارسية التى تقرر النزاع المحتدم باستمرار بين المادة والروح ، كما رحبت بالنظرية الافلاطونية التى وضعت الاله فى مكان قصى لا يدركه الفكر ولا يمكنه الوصول اليه ، فلما وجدوا الفراغ جسيما بين الله والعالم اقبلوا بملأونه بكائنات يسمونها (ايونات) أو (ديمورج) تكون وسيطة بين الله والعالم ، وزعموا أن المسيح أحد هذه الايونات نزل فى انسان اسمه يسوع وليس جسما خياليا ليحرر النفس البشرية من سجن المادة ، وهكذا لا يكون جسما حقيقيا بما أن جسمه خيالى ومن هنا

جاء رأى (الدوسيت) الذى ينكر الجسم المادى الذى اتخذته الكلمة وزعموا انه لم يظهر الا فى شبه جسم ، وزعم بعض (الدوسيت) أن سمعان القيروانى هو الذى صلب عوض عن المسيح ، وزعم البعض الآخر أن المسيح الروحانى انفصل عن المسيح النفسانى ليس قبيل الموت وحسب وانما منذ بداية الالام بحيث ان الذى تألم ومات ليس هو المسيح الحقيقى وانما هو شبه له فقط - (التجسد : ترجمة الآب لويس أبادير ص ٢٩ : ٣١ هذا وقد جرى تعريب هذا الاصطلاح الفلسفى لكلمة (غنوصية) أو غنسطية على السواء .

● وقد وقعت أخطاء وبخاصة فى ترقيم بعض الهوامش وفى أرقام الآيات وصفحات المراجع الواردة فيها يرجى التفصل بتصويبها على النحو التالى :

الصفحة	السطر	الخطأ	التصويب
٧	٧	مقابا	مقببا
١١	١٧	—	يضاف أول السطر كلمة (فى)
١٨	٢٦	لهذا	بهذا
١٩	٣١ (هامش ١)	مت — ٢٥ ، ٣١	مت — ٢٥ : ٣١
٢٣	٣١ (هامش ١)	ص ١٦٨ —	ص ١٦٨ — ٩
٢٨	٢	ليترسون سميت	محذوف
٢٨	١١	الحكمة والتممة	الحكمة والقامة والتممة
٢٨	١٥	بلغ	بلغ المسيح
٣١	٢٥	مضيت	مضت
٣٢	٢٦	جشيمانى	جشيمانى
٣٣	٨	بعد السطر ٨	يضاف اسم الكتاب فى اصله بالانجليزية A People's Life of Christ وله ترجمة عربية بعنوان (حياة يسوع) لحبيب سعيد .
٣٨	٤	ولدى	وادی
٤٠	١٠	Tirus	Titus
٤٢	٢١	٣ أعمال ١ : ١١	١ أعمال ٣ : ١١
٥٣	٣	أو جزء	أوجز
٥٣	٣٠ (هامش ١)	ص ٢٥١ — ٢١٦	ص ٢١٥ — ٢١٦
٥٥	٢٠	منجيه	تنجيه
٥٦	٢١ (هامش ١)	Buyton... etc.	Buxton : Peoples of Asia (Ch. The Near East)
٦٠	٢٩ (هامش ١)	مر ٧ : ١٤٦	مر ٧ : ٢٦
٦٤	٦	Rabi	Rabbi
٧١	١٧	Ehohim , Jeovah	Elohim 'e ovah
٧٣	٢٩ (هامش ٢)	مت — ٢٤ — ٥	مت — ٢٤ — ٥
٧٤	٢١ ، بعد السطر ٢٢	—	يوضع رقم (٢) آخر السطر ويضاف الى الهوامش هامش برقم (٢) امامه يو ٢ : ٢٢ .

الصفحة	السطر	الخلا	التصويب
٧٥	٢١	Centurio	Centurion
٨٥	٢٣	—	يضاف الى اول السطر (واذا) كان تيبيريوس) ص ٢٩ - ٤٠
٨٦	٢٢ (هامش ١)	ص ٢٩ - ٤٥	Aurlien
٨٧	١٩	Aarelian	نظرا
٩١	١١	نقرا	الرومان
٩٢	١٥	الرومان	قيافا
٩٢	١٨	تيافا	الثورة العامة الشاملة
٩٢	٢٠	الثارة العملة الشاللة	
من ص ٩٦ إلى ص ٩٧	٢٣	الموضع الصحيح لهذه الفقرات صفحة ١٠٠ بعد السطر ٨ على أن يصحح اسم (فيليب الثالث) الوارد في اول هذه السطور الى (فيليب الثالثي) . والنص المنقول عنه مأخوذ من كتاب « الفداء » ترجمة لويس أبيادير ص ١١٢ - ٣ . كذلك تصحح كلمة Messias الى Messia	
٩٩	٢٣ (هامش ١)	مر ١٩ : ٣٧	مر ٩ : ٣٧
١٠١	٧٤٦	Arrher Drews	Arthur Drews
			وتنقل لاول السطر التالي بعد كلمة (فيها) بيزر
١٠٢	٢٠	وبرز	EpCctitus
١٠٤	١٧	ص ٢٥٢	ص ٢٢٢
١٠٦	٣٢ (هامش ١)	خاجات	حاجات
١١٤	٢٣	كولوسي	كولوسي
١١٥	١٣٤٣	—	الكلام متصل في السطرين، ولا يوجد فراغ الى تيموثاوس اكليمندوس وترجع
١١٥	١٢٤١١	—	مت ٣ : ٢٤
١١٧	٢٥	اليها	لو ١٠ : ٨ - ١
١١٧	٢٨	اكليمندوس	يو ٣ : ٢٥ - ٢٦
١١٨	٢٨	ودرجع	ص ٤٦ - ٤٧ ، ٤٩ ... الخ
١٢٨	٣١ (هامش ٣)	مت ٣ : ٢٤	ص ١٣ : ١٦
١٣١	٣٠ (هامش ١)	لو ١٠ : ٨ - ١	يقول
١٣٢	١٩ (هامش ٢)	يوم ٢٥ : ٢٦ - ٢٧	الكلام في السطرين متصل، ولا يوجد فراغ
١٣٦	٣١ (هامش ١)	ص ٤٦ - ٤٩	معانيه
١٣٧	٩ (هامش ١)	ص ١٣ : ١٩	ص ٤٢
١٤١	٢٦	تعديل	الاحجار تتكلم
١٤١	٢٨ ، ٢٧	—	يوضع رقم (١) بعد كلمة (خلافة) الى ٤٤٤٣٤٢ ، ٤٠٣ ، ٢٠١ ، ٤٠٣
١٤٢	١	مهاينه	تعديل الارقام
١٥٠	١٠ (هامش ١)	ص ٤٣	٤٠٣ ، ٢٠١ ، ٤٠٣
١٥٧	٢٤ (هامش ١)	الاحجار الكريمة	٤٠٣ ، ٢٠١ ، ٤٠٣
١٦٤	٣	—	٤٠٣ ، ٢٠١ ، ٤٠٣
١٦٤	في السطر ٤ ، ٢٢ ، ٢٥	٤٠٣ ، ٢٠١ ، ٤٠٣	٤٠٣ ، ٢٠١ ، ٤٠٣

الصفحة	السطر	الخطا	التصويب
١٦٤	بعد السطر ٢٩ (الهوامش ٢ : ٤)	—	يضاف هامش برقم (١) أمامه: ستيفن نيل : ما هو الانسان؟ ترجمه مطر ص ١٩ وعدل أرقام الهوامش (٢) ، (٣) ، (٤) الى (٣) ، (٤) ، (٥) على التوالي
١٦٦	١٤	يسفد	يستفد
١٦٧	٨	المامويه	المانوية
١٦٧	١٠	للحسد	للجسد
١٧٢	٣٢ (هامش ٢)	مابوى	بابوى
١٧٣	١٨ ، ١٥	(١) ، (٢)	يصير الرقمان (٢) ، (٣) على التوالي
١٧٣	١٩ (هامش ١)	—	يضاف هامش برقم (١) أمامه: العقاد : عقائد المفسرين فى القرن العشرين ص ١٥٦ ويعدل ترقيم الهامشين (١) ، (٢) الى (٢)،(٣) على التوالي برارا - ويضاف بعد نهاية النص (مت ٩ : ١٣) للعشارين
١٧٦	١٧	للعشورين	من
١٨١	٢٣	مش	الطليقة
١٨٥	٢٣	العليقة	التيتم
١٨٧	١٤	التميم	يعلمون
١٩١	١٦	يعملون	أعمال ١٠ : ١٤ - ٦ ويضاف فى نهاية الهامش (رومية ١٤ : ٢٠)
١٩٣	٣٣ (هامش ٣)	أعمال ١ : ١٥ - ٦	الجسد
١٩٦	٢٣	الحسد	يطلب
٢٠٥	١٥	يطب	لو — ١٨ : ٣٥ - ٤٣
٢٠٨	٢٤ (هامش ١)	لو - ١٨ : ٥٣-٤٣	لو ٨ : ٤١ - ٥٦
٢١٤	٣٠ (هامش ١)	لو ٨ : ٤١ - ٦	الذى
٢٢٨	١١	التي	يضاف
٢٣٣	٢	يضاف	الاهم
٢٣٥	١٥	الامم	٧ - ١١
٢٤١	٢٦ (هامش ٢)	١٧ - ١١	يوضع فى آخر سطر ١٤ رقم (١) ويعدل الرقم فى آخر السطر ٢٢ الى (٢) ويضاف هامش برقم (١) أمامه : لويس برسوم : حياة يسوع المسيح ج ٢ ص ٢٥٠ ويعطى الهامش الموجود من قبل رقم (٢) بدلا من (١)
٢٤٢	١٤ ، ٢٢ ، الهوامش	—	

الصفحة	السطر	الخطا	التصويب
٢٤٣	٢٩ (هامش ١)	لويس برسوم... الخ	يحذف
٢٤٤	٣٠ (هامش ٤)	١٨ - ١٣	١٨ - ١٢
٢٤٤	٣٢ (هامش ٦)	٥٢ - ٣٥	٥٢، ٣٥
٢٤٦	٣١ (هامش ٢)	١٦٠ - ١١٩	١٦٠ - ١٥٩
٢٤٩	٢٤	احبتكم	احبتكم
٢٤٩	٢٩ (هامش ١)	مت ١٠ : ١ - ١٥	مت ١٠ : ٥ - ١٥
٢٥٠	٣٠ (هامش ٣)	٢١ - ١٧	٢١ - ١٧
٢٥٣	١	Presbytyrions	Presbyteros
٢٥٥	٢٨ (هامش ٢)	٤٤ - ١٤	٤٤ - ٤١
٢٥٩	٢٩ (هامش ١)	مت ٢٤ : ٩ - ٥١	مت ٢٤ : ٩ - ١٥
٢٦٢	٢٨ (هامش ١)	—	تضاف (ج ١) قبل ارقام الصفحات
٢٦٢	٢٩ (هامش ١)	٢٤٦	١٤٦
٢٦٢	٣٠ (هامش ٢)	١٢ - ١٩	٢١ - ١٩
٢٦٦	٢٠	اغسطسين	اغسطين
٢٦٨	٢٥	فن	من
٢٦٩	٢١	مؤتمر	مؤتمرا
٢٧٠	٢	بما	ما
٢٧١	٨	خروج	خروجا
٢٧١	١٥	وتكن وراءه درافع	وتكن وراءه دوافع
٢٧١	٢٧	جاء	جاء
٢٧٣	٢٩	لفجعتنه	لفجيعته
٢٧٤	١٤	ص ٤٤ - ٥	مخوف
٢٧٦	٥	نلمس وجوها	نلمس وجوها
٢٨١	٦	او تنتهي منه	او تنهى عنه
٢٨١	١٢	الموضع الصحيح لهذا السطر	بعد السطر ٩
٢٨١	٢٣	Rober	Roger
٢٨٢	٢٨	فاوافوا	لاوافوا
٢٨٣	٤	حرب	حرب
٢٨٣	١٩	شحوها... ظهورها	شحوهما... ظهورهما
٢٨٤	١٢	سمعنم	سمعنم
٢٨٦	بعد السطر ٥	—	الموضع الصحيح للفصل (على شكل نجوم) بعد السطر ٧
٢٨٨	٢٢	لا تناقد	لاناقد
٢٨٩	٢٩	نورط	نورط
٢٩٠	١٤	ا ف	ا ف (اى السوس)
٢٩٠	١٧	كان	كانوا
٢٩٠	٢٦	توجد	نوجد
٢٩٢	٣	نحت	نحت
٢٩١	٨	قلماذا الناموس...	تحذف هذه العبارة لانها تكررت في السطر التالي
٢٩٢	٢٥	تم	دم
٢٩٢	٢٩ (هامش ١)	بولس كلاسبر... الخ	فلاطية ٥ : ١٦ - ٢٥
٢٩٥	٢٩	واحد	واحدا

الصفحة	السطر	الخطا	التصويب
٢٩٦	٢٤	أحد	أحدا
٢٩٦	٢٧ (هامش ٣)	لو ...	يو ...
٢٩٧	٢	وما	وهذا
٢٩٨	٥	الخذر	الحذر
٢٩٨	٣٠ ، ٣١ (هامش ٣٤٢)	يعطى هامش (٣) رقم (٢)	ويعطى هامش (٢) رقم (٢)
٣٠٢	١٦	بها	بهما
٣٠٤	٢٩ (هامش ٢)	بينز .. الخ	بترسون سمث : حياة يسوع ترجمة حبيب سعيد ص ٨٤ : ٧
٣٠٧	١٩	نبرز	تبرز
٣٠٩	٧	يتدركوا	يتداركوا
٣١٠	١٨	وسومطرة	وسوقطرة
٣١٢	١٦	اللاتين والاغريق	اللاتينية والاغريقية
٣١٢	٢٢	الرهينة	الرهينة
٣١٤	١	تكون	تكون أمام
٣١٤	٢٠	كاتب كاثوليكي	الكاتب الكاثوليكي
٣١٤	٢٢	تسير أرانا	تسيرأ رانا
٣١٦	٧	عن	ومن
٣١٧	٧	مث	مت
٣٢٢	٢١	ينسوه	ينسونه
٣٢٦	٢٩	دورنثوس ١ : ٣ - ٥١	١ كور ١١ : ٢ - ١٥
٣٢٧	١	الرنا	الزنا
٣٢٧	٦	المتزوجين	المتزوجون
٣٢٨	٦	يحسب	بحسب
٣٢٨	٢٨	والكنيسة	والكنيسة
٣٢٨	٢٢	الأعمال	الأعمار
٣٣١	٦	كل ما له	وكل ماله
٣٣٣	٢٦	عند	عنده
٣٣٤	٢٣ (هامش ٣)	الأنفال ٧	الأنفال ٧٠
٣٣٥	١	الفقرة	الفقر
٣٣٧	١٣ ، ٦	(١) ، (٢)	(٢) ، (٣)
٣٣٧	٢٨ (هامش ٢)	—	يكون هامش (١) كما يلي : مت ٢٦ : ٦ - ١٣ ، مر ١٤ : ٣ - ٩ ، لو ٧ : ٣٦ - ٩ ، يو ١٢ : ١ - ٨ اما الهامشان الوجودان برقم (١) ، (٢) فيمثل ترقيمهتا الى (٢) ، (٣) على التوالي ١ تيموثاوس آثارهم ورحمة يحمي ٢ تيموثاوس
٣٤٠	٣٠ (هامش ٢)	تيموثاوس	١ تيموثاوس
٣٤٢	٦	آثارها	آثارهم
٣٤٣	٧	رحمة	ورحمة
٣٤٤	٢٨	تحمي	يحمي
٣٤٤	٣٦	انيموثاوس	٢ تيموثاوس

الصفحة	السطر	الخط	التصويب
٢٤٥	٣١ (هامش ١)	التوبة ٣٤ - ٥	الحديد ١٠ ، ٧ - ١١
٢٤٦	٣٢	الحديد ٩٦٧ - ١٠	التوبة ٣٤ - ٥
٢٤٩	٢١	مجلات الثقافة ... الخ	محذوف
٢٥١	٢٣	بوضوح	بوضوح
٢٥٢	١	نوزع	نوزع
٢٥٣	٢	واذ	واذا
٢٥٣	٥	تفرضها	تفرضه
٢٦١	٣١ (هامش ١)	لكننا	لكنها
٢٦٢	٢٢	٢٠	٢٠
٢٦٦	٢	ملك	ملك
٢٦٦	٣	على أساس التفسير	على أساس التفسير السابق
٢٦٧	٧	لا يتأني	لا يتأني
٢٦٧	٢٨	الجليلون	الجليليون
		—	يوضع رقم (٣) في آخر السطر..
			ويضاف هامش برقم (٣) أمامه:-
			لو ٤ : ١٦ - ١٨
٢٧٠	١٢ (هامش ٢)	ج ١١	ج ١
٢٧٦	٨	تجمل	تجمل
٢٧٦	٢١	نسمع	تسمع
٢٨١	٢٧	آخرين	آخرين
٢٩٠	٦	المحافل	والمحافل
٢٩١	٢٨	سباق	سياق
٢٩٨	٢٣ - ٢٤	رسكربتوس 'Spiritus	سكربتوس . وفي أول السطر
			التالي تصحح الكلمة اللاتينية:
			الى Scriptus
٢٩٨	٢٨	٦ م	١٦ م
٤٠٢	٢٩ (هامش ٣)	مت ١٢ : ٢٢	مت ١٢ : ٣١ - ٣٢
٤٠٣	١٦	(٢)	(٣)
٤٠٣	١٩	—	يحذف
٤٠٤	٨	يجاهل	يتجاهل
٤٠٧	١٧	نجلب	تجلب
٤٠٨	١٨	وظهروه	وظهروه
٤٠٩	١٠	والزبور والانجيل ...	يحذف السطر ويوضع موضعه:-
			في القرآن على دينهم الذي
			هم عليه ، ومدحه بما أوجب
			لهم أن يشبتوا عليه
٤١٠	١٢	Medical Islam	في كتابه Medieval Islam
٤١١	١٧	Barrhlomen	Barthlomen
٤١١	١٨	عشر	الثالث عشر
٤١٢	٤	١٣٥٤ م	١١٣٢ م
٤١٣	٩	دليل على	دليل على عدم صحته
٤١٣	٢٧ (هامش ١)	رواه احمد... الخ	رواه احمد والبخارى ومسلم
			والنسائي وابن ماجه وصححه
			السيوطي في الجامع الصغير

<u>الصفحة</u>	<u>السطر</u>	<u>الخطا</u>	<u>التصويب</u>
٤١٣	٣٠ (هامش ٢)	صححها	صححها
٤١٥	٧	Sefdom	Serfdom
٤١٩	٢	Theatokos	Theotokos
٤١٩	٣	ويصدر	ويصور
٤١٩	٩	Cerenthe	Cerinthe
٤٢١	٣٤ (هامش)	Cnosis	Gnosis
٤٢٣	٢٤	العارف	المعارف
٤٢٤	٥	سفيعى	شفيعى
٤٢٤	١٥	بالاخرى	بالاخرى
٤٢٧	٢١	يعزب	« ولا يعزب ... »
٤٢٩	١٥	نتضام	كتضام
٤٣٠	٢٨	عبرانيين ٢ : ١	عبرانيين ١ : ١ - ٢
٤٣٢	١٠	Theotekos	Theotokos
٤٣٢	بعد السطر ٣١	—	يوضع هامش برقم (١) أمامه: سستيفن نيسل : الله فى المسيحية ترجمة مطر ص ٦٢ : ٧٥
٤٣٣	١٣	diutun	d'Autur
٤٣٣	١٥	ينعتها	ينعتها
٤٣٣	٢٠	للبر	للبر
٤٣٥	٢٦	ثق	ثق
٤٣٥	٣١ (هامش ١)	ص ٤٤ - ٥	ص ٣٠ - ٢
٤٣٨	٢٥	انىس	انىس
٤٤٤	١٢	المخالفين	المخالفون
٤٤٤	١٦	صكم	حكم
٤٤٤	٢٦	اذ	اذا
٤٤٦	٨	مدنيتهم	مدنيتهم

فهرس

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
مقدمة الطبعة الثانية	٥
مقدمة الطبعة الأولى	١١
خطوط من الصورة	٢٨ : ٣٣
اطار من البيئة والتاريخ	٣٥ : ١٢٢
أرض	٣٧
قوم	٥٢
دولة	٧٥
معلم وتلاميذ	٩٩
صوت صاوخ من البرية	١٢٣ : ١٤٣
تعاصر الانبياء	١٢٥
يوحنا بين يدي المسيح	١٢٧
المعمودية	١٣٣
ارهاص الميلاد	١٣٨
ليس الخبز وحده	١٤٥ : ١٧٣
الانسان والدين	١٤٧

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
فطرة وضرورة	١٥١
منطق	١٥٨
راحة	١٦٣
نظام	١٧٠
للخطاة ، لا للأبرار	١٧٩
السبب لأصل الانسان	١٨٤
رحمة لا ذبيحة	١٧٥ : ٢٠٢
حين تصوير الأشكال أغلالا	١٨٨
حوار في الحتان	١٩٤
يصطادون بكلمة	١٩٨
آيات وعجائب	٢٠٣ : ٢٣٠
تعاليم الرسالة هي حجتها	٢٠٥
حجة ، ورحمة	٢٠٨
من الآيات	٢١٢
نبوءات عن المستقبل	٢٢٠
سلطان للتلاميذ	٢٢٦
الله محبة	٢٣١ : ٢٧٧
رسول السلام	٢٣٣
طوبى للرحماء	٢٣٤
امتحان من الواقع	٢٤١

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
اليهود ودم المسيح	٢٦٦
نظام	١٧٠
بل جئت لأكمل	٢٧٩ : ٣١٦
عقيدة وشريعة	٢٨١
المسيح والناموس	٢٨٤
التلاميذ والناموس	٢٨٨
الدين والدولة	٢٩٧
فى طريق الانتشار	٣٠٩
تعالوا يا جميع المتعبين	٣١٧ : ٣٧٠
من الأعماق	٣١٩
الطفولة	٣٢٢
المرأة والأسرة	٣٢٤
الرق	٣٣١
الفقر	٣٣٥
المكوث المنشود	٣٥٩
الحق أقول لكم	٣٧١ : ٤٠٤
أمثال وقصص	٣٧٣
بيان المسيح	٣٩٠
مصاعب النقل	٤٠٥

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
وعلى الأرض السلام	٤٠٥ : ٤٥٢
شقاء في طلب السعادة	٤٠٧
المسيح عند المسلمين	٤١٧
الصليب والخلاص	٤٣٣
المسيحيين ومحمد	٤٤٠

الدار القومية للطباعة والنشر

Bibliotheca Alexandrina



0388275

التمن ١٢٠

الدار القومية للطباعة والنشر